جـامعـة الجـزائــر

معـهـد اللـغـة العـربـيـة .وآدابهـا

العلاقـات التركيبيـة في القرآن الكريـم

دراسـة وظـيـفـيـة

رسـالـة لـنـيـل دكتوراه الـدولـة

تقـديـم الطـالـب : سـعـدى الـزبيـر

اشـراف الدكـتـور : محمـد بـلقـايـد

1410 هـ
1989 م

بسم الله الرحمان الرحيم

تمهيد

تمهيد

ان أول كتاب يمكن الرجوع اليه في نحو اللغة العربية هو " الكتاب " لسيبويه ، ولا أحد ينكر أن ذلك الكتاب كان ثمرة تظافر مجهودات العديد من اللغويين والنحاة . ومتى تصفح الباحث كتب نشأة النحو العربي وتاريخه تردد في ما يطالعه اسمان : اسم أبي الأسود الدؤلي ـ الذي لم يعثر له على أثر مكتوب حتى الآن ـ واسم سيبويه ، والفترة التي تفصل بين بداية عمل أول نحوي وما انتهى اليه سيبويه من عمل هي فترة قرن ونصف قرن من الجهود المتواصلة القائمة على سنن اتفق عليها جميع علماء العربية وعملوا بها ، لم يشذ أحد ـ في ما نعلم ـ عليها ـ ونحن اذ نقول هذا نقرر أن أصول نحو اللغة العربية بقيت على حالها عند النحويين العرب في تلك الفترة ، فالسماع هو الأصل النقلي الذى اعتمد ، الجميع والقياس والتعليل والتأويل والتقدير للبحث عن العامل في اعراب ما جاء معربا قد اعتد به النحاة جميعهم من بصريين وكوفيين وغيرهم دون فارق يذكر . فالأصول واحدة اذن ، والبحث عن مميزات لمجموعة من النحويين ـ في تلك الفترة وما بعدها ـ تسمى بالكوفيين أو البغداديين أو الأندلسيين توخت أصولا غير أصول أيمتهم البصريين ضرب من العبث لا يرتضيه العلم ، ذلك أن مفهوم المدرسة يجب أن يحدد وفقا لوجوه نذكر منها : وجود نظام من التحليل والتركيب في مكان ما وفي زمن ما لمفكر ما وتلاميذ له أو أتباع ،

وبلغة أشمل المدرسة هي عين المعارف أو ينبوع التعاليم وهي وسيلة أو نظام للتكوين والتثقيف في مجال ما ـ أيضا المدرسة تقتضي مجموعة من الحدود تبين انتماء ومجال وطبيعة مجموعة التابعين لمعلم ما أو لفكرة ما أو لنهج ما . من هذا المنطلق انه لا تتعدد المدارس في مجال ما الا اذا تعددت المناهج في الوصف والتحليل أو فيهما معا ، وهذا ما لا ينطبق ـ في رأينا ـ على ما ادعاه المدعون في تعدد المدارس في النحو العربي ، ذلك أن الكوفيين الأوائل هم تلامذة البصريين لم يخرجوا عن نهجهم ، فاستعملوا القياس وعللوا وأولوا من أجل الاعراب ، الاعراب الذى هو موضوع ـ في مفهوم الجميع ـ للدلالة على المعاني ، يميز بينها ويوقف به على أغراض المتكلمين . هذا أصل كان لا بد

أن يتعلمه - بادئ الأمر - من ضمن ما يتعلم غير العربي ثم العربي نفسه في ما بعد - حتى يحاكوا العرب الأوائل ويفقهوا لغتهم .

لقد قام بناء النحو العربي كله على الاعراب ، ثم بدأ البحث عن الأسباب والعلل في الاعراب ، فظهر ضرب أول من العلل تبعه ضرب ثان ثم ضرب ثالث ، وتفنن النحاة وظلوا يتفننون عبر القرون في البحث عن العلل وعلل العلل . ومتى اطلعنا على رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي زال عجبنا من هذا الأمر، ذلك أنه هو الذي نهج هذا النهج وترك الباب مفتوحا ، والخليل رجل عالم فعلا لأن طبيعة الأمر - من هذا المنطلق - هي ذلك الذي وضع عليه الخليل يده فصوره أحسن تصوير اذ أنه شبه النحوي بالرجل الحكيم وشبه لغة العرب بالدار المحكمة البناء العجيبة النظم والأقسام وفي هذا يقول : " ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وان لم ينقل ذلك عنها واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه . فان أكن أصبت العلة فهو الذي التمست . وان تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم . . . فان سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها (1) بهذه الصراحة وبهذا الوضوح شرع الخليل للنحاة اعمال الرأي وفتح لهم باب الاجتهاد واستعمال العقل في الذي نطق به العربي على سجيته ما ليست هذه بداية لضرب من الجدل يعتمد من المنطلق على الافهام والاقناع ثم على فن في النقاش والمبرهنة وفن في العرض والرفض قائم على أساس منطقي في عرض الآراء .

ان البحث عما أوجب أن يكون آخر الكلمة في لغة العرب على وجه مخصوص من الاعراب ، قد أدى النحاة الى النظر في لغة قبائل معينة دون غيرها وان كانت مواطن كل هذه القبائل جزيرة العرب ، وان كان الريب في فصاحتها غير مقبول . والحق ان اقتصار النحاة على بعض لغة العرب دون بعض وتجاهل واقع حي مثبت لم يكن مجرد مصادفة وانما هو قائم على ضرب من التفكير .

---

(1) الزجاجي : الايضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك ، (دار النفائس بيروت) 1979، ص. 66 ط 3 .

يعتمد الاختيار[+] والعقلانية التي تسمح لامام في اللغة والنحو كأبي على الفارسي أن يقول ، " أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس "[1] ذلك لأن استقراء لغة العرب كلّها أمر ليس بالهين على عدد محدود من المتحريين من لغويين ونحاة أمام قبائل متفرّقة ، حياتها موزعة بين الحلّ والترحال في جزيرة مترامية الأطراف ، ولأن تدوين لغة العرب عملية استمرت حتى القرن الرّابع فبدأت أوّل الأمر بالبحث عن الموردين في الصحارى حيثما وجد المنشد أو المحدّث الموثوق بعربيته نهارا وتحت الخيام أثناء الأسمار ليلا ، انتهت باللجوء الى مجمّعات الأعراب حول المدن الكبرى وداخلها .

هذه المادة التي كان ينبغي جمعها بوفرة هي الأساس الأوّل الضروري وهي احدى طرفي الاستدلال في منهجية عقلية سليمة يكمّلها وينمّيها طرف آخر هو النظر . النظر في الأشباه ، والنظر في النظائر في هذه اللغة ، ثم يأتي بعده حمل الفرع على الأصل ، وحمل الأصل على الفرع ، وحمل النظير على النظير ، وحمل الضدّ على الضدّ .

كلّ هذا يعد عملا عقليا ، يكون القياس الأداة التقنية فيه ، لأن حمل الفرع على الأصل لا يتمّ الا بوجود علّة جامعة بينهما ، ولوجود العلّة لا بدّ من نظر . ثم انّ أحد أهداف القياس هو اعطاء المقيس حكم المقيس عليه في الاعراب والبناء والتصريف أما بقية الأهداف الأخرى فهي الاستنباط والتعليل والرّفض .

ولقد بلغ الأمر بالنحويين الى أنّهم تصرّفوا في كلام العرب فأتوا بما لم يرد على أفواه العرب البتة ووضعوا الكلام على غير ما وضعت العرب ولم يكن هذا بعد أن امتدت التجربة بالنحاة وطال عليهم الأمد في هذه الصناعة

+ يتجلى أمر الاختيار في باب من كتاب الخصائص لابن جني سماه : " اختلاف اللغات وكلها حجة يقول فيه " ... وليس لك أن ترد احدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها . لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير احداهما فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنسا بها . فأما رد احداهما بالأخرى فلا ... " ج 2 ، ص 10

1 ــ نفس المرجع ، ج 2 ، ص 88 .

ولم يكن هذا أيضا بعد أن دخل علم الكلام ثم الفلسفة اليونانية ميادين الفكر عند العرب ـ كما ادّعى البعض ـ ولكن كان في عهد امام النحاة بل كان على لسانه اذ أنه خصّص بابا في كتابه سمّاه " هذا باب منه استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب [1] ولم تكن هذه هي المسألة الوحيدة ، لقد ورد في كتاب همع الهوامع خلاف يتعلق بجواز تعدّد خبر بعض الأحرف (ليت ، لعل ...) جمع فيه السيوطي آراء بعض النحاة وأحكامهم حول هذه المسألة قال : " قال أبو حيان والذى يلوح في مذهب سيبويه المنع وهو الذى يقتضيه القياس لأنها انما عملت تشبيها بالفعل والفعل لا يقتضى مرفوعين فكذلك هذه مع أنه لم يسمع في شيء من كلام العرب " [2] والرأى عندى أن هذه النماذج صريحة في ما تشير اليه وصريح ما ورد فيها على لسان سيبويه مع أقيسة في المعتل والمضاعف ولم يجيء في كلام العرب الأنظيره من غير المعتل والمضاعف ، وليس في الأمر تلويح لأن سيبويه يعقد الصفحات الطوال للصيغ الممكنة الناتجة عن عمله الذهني المحض ، كما أنه يفرد على سبيل المثال قسمين للبدل ينكرهما عليه الذين أتوا بعده ، وهذان القسمان هما بدل البداء أو الاضراب وبدل الغلط ، ويبرر سيبويه وجود بدل الغلط بأمثلة ما سمعت عن العرب قط في هذا يقول السيوطي : " قال المبرد على سعة حفظه : بدل الغلط لا يكون مثله في كلام الله ولا في كلام مستقيم وقال خطاب : لا يوجد في كلام العرب لا نثرها ولا نظمها وقد عنيت بطلب ذلك في الكلام والشعر فلم أجد ، (والشعر فلم أجد) ه وطلبت غيرى به فلم يعرفه ... " [3]

ان ظاهرة الاعراب ونظرية العامل متصلتان اتصالا شديدا بينهما فالاعراب هو الأصل الأول والمحور الأساس الذى عليه بنيت أهم أصول نحو اللغة العربية ، فيه يقول ابن فارس : " من العلوم الجليلة التي خصّت بها العرب

---

(1) الكتاب : سيبويه ، ج 1 ، ص 334
(2) همع الهوامع : السيوطي ج 1 ، ص 135
(3) نفس المرجع : ج 2 ، ص 126

الاعراب الذى هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ، ولولا ه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجّب من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد ... " [1] فالاعراب اذا في اصطلاح النحويين هو الافصاح عن المعاني وتبيانها بالحركات الدالة عليها .

من الجدير بالملاحظة أنّ مضمون هذا الرّأى الذى ورد في كتاب " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها " قد كان هو الباعث لأبي الأسود الدؤلي على وضع قواعد للغة العرب في ما زعم مؤرخوا لنحو العربي من روايات متنوعة . ثم انه من الملاحظ أيضا أنّ هذا الرّأى لابن فارس قد ردّده الذين أتوا بعده والتابعون لهم وتابعوا التابعين الى يومنا هذا . فكيف يمكن أن يتم التجديد وزاوية النظر لم تتغير ؟ كيف يمكن التّجديد والمعاني التي ذكرها ابن فارس : المعاني المتكافئة في اللفظ ما زالت تستدعى وضع علامات يستدلّ بها عليها ؟ ومن المعلوم أنّ النحاة قد اشتهر فيما بينهم كما ورد في كشاف اصلاحات الفنون " أنّهم : ... " سمّوا تلك المعاني مقتضيات الاعراب ، وسموا الأشياء التي تعلّقها بالاسم المتمكن سبب لحدوث هذه المعاني عوامل ... " [2]
ثم ان التهانوى يذكر في هذا السياق أنّ النحاة ذهبوا يصنّفون العوامل أو المؤثّرات ــ التي بسببها يحدث المعنى المقتضى لكون آخر الكلمة مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ــ الى قسمين : عوامل لفظية ، وهي ما يتلفظ به حقيقة أو حكما ، ومعنوية وهي ما لا يكون له أثر في اللفظ أصلا لا حقيقة ولا حكما .

ان جوهر هذه المسألة راجع الى الاعتقاد الرّاسخ لدى النحاة أنّه لا بد لكلّ أثر من مؤثّر ولا بدّ لكلّ فعل من فاعل ظاهرا كان أو مستترا ، وأنه لا شيء يحدث من تلقاء نفسه ، فالعوامل في هذه الصّناعة هي ~~أ~~ يهم أمارات ودلالات تسبق في الرّتبة المعمولات وقد تكون بعدم الشيء كما تكون بوجوده .

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ابن فارس تحقيق مصطفى الشويمي ، ص 77 ، مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر بيروت لبنان 1964
(2) كشاف اصلاحات الغنون ، التهانوى ، ص 1045 كلكتة . الهند 1862 .

وبهذا يتسنى فهم القصد من المصطلحات الواردة في كتب النحاة المتعلقة بالعوامل وبصفاتها . بالعوامل اللفظية منها الظاهر ومنها المستتر أو المضمر أو المقدّر ومنها المحذوف وجوبا أو جوازا ، يضاف اليها العوامل المعنوية التي لا تمتّ بصلة الى الكلمات والألفاظ الواردة في السياق أو النّص، فلا ينطق بها ولا تظهر ولا تقدّر في الكلام . أمّا صفات العوامل فهي القوّة والضّعف ، ويتبين ذلك في مدى تأثير العوامل في عدد المعمولات ، وطبيعة الحال ـ في رأيهم ـ تقتضي أن يكون العامل اللفظي الموجود أقوى من العامل المعنوّي المتوهم وبناء على هذا وجد التّنازع ... والتنازع على التماس العوامل وحمّلت النصوص ـ حتى القرآنية منها ـ مالا تحمل من تأويلات .

والتأويل عند النحاة أساسه حمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر للتوفيق بين أساليب اللغة وقواعد النّحو . وان شئت قلت بلغة أكثر صراحة ان التأويل هو تغيير النص المنطوق أو المكتوب على السواء باضافة اسم له أو زيادة فعل أو حرف ، وقد يقتضي الأمر وضع جملة كاملة متممة للجملة الواردة في النّص . كلّ ذلك تبريرا للحركة الاعرابية الموجودة أو الحركة التي يجب أن تكون في نظر النحاة وتبعا للقاعدة التي وضعوها ، اذ قد يخطأ النحاة مشاهير القراء [1]

ومتى تحدّثنا عن التأويل تعرّضنا دون عناء الى التّقدير أو الحذف الذين تميّز بهما الدرس النّحوى ، تقدير العوامل الذى كان سببا في كثرة الأدلة وفي وفرة أساليب الحجاج ، فكانت التفريعات وكانت الخلافات ، وكان أن تجرأ النحاة فطوعوا ما خرج على أحكامهم لمنطق القاعدة الكثير من آى الذكر الحكيم فقالوا ان في كلام الله حذفا ـ وللتنبيه لسعة هذا الباب وأهميته لديهم نذكر أن الحذوف الواقعة بالأسماء ثلاثة عشر ضربا ، وأن الحذف الواقع بالفعل ينقسم الى ستة أضرب ان نحن وقفنا عند الضرب الأوّل منها والمتعلّق بحذف الفعل شريطة التفسير وجدنا أنّه يقع في سبعة مواضع هي الاستفهام والأمر والنّهي

---

(1) " أما قراءة حمزة فقد ذهب الأكثرون من النحويين الى أنّها فاسدة ." قراءته : والارحام بالكسر س4.آ.1 . التفسير الكبير، لامام الفخر الرازى : ج 9 ، ص ، ط 3 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت د . ت .

والشرط والتحضيض والنفي والعطف [2] ... لعل الأرقام تجعلنا ندرك ما بلغ اليه الأمر في التسامح من تغيير وجه الواقع المسموع والمكتوب وما مكّن النحويون منه أنفسهم من استعمال للعقل أدى الى اتساع دائرة التأويل في النحو العربي .

ولم يعرف نحو اللغة العربية طوال أربعة عشر قرنا من الزمن الا هذه الأصول التي اختصرنا ذكرها ، ولم يوجد الا نحو واحد للغة العرب حتّى ان الأقوام خلطوا بين نحو للغة العرب والأصول التّقليدية للنحو العربي وشتّان بين هذه وذاك ، ونحن متى رجعنا آراء الناظرين في لغة العرب المحاولين تقعيدها والمهتمين بنواميسها وجدنا عبر كلّ هذه القرون ثلة قليلة من العلماء يصعب وصفهم بالرافضين للالتباس الذي ذكرنا ، ذلك اما لأنهم لم يمسّوا الجوهر وخاضوا في بعض الأعراض ، وامّا لأنهم وإن أصابوا الكنه لم يأتوا بالبديل من الأصول التي على غرارها يمكن وجود نحو ثان للغة العرب ، نحو قائم على اشكالية أخرى مغايرة تماما لتلك التي كثر اجترارها ، نحو تمس فوائده التعليم أو التّرجمة أو علم الاتّصال وغيرها .

يعدّ الاعراب حجر الزاوية في بناء النّحو العربي ، فهو أثر امّا ظاهر وامّا مقدّر لمؤثر أو عامل يجلب أحد أنواع العلامات الاحدى عشر وهذه العلامات عند جمهور النحاة تنقسم الى قسمين : أربع أصول : وهي الضّمة للرّفع والفتحة للنصب والكسرة للجر وحذف الحركة للجزم ويخص الاسم منها ثلاثة هي الرفع والنصب والجر كما يخص الفعل منها ثلاثة وهي الرفع والنصب والجزم . أما قسم الفروع من العلامات فيخصّ سبعة أبواب ، فهي تقع في الأسماء الستة والمثنى وجمع المذكر السالم وما يجمع " بألف وتاء " وما لا ينصرف والأمثلة الخمسة والفعل المضارع المعتل الآخر . ولقد أولى النحاة من الأهمية البالغة للاعراب والأولوية على بقية نواحي اللغة الى درجة طغى فيها الاعراب على كلّ الظواهر اللغوية فصنّفت أبواب النحو وفقا للعلامات الأصول في الاعراب فيبدأ بأنواع المرفوعات

---

(2) الأمالي الشّجرية : ابن الشّجرى ، ج 1 ، ص 330 ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، د . ت .

ثم بأنواع المنصوبات ثمّ بأنواع المجرورات ثم أنه لا يفرد باب لا لاستفهام ولا للنفي ولا لغيرهما من الظواهر اللغوية كالتعجّب والاثبات وغيرها ولكن يحشد الكلّ في باب المرفوعات . . . وقس، وكاستفهام النفي ، وقد يجوز . . . هذا ما توصّل اليه المتأخرون من النحاة ، أما سيبويه فقد كان جدّ صريح عندما خصّص للاستفهام والأمر والنهي أبوابا الا أن تناوله لهذه الأبواب كان يعكس نفس النهج والرؤية وعباراته كانت واضحة نذكر منها على سبيل المثال : "فما يعد المبتدأ من هذا الكلام في موضع خبره ".[1] كما نجد في نفس الباب قولا آخر ، " فحروف الاستفهام لا يفصل به بين العامل والمعمول ، ثم يكون على حاله اذا جاءت الألف أولا ، وانما يدخل على الخبر "[2].

ان العالم الوحيد الذى تعرّض – من القدامى – للقد رأي جمهور النحاة في كون حركات الاعراب في الأسماء وما ضارعها هي الأساس في اختلاف المعاني هو محمد بن المستنير قطرب أحد تلاميذ سيبويه قال : " لم يعربوا الكلام للدلالة على المعاني ، والفرق بين بعضها وبعض لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني ، وأسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني فما اتفق اعرابه واختلف معناه قولك أن زيدا أخوك ولعلّ زيدا أخوك . . . ومما اختلف اعرابه واتفق معناه قولك ما زيد قائما ، وما زيد قائم . . . ومثل هذا كثير جدا مما اتفق اعرابه واختلف معناه . "[3]

فرأي قطرب مبني على ما ورد في كلام العرب بالدليل والحجة ، ثم أنه نحى بالإعراب منحى صوتيا صرفا ، قائما على تيسير النطق للمتكلّم وتعديل الكلام عموما . اكتفى قطرب بهذا الرأي ولم يبن عليه نظرية يخالف بها النظام القائم . وكانت هذه أول محاولة لمخالفة رأي جمهور النحاة باءت بالفشل ، فما كان بعدها الا أن علا شأن الإعراب وتعددت فيه الآراء وطال حول مسائله النقاش وكثر الجدل .

استمر الوضع على اتّباع المقاييس والأصول التي وضعها الأوائل من النحاة فازداد التبحّر في استعمال العقل ، ليس في المدوّنة فحسب وانما في ما ترك السابقون

---

(1) و (2) الكتاب : سيبويه ، ص : 127 – 128 .

(3) الزجاجي : الايضاح في علل النحو ، ص : 70 .

من قواعد ، وبدأ عهد الشروح على " الكتاب " ، وحتّى الذين حاولوا تأليف كتب أخرى في قواعد النّحو العربي فانّهم لم يخرجوا من التّقليد ، وحسبك أن ترى مؤلفا ضخما مثل كتاب " المقتضب " للمبرّد فانّك لن تجد فيه ما خلا بعض الجزئيات الا لونا جديدا من التمارين العقلية يعرضها عوضا عن القاعدة وكأنه قد اقتنع وسلم بما قيل قبله فراح يهيء التمارين ليدرّب عليها الطلاب (انظر باب الابتداء مثلا) .

وفي القرن السادس للهجرة ظهر نحوي في الأندلس اسمه ابن مضاء القرطبي لم يقنع ببعض الأصول التي وضع عليها النحو العربي فرفضها رفضا باتّا ، ولم يكتف بمجرّد الرّفض أو الرّأي وانما أفرد كتيبا سماه " الرّد على النحاة " دحض فيه بالحجّة والدّليل آراء النحاة السابقين مبينا وجوه الفساد في بنائهم قال : " قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النّحو ما يستغنى النحويّ عنه ، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه " [1] وقد ركّز على نقاط أربع : أوّلها : الغاء العامل ثمّ الغاء الحذف والتّقدير ثمّ اسقاط العلل الثواني والثوالث وأخيرا اسقاط التمارين ، بهذا يخلص النحو من فروعه الكثيرة وتأويله المتضاربة وتمارينه المعقّدة التي هي أبعد ما تكون على الواقع . وقد ذكر ابن مضاء في كتابه أنه شرع في كتاب يشتمل على أبواب النّحو كلّها ، وهذا الكتاب لم يعثر عليه بعد ، ولعلّه لم ينجز البتّة الا أن ابن مضاء نفسه يطلب من القارئ أن يستدلّ بالأبواب الموجودة في الكتاب على غيرها ، ولم يستدلّ أحد بما ورد في " الرّد على النحاة " ولم يكترث به والحق ان أحدا لم يجرأ جرأة ابن مضاء على الدعوة الى الحرّية في التفكير لبناء نحو جديد يقوم على مقاييس وأصول جديدة . يقول ابن مضاء في ذلك : " اجماع النحويين ليس بحجّة على من خالفهم ، وقد قال كبير من حذّاقهم ومقدّم في الصناعة من مقدميهم ، وهو أبو الفتح بن جني في خصائصه : " اعلم أن اجماع أهل البلدين يعني البصرة والكوفة انما يكون حجّة اذا أعطاك خصمك يده أن لا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص ، فاذا لم يعطك يده بذلك فلا يكون اجماعهم حجة عليه " [2]

---

(1) الرد على النحاة : ابن مضاء ، تحقيق د محمد ابراهيم البنا ، ص 69 . دار الاعتصام القاهرة مصر 1979 .

(2) الرد على النحاة ، ص 70 ــ 75 .

ومعنى هذا أن النّحو ليس وقفا على الأصول التي أقام عليها الخليل وسيبويه النحو ، ولا بقية البصريين أو من يدعون بالكوفيين وغيرهم لأن قواعد النّحو ليست مقدّسة لا تقبل النقد ولا التغيير ولا التجديد . على الرغم من هذا كلّه فان دعوة ابن مضاء للتجديد لم تجد عقلا واعيا لا في الأندلس ولا في مصر ولا في الشام ، وقد ظهر في هذه الأقطار نحاة أجلاء أمثال أبي حيان وابن عصفور وابن مالك وابن هشام وابن عقيل وابن الحاجب والرضى ، الا أن اشتغالهم بالأصول التي جاءت في " الكتاب" هو الذى كرّسوا له جهودهم وأفنوا فيه أعمارهم ، وظهرت الى جانب ذلك انشغالات جديدة في حياة النحاة وهي تذليل مسائل أشهر الكتب النحوية السائدة في تلك الفترة وتذييلها وشرحها وتلخيصها والنظر في شواهدها ومناقشتها .

وفي هذه الأثناء وبعدها كثرت الشروح وشروح الشروح وفاضت الحواشي وتعددت المتون والمنظومات ، نذكر منها على سبيل المثال الفية ابن مالك التي شرحها الأشموني ، والتي وضع الصبّان حاشية على شرحها ، والتي وضع اسماعيل الحامدي تقريرات وتحقيقات عليه .

فمن أين وكيف يجد التجديد منفذا للأصول الأولى التي أسس عليها النحو العربي ؟

من بعد هذا ، كان لا بد من انتظار القرن الرابع عشر للهجرة ، نظرا للظروف التاريخية التي مرت بها الأقطار العربية ، ليكثر التساؤل حول نحو اللغة العربية ومشكلاته وحول تبسيطه أو تيسيره أو احيائه ، أو توجيهه أو تقويمه أو تجديده . وكانت أعمال فردية . وتمّت أعمال جماعية ضمتها لجنة كلفتها وزارة المعارف رسميّا في مصر بتيسير النّحو ، وكان من أعضاء هذه اللجنة كبراء الأساتذة أمثال طه حسين وأحمد أمين وعلى الجارم وابراهيم مصطفى ، وقد قدمت هذه اللجنة مجموعة من الاقتراحات في تقاريرها الرّسمية لتبسيط قواعد النّحو والصّرف والبلاغة ، وكانت من ضمن اقتراحاتها توصي بالاستغناء عن الاعراب التقديري والمحلي وعدم التمييز بين علامات الاعراب الأصلية والفرعية ، كما قدّمت اقتراحات في ضبط الجملة . وليس لنا أن نحكم لـ/أو على تفاصيل أعمال هذه اللجنة والحال أن الأحكام على أعمالها متوفرة . ولكن المهم في الأمر أن هذه الأعمال لم تمس اشكالية النحو العربي .

أ ما الأعمال الفردية المشوعة التي تتحدّث عن التقويم والتّحديث، والنقد والتوجيه، والتيسير والتجديد، فيطول ذكر محتوياتها واتجاهاتها، فمتى اطّلعت على مضمونها - وهذا هو أهم شيء في نظرنا - وجدت أنها تتعرّض بالانتقاد الصّريح لسوء استعمال أهم الأصول التي قام عليها النّحو العربي من السّلك الذين أسّسوا النحو العربي فنهجوا سبله وأرسوا قواعده. فمن متعرّض: للسماع والتشكيك في انصاف اللغويين الذين اقتصروا على الأخذ عن ستة قبائل في جزيرة العرب كلّها، والتشكيك في مفهوم الكثرة والقلّة المعتمد في المدوّنة، ومن متعرّض الى الأقيسة النحوية والخلافات في استعمالها ليس فقط بين من يدعون بالبصريين والكوفيين ولكن بين مؤسسي النحو أنفسهم من البصريين، ومن متهجّم على (متهجّم على) التعليل ومبيّن الضرر في استعماله، ومنهم من يكاد يجمع كلّ هذه المسائل في كتاب واحد، ولم يطلع علينا - في ما نعلم - حتى الآن من طرق اشكالية جديدة، فما دمنا نحاول اصلاح ما كان وقد انشق الانا، فالانا لا يعاد له السبك، وما دمنا نقوّم الأصول، فلن نخرج من الدائرة لأن الأصول هي هي، وبها لا يمكن أن تكون الرؤية الا مماثلة أو مشابهة للتي كانت. والعيب في حقيقة الأمر - ليس في المنهج القائم على ~~المنهج~~ ضرب من الأصول محدد لا يمكن أن يؤدي الا الى ما أدى اليه في السابق ومتى اعتمدنا أصولا أخرى فسنصل حتما الى نتائج أخرى.

ان الاشكالية التقليدية عموما التي وضع فلسفتها اليونان قائمة على تصوّر نظام طبيعي حقيقي، حسن، نظام أصلي، حيث كلّ شيء له مكانته، وحيث كلّ شيء هو اتزان وانسجام. وفي ذلك النظام يعتبر أفلاطون أنه على المستوى اللساني تتحد الكلمة " بالكائن ". وان شئت قلت انه يوجد تطابق شفاف بين الكلمة " والكائن ". وموقف أفلاطون - حسب فورنيي وليمان(+) يمليه بكل وضوح حنينه الى ذلك النظام الذي هو في طور الانهيار، اذ أنّ التطوّر والتغيّر شيئان رديئان يقلبان النظام الطبيعي الأصلي ويفسدانه. والتطور هو أيضا السبب في المسافة بين الكلمة البدائية والكلمة الحالية. ذلك أنّ الكلمة الحالية تحجب " الكائن " ويتساءل الباحثان عن السبب الذي أحدث التغيّر وألحق الفساد، فيقولان انه الاستعمال استعمال العامّي الجاهل للسان وكذلك الاستعمال الشعبي

(+) ف. فورنيي. و د. ليمان، مسائل حول النحو التقليدي، الاتجاه اليوناني، من اللسان الفرنسي رقم 41/ 1979، ص91، لاروس - بتصرف.

للسا ن . وحتى يتمكن في ذا ت الوقت من ايجا د اللسان الحسن ، اللسان الذى لـه علا قة "بالكا ئن " الحق ، وايجا د الكائن نفسه ، لا بد من البحث التأ ثيلي ، كما أ نـه لا بد من الاهتما م بالشعرا ء ، اذ أ نهم يحضون د ون غيرهم با ستبصا ر العلا قات بين اللسا ن والكا ئن . وأ ثر هذا يظهر في اهتما م سقرا ط وأ فلا طون بأ شعا ر هو ميرو س .

انّ انعكا س موقف الفلا سفة اليو نا ن في نظرتهم للسا ن يظهر بجلاء في خصا ئص النحو التقليد ى المعروفة برفض وصف اللسا ن الشعبي المأ لوف ، الجا ر ى ورفض التّو ليد والتطوّ ر ، واعطا ء الأسبقية الى النصو ص الأد بية . والرفض المسبق تقو يم ، والاختيا ر المعلن تقييم ، وهما من الأسس التي تقوم عليها المعيا رية .

ونحن قبل أ ن نتحد ث عن المعيا رية ، لا ندّعي أ ن تنظير المعيا رية قـد وجد بهذا الشّكل أو بشكل مشا به له في كتب الأقد مين قبل سيبو يـه أو في زمان سيبويه ولكن الذى نودّ الو قو ف عند ه ، وتبيا نه بحيث لا يبقى مجا ل للشكّ فيه ، هو هذ ه المطا بقـة العجيبة بين النظرة المعيا رية السا ئد ة في نحو الأقد مين عمو ما وبيـن السبل التي توخّا ها النحا ة العرب المسلمو ن .

والمعيا رية لها أ شكا ل وا ضحة نذكر منها :

أ وّلا : اعتبا ر القوا عد التي تتحكّم في تكوين الأقوا ل في لسا ن مّا خا ضعة الـى اقتضا ءا ت الفكر المنطقي من ذكر ما ورد في كتا ب سيبو يه على لسا ن الخليل بن احمـد في ما يخص ضرو رة وجو د فا عل لكلّ فعل في قوله تعا لى : " وكفي بالله شهيدا بيني وبينكم " [1] قا ل : " انما هي كفى الله ، ولكنك لما أ دخلت البا ء عملت " [2] .

ومن ذلك أ يضا في فصل الحذ ف في الأما لي الشّجرية ما ورد في تقدير الأفعا ل المحذوفة ، نذكر هذه النتف ، يقو ل الشّجرى " فحذ ف الفعل على شريطة التفسير يقع في سبعة موا ضع . . . فحذ فه في الاستفها م ، كقولك : أ زيدا أ كرمته ، أ زيدا مررت به ، أ زيدا ضربت أ خا ه ، أ بشرا وا حدا منا نتبعه . فالعوا مل فـي

---

(1) آ 96 الاسراء 17 .
(2) سيبويه : الكتاب : ج 1 ، ص 92 .

هذه المنصوبات أفعال مقدّرة قبلها تفسّرها الأفعال المذكورة بعدها ،
ولا يجوز أن تنصبها بالتي بعدها لأن تلك قد تعدّت الى ما تقتضيه من
المفعول ظاهراً أو مضمراً ، فالتقدير : أكرمت زيداً أكرمته ، وأجزت زيداً مررت به ،
وأهنت زيداً ضربت أخاه ... [1]

انّ الذي يلفت النظر في هذا الاتجاه الفلسفي القائم على المنطق والعقلنة
هو فرضه الاختزال ، وفرضه أيضا الاعتقاد بأن عددا كبيرا من الأقوال – في
الألسن البشرية عموما – مبدلة من أقوال مختلفة تكون صورتها الأصلية وفي كتاب
" اعراب القرآن " المنسوب الى الزجاج ، باب أفرد لما ورد في التنزيل من
أضمار الجمل يبين الصور المختلفة للأقوال : القول الوارد في النّص ، والقول الذي
يكون الأصل والقاعدة للقول الوارد في النص . اليك بعضها ورد فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم التقدير : بدأت باسم الله – أو أبدأ ...
أو ابتدائي ... ، ومثله قوله : واذ قال ربك التقدير : واذكر اذ قال ربك –
وان شئت : ابتداء خلقكم اذ قال ربك .

ومن ذلك أيضا قوله : " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة " والتقدير :
وأمة غير قائمة [2] .

ثانيا : الاعتماد على تصوّر للصرف قديم أو الاعتماد على التّقليد التاريخي باعتباره
تواصلا ، ويظهر هذا في احترام الموروث وينجم عن هذا أبى التغيير والتّطوّر الذي
يحدثهما الزّمن ضرورة ، لا يعبأ بهما ، والزمن نفسه لا يلتفت له فهو ساكن من
هذا المنظار . وعليه فان النحاة واللغويين لم يستشهدوا ليس فقط بلسان التخاطب
المألوف ، ولكنهم ذهبوا في اسْتشهادهم بالشعر يقتصرون على القدماء من الجاهليين
والمخضرمين ويرفضون الاستشهاد بمعاصريهم لأنهم مولّدون أو محدثون ولأن
بيئتهم ليست كبيئة العرب الخلّص ، في هذا الشّأن أفرد ابن رشيق في كتابه العمدة
بابا في القدماء والمحدثين يقول فيه : " كلّ قديم من الشعراء فهو محدث في

(1) ابن الشجري : الأمالي الشجرية ، ج 1 ص 330 – 331 .
(2) الزجاج : اعراب القرآن ص12 وما بعدها .

زما نه بالاضافة الى من كان قبله ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبيانا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ... وكان لا يعد الا ما كان للمتقدمين ، قال الأصمعي : جلست اليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم " [1] .

ثالثا : اخضاع الاستعمال الى القاعدة النحوية . على الرغم من أن أساس القاعدة النحوية هو الاستعمال ، الا أن النحاة يجعلون اللسان مطابقا لبعض الاستعمال ويصفون ما تبقى من الاستعمالات بالجائز أو القبيح أو الشاذ أو القليل أو النادر أو الغالط . وان كثرت الأمثلة التي تعارض القاعدة واجه النحاة هذه الأمثلة بالتأويل . وانه من المعروف أن للنحاة محاولات طريفة لاخضاع فصحاء العرب وأمرائهم وأهل البيان فيهم الى سلطان قواعدهم كالفرزدق والحجاج وعبد الملك بن مروان . والأمر لم يتوقف عند هذا الحد فقد خطأ النحاة فحول الشعراء من الجاهليين كالنابغة الذبياني في قوله :

وبت كأني ساورتني ضئيلة .. من الرقش في أنيابها السم ناقع

فقالوا : كان ينبغي أن يقول : السم ناقعا أو السم الناقع

أما موقف النحاة من القرآن الكريم وقراءاته ، فيستوجب أن ندقق فيه بعض الملابسات لتتضح الرؤية . من ذلك أن النحو وضع أساسا للحفاظ على العربية وعلى القرآن الكريم من " اللحن " ، فكان من البديهي أن يكون الاعتماد على القرآن في الدرجة الأولى الا أنه بحكم تعدد القراءات القرآنية وقف النحاة الأوائل موقف الحيطة والحذر من القراءات والقرآن فلم يكثروا من الاستشهاد منه ، وهذا أمر مقبول لتباين القراءات وتعددها من جهة وموقف النحويين المتمثل أساسا في وضع القاعدة الكلية الشاملة من جهة أخرى . والذي نجم عن هذا التعارض أن النحاة الأوائل كانوا يستشهدون بالقراءات التي توافق القاعدة النحوية عوضا عن أن يضعوا القاعدة على أساس القراءة القرآنية

---

(1) ابن رشيق ، العمدة ، ج 1 ص 90 ـ 91 .

وقد كا ن بعض أ وا ئل النحا ة مثل أ بي عمر و بن العلاء يرفض بعض القراءا ت وكان يو نس بن حبيب يحلّل القرا ءا ت ، فلا غرا بة أ نّه بعد أ ن استفحل دا ء القيا س قد وجد من النحويين من أ نكر بعض القرا ءا ت ومن اعتبر لغتها لحنا . (انظر ها مش الصفحة :) .

لقد كنا تحدّثنا في ما سبق عن موقف ابن مضا ء في بعض الأصو ل التي اعتمد ها النحويو ن عموما ، واننا نريد أ ن نلفت النظر - في هذه النقطة بالذا ت المتعلقة بالمدو نة (أو ما دة الاستشها د) - الى موقف نحوي مشهو ر من نحا ة القرن السا بع هو ابن عصفو ر اذ يقو ل : " ان أ ئمة النحويين كا نوا يستد لو ن على ما يجو ز في الكلام بما يوجد في النظا م . والاستد لا ل بذلك لا يصح الا بعد معرفة الأحكا م التي يختص بها الشّعر وتمييز ها عن الأحكا م التي يشركها فيها النثر ."[1] واننا نعتقد أ ن الجمع بين اقترا حا ت ابن مضاء القرطبي المطا لبة بالتخلي عن العا مل والحذ ف والتقدير والعلّة ، واقترا ح ابن عصفو ر الاشبيلي في الاعتماد على النثر دو ن الشعر ، تؤد ي ضرو رة الى تغيير وجهة النظر تما ما .

على العكس من نظرة المعيا رية ، فا ن النظر ة الوصفية قا ئمة على وصف المدونة دو ن اللجوء الى أ حكا م المنع والزجر والتغليط . ففي الوظيفية - على سبيل المثا ل - يحدّ د مفهوم " المعيا ر " بمعنا ه المطلق - فكلّ ما هو موجو د في المدو نة وكلّ ما يمكن استخرا جه من المدو نة - بالتعميم - فهو عا د ي وطبيعي ، أ ما ما لا يمكن استخرا جه من المدو نة فهو غير عا د ي ولا طبيعي . هذا واذا كا ن لا بد من الاعترا ف بوجو د وجو ه متعدّ د ة : (تركيبية أو تصريفية أو معجمية) . واذا كا ن لا بد من تجميعها وتصنيفها في مستويا ت ، ثم نعت هذه المستويا ت عند الاقتضا ء ب : " دا رج " أو " مهذّ ب " أو " شعبي " ... بالرجو ع الى الخصا ئص الخا رجية للمدونة ، مثل نو ع حا لة التخا طب أو الوضع الاجتما عي للمتخا طبين . اذا كا ن لا بد من القيا م بهذه العمليا ت ، فا نه لا داعي مطلقا للأحكا م التقييمية .[+]

---

(1) ابن عصفو ر ، ضرا ئر الشعر : ص 11 .

(+) أو تيي ، أ . مو نيي ، المعيا رية النحوية ومستويات اللسان (بتصرّف) ، اللسان الفرنسي رقم 16 . ص 50 .

ان الذى يميز وصفية اللسانيين لا يرضون بوضع معادلة غير متقنة ، تساوى بين الوصف والملاحظة ، ولكنهم يجتهدون في أن يكونوا علميين .
وقد وضحتها د. فرانسوا هذه المسائل في مقال عنوانه : مفهوم المعيار في اللسانيات ، الموقف الوصفي والموقف التقنيني [1] نقتطف أهم ماورد فيه :
أ - ان ملاحظة الظواهر هو الشرط الأول والضروري لكلّ عمل حول اللسان والملاحظة تفترض أن ليس ثمة حاجز بين تلك الظواهر والتحليل . وهذا ليس معناه الاكتفاء بمجرد تسجيل الظواهر أو جمع المادة وكفى . فالملاحظة ليست غاية في حد ذاتها ولكنها مرحلة تنتهي الى تحليل المعطيات وشرح الظواهر
ب - ان الملاحظة المطلوبة تستوجب تغطية كلّ الظواهر اللسانية الأمر الذى يتضمن أن الباحث في الحين الذى لا يهمل فيه الشكل المكتوب للسان ، فانه يعطي الأهمية اللازمة للمنطوق ، ثمّ انه لا يتوقف فقط عند الظّواهر التي لا تؤيد نظرية مّا ، وتستشهد د . فرانسوا ب ف . دى سوسور في حديثه عن مادة اللسانيات في كتابه " دروس في اللسانيات العامّة " الباب الثاني الفقرة الأولى حيث يقول : " ان مادة اللسانيات تتكوّن أساسا من جميع مظاهر الكلام البشرى سواء أتعلق الأمر بكلام الشعوب المتوحشة أم الأمم المتحضّرة ، في العصور العتيقة أو الكلاسيكية أو في عصور الانحطاط . والمعتبر من كلّ عصر من هذه العصور ليس الكلام الصّحيح والكلام الأدبي " فقط ، ولكن جميع أشكال التعبير .
ج - ان الملاحظة اللسانية تستوجب تجنب اللجوء الى قبليات (أو مسبقات) خارجية ، سواء أتعلّق الأمر بأحكام تقويمية منطقية أو جمالية . . . أم بتصنيفات اجتماعية ، أو آفاق تطبيقية معدّة مسبقا . ذلك أن المرحلة الوصفية للسانيات العامة تسبق ضرورة كلّ اللسانيات التطبيقية ، وفي هذا المجال تعود د . فرانسوا ثانية الى ف . دى سوسور فتورد حكمه على النحو التقليدى اذ يقول فيه : " فهو الذى مادة معيارية بعيدة كلّ البعد عن مجرّد الملاحظة الصّرف ووجهة النظر فيه وجهة ضيقة بالضرورة " . ومن هذا يتبين أن الوصف اللساني لا بد أن يؤسس على موازين داخلية .

---

(1) د . فرانسوا : من النظرية اللسانية الى تعليم اللسان (تحت اشراف فجان مارتينيه) ص ص 145 _ 159 .

وان تسائل المرء عن موقف الوصفيين من تنوع الاستعمالات وحركيتها

التي تجنح المعيارية والتقنينية الى تجاهلها لأنها تعقّد بالفعل عمل الواصفين فان الذى يجب أن يعرف هو أن اللساني يقوم عمله قبل كلّ شيء على وصف ما هو كائن ، ولا يجب بأية وسيلة كانت عملية التغير والتطور ، ولا يسميها لحنا ولا يصفها بالفساد . فتنوع الاستعمال وحركية اللسان تمكّنان في الواقع وبلا شك من تحديد المشاكل الحقيقية للتحليل اللساني . والحقيقة ان الوظيفيين يعتبرون أن مفهوم الاقتصاد اللساني ، قوامه التصور الحركي للسان البشرى ، ولا قيمة لاستعمال لهذا المصطلح (الاقتصاد) مع نكران وجود قوى ذات خلية تحرّك اللسان اذ " أن كل ما تشترك فيه الألسن البشرية من تقطيع مزدوج ومن وجود نظام لوظائف الأصوات ومن بنية (بالمفهوم الأعم) هو نتاج اقتصادى للنزاع القائم بين حاجيات التبليغ غير المحدودة ولا مكانيات الاسنان المحدودة من فيزيائية وذهنية " [1] .

بعد هذا الذى ذكرنا ، بخصوص منهج اللسانيين المحدثين ، وخصوصا المحدثين منهم ، في اعتمادهم على الوصف والوصف العمي للسان في أهم وظائفه (التبليغ) ، وعندما ننظر في ظروف نشأة النحو العربي اثر احتكاك اللسان العربي بالألسن الأخرى ، وما نجم عنه من تغيرات ، ظاهرة عديدة ، سريعة وعندما ننظر أيضا في الأسس التي أقام عليها النحاة العرب صرح التصدّى لما كانوا يواجهونه من تغيرات ، فاننا نعلم بكلّ وضوح أننا أمام منهجين مختلفين تمام الاختلاف . ومتى اختلفت المناهج ، تباينت بالضرورة أساليب التناول ، فتعدّدت النتائج ، وتعدّدت ــ في منظورنا ــ أيضا النحو .

(1) اللسانيات ، المرشد الألفبائي ، ص82 .

اذا كنا تحدّثنا عن الأسس التي أقام عليها النحاة العرب قواعد لغتهم وقلنا انه لا يمكن أن تؤدي تلك الأسس الآن الى ما أدّت اليه أو الى ما يشبهه فاننا نقول أيضا انّ الترميم شيء والتلفيق شيء آخر أما التجديد فهو أبعد ما يكون عن الأمرين معا موما أنه قد ثبت بالخبرة والدّليل أن تقعيد العربية يتطلب تجديدا فاننا سنعتمد منطلقات مغايرة تماما لتلك التي اعتمدها النحاة العرب الأوائل ومن نهج نهجهم في تقعيد العربية ؛ سنعتمد في بحثنا هذا المنهج الوظيفي وسنحاول أن نحلّل وفقه نصّ القرآن الكريم لنضع له نحوا ، وهكذا سيتسنى لقرّاء ودارسي اللسان العربي مقارنة النحويين والوقوف عندما يمكن أن يكشف عنه كلّ نحو !

قبل الحديث عن الوظيفة نعطي فكرة موجزة عن أصحاب المدرسة الوظيفية فالوظيفيون هم جماعة من المفكرين والعلماء في شؤون اللغة واللسان روّج أنّهم ينتمون الى حلقة " براغ " كما روّج أنهم أتباع ل " فردنا ندى سوسور" والواقع انه بعد ظهور كتاب " دروس في اللسانيات العامّة " ل فردناند دى سوسور " ظهرت في العديد من البلدان الأوروبية " مدارس لسانية تعطي في أبحاثها حظا وافرا لتحليل الألسن من جانب بنيا تها ، من أجل هذا سميت بالمدارس البنيوية . وأول ظاهرة للبنيوية حدثت بانشاء حلقة " براغ " اللسانية سنة 1926 ، واجتمع في هذه الحلقة ثلّة من اللسانيين ناضلوا من أجل البحث الوظيفي والبنيوى للسان وأهم الممثلين التشيكيين كانوا ماثيسيوس 1882 ـ 1946 وف . سكاليتشكا وهـ. ترنكا وهرالك . ولقد قام لسانيون من أصل روسي بدور عظيم في احداث هذه الحلقة ، منهم تروبتسكوى 1890ـ 1938 كراتشيفسكي 1884 ـ 1955 وياكبسون 1896 ـ 1982 .

لقد وضعت الأسس النظرية لهذه المدرسة ابتداء من 1911 وذلك في دراسات ماثيسيوس الذى كان نادى بالبحث الآني للسان بمعزل عن فردناند دى سوسور ودون سابق تأثر به . أيضا يعزى الفضل لماثيسيوس في الشرح الوظيفي لظواهر اللسان وهو أبرز مميز المدرسة البراغية عن غيرها من المدارس البنيوية الأخرى .

وان نحن عدنا الى " مدرسة جينيف " وهو الاسم الذى أطلق على الحركة اللسانية التي أنشأها فرنا ندى سوسور أول الأمر مع تابعية المقرّبين " شارل بالي " و " ألبيرسا شهاى " - ان نحن عدنا الى هذه المدرسة وجدنا أن السمة العامّة في عمل أصحابها هو التركيز على كيفية تأدية لسان مّا وظيفته أثناء حلقة مّا من تاريخه ، وبهذا تفسّر تسمية المدرسة الوظيفية التي تطلق على مدرسة جينيف أحيانا .

لقد تبنى لسانيوا المدرسة الوظيفية الأطروحات الرئيسية المعروضة في كتاب " دروس في اللسانيات العامّة " لـ فرديناند دى سوسور " وهم يميزون بين اللغة والكلام ويؤكدون على دراسة اللغة ، كما أنّهم يعنون باللغة كنظام من الأدلة منسق . أيضا هم يعتبرون أن موضوع اللسانيات هو اللغة منظور اليها في ذاتها ، مفصومة عن المجتمع ، كما أنهم يفرقون بين الدراسة الآنية والدراسة الزمانية ويفضلون الدراسة الآنية عن الدراسة الزمانية .

ان موقف " أندرى مارتينيه " من تبعية الوظيفيين لـ " دى سوسور" صريح وواضح جدا ذلك أنه بيّن الفارق بين " دى سوسور " وبين الوظيفيين معتمدا على تعيين موضوع الدراسة عند كلّ منهما يقول مارتينيه " في هذا الشأن" : موضوع الدراسة هو اللغة في دروس اللسانيات العامّة ، وهو اللسان البشرى عند الوظيفيين " [1] ومع هذا فانه بصريح العبارة أيضا يعلن أن ما تدين به اللسانيات في الوظيفة لفردناند دى سوسور ضخم جدا غير أن " مارتينيه " كما بيّن الفارق بين " دى سوسور " وبين الوظيفيين في موضوع الدراسة فانه يبيّن الأسباب التي تمنع من أن تكون دروس " ف . دى سوسور " نقطة انطلاق اجبارية للوظيفية ، في هذا يقول مارتينيه : "في " " دروس في اللسانيات العامّة " يوجد غموض كثير ، كما توجد صيغ متضاربة ، أيضا توجد في هذه الدروس مواضع مبهمة" [2]

---

(1) أ . مارتينيه : من أجل لسانيات للغات . ص 5 . . .
(2) انس المرجع ، ص 5

وبناء على هذا فان الوظيفيين انطلقوا في دراساتهم من اللسان البشري وليس من اللغة،* ذلك أن التجربة قد بينت أن اللساني لم يكن بامكانه أن يغفل ظاهرة الكلام بل على العكس من ذلك، فظاهرة الكلام هي التي ينبغي أن تسترعي اهتمامه لأنها تمكن من ملاحظة الظواهر المحسوسة التي يدعمها التفاضل التبليغي. والظواهر المحسوسة هي التي تمكن من استخلاص "النظام". والحق أن الفارق البين بين الوظيفيين وبين المدرسة المتبعة في النحو العربي هو أن الوظيفيين يعتمدون المنطوق أو الملفوظ من الكلام ثم انهم ينسخونه نسخا علميا صوتيا، وبعد ذلك يقومون بتحليله مثلما سنرى فيما يأتي من الحديث عن أسس النهج الوظيفي.

أما نحاة العربية كغيرهم من نحاة الأمم الأخرى السابقين لهم واللاحقين فقد اعتمدوا المكتوب وعليه أسسوا تحليلهم، وآية ذلك أنهم يقولون كما يقول ابن مالك:

" بالألف أرفع المثنى وكلا ... وتخلف الياء في جميعها الألف جرا ونصبا ..."(1)

ذلك، وأنه لا بد من التمييز بين المستويات في الكلام، فالمنطوق المأخوذ من لغة التخاطب اليومي له اعتبار دون اعتبار المكتوب ثم ان النثر غير الشعر، وكل منهما يخضع لصنعة. ولقد ذكرنا أن الوظيفيين يعتمدون أساسا لغة التخاطب، أما النحاة العرب فكانوا لا يفرقون بين هذه المستويات كلها كأقوال العرب في أبسط

---

* يقول فرديناند دي سوسور معرفا اللغة " ليست اللغة في نظرنا مرادفة للسان، فاللغة ليست إلا جزءا محددا من اللسان ولكنه بالفعل جزء أساسي. فهي في ذات الوقت نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من الاصطلاحات الضرورية يقرها المجتمع ليمكن الافراد من استعمال هذه الملكة. ومتى ما اعتبرنا اللسان في مجموعه تبين لنا تعدد الجوانب فيه وتداخلها ... وعلى النقيض من ذلك فان اللغة كل في ذاته ومبدأ من مبادئ التصنيف متى ما أعطيناها المكان الاول في ظواهر اللسان فاننا ندرج ترتيبا طبيعيا في مجموع لا يحتمل أي تصنيف آخر.
وفي موضع آخر من كتابه يضيف " أننا عندما نعطي علم اللغة مكانته الحقيقية في مجموع دراسة اللسان فاننا نحدد في ذات الآن مكانة اللسانيات برمتها ".

(1) ابن مالك، متن الألفية، ص 4، البيتان 32، 34، ط 2، مراجعة عبد العزيز سيد الاهل، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة د. ت

الأحوال وآلفها والأمثال والحكم والأشعار على خلاف تواترها عندهم ، فالكتاب " لسيبويه " مثلا يحتوى على ألف وخمسين شاهدا من الشعر .

والسر ـ الذي يجب أن نذكره ـ في اختيار الوظيفيين المنطوق من الكلام هو أن الظاهرة الكلامية لا تتجلى بصورة واضحة الا في الألسن الخاصة واستعمالاتها اليومية .

واللسان البشري عند الوظيفيين هو نظام تبليغي يتسنمه الصوت وبالتالي فان أهم مميزاته أنه منظوم بمعنى أنه خطي أو تسلسلي أو صفي . هذا قانون عام الا أنه بالغ الأهمية لأنه ستتفجر عنه مشكلة وقاعدة ، أما المشكلة الأساسية فهي كما تقول " د نيز فرنسوا " هي جعل التجربة البشرية المعتمدة الأبعاد ، المتداخلة ، في بعد واحد وهو الخطية أو الصف " [1] وأما القاعدة فهي أحد قواعد التركيب الأساسية عند الوظيفيين وهي مواقع الوحدات في القول أو الترتيب.

وحتى ندرك أسس الوظيفية فانه لا بد من معرفة مبدأ التفاضل الذي له علاقة بدراسة وظائف الأصوات ، في هذا الشأن ينطلق الوظيفيون من حقيقة معروفة وهي أن عدد الأصوات في أي لسان بشري محدود معدود ثم يقولون ان دراسة الأصوات يمكن أن تتم من زوايا مختلفة ، منها : الفيزيائية وتبحث في ترددالأصوات وسعة اهتزازها) ومنها : الفيزيولوجية (وتبحث في كيفية احداث الأصوات وفي مساهمة الأعضاء في ذلك) ومنها الوظائفية (وهي التي سيقع عليها التركيز) . والمهم في هذا ، أن كل دراسة تفترض اختيارا معينا ، وبموجب الاختيار يقف الدارس على خصائص معينة نسميها خصائص التفاضل أما ما عدا هذه الخصائص فغير تفاضلي ينبغي على الباحث طرحها جانبا . [1] من هذا المنطلق درس الوظيفيون الأصوات باعتبار صوائتها وصوامتها وباعتبار امكانيات تآلفها وتنافرها في كل لسان على حدة وفي الألسن البشرية المختلفة مبرزين السمة الأساسية فيها وهي التمايز ، فكل صوت له ميزته وبالتالي ان اختياره له وظيفة فالفتحة الموالية للصوت الصامت في العربية تؤدي وظيفة مغايرة للكسرة ، والضمة تخالف هذه وتلك لتميزها عنهما مثال ذلك : بـر ـ بـر ـ بـر . والفتحة لا تجلب فتستعمل هكذا على الاطلاق [illegible]

---

(1) د . فرانسوا ، محاضرات في النحو الوظيفي ، وحدة الدراسات والبحوث المصريون باريس 71 ـ 1972 .

انما تعتبر فيها اطالة الصوت وعدم اطالته وكذلك الشأن بالنسبة للضمة وللكسرة فلا طالة الصوت اذن وظيفة وان شئت قلت لكمية تسرب الهواء مع الفتح أو أحد الحركات الأخرى وظيفة ومع مدّه مع أي منها وظيفة مثال ذلك : كتب / كاتب .

لقد اعتبر الوظيفيون أن دراسة وظائف الأصوات لا تحصل الا بعد التقطيع الثاني ، بمعنى أن الأقوال التي نتبادلها أثناء التخاطب يمكن أن تقطّع تقطيعا أولا وذلك أن تقسم الى أدلة لسانية ذات وجهين (كالعملة تماما) : دال ومدلول . فالمدلول هو معناها والدال هو مركّبها الصوتي .

انطلاقا من هذه الخصوصيات الموجودة في كلّ لسان والمتمثلة في كونه أداة — قبل كلّ اعتبار — تمكن من التفاهم المتبادل في وظيفته الأساسية هي التبليغ . وأساس التبليغ عند الوظيفيين التلفّظ ، وبالتالي انسياق الكلمات في مجرى صفي للخطاب وهي سمة موجودة في أي لسان كان تنجم عنها قابلية مبدأ التقطيع المزدوج . ولقد كان تعريف " أ . مارتينيه " للسان أفضل ما عرفته اللسانيات الحديثة من حيث الدّقة والشمول والواقعية يقول هذا العالم : " ان اللسان البشرى أداة تبليغ يتم وفقه تحليل التجربة البشرية بكيفية مختلفة عند كلّ قوم — الى وحدات ذات محتوى دلالي ومركّب صوتي هي الكلمات ، وان المركّب الصوتي يتقطّع بدوره الى وحدات متمايزة متوالية هي الأصوات ، وتكون بعدد محدود في كلّ لسان ، الا أن طبيعتها وعلاقتها المتبادلة تختلف أيضا من لسان الى آخر " [1] فالكلمات أو ما يمكن أن نسمّيه وحدات التقطيع الأول تنتظم بشكل طبيعي الواحدة تلو الأخرى في الزمن لتؤلف الكلام . وان دراسة أوضاع الكلمات في تألفها وانتظامها هو موضوع دراسة علم التراكيب أو النحو . وان للوظيفيين رأيا في النحو وفي تحديد قوامه يتميزون به عن غيرهم من المتقدمين والمعاصرين ، جاء هذا الرأي على لسان د . فرانسوا تقول : " يقوم النحو أساسا على النظر في الوسائل التي بها يمكن رسم العلاقات الموجودة بين عناصر التجربة (البشرية) وليست علاقات عناصر التجربة مجرّد علاقات تتابع في حين أن الوسم لا يتم الا بمتوالية من الوحدات اللسانية ، بحيث يمكن لسامع الخطاب أن يعيد بناء تلك التجربة " [2]

---

(1) أ . مارتينيه : أساسيات اللسانيات العامة ، ص 20 أرمان كولان باريس 1970
(2) د . فرانسوا : اللسانيات ، مرشد أبجدي ص 18 ، دنوال باريس 1969 .

فالنحو اذن هو تحديد وظيفة كلّ عنصر في منظوم الكلام ، بمعنى تحديد علاقة كلّ عنصر ببقية عناصر القول في الكلام ، وحتى تحدد وظائف الكلمات في القول فقد رأى الوظيفيون أنه توجد وسائل ثلاثة لوسم العلاقات في النحو تقوم على مبدأي العلاقة والرّتبة ، وهذه الوسائل هي :

1 ـ الاكتفاء ، وهو أن يكون في معنى الكلمة ما يجعل طبيعة علاقتها ببقية وحدات القول لا ترتبط بموضعها ، ثمّ ان مكان الكلمة من القول لا يؤثر في شيء على وظيفتها مثال ذلك : سأرحل غدا / غدا سأرحل . فكلمة " غدا " تحضى باستقلالية تركيبية تامّة ، ونظرا لهذه الاستقلالية في العلاقة وان شئت قلت لهذا الاكتفاء بذاتها في علاقتها سنطلق عليها اسم " وحدة مكتفية " أو مكتفي (ج مكتفيات)

2 ـ الموقع أو رتبة الوحدة من القول ، يحدد الموقع وظيفة الوحدات في القول ، اذ أنه على عكس المكتفيات فان بعض الكلمات ليست حرّة في ورودها في القول كما يشاء المتكلّم ولأن مواقعها محدّدة فهي تأتي عادة اما سابقة واما لاحقة لغيرها مثال ذلك : ضرب موسى عيسى / التلميذ النجيب مريض .

3 ـ أما الوسيلة الثالثة فتتمثل في اللجوء الى وحدات مختصّة لا وظيفة لها معينة في ذاتها ولكن دورها ينحصر في ادراج كلمة أخرى في القول : وان لهذه الوحدات المختصّة وللكلمات التي تتبعها ميزة تركيبية ذلك أنها تكوّنان لفظة لا صلة لها بموقعها من القول بحيث يمكن للمتكلّم أن يختار لها الموقع الذي يشاء من القول ، مثال ذلك : "الى البيض" سنصطلح على تسمية العنصر المختص" (الى) " وظيفي " مضيف " أما اللفظة المكونة من العنصر المختصّ والكلمة المدرجة " الى البيض) " فنصطلح على تسميتها " كفية " وانه بوسعنا أن نقول أطرب الى البيض / الى البيض أطرب . أو : في الشام خطب المنصور في جماعة من الاعراب / خطب المنصور في الشام في جماعة من الأعراب / خطب المنصور في جماعة من الأعراب في الشام .

ان المتمعن في هذه الوسائل الثلاثة وفي مبدأي العلاقة والترتيب يرى أن وسيلتي الاكتفاء والوحدات المضيفة تؤديان الى هذه السمة البارزة في المكتفيات والكفيات وهي الاستقلالية التي تنعم بها حيال الوحدات الأخرى في القول مهما كان طوله . فمبدأ العلاقة مأخوذ من هذه الوجهة سلبا وهو يدعم حقيقة

ووا قعا ينعكسا ن في خبرة المتكلّم لرتب هذه الوحدات المذكورة في سياق القول

ولعل لسائل أن يسأل وكيف تؤخذ العلاقة ايجابا ؟ نقول : ان الوظيفيين الذين يؤكدون على نظم الكلام أو صفة يرفضون كما رفض بعض من وعى نواميس اللسان البشري ممن سبقهم أن تأتي الوحدات الدالة متجاورة دون علاقة تربطها . وهذا نا موس خالد وعامل مشترك (عامل مشترك) بين الألسن . ان كان " ادوارد سابير " قد قال في هذا الباب : " اذا كنت أرغب في تبليغ فكرة واضحة تتعلّق ب : " فلاح وفرخ بط " " وحدث قتل " ، فليس كافيا أن أذكر الرموز اللسانية لهذه الأفكار المحسوسة في أي ترتيب كان ، خلط ملط معتمدا في ذلك على السامع ليجعل العلاقات (بين الرموز اللسانية) مثلما اتفق وفقا لا حتما لا تعامة بل يجب أن يعبر عن العلاقات التركيبية دون ابهام ." [1]

فان الوظيفيين من خلال مبدأ الاقتصاد اللساني المتمثل في العدد المحدود من الأصوات والصيغ والتراكيب قد بينوا :

1) ـ أن أي لسان بشري يمكنه التعبير عما لا يحصى وما لا ينفذ من الآراء والأفكار

2) ـ وأن الوحدات الأولى أو الكلمات في القول تتماسك ، فهي اذن متعلّقة بعضها ببعض .

3) ـ وأنه لا بد أن يكون لكلّ قول مركز يتحكم في التركيب والترتيب الشامل لمجموع العناصر التي يتضمنها وهذا المركز هو نقطة الاتصال بكل عناصر القول أو وحداته وهو أيضا المحور الذي به وحوله تنتظم كلّ العلاقات الموجودة بين وحدات القول .

4) ـ وأخيرا ان هذه الوحدة الأساسية التي تحمل الخبر يطلق عليها اسم المخبر الذي هو الجزء الأهم في النواة الاخبارية .

ان هذه التحديدات تعيننا على تحديد مجال علم التراكيب عند "أما رتينيه" ان هذا العالم يحدد مهمة علم التراكيب فيقول : " ان مهمة علم التراكيب تنحصر

(1) ا . صابير : اللسان ، ص 91 . ط بايو . باريس 1970 .

في دراسة الكيفية التي يتم بها تأليف الوحدات الدالة في مدرج الكلام لتشكيل الأقوال "[1]. عن هذا الرأي يتجم أمر لا بد من توضيحه ، هذا الأمر يتعلق بتصنيف الوحدات الدالة في أقسام ، وهذه العملية كما يرى " مارتينيه " يدرجها " علم التراكيب " في مجال اختصاصه ، اذ أن الوحدات الدالة ليست ببيادق يمكن للمتكلم أن يركبها كيفما اتفق . يقول " مارتينيه " : " علم التراكيب كما نتصوره يتضمن عملية تصنيف مختلف الوحدات الدالة للسان على أساس إمكانية ظهورها في هذه التآليف أو تلك من مدرج الكلام ".[2] والحق أنه لا بد للساني من التفريق بين عمليتين – من نفس مستوى الأهمية يقوم بهما على التوالي وهما : التحليل والعرض ، فتحليل المدونة الى وحدات دالة في لسان ما ، ليست كتحليل الوحدات الدالة للحصول على عدد الأصوات التي يتكون منها ذلك اللسان ، وبالتالي فان مسألة تقارب الأصوات بعضها من بعض وتباعد بعضها من بعض وتركيب بعضها من بعض وعدم تركيب بعضها مع بعض الا مع تقديم أحد الصوتين على الآخر أو تأخيره ، ثم عدم تركيب بعض الأصوات بعضها مع بعض الا ان تقدمت ولا ان تأخرت ، كل ذلك يدرج في باب دراسة وظائف الأصوات . أما ميدان الوحدات الدالة أي الوحدات ذات الوجهين (الدال والمدلول) ، فلأن عددها غير محدود – ان نحن اعتبرنا مسميات المبتكر من المفاهيم والاختراعات – فان عمليات التحليل المتتالية للنص للحصول عليها هي أكثر تعقيدا من عمليات تحليل الوحدات الدالة للحصول على الأصوات المكونة لها . ووجهة نظر الوظيفيين في هذا الصدد تتمثل في أن المرحلة الأولى يجب أن نصل فيها الى تحديد الكلمات وتصنيفها بناء على التراكيب التي توجد فيها . والواقع ان تحديد امكانيات تآلف الكلمات هو الذي يمثل هدف الوصف النحوي . والجدير بالذكر هنا هو أن " أ . مارتينيه " يرسم لنا مراحل ثلاثة تخص عملية التحليل التي سبق الحديث عنها .

---

(1) أ . مارتينيه : علم التراكيب العام ، ص 13 ، أرمان كولان ، باريس 1985 .
(2) نفس المرجع ، ص 17 .

فالمرحلة الأولى : هي مرحلة التقطيع ، وبلغة لكأ كثر دقة هي مرحلة استخراج الوحدات الدالة في مدرج الكلام .

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة مقابلة الوحدات المستخرجة في المرحلة الأولى حتى يعرف منها ما يمثل نفس الكلمة أو ضربها .

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة اقامة أقسام الكلمات بناء على وظائفها وانتظاماتها أو موافقاتها .

بعد عملية التحليل تأتي عملية العرض، وهي عملية ذات هدف تعليمي صرف، ذلك أن المسألة موقوفة على ايجاد أيسر السبل التي تمكن اللساني من تبليغ المعلومات التي حصل عليها أثناء عملية التحليل ـ وعملية العرض يضع لها " أ . مارتينيه " مراحل ثلاثة أيضا . وهي على التوالي :

مرحلة الجرد وتتمثل أولا في قائمة للأقسام الموجودة ، وثانيا في تعداد الوحدات في الأقسام المحدودة .

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التصريف ، وتمكن من عرض مختلف الوجوه التي يظهر فيها الدال وفي عرض مختلف أوضاع هذه الوجوه .

والمرحلة الأخيرة هي مرحلة علم التراكيب الذى يبين كيف تأتلف الكلمات لتشكل كلّ الأقوال الممكنـــة .

يلفت " مارتينيه " الانتباه الى الالتباس الذى يمكن أن يقع أثناء التدرج في مراحل العمليتين فيقول : " انه من الخطا الفادح محاولة حد العمليتين أو محاولة تقريبهما أثناء الانتقال من مرحلة الى أخرى . وعليه فان اتفاق الترقيم في الجدول التاليَ لا يتضمّن أية صلة " [1] .

---

(1) أ . مارتينيه : تحليل وعرض عمليتان من مهام اللساني في: دراسات في علم التراكيب الوظيفي ، ص 136 . م . ج . ف ، 1975 .

التحليل	العرض
يعتمد اللساني المدونة	يعرض اللساني نحو اللسان
1) التقطيع	1) الجرد
والأفضل أن نقول استخراج الوحدات الدالة في مدرج الكلام	قائمة الأقسام الموجودة وتعداد الوحدات في الأقسام المحدودة
2) الحد	2) التصريف
مقابلة الوحدات المستخرجة في المرحلة الأولى حتى تعرف منها تلك التي تمثل نفس الكلمة أو ضربها	عرض مختلف الوجوه التي يظهر فيها الدال مع عرض مختلف أوضاعها
3) التصنيف	3) علم التراكيب
اقامة أقسام الكلمات بناء على وظائفها وموافقاتها	كيف تأتلف الكلمات لتشكل كل الأقوال الممكنة

حول عمليتي التحليل والعرض اللتين بسطنا القول فيهما نورد بعض التعليقات التي الهامة لـ د. فرانسوا نذكر منها: " ان الفاصل الأساسي هو ذلك الذي يوجد بين تقطيعي اللسان وبين ميداني: التمييزي والدلالي، غير أنه ينبغي أن نشير في الحالتين الى دور معيار التفاضل أو عدم التفاضل للوظيفي سواء أتعلّق الأمر بالتفاضل التمييزي أم بالتفاضل الدلالي، وهو أمر يطرح جانبا أي تصنيف شكلي صرف للظواهر."

" ثانيا ان مثل هذا المخطّط مثلما أكد عليه أ. مارتينيه بصراحة، يفترض أن نميّز بين نظام التحليل ونظام العرض (التعليم) . مثلا ان عرض جرد أقسام الكلام في حد ذاته يفترض أن يكون تحليل تصاريف هذه الأقسام قد انتهى وهذا محصول حاصل." [1]

---

(1) د. فرانسوا: ملاحظات حول مثال أو مثل الوصف الوظيفي، في اللسانيات الوظيفية، مناقشات وآفاق، ص 27 .

ومن باب الاحتياط تضيف د . فرانسوا ملاحظة ثالثة متعلّقة بالجانب التصنيفي الذى يعرضه مخطّط الوصف الذى قدّمه أ . مارتينيه ، نلخصها في ما يلي وهي تنقسم الى قسمين : سؤال وتوضيح . أما السؤال فهو كالتالي : على أية أسس نظرية ندرّج الظواهر ؟ . أما التوضيح فيعتمد على معرفة أن الفواصل الوظيفية المحصول عليها لا تعني مطلقا أنها تقسيم الى أجزاء ، قد يعدّ (التقسيم) رفضا لتظافر كلّ الظواهر اللسانية في اعداد الخطاب . ولكنها تستجيب للمتطلبات العلمية للتحليل التي بدونها نقع في الخلط وذلك من نوع : علم وظائف الأصوات التصريفي أو علم النحو التصريفي التي تقضي على مفهوم التقطيع :

هذا وان د . فرانسوا لتحذر من الشطط فتقول :" ينبغي أن نحذر الوقوع في تطرّفين ، أحدهما يمكن في فصل هذا المستوى من مستويات التحليل أو ذاك .

والآخر الذى يؤدى الى خلط المعطيات وتعقيدها . [بحيث] لا يمكننا أن نعرف في الحالتين ما هي النواميس التي تمكّن اللسان من أداء وظيفته " [1]

هذه نظرة عامة حول عمليتي التحليل والعرض تبينت لنا فيها جملة من الأسس التي أقام عليها الوظيفيون منهجهم في التعامل مع اللسان البشرى عامة ، غير أننا ونحن ننظر في المرحلة الأولى من عملية التحليل نجد أن للوظيفيين رؤيا تنمّ عن واقعية علمية أدّت الى دقّة تقصّي الأمور في البحث واجلاء كلّ أنواع الدوال وكلّ أنواع الوحدات مجرّدة ومركّبة . فهم يميزون بين الدال المشترك والدال الممزوج والدال المتقطّع والدال المعدوم . كما أنهم يميزون بين الوحدات النحوية والوحدات المعجمية ثمّ انهم يفرّقون بين الكلمة واللفظة والنسق والقول والجميلة والجملة .

وبأشدّ ما يكون الاختصار نلخّص القول في بعض تعريفات هذه المفاهيم فنقول : ان التقطيع الأوّل يهدف الى الحصول على الوحدات الدالة أو الأدلة اللسانية وسنصطلح على تسميتها بالكلمات ـ في بحثنا هذا ـ لأنها أقل ما يصل اليه التقطيع الأوّل . فالكلمات هي الوحدات الأساس في علم التراكيب .

---

(1) المرجع السابق ، ص 28 .

واذا كان لنا أن نصف الكلمة نقول : إنها أثر معنى مّا مطابق لاختلاف شكل مّا ، وان عملية التبليغ في نظر " مارتينيه " التي تمكّن من ابراز اختلافات المعنى مطابقة لاختلافات في الشّكل تظلّ ناجعة في تحليل اللسان حتى نصل الى أدلة لا يمكن تقطيعها البتة الى مجموعة دليلين متمايزين ف : كتيبك وأولاد ومسلمون والمسلم هي أدلة مكونة من كلمتين : كتيّب + ك ــ وولد + الجمع ... وال + مسلم . ان الكلمات المقرونة مثل : المسلم وكتيبك والتي تحلّ محلّ أي كلمة مفردة في أي موضع من مواضع السياق تسمى نسقا . وعليه فان النسق هو دليل لساني يبين التبليغ أنّه ناجم عن تركيب عدّة أدلّة دنيا (أو كلمات) ولكنــــه يسلك نفس مسلك الكلمة المفردة ازاء الكلمات الأخرى الموجودة في السياق ــ وهذا يتضمّن أن النسق تنطبق عليه كلّ موافقات الكلمات الموجودة في القسم الذي تنتمي اليه ، أيضا أن أي جزء من أجزاء النسق المكوّنة له لا يدخل في علاقات خاصّة مع كلمة أخرى ليست جزءا من النسق ــ أما مركّبات الكلمات الحرّة فنسمّيها ألفاظا . واللفظ هو كلّ مكوّن من كلمة أو مجموعة كلمات مخصّصة لكلمة مركزية هي النواة ، ومن النواة ، ومن علامة تعلقه ببقية القول ان وجدت مثال ذلك ــ بكلّ دقة ، فكلمة " دقة " هي النواة وكلمة التعلق هي " ب " .

والذي يجب التنبيه اليه أن الأسماء في العربية تكون من كلمة مفردة : ك " زيد " وعمرو أو تكون من أنساق خاصة وهي التي تسمى الأسماء المركبة وذلك كأن يجعل الاسمان اسما واحدا مثل : " بعلبك " و " عمرويه " ، وكأن يضاف اسم الى اسم آخر فيكونان اسما واحدا مثل : " امرؤ القيس " ، ويكون هذا أيضا في الكنى مثل : " أم القرى " و " أبو النجا " ، وكأن يركب من مخبر وسند وغيره مثل : " برق نحره " و " تأبط شرا " و " سرّ من رأى " ، وكلها جوامد والطريقة الثانية التي تعرف بها الانسان هي الاشتقاق : وهو تقليب تصاريف الكلمة ف " ضرب " مثــلا يدل على معنى مطلق ، أما " ضارب " و " مضروب " و " ضربة " فكلها أكثــر دلالة وأكثر حروفا كما يقول السيوطي [1] ، والطريقة الثالثة التي تعرف بها الأنساق

---

(1) السيوطي ، المزهر ، ج ص347 .

هي النحت : وهو جنس من الاختصار ، تنحت العرب فيه الكلمة من كلمتين مثل مثل " عبشم " أو ثلاث كلمات مثل " حبعلة " أو أربع كلمات مثل : " بسملة " أو أكثر من أربع كلمات مثل : " حوقل " .

أما الدوال فقد قسموها كالتالي : الدال المتقطع : يكون عندما يظهر المدلول الواحد في نقاط متعددة من مدرج الكلام ، والمثال فيه هو : لن يجلس العامل أو لأملأن — والدال الملغم يظهر عندما يكون المدلولان معا في مدرج الكلام مدمجي الدالين بحيث لا نستطيع تحليل النتيجة الى عناصر متتالية ، مثل : أعناب (جمع تكسير مخالف لجمع السلامة) ويميز الدال المشترك بوجود مدلولين لنفس الدال مثال ذلك التاء تكتب في أنت تكتب وهي تكتب ، وأخيرا الدال المعدوم ويعرف بعدم ظهور الدال البتة مثلا في قولنا : كتب . لا تظهر علامة المفرد الغائب المذكر وكذلك الشأن بالنسبة لصيغة الأمر في المخاطب المذكر : " أكتب " وهذا خلافا لما يلحق من دوال بالنسبة لبقية الأشخاص سواء في صيغة الأمر أم في صيغة الحذف المنقطع .

والحق ان هذه المسائل في علم التصريف أدخل ولكننا سقناها هنا لأن التفريق المطلق بين علم التصريف وعلم التركيب لا يوجد الا في كتب المربين فقط ولأغراض لا تخفى أهميتها . أما بقية المفاهيم فسنتعرض اليها بالشرح والتحليل ، وهي تتعلق بالوظائف وأنواعها وتصنيفها ، كما تتعلق بالبسط .

أول ما نبدأ به الحديث عن السند : فالسند عند الوظيفيين ليس بفضلة أو بسط . انما هو جزء لا يتجزأ من النواة الاخبارية ، فهو مع المخبر أو التركيب الاخباري جزء من القول الأدنى . وهو ان شئت عنصر يصحب بالضرورة المخبر وهو ان نحن عملنا بطريقة الاسقاط يبقى مع المخبر في نفس المستوى ، دون بقية العناصر الأخرى لا تمسه هذه العملية الا من حيث الشكل ، فيقتصر القول عند هذا على المخبر الفعلي (في القول الأدنى الفعلي فقط) وذلك مع المفرد الغائب في قولنا " كتب " .

يؤكد أ . مارتينيه على أن عنصري القول الأدنى يشتركان في اقتضاء أحدهما الآخر ، على أن الدور الذي يقوم به كل منهما محسوس معروف ، ذلك أن المخبر هو المركز وأن السند هو العنصر الذي يتصل جبرا بالمركز بغض النظر عن المعنى الذي يحمله اذ أن الفرق بين ، فمن حيث المعنى يمكن أن يكون السند هو الفاعل الحقيقي في قولنا جاء زيد ، أو هو المفعول في قولنا : مات زيد ، أو

هو المركز وأ ن السند هو العنصر الذ ى يتصل جبرا بالمركز بغض النظر عن المعنى الذ ى يحمله اذ أ ن الفر ق بيّن ، فمن حيث المعنى يمكن أ ن يكون السند هو الفاعل الحقيقي في قولنا ، جا ٔ زيد ، أو هو المفعول في قولنا ، مات زيد ، أو قولنا انقض الحا ئط ، أو فا عل غير حقيقي في ، يتأ لم الرجل ، تبعا للمعنى المعجمي للفعل بهذا الوجه فا ن الفا عل لا يختلف أ سا سا عن الموضوع أو المفعول به . ووجه الاختلا ف في الوا قع هو أ ن السند لا يمكن اسقا طه بأ ى حا ل من الأحوا ل في حين أ ن الموضوع أو المفعول به لا يمكن أ ن نسقطه الا مع بعض الأفعا ل فقط .

وعليه ، فا نه من الضرور ى التمييز بين الوحدا ت اللسا نية وبين وظا ئفها . هذا وان الوحدا ت الدا لة لا تخلو من قيمة معنوية ، وقد يظهر هذا من محصول الحاصل ، اذ أ نه لا توجد وحدة دا لة دون أ ن يؤثر التغيير الذ ى يمس شكلها . في معناها وعلى العكس من ذلك فا ن القيمة المعنوية لوظيفة ما ، قد تكون معدومة ، وذلك دون مسا س بوجود الوظيفة . فوظيفة السند موجود ة ضرورة بمجرّد وجود المخبر ، والمتكلّم لا خيا ر له في استعما لها أو عدم استعمالها . وعليه فا ن هذه الوظيفة ، لا قيمة خا صة بها . وليس المعنى المعجمي للفعل هو الذ ى سيخص قيمة هذه الوظيفة بل انه كما سبق أ ن ذكرنا ان الاسم الذ ى يقوم بوظيفة السند في الأقوا ل ، جاء زيد وما ت زيد وانقض الحا ئط وتأ لم الرجل ــ ليس هو الفا عل كما يقا ل دا ئما . وانما يحدد الاسم في وظيفة السند بطريقة شكلية ، كعنصر مضا ف الى المخبر .

والحق قد عرفنا هذا نقول ، الوا قع ان كل ما يضا ف الى وحدا ت القول الأدنى يعد بسطا لكن استعما ل مصطلح البسط لا ينبغي أ ن ينسينا وجود الوظيفة التي هي عبا رة عن علا قة بين وحدة وأ خرى سوا ٔ أ كا نتا من نفس القسم أ م كا نتا من قسمين مختلفين .

والحقيقة ان العلاقا ت متغيرة ، ويظهر هذا الأمر جليا في علا قا ت قسم الأفعا ل بقسم الأسماء . هذا وان شأ ن الوظا ئف النحوية كشأ ن الوحدا ت اللسا نية من حيث الشّكل ومن حيث المعنى ، وليست الوحدة الدا لة هي الوظيفة .

لقد عرفنا في ما سبق أ ن قيمة وظيفة مّا يمكن أ ن تكون معدومة ، والوظيفيون يرون أ ن الوظا ئف يمكن أ ن تأ خذ شكل مقطع مّا من القول ، وفي هذه الحا لة نطلق على هذه الوحدة اللسا نية اسم " وظيفي " هذا وان الوظا ئف يمكن أ ن

تظهر طبقا لوا قع صفّ الوحدا ت في القو ل ، فتعلّم العلا قة بينها بهذا الشّكــل

بالا ضا فة الى ما ذكر يقول الوظيفيو ن أ نه من المتوا تر أ ن تكون لنفس المقا طع وظا ئف مختلفة ، وأ ن تمثل نفس الوظيفة بمقا طع مختلفة حسب السيا قا ت .

بعد هذا يجب أ ن يعرف أ نه من بين الوظا ئف بو صفها وحدا ت لسانية يحدّ د ها شكل مّا ، وقيمة مّا ، ينبغي أ ن . بين الوظا ئف التي لا نعثر عليها مطلقا مع بعض الأفعا ل وبين تلك التي تظهر مع أ فعا ل أ خرى فتخصصها . هذه الوظا ئف تكوّ ن ما يسمى عا د ة بوظا ئف تكا في ء الأفعا ل ، وقد سما ها الوظيفيون الوظا ئف الخصوصية . وكلمة خصوصية تعني أ نها تميز بين الأفعا ل بالذا ت وليست تعني أ نه ينبغي أ ن تكون موجودة كلما وجد فعل ما من هذه الأفعا ل (انظر تكا فؤ فعل " أ عطى ") .

الى جا نب هذه الوظا ئف الخصوصية ، توجد وظا ئف يكو ن ظهو رها غير مر تبط با ختيا ر فعل معين ، ذلك أ ن الا شا رة المتعلّقة بمكان مّا أ و بزما ن مّا أ و بكيفية حصو ل حد ث مّا ، يمكن أ ن تتلا ءم مع معنى أ ى فعل كا ن . ان المتكلم في أ غلب الأحيا ن حر في استعما ل هذه العنا صر أو عدم استعما لها في خطا به وفقا لما يريد أ ن يقوله . فقيمة العنصر اذ ن أ قل ارتبا طا بقيمة الفعل في هذه الحا لة منه في حا لته عند الوظيفة الخصوصية ، وبالتالي فان الوظيفة غير الخصوصية أ كثر وضوحا من الوظيفة الخصوصية .

وفي ما يلي نو رد تلخيصاً . ما رتينيه لتصنيف الوظا ئف

أ ــ خصــوصيــا ت

1 ــ وظا ئف خصوصية

مثل وظيفة " المفعو ل يعطي ← كتا با

مثل وظيفة " الهيئة " يعطي ← الفقرا ء

2 ــ وظا ئف غير خصوصية

أ ــ اجبا ريــة :

وظيفـــة " السند " الرجـل ← يتأ لـم

ب ـ اختيا ريـــة :

وظيفة مكا نية : يعمل الرجل ←ـــــ في الحقل

وظيفة كيفية : يعمل الرجل ←ـــــ بنشا ط

ب ـ التعبيـــر الاجبا ري

1 ـ في جميع الحا لا ت (ظا هرة نحوية)

وظيفة المسند : الرّجـل ⟵⟶ يتألم

2 ـ في حا لا ت متفرّقة (ظا هرة معجمية)

أ ـ وظيفة خصوصية: أ دخل الرجل ←ـــ┼ـــ سيا رته

ب ـ وظيفة غير خصوصية: أدخل الرجل (سيارته) ←ـ┼ـ في المستودع [1]

يرى الوظيفيون أ ن هذ ه الوظا ئف التي ذكرنا لا تحدد ها لا معايير شكلية . ذلك لأن الوظيفة لا توجد الا اذا انفرزت شكلا عن الوظائف الأخرى للسان في بعـض السياقات على الأقل وقد تنفرز شكلا مثلما حدد الوظيفيون ذلك :

1 ـ وظيفي معين . مثل في الحقـل

2 ـ موضع العنصر الذي يقوم بهذه الوظيفة ، مثل رتبة العنصر في القول مثل كتب زيـــد

3 ـ بعض الأشكا ل الخا صّة للعنصر مثل أ شكا ل الضمير في حا لة المفعول به نحو سألك عبا دي

4 ـ وضع خا ص في حا لة ابرا ز عنصر عند التقديم والتأ خير ـ التذكير بالضمير في حالة المفعول به مثل : والسماء رفعها ، بالنسبة لـ : . . . رفع السما وا ت . . .

5 ـ امكا نية تعويض وظيفي آ خر مثل عدى لـ وهدى الى .

6 ـ عدم وجود علامة للعطف بين البا سطة المشا ر اليها وبا سطا ت أخرى لنفس المخبر مثل : حطّم الرقم القيا سي البا رحة .

---

(1) أ . مارتينيه ، علم الترا كيب العا م ، ص 183 .

7 ـ النظر الى التبعية ، بمعنى التغيرات الشكلية التي يفرضها على التركيب الفعلي وجود وظيفة ، نحو الرسائل التي كتبتها .

8 ـ باستعمال الجمل التحويلية مثل قلب البناء التالي : أبوه أعطاه هذا الكتاب ، الى : هذا الكتاب الذي أعطاه أياه أبوه ..

بعد الحديث عن المعايير الشكلية التي تحدد بها الوظائف ، قسم الوظيفيون الوظائف الى وظائف مباشرة ووظائف غير مباشرة . وقالوا انه اذا كان من المألوف في الحديث عن الأفعال المتعدية التمييز بين الأفعال التي تتعدى بنفسها والأفعال المتعدية بحرف فانه ليس من الضروري أن يؤدي الفرق في الشكل الى الفرق في الوظيفية . وفي حالة وجود عنصر مدرج بين الفعل والباسطة يكون السبب في ادراجه الفعل ذاته فان الوظيفيين يعتبرون أن هذا العنصر يكون جزءا من الفعل لا يتجزأ كلما تبعته باسطة . وفي هذه الظروف فان وجود العنصر الوظيفي يمكن أن يؤثر في خاصية " المباشرة " . المتعلقة بالوظيفة . واننا عندما ننظر في الفعل " فكر " ، فانه يمكن أن يتخذ الشكل التالي : فكر في . (عندما يتبع بمركب اسمي : فكر في مستقبله) أو : فكر لو (حين يتبع بجميله : فكر لو جاء زيد) ، فكأننا ننظر في مادة " أقام " في بناء المنقطع ، فانها تكون " أقمت " مع المفرد المذكر ، وتكون : " أقامت " مع المفرد الغائب المؤنث . في هذه الأوضاع ان العلاقة بين " هو يفكر في + المركب الأسمي التالي له : مستقبله هي تماما مثل علاقة : " هو يواجه + المركب الأسمي التالي له : مستقبله

غير أن الناتج من هذا العرض للأمور في نظر الوظيفيين هو أن التصرف الشكلي لهاذين الفعلين وكيفيات استعمالهما تختلف اختلافا أساسيا ، ذلك أننا نقول : فكر فيه ، ونقول واجهه ، ثم اننا نقول فيه فكر ولا نستطيع أن نقول : ـه واجـه ، وعليه فانه من اللائق أن نلاحظ تحت اسم المفعول به بين ضروب من العلاقات تجد مختلفة . وبالتالي فاننا لن نتحدث عن " المفعول به " في حالة علاقة الاسم بالفعل الا حين وجود علاقة شكلية مباشرة أي دون وجود وظيفي .

كا ن ذلك شأ ن الوظا ئفالمبا شرة ، أ ما الوظا ئفغير المبا شرة . فا نه من المعلوم أ ن ليس لكثير من الأفعا ل با سطا ت مبا شرة ، أ ى با سطا ت دو ن وظيفي (حرف) ، وحتى يتضح هذا الأمر نأ خذ مثا ل فعل " غر ق " في قولنا غرقت السفينة ، انه غا لبا ما يستعمل هذا الفعل مع با سطة يد رجها الو ظيفي " في " في قولنا : غرقت السفينة في البحر الأصفر . كما أ نه يمكن أ ن يستعمل مع الوظيفي " دون " في قولنا : غرقت السفينة دو ن خسا ئر في الأروا ح ، أ يضا يستعمل هذا الفعل مع الوظيفي خلا ل أ و أ ثنا ء في قولنا : غرقت السفينة أ ثنا ء عبورها با ب المند ب . وان كل هذه البا سطا ت يمكن أ ن تظهر في ذا ت الوقت ، أ ى يمكن أ ن تظهر وا حدة منها دو ن غيرها . وهذا يتضمن أ ن هذه الأدوا ت المذكورة هي علاما ت لوظا ئف غير خصو صية لا يؤثر اختيا رها في قيمة الفعل "غرق"

في حديثنا عن البسط كنا ذكرنا ضرورة التمييز بين أ ضرب ثلا ثة من البا سطات بالتعلق ، أو البا سطا ت المتعلقا ت : اما بالموقع واما بالا كتفا ء واما بوا سطة الوظيفيا ت . وهذه الطرق الثلاثة بالا ضا فة الى كونها تمكن من ضم عنا صر جديدة الى البنا ء ، فا نها تد ل على وظا ئف هذه العنا صر الملحقة بالنوا ة الاخبا رية للقو ل . والحق ان البسط بالتعلق هو في ذا ت الوقت وسيلة لتمديد القو ل أ ى بسط الوحدا ت فيه وهو أ يضا عنصر تعقيد .

وان هذا التعقيد في تركيب وحدا ت القول ليتعين بحدو د المستويا ت الوظيفية في القو ل ، فالمخبر هو العنصر الذ ى به تعلم كل وظا ئف العنا صر الأخرى للقو ل بطريقة مبا شرة أو غير مبا شرة كما ذكرنا ، وعليه فا نه من الممكن أ ن نخلص الى مستويا ت مختلفة في العلاقا ت التركيبية بنا ء أ و اعتما دا على علا قة العنصر (أو العنا صر) المبا شرة أوغير المبا شرة بالمخبر . ففي قولنا :

" الطبيب الذ ى زرته البا رحة جمع بذكاء حوله أ بنا ء المها جرين المعوقين والعما ل المعطوبين وغير المعطوبين "

ان الألفا ظ التالية : الطبيب وبذكاء وحوله و أ بنا ء المها جرين ، كلها في علاقة مبا شرة مع المخبر : " جمع " . وعلى العكس من ذلك فان الألفاظ الأخرى : الذى زرته

والبا رحة والمعوقين والمعطوبين وغير المعطوبين ، لا علاقة لها بالمخبر الا بواسطة وحدات أخرى ، هي على التوالي الطبيب وأبناء المهاجرين والعمال التي تدخل معها من وجهة أخرى في علاقة مباشرة . ان ألفاظ المجموعة الأولى : الطبيب وبذكاء وحوله وأبناء المهاجرين ليست من نفس المستوى الوظيفي للمجموعة الثانية من الألفاظ : الذي زرته والبارحة والمعوقين والمعطوبين وغير المعطوبين ، فكلّ هذه العناصر التي ذكرناها لا تجمعها نقطة التقاء واحدة وانه من المعلوم أن تتنوع الوظائف داخل كلّ مجموعة . أما في ما يخصّ المستويات الوظيفية فالتمييز يقع بين مستويين وفقا لما تكوّنه الألفاظ أو الوحدات اللسانية من علاقة في القول اما حول المخبر كنقطة التقاء أو حول وحدة أو وحدات أخرى غير المخبر — فالمستويان اذن هما — حسب الأهمية مستوى أوّل ومستوى ثان . وعليه فوظائف البسط بالتعلق تتفرّع الى وظائف أوّلية تارة ووظائف غير أوّلية تارة أخرى .

كلّ هذه الوظائف التي تحدّثنا عنها ما عدا وظيفتي المخبر والسند ، وهي الوظائف الخصوصية وغير الخصوصية والوظائف المباشرة وغير المباشرة والوظائف الأولية وغير الأولية ، كلها تتعلق في الواقع بضرب معين من الباسطات .

ان البسط ينقسم الى قسمين : بسط بالتعلق : أي تعلق العنصر الملحق بأحد جزأي النواة الاختيارية ، اما بالمخبر ويدخل معه في علاقة خصوصية أو علاقة غير خصوصية وتكون هذه العلاقة مباشرة أو غير مباشرة ، وفي كلّ هذه الحالات فالوظيفة لا تكون الا أولية — وقد يتعلق أيضا العنصر الملحق بوحدة أخرى غير المخبر وتكون الوظيفة في هذه الحالة غير أولية .

أما القسم الثاني من البسط فهو البسط بالعطف لأن العطف هو الوسيلة التي تمكّن من ضمّ وحدة لسانية الى احدى الوحدات اللسانية السابقة الوجود في القول بحيث تتطابق الوحدة المضافة — في الوظيفة — مع الوحدة اللسانية السالفة الذكر ، سواء أكانت وظيفتها وظيفة مخبر أم وظيفة سند أو غيرهما من الوظائف الأخرى .

هذا وان المعيار الذى يعيننا على تحديد الوحدة الملحقة بالعطف هو الاتحاد في الوظيفة وليس هو وجود علامة شكلية للعطف مثل : الواو أو الفاء أو ثم أو غيرها اذ أنه لا هيمنة لعنصر على آخر في البسط بالعطف ولا تضمن لأحد منهما للآخر . فعلى مستوى العلاقات التركيبية تقوم الوحدات اللسانية العاطفة بدور حيادى ، ذلك لأنها تدلّ على أن العنصر السابق لا يكوّن جزءا من العنصر اللاحق والعكس صحيح .

فدور هذه الوحدات العاطفة في الواقع . هو دور فصل ، وعليه فانه يمكن اعتبار العطف مجرّد وسيلة زيادة أو الحاق بالنظر الى الوسائل الأخرى التي ذكرناها مثل الموقع وغيره .

وخلاصة القول ان العطف ليس وسيلة علاقة في واقع النظام التركيبي ولكنه وسيلة لمضاعفة عدد الوحدات في القول لها نفس الوظيفة . وبهذا الشّكل نخلص الى أن العطف ليس عنصر تعقيد في التركيب وانما هو عنصر بسط فقط ، في حين أن التعلّق هو ظاهرة بسط وتعقيد في ذات الوقت .

ان الوظيفيين لا يتحدّثون عن مفهوم الجملة الا بعد الحديث عن القول الأدنى وعلاقة أجزائه ووظائفها ، ثمّ بعد الحديث عن البسط وأنواعه والعلاقات المختلفة التي تتميز بها ضروبه ، ثم أيضا بعد الحديث عن علاقات الباسطات وهي نوى لغيرها من الوحدات اللسانية وقد اجتهدنا في توضيح ذلك ، أما عن الجملة فيقول أ . مارتينيه في تعريفها : " هي القول الذى تتصل كلّ عناصره بمخبر فريد أو بعدّة مخبرات معطوف بعضها على بعض" [1]

انطلاقا من هذا التعريف يستخلص " كرادب " نتائج طبيعية أربعة :

أولاها : أن الكلمة أو اللفظة المعزولة لا تعد جملة ، ولا يقصد هنا بالعزل ، الفصل المادّى بواسطة أساليب التنقيط أو الطباعة ، ولكن العزل معناه فقدان الاتصال التركيبي لمقطع مّا بمقطع آخر وبمعنى أدّق العزل هو غياب الوظيفة .

---

(1) أ . مارتينيه ، مبادئ اللسانيات العامّة ، ص 131 .

ثاني هذه النتائج هي أن مجرّد تتابع الكلمات أو الألفاظ أو تتابعهما معا لا يكوّن جملة . ففي هذه الحالة بالذات تدلّ الأقوال على أنّها غير تركيبية ، ولا تعد أيضا جملا .

والنتيجة الثالثة تكمن في كون كلّ مقطع ، كلمة كان أو لفظة يدخل في علاقة تضمّن متبادل (⟵⟶) مع مقطع آخر ، أو علاقة تضمّن ذي اتّجاه واحد (⇄) ، ويكون المقطع الأوّل مفصولا عن المقطع الثاني بواسطة أساليب التنقيط أو الطّباعة فان ذلك المقطع لا يعدّ جملة . وانّما هو جزء من جملة .

مثال ذلك على التوالي من الفاتحة والبقرة :

الحمد لله رب العالمين 2 الرحمن الرحيم 3 ملك يوم الدين 4

أو ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين 2 الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون 3

وأخيرا ، ان الجملة كلّ مستقل . وهذا راجع الى سبب كوننا لا نستطيع وجود مقطع له درجة أعلى من درجة المخبر ، مقطع يقوم بدور المركز بالنسبة للمخبر . وبعبارة أخرى فالجملة هي البناء التركيبي الأقصى ، ذلك لأنّ الفقرة والفصل والباب هي مركّبات طباعية لا علاقة لها البتّة بالتدرّج التركيبي . ثمّ انّه لا وجود لبنية لسانية وراء الجملة لأنّ الخطاب لا يحتوي على شيء لا يوجد في الجملة ، مثلما يقول أ . مارتينيه . اذن فكلّ خطاب يتجاوز جملة ما ليس هو الا تعاقب للجمل وجمع لها .

انه لا تكتمل معرفة المنهج الوظيفي بالتركيز على علم التراكيب وحده ، ذلك أنّ علم التّراكيب في حدّ ذاته يستوجب تخليصه من كلّ التغيرات غير التّفاضلية للدوال . وان نحن رجعنا الى تعريف أ . مارتينيه لعلم التصريف وجدنا علم التّصريف لا يتعلّق عنده مبدئيا الا بجزء من علم القواعد . يدرس مجموع الظواهر الشكلية غير التفاضلية من التقطيع الأوّل للسان .

والوظيفيون خلافا لغيرهم من البنيويين يؤسسون نظريتهم على التمييز - في مفهوم الدليل - بين دراسة الدليل اللساني في مجموعة (الدال والمدلول) في علم التراكيب من جهة، ومن جهة أخرى على دراسة أحد وجهي الدليل اللساني في علم التصريف بالنظر الى الشكل، وعلم القيمية (أو علم الدلالة) بالنظر الى المضمون. ففي علم التصريف ينظر الى الدال على أنه موجود لبيان المدلول، وأن المدلول غاية والدال وسيلة تساهم في التعرف على الوحدة الدالة في القول. ففي المرحلة الأولى من التحليل على مستوى التقطيع الأول يجب تسجيل كل الحالات التي تكون فيها كل الأشكال المختلفة تنم عن دال واحد (أو دوال) لنفس الكلمة.

وينتهي اهتمام الوظيفيين بالشكل حين يتم التعرف الكامل على الوحدات بحيث ينا سب كل اختلاف في المعنى اختلاف في الشكل. والذى يجب التنبيه اليه هو الطبيعة الدقيقة لهذا الاختلاف وخاصيتها المتصقة أو المتغيرة والقابلة للتقطيع أو الملخمة.

تعرف الوحدات اللسانية ضربين من العلاقات على المستوى الأول من التقطيع.

أ - علاقات عمومية: بمعنى أن الوحدات منها ما هي في علاقة مع وحدات أخرى يمكن أن تحل محلها في نفس السياق مثل:

ولبس عباءة ... أحب الى من ...

جبة

طمر

ب - علاقة أفقية: بمعنى علاقة الوحدة مع جاراتها في القول وقد تحدثنا عن ذلك في ما سبق.

وان نحن نظرنا الى الجملة ككل وقمنا بعملية الاستبدال لوحدة من وحداتها بوحدات أخرى تحل محلها، فاننا نحصل على جمل جديدة، ليس لها نفس معنى الجملة الأولى. وعليه فان كل وحدة لسانية في الجملة الأولى

قابلة للتعويض بأي وحدة أخرى من القسم الذي تنتمي اليه . وكلّ تغيير من هذه التغييرات ، تكون نتيجته جملة جديدة ذات بنية تركيبية مماثلة للبناء التركيبي للجمل الأخرى ولكن معناها مغاير لها .
ومعنى هذا أن كلّ وحدة لسانية تساهم في معنى الجملة التي توجد فيها ، ويشمل هذا القرائن والوظيفيات أيضا . وتسمّى مساهمة هذه الوحدة في المعنى ، قيمتها . وتبرز هذه القيمة بمقابلة الوحدة اللسانية المأخوذة بعين الاعتبار بكلّ الوحدات اللسانية الأخرى من نفس القسم في سياق مّا .

والوظيفيون يعطون اسما خاصّة للدراسة التي تبحث في القيم التي تبرز اثر التقابل في البناء السياقي ، ويخصّصون اسم علم المعاني للدراسة التي تبحث عن معنى الوحدات خارج الاستعمال أو خارج السياق .

تتناول هذه الدراسة تراكيب القرآن الكريم بناء على المبادئ المكوّنة لمنهج المدرسة الوظيفية . وان دراسة كهذه لتفرض ضمنيا وبالضرورة اختيارات وحدودا لا بد من ذكرها وتبيانها قبل الشروع في تقديم آفاقها :

- فلماذا القرآن الكريم بالذات وليس أيّ مدونة أخرى من تراث العرب .
- ولماذا علم التراكيب دون غيره كعلم الأصوات أو علم التصريف مثلا .
- ولماذا المنهج الوظيفي ؟

ردّا على هذه الأسئلة أقول :

لقد أشار عليّ أستاذي بلقايد محمد بدراسة التراكيب في القرآن الكريم وغرضه من اختيار القرآن الكريم له أسباب أهمها أن هذه الدراسة إن كتب لها الوجود تكون مرجعا لدراسات مدونات أخرى يختارها الباحثون من التراث العربي بتدرج القرون وضرورة تسلسلها ، ولا أحد ينكر خلوّ المكتبة العربية منها ولا أحد يستطيع الفرار من الاقتناع بأهميتها .

وان هذا الذى يراه أستاذى بالنسبة للدراسات اللغوية لينحو نفس النحو الذى كان تنبّه له الدكتور : "زكي مبارك" وقرّره ودافع عليه - بالنسبة للدراسات الأدبية - في كتابه النثر الفنّي في القرن الرابع حيث يقول : "ومفهوم أنه من المستحيل في الوقت الحاضر الوصول الى نماذج أدبية تمثل الأدب العربي ثلاثة قرون أوقرنين قبل الاسلام ، واذن بقي القرآن وحده يتقدم الينا كل يوم على أنه صورة فنية مفردة لا نعرف لها شبيها موثوقا به قبل الاسلام كما يعتقد المسلمون .

والخطب والوصايا والرسائل التي نقلت الينا على أنها جاهلية هي موضوع شك ، وهي على فرض صحتها منسوبة الى القرن الذي يباشر الاسلام . ولا يمكن معرفة طبيعة لغة من اللغات بعدد قليل من النصوص وجد في مدّة قليلة لا تزيد على نصف قرن من الزمان "(1).

على هذا الأساس الواقعيّ تكوّن دراسة تراكيب القرآن الكريم منطلقا للدراسات الزمانية والآنية في ذات الوقت ، دراسة علمية لا يشوبها خلط مستويات التعبير من شعر وخطابة وأمثال سائرة أو ما يسمى قديما بأساليب الكلام .

وعلى هذا الأساس أيضا يمكن الوقوف على كل التغيرات التي حصلت في تراكيب اللسان العربي بعد أربعة عشر قرنا من الزمن ، ذلك لأنّ القرآن نزل بلسان القوم وانه كان يشتمل كما يقول الباقلاني على جميع أنواع الخطاب التي توجد في كلام العرب . والقرآن الكريم اليوم وقبل اليوم — وقد حدث ما حدث اثر الفتوحات الاسلامية ودخول الناس من مشارق الأرض ومغاربها ، في دين الله أفواجا — باق على حاله ، لكن اللسان العربي قد طرأت عليه وعلى تراكيبه تغييرات لا ينكرها الا المثاليون .

هذا ، وإن القرآن الكريم مدونة ليست كغيرها من المدونات الأخرى التي يتم جمعها باعداد المختلف من المستنطقات أو التسجيل الحرّ في المدارس والمعامل والساحات والأسواق . وليست هذه المدونة أيضا من التآليف التي يرسم لها خط معيّن في التعبير أو التي يعكس

---

(1) زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ، ج 1 ، ص 46 ، ط 2 ، م. السعادة مصر ، 1376 . (56) .

فيهـا أسلوب، خـاص من أساليب التخاطـب، أو فـن مميّز من فـــنون التبليـغ . فالقرآن الكريـم مدونـة تامـة كاملـة ، نزل وحـيا على محمـد صلّى اللّـه عليه وسلّم ، عبداللّـه ورسولـه ، فخاطـب به قومـا فهموه وآمـنوا أوفهمـوه وأنكروا ، المهـم أنه نـزل بلسان العرب ، هو كلام الله ، لا يأتيه الباطـل من بين يديـه ولا من خلفـه ، بحيـث أن نصّـه لا يقبـل الزيـادة ولا النقـصان ولا الجـدل ولا الحجـاج ، آياتـه محدوده ، وكلماته معدودة وكيفـيات قراءاتـه مضبوطـة محكمة . وهذه كلها عوامل تميّزه عن نـصّ أيّ مدونـة أخرى ، فـأيّ كلام مهمـا ارتـقت مكانـة صاحبـه في العارفـين كالجاحظ عند القدماء وطـه حسين عند المحدثـين قد يجد لـه النـاقـد منـقـذا يشـكك في صنـف من تـصانيـف تركـيبـه ، ولكن كلام اللّه عربي غـير ذي عـوج ، وهذه الميزة في مدونـة القرآن أراحـت نفوسنا وشجعتنا على محاولـة تطبـيق المنهـج الوظيفـي الذي لا يتعـدى النص المسمـوع كما ورد ، وقد عمدنـا في دراستنـا هذه الى اختـيار قراءة أحد التابعـين وأحـد أئمـة القراءة السبعـة إمـام دار الهجـرة نافـع بن أبي نعـيم الشائعـة في بلادنـا برواية أبي سعيـد عـثمـان الملقب بـورش .

بعـد هذا نأتـي الى السؤال الثانـي . دراسـة التراكيـب علـم قائـم بذاتـه يتأسـس في نظرنـا على معرفـة العلاقات بين الوحدات المكونـة للقـول باعتبـار معانيهـا ، ولكن دون الخـوض في حـقل الدراسـة المعجميـة . وعلم التراكيـب قد يكون لـه اتـصال بعلم التصريـف ولكنـه لا يـستمد اليـه الاسـتنـاد الكلـيّ لأنّ التـصريـف مـستوى دون مـستوى التركـيب ، يبحـث في طبيعـة الكلمـة وفي التغـيرات الممكنـة التي تـطـرأ على الدوال في الأدلـة اللسانيـة بمعزل عن السـياق الذي ورد فـيـه . وعلم التراكـيب تربطـه بحـقل الدلالـة وشـائـج عـدة لكن أصـل كل منهمـا مغاير للآخـر ومبحـث كل منهمـا بعيـدا عن الآخـر . وعـلـم

التراكيب - وفق المنهج الذى اخترناه - يبحث في بنى الجمل كما ينطق بها متكلمو اللسان للوصول الى النواميس التي تتحكّم فيها دون اللجوء الى تفسيرها أو ربطها بجمل أخرى يرى بعضهم انها جزء من تركيبها الداخلي ، فيرتبط بذلك التركيب الظاهرى (أو السطحي) بالتركيب المستتر (أو العميق) .

ان ظاهر الاشتراك بين كل ما ذكرنا أو انضواء هذه المستويات والحقول تحت مفهوم اللسان أو الدراسة اللسانية لا يعزى الى العاقل المتدبر من اللسانيين .

هذا وانّنا عندما نتحدث عن تراكيب القرآن الكريم فانّنا نقصد المتواتر منها أو الغالب الأعم بحيث اننا نصل بعد التحليل والوصف الى معرفة أصول علم التراكيب في لغة القرآن الكريم ، فتنجم عن ذلك امكانية مقابلة ما يشترك فيه القرآن الكريم ولسان العرب بلغاته وما يتميز به القرآن عن لغات العرب بعد نزوله ، ثم استعمالات اللسان العربي عبر القرون بأقلام مشاهير المؤلفين من أدباء ومؤرخين بالمعنى العريض ، ونحن اذ نقول هذا فاننا ننبه الى أننا لا نقوم في هذه الدراسة بمقارنة شاملة وافية بين المنهج الوظيفي وبين "المناهج" التي انتهجها النحاة التقليديون أو الغالبية من أولئك الذين ادعوا تجديد النحو العربي من المعاصرين . اننا سنحاول دون تعقيد تطبيق المنهج الوظيفي على مدونة القرآن الكريم وهذا لا يعني بالضرورة أن مضمون ما تقدم من عمل سيكون في غاية البساطة على الرغم من أننا سنركز في بحثنا هذا على علم التركيب وحده ، ولا نخلط بينه وبين علم التصريف ، كما أننا لن نخوض في المعاني ولن نتعرض الى حسن البيان في القرآن الكريم ولا الى أنواع البلاغة

والبديع التي تحققت فيه ، ولن نحاول الوقوف عند الكيفية التي تمّ بها اعجازه . وقد اخترنا علم التراكيب لأنه لم يحظ في ناظرنا دون غيره كعلم الأصوات وعلم التصريف بما يستحقه من الاهتمام ، ولأن المنهج التقليدي الذى اعتمد ـ حتى الآن ـ كان قاصرا ولا يزال كذلك عن الاستجابة لما تتطلبه معرفة الكيفيات التي ترتبط بها جميع أنواع الوحدات في كلام العرب .

أمّا عن السؤال : لماذا المنهج الوظيفي بالذات ، فاننا نقول انه منهج واقعي علمي وطيد العلاقة بالدراسة اللسانية التي تستهدف اللسان البشرى كظاهرة أساسية في التبليغ لها خصوصياتها في كل لسان على حدة ، أيضا أنه منهج يعتمد التحليل وينبذ الأحكام المسبقة والمنطق مؤكدا على التقطيع المزدوج للسان وما ينجم عنه من النظر في الأصوات ووظائف الأصوات واقامة أقسام الوحدات ومعالجة التغيّرات الشكلية غير التعبيرية وعلى الظواهر التركيبية وظواهر المعنى . وعلى الرغم من أننا لا ننكر أن التصوّر الوظيفي للبنية اللسانية ليس هو الوحيد الممكن ، ولكن ميزة التصور الوظيفي تكمن في تقليص الفرضيات بتحويل الخصائص المتعددة للألسن الى مبدإ عام هو : وظيفة كلام البشر . بهذا تصير البنية اللسانية ضرورة وظيفية وليس فرضية باطلة ؛ ومن جهة أخرى اذا كانت أجزاء النظام اللساني تساهم بكيفية مختلفة في عملية التبليغ فانه بامكاننا تصنيفها باعتبار الوظائف التي تقوم بها .

لعلّ السائل أن يسأل : بما أنك اعتمدت المبدأ من البداية ، فلماذا لم تعتمد المنهج التوزيعي ؟ ان التحليل التوزيعي بالمعنى الحصرى لهذا المصطلح وهم ذلك لأن "بلومفيلد" على الرغم من أنه

يعترف بفصل المعنى في الدراسة اللسانية ولكنه مع ذلك يرى أن المشاكل الناجمة عن دراسة الدلالة تربك الدراسة الموضوعية ، وعليه فانه يقترح التركيز في دراسته للسان على الشكل أي على الدال وحده .
انطلاقا من هذه الفكرة فان التحليل التوزيعي يعمل على تقطيع الأقوال في المدونة وعلى تصنيف العناصر التي تمّ الحصول عليها ، وتتميز الأقسام في هذه الحالة بالقواعد التي تتحكم في ائتلافاتها أو توزيعها ، ويوصل التحليل الى وضع أقسام تحددها خصائصها الائتلافية . أن هذه الطريقة في التحليل تذكر لأول وهلة بالوصف الوظيفي من حيث تقطيع الوحدات وتصنيفها ولكن مصطلح " توزيع " ينطوي على غموض شديد عند " هاريس " وأتباعه ، ذلك لأن الوصف التوزيعي يعتمد على الشكل وحده ويحاول نبذ المعنى من ميدان الدراسة اللسانية بدعوى الصرامة المنهجية . واللسان يمكن أن يدرس باعتباره نظاما شكليا ملحوظا بغض النظر عن وظيفته الأساسية : التبليغ وبالتالي بغض النظر عن دلالة الجمل والنصوص التي تكون المعطيات الأولى للدراسة . هذا باختصار شديد موقف التوزيعيين ، ذكرناه ليعلم لماذا تفاديناه . أما أهداف النظرية الجديدة التي أثارت ضجة كبرى في الخمسينيات والمتعلقة بالنحو التوليدي التوزيعي فاننا نقتصر منها على مبدأين :

- التمييز بين المهارة والأداء .
- والعلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية

- 1 - التمييز بين المهارة والأداء . " فالأداء " هو قدرة المتكلم العادي على انتاج الجمل وتفهمها ، وان شئت قلت هو قدرة المتكلم على أن يجمع بين أصوات اللسان وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لسانية . والأداء نشاط دقيق يقوم به المتكلم، وبالتالي

فانه يمكن أن يتقطع أثناء التلفظ بجملة ، كما يمكن أن تصحبه تأتأة ، أيضا يمكن أن يتجنب صاحبه الجمل الطويلة والمعقدة وهلم جرّا .

الى جانب هذا الأداء ، فان المتكلم يملك ما يسمى بـ " المهارة اللسانية " ، بمعنى أنه يملك معرفة لسانية ضمنية ، مستقلة ، بعيدة عن العوامل التي يمكن أن تطرأ — أثناء الكلام — على عملية التلفظ المحسوسة ، مثل الذاكرة والانتباه والحالة النفسية للمتكلم .

الواقع أن التمييز بين المهارة والأداء ، ليس أمر يسيرا . المهم أنه خلف الكيفيات المختلفة في حديث كل شخص أو في الأساليب الخاصة به ، توجد معرفة لسانية مشتركة ، أساسية هي الموضوع الحقيقي للدراسة النحوية . وبهذا يتضح في هذا المنظور أن المقصود بالشرح هو أولا وأساسا : المهارة وليس ما يتلفظ به لأنه معطاة خام تنحصر مهمتها في تجسيد المهارة بطريقة غير مباشرة ، فالأهم اذن هو دراسة تنظيم القواعد الضمنية المكون لبنية اللسان وواقعه القائم ، وليس دراسة عناصر الكلام ولا دراسة الجمل بذاتها .

— 2 — البنية العميقة والبنية السطحية : بالنسبة لـ " تشومسكي " هما مستويان في دراسة اللسان ، فالبنية السطحية هي البنية الظاهرة ، وتتجلى في تتابع الكلمات التي يتلفظ بها المتكلم ، وان أيّ بنية من هذا النوع لتمثل أو تعكس شكلا أساسا أو القواعد التي أوجدت ذلك التتابع .

والبنية العميقة هي بنية مجردة ضمنية تحمل كل المعلومات للتأويل الدلالي للجملة ، لأن مهمة البنية السطحية التفسير الصوتي .

هذا وان " تشومسكي " ليعتبر أن البنية العميقة ترتبط بالبنية السطحية من خلال بعض العمليات العقلية أو ما يسمى بالمصطلح الحديث تحويلات القواعد . فقواعد المشكلم يجب أن تتضمن تنظيم قواعد محدودا يولد عددا غير محدود من البنى العميقة والسطحية المترابطة بصورة ملائمة .

بالاضافة الى هذا نذكر أمرين أساسيين :

ـ أ ـ أن الكليات اللسانية الصورية توجد على مستوى البنية العميقة ، وبالتالي فانها تنتمي الى هذه البنية .

ـ ب ـ ان الوظائف النحوية كما أن ترتيب عناصر الجملة تقوم بهما البنية العميقة .

هذا وان الامانة تقتضي أن نؤكد أن هذا النزر القليل الذى ذكرناه في النحو التوليدى لا يعطي فكرة كاملة حول النظرية وقد تعددت قضاياها التي أسست عليها وعن صياغاتها التفصيلية المعقدة . ولكننا بذكرنا مبدأى : التمييز بين المهارة والاداء وعلاقة البنية العميقة بالبنية السطحية ، أردنا الكشف عن ما يمكن أن يؤول اليه عمل أو تحليل ينبني على التجريد وكثرة التأويلات في نظرية ما تزال الابحاث فيها متواصلة وقد تحت مدى الدلالة التوليدية . ومما يعاب على أعمال تشومسكي رغم نيته البديهية انه لا يجد جوابا عن السؤال التالي : كيف يتم الوصف الاستقصائي لبنية اللسان بالنظر في الاستعمال المنعوت بالنقص من الاساس ؟ ف تشومسكي وهو يحدد للسانيات مهمة دراسة المهارة (البنية المستترة) لا يقترح أية وسيلة الوصول الى تلك البديهية ، ومن الاسباب في ذلك أن الاداء أو الاستعمال قد لا يمثل البديهة التي تضمه لما يمكن أن يحمل من أخطاء وفجوات أو نقص . بالاضافة الى هذا يرى "تشومسكي "

أن دلالة جملة ما تحددها بنيتها العميقة ، ولكن هذه البنية العميقة ليست هي ذاتها التي تمثل الدلالة . ان تشومسكي يفترض أكثر من تمثيل دلالي ذي قيمة كلية ، منفصل عن المظهر التركيبي لكل لسان خاص . وأن تشومسكي ليؤكد بعد أهم نتائج أبحاثه ـ كما يقول أحمد طلابه "كورودا" ـ إننا لا نعرف بالتدقيق ما هي هذه التمثيلات الدلالية . ومما يزيد الأمر تعقيدا أن بعض أتباع تشومسكي قد شرعوا في عرض نظرية توليدية تعرف باسم الدلالة التوليدية يصرحون أنها تختلف عن نظرية أستاذهم بحيث إنه لا وجود في هذه النظرية للبنى العميقة ، وان اجراء التحويلات النحوية يتم على مستوى التمثيل الدلالي للجملة وليس على مستوى بنيتها العميقة .

لعلنا ببعض هذه التفاصيل قد تجاوزنا ماكنا قصدناه من تبيان الداعي الذي جعلنا لا نعتمد أيضا هذه النظرية الحديثة التي استهوت الكثيرين .

بعد هذا نقول انه وفقا للمنهج الذي اتبعناه في تحليل مدونتنا ، قد تمكّنا من ضبط مرحلتين أساسيتين ، هما : التحليل والعرض ، وهما أهم شيء في عمل اللساني . الا أننا نظرا لأهمية هذا البحث ولما يحتوي عليه من نتائج مغايرة تماما لتلك التي ألفها الناس بعد تطبيقهم للمنهج التقليدي ، ارتأينا أنه من الضروري وضع تمهيد وتوطئة لهذا البحث . ففي التمهيد ذكرنا الأصول التي قام عليها النحو العربي ، وذكرنا بالنتائج التي توصّل اليها نحاة العربية مترجمين دون تفصيل على الخلافات بين أشباه المدارس مبينين ما آل اليه الدرس النحوي وعدم جدوى ادعاء

التجديد دون التجديد الفعلي . وقلنا ان المسألة مسألة اشكالية ، وحين تبين أمر هذا المبدأ الرئيسي ، تداركنا الى بعض النواميس العامة التي يشترك فيها النحو العربي التقليدي ونحو بعض الألسن الأخرى ، ليعلم الناظرون ان المسألة بيسّت قصروا على النحو العربي وانها - في الواقع - المنبع الذي تفجرت منه آراء الأقدمين أو المعدن الذي صنعت منه آلات عملهم .

أما التوطئة فقد عرضنا فيها باختصار شديد نشأة المدرسة الوظيفية ثم لخصنا فيها المبادئ والأسس التي قام عليها النحو الوظيفي ، والغرض من ذلك هو أن نطلع القارئ على أسرار هذا المنهج والنواميس التي قام عليها وندربه على الوسائل التي استعملها الوظيفيون في تحليل نصوص المدونات .

ثم ان دراستنا هذه تحتوي على مقدمة بيّنا فيها مجموعة من أسباب الاختيارات التي اعتمدناها . وبعد المقدمة يأتي عرض الاقسام، يأتي قبل التحليل ، وان كان تاليا له ونتيجة مباشرة من نتائجه . والحق ان الوظيفيين يعترفون بما يمكن أن يسببه العرض من قلق في أذهان الباحثين باعتبار ما يخطر اليه الباحث أحيانا من اعادة وتكرار وهو يحاول تحديد هوية الوحدات المعجمية والوحدات النحوية وائتلافاتها ، وباعتبار ما يمكن أن ينزلق من تدقيقات تخص الجانب غير التفاضلي للوحدات (التصريف) ، ثم بالنظر الى التداخل الذي يحدث أحيانا بين المواقفات (على مستوى الأقسام مثل قسم الأسماء وقسم الأفعال) وبين الائتلافات على مستوى القرائن وخاصة القرائن الخصوصية على الرغم من كل هذا ، فان العرض يحتوي على ستة عشر قسما توصلنا اليها بعد تحليل المدونة وفقا لما تتطلبه دراسة علمية متأنية ، دون سابق رأي ولا استجابة لميل ولا هوى .

بعد العرض وقفنا عند مجموعة من العبارات الجامدة ، لا يمكن أن تخضع للتحليل لأنها عبارات جارية على الأسن وفق صورة تركيبية محددة لا تعرف التغيير كالتحية والنداء والمدح وغيرها . وهي المسألة الأولى من بين إحدى عشرة مسألة تضمنها التحليل .

ثم بدأنا في التحليل بالقول الاسمي وضروبه وأتبعناه بالقول الفعلي وضروبه ، وكان سبب ترتيبنا هذا ما ينجم عن القول الفعلي من تعدد في العلاقات وتنوع لها وبالتالي من تفصيل في ضروب الأفعال ومن تعقيد في مبانيها ، وبهذا تتسلسل الدراسة بتسلسل سرد أنواع الباسطات . بعد هذا نذكر القرائن بنوعيها الاسمي والفعلي ، ثم نتحدث عن ظاهرة البسط بالاكتفاء ، بعد هذا ننتقل الى نوعي المعلقات الاسمية والفعلية ، ثم نعود الى ضروب خاص من البسط تدرجه تحت ضرب معيّن من الوظائف يسمى الوظائف الفرعية منها البدل وصفة الحال والمتعلقات الموضحية والموصلات الجملية والمخصصات المعجمية وقرائن الأسماء .

اثر هذا نقف وقفة متأنية عند الوظائف وضروبها فنركز على :

1 ـ علاقات الاسم بالنواة الفعل وتقسيمها الى وظائف مباشرة ووظائف غير مباشرة .

2 ـ علاقات الاسمي بالنواة الاسمية .

3 ـ وأخيرا على علاقات الجملية بالمخبر الفعلي .

بهذا نعرج على جميع أنواع العلاقات أو على جميع أنواع البسط بالتعليق ثم نتحول الى الحديث عن قرائن الجمل ، كالنفي والاستفهام والتمني وغيرها ، ونختم التحليل بالنظر في أمرين :

الصنف الثاني من البسيط أو العطف ثم الروابط .
بعد التحليل تأتي الخاتمة وتذكر فيها جملة من النتائج
التي توصلنا اليها .

ان الوظيفيين يرون أنّه من ضرورات ما يقوم به اللساني التّفريق بين عمليتين في نفس مستوى الأهمّية ، وهما على التوالي : عمليّة التحليل وعملية العرض، وان أهمّ ما يجب ذكره بالنسبة لنا في عملية العرض هو الجرد مجرد الأقسام . وعلى الرّغم من أنّه جزء من العرض، فان الجرد يعد مقدّمة للأبواب الأخرى كالتّصريف والتّركيب التي قام بها اللساني أثناء التّحليل كما سبق أن بيّنا ، فبعد الوقوف عند مختلف الوظائف نعرض الأقسام .

ان الكلمات كما يقول : أ . مارتينيه ليست بمواد غير متميّزة بحيث يمكن للمتكلّم أن يؤلّف فيها وفق هواه ، فالوضع في الألسن البشرية أساسه لفظ الخطاب أثناء الكلام اعتمادا على الكلمات ، وهذا الأمر يفرض تدرّجا بين الكلمات الملفوظة واختصاصات تمنع من ائتلاف الكلمات في ما بينها بكيفية عشوائية . فان نحن شئنا أن يتمكّن السامع من اعادة بناء التجربة التي نريد تبليغها كان لزاما علينا أن نوضّح جيّدا العلاقات التي ينبغي أن نقيمها بين الكلمات المتوالية وعن هذا ينجم وجود كلمات للرّبط يمكن أن نسمّيها سمات الوظائف أو المضيفات أو الموصلات .

وهذا النّوع من الكلمات يعرف بسهولة بسبب شكله وبسبب ما تفترضه هذه الكلمات ـ حتى تظهر في السياق ـ من وجود لكلمتين أخريين تربط بينهما .

وإذ قد عرف هذا فانّه ينبغي أن نلفت النّظر أيضا الى حال التجربة البشرية التي تحلّل الى عناصر ، تدرك باعتبارها ضروبا مختلفة ، بعضها يدرك ككائنات وبعضها يدرك كأحداث وبعضها الآخر يدرك كصفات وعندما يتعلّق الأمر بتحديد الطبيعة الخاصّة بأحد هذه الكائنات أو أحد

هذه الأحداث أو احدى هذه الصفات ، فان اختيار المخصصات لا يكون واحدا في جلّ الحالات سواء أتعلّق الأمر بالضرب الأوّل أم الثاني أم الثالث فاذا كان الأمر على سبيل المثال (على سبيل المثال) يتعلّق بالكائنات ، فاننا نضطر أحيانا الى تحديد عددها فنقول : شجرة ، شجرتان ، عدّة أشجار . واذا تعلّق الأمر بحدث تطلب ذلك ذكر احدى قرائنه ، وهي بدايته أو انقطاعه أو دوامه . مثل : بدأ يكتب ـ أو كتب أو ما زال يكتب . وأما اذا تعلّق الأمر بالصفات ، فقد تضاف الى الصفات بعض التدقيقات ، فنقول مثلا كبير أو كبير جدا . وهذا ما يقضي بالضرورة الى قصر استعمال بعض الكلمات لتخصيص بعض الكلمات الأخرى ، وبناء على هذا فاننا نجد في العربية مثلا تركيب : " عدّة أشجار " ، ولا نجد فيها تركيب أشجار جدا ، كما أننا نجد في العربية تركيب : لم يكتب ولا نجد فيها لا تركيب : " لم كبير " ولا " لم جدا " .

على هذا الأساس يشرح أ . مارتينيه في كتابه " علم التركيب العام " الوجود الضّمني لموافقات خاصّة بين كلمات اللسان ، يتعوّد عليها الناطق بذلك اللسان صغيرا كان أو كبيرا أثناء تعلّمه اياه . بهذا تكوّن مجموعة الكلمات ـ التي لها نفس الموافقات والتي تتعاقب على نفس النقطة في مدرج الكلام ـ قسما : فالقسم اذن هو الذي يجمع بين كلّ الكلمات التي ينبغي للمتكلم أن يختار من بينها كلمة في موضع مّا من القول ليعبّر عن أمر معيّن دون غيره . وان نحن قلنا ان كلمات قسمين معطيين متوافقة ، فليس معنى هذا أن تجاورهما أمر حتمي في القول ، ذلك لأنّ الموافقة لا علاقة لها بتجاور الوحدات ، مثال ذلك : توافق قسم الأسماء وقسم الصفات في : " الدرس مفيد " ،

هذا التجاور لا يمنعنا من أن نقول : " الدرس الذى سمعته البارحة مفيد "

هذا ولكي يتبين جيدا مفهوم الأقسام ، فانه لا بد من التذكير بمبدأى الاختيار والوظيفية ، لما لهما من علاقة بهذه المسألة . ان ائتلاف الكلمات في ما بينها باعتبار صنفيها + : المعجمي ++ والنحوى ، لايتم بما اتفق ، بل على العكس من ذلك فان امكانية الائتلاف أو التوافق هو الذى يمكّن من توزيع الكلمات الى أقسام مختلفة ، ولنضرب لذلك أمثلة ، انظر هذه الكلمات المفردة : نوى ، جالس (بكسر اللام) وكاتب (بكسر التاء) ، فانها كما تراها معروضة قد تكوّن كلمة " اسما " وقد تكوّن كلمة " فعلا " ، ولا يتبين أنها " فعل " الا اذا ائتلفت مع القرائن النحوية مثل : ((ن) بالضم) في نكاتب أو : " ت " (بالضم) في تكاتب أو مع " ه " (بالضم) وسكون الباء في : كاتبه ، أما اذا ائتلفت مع قرائن نحوية أخرى مثل : " ال " في الكاتب والنوى أو مع " ون " في : جالسون أو : " ات " في جالسات فيتبين أنها " اسم " .

بهذه الطريقة تحدد أقسام الكلمات ، لا الوظائف لأن وظيفة الكلمة لا تحدد بانتمائها الى قسم الأفعال مثلا دون غيره ، ولكن الوظيفة تحدد بقدر استقلالها في السياق وبنوع العلاقة التي تربطها بأى وحدة من الوحدات الأخرى .

هذا وانه لا بد من ذكر السبب الذى من أجله رفض الوظيفيون العمل بما يسمى أقسام الكلام . ان أهم ما يمكن قوله في هذا المقام هو : أن الوظيفيين يعمدون الى التنبيه الي أنه لا وجود لأقسام كلام مسبقة " أزلية " تنطبق على جميع الألسن البشرية ، كتلك التي اتبع اللغويون القدماء فيها ماجرى عليه الفلاسفة اليونان وأهل المنطق من جعل أجزاء الكلام ثلاثة : الاسم والكلمة (الفعل) والأداة (الحرف) .

+ لا يخلو الحال من أحد أمرين بالنسبة للكلمة فهي اما أن تكون وحدة معجمية واما أن تكون وحدة نحوية .

++ يقول الرضي : لا تصاغ المادة الأصلية على هيئة مخصوصة الا لفائدة مخصوصة

فالوظيفيون يعتبرون أن كلّ لسان يحتوي على مجموعة من الموافقات ينبغي استخراجها دون التأثر باستعمال لسان آخر ودون التأثر بما نعرفه من ألسن أخرى . بالاضافة الى هذا يمكن التذكير بأن وضع الأقسام يمكن أن ينبني على مقاييس صرفية ، تصنّف الأفعال وفقها الى منقطع وغير منقطع ، غير أن أي تصنيف صرفي يفترض تصنيفا من وجهة النظر الائتلافية ، وانه حتى تقسم الأفعال بالوجه المتداول الآن ، فانه كان لا بد من تبيان وجود قسم يشمل الأفعال كحقيقة لسانية قائمة ، وان الذي قيل عن التصريف ، يمكن أن يقال عن الدلالة ، فانه كي نصف تغيير المدلول في " نوى " مثلا فانه لا بد من أن نعرف القسم الائتلافي الذي تدرج فيه هذه الوحدة ، وهذا ما يحدد مسبقا ادراك الوحدة كحدث في قولنا : " نوى فلان خيرا " أو ادراكها كـ : كائن كما جاء في الحديث : " أنه أودع المطعم بن عدي جبجبة فيها نوى من ذهب (أي قطع) :

ان هذا التقسيم الأول هو أدنى درجات سلم يحتوي في نظرنا — بعد التحليل الذي قمنا به — ثلاث درجات :

— الدرجة الأولى : هي اقتران النحوي بالمعجمي فينفرز قسم الأفعال عن قسم الأسماء .

— الدرجة الثانية : ائتلاف وحدات هذين القسمين مع بعضهما أو مع أقسام أخرى .

— الدرجة الثالثة : دخول قرائن نحوية مخصوصة على قسم الأفعال ودخول قرائن نحوية أخرى خاصة بالأسماء باعتبار كلّ قسم منها مركزا أو أساسا تبنى عليه مجموعة أخرى من الوحدات تقل وتكثر بقصر القول وطوله .

بناء على هذه الضروب الثلاثة من الاثتلافات التي لاحظناها أثناء التحليل للقرآن الكريم فاننا نقدّم الجريدة التالية :

1 ـ قسم الأفعال
2 ـ قسم الأسماء
3 ـ قسم العدد
4 ـ أدوات التعريف والتذكير (قسم)
5 ـ قسم الاشارة .
6 ـ قسم الضمائر
7 ـ قسم المبهمات
8 ـ قسم المضيفات
9 ـ قسم الموصلات
10 ـ قسم الملحقات
11 ـ قسم الفاعلين والمفعولين
12 ـ قسم المكتفيات
13 ـ قسم قرائن الجمل
14 ـ قسم وحدات المدلف
15 ـ قسم قرائن القول
16 ـ قسم الروابط

1 - تقسيم الأفعال .

الأصل في الأفعال أن تكون مخبرا ت كما يمكن أن تكون مخبيرا ت عندما لا تتمتع بالاستقلالية التي يتمتع بها المخبر . والذي نريد أن ننبه اليه في هذا المقام هو أن الفعل كقسم متميّز عن قسم الأسماء لا وجود له البتة في لغة العرب وفي القرآن الكريم كصيغة مجرّدة لا زيادة فيها مثل ما هو الحال بالنسبة للاسم في : مكة ، ابراهيم ، يوم ، شرق (بسكون الراء) زيت وهلم جرا . . .

أما الذي اشتهر عند النحاة استعماله من صيغة الماضي المفرد الغائب ك : " شهد " أو " قام " فانه لا بدّ من اعتباره بالنظر الى القرائن الدالة على الأشخاص الآخرين : المتكلم والمخاطب ، وباعتبار التذكير والتأنيث والعدد وادخال الفعل في صيغة الاثبات المطابق لحال الفعل في صيغة الأمر مع المخاطب المفرد وسيأتي تفصيل الوقت في هذا أثناء التحليل إن شاء الله .

ان الذي قلناه عن الفعل باعتباره مخبرا أو مخبيرا أو باعتباره قسما قائما بذاته ، انما راعينا فيه - ضمن ما راعينا - المعنى ، ذلك لأن الوحدة التي لا تكون مخبرا ولا مخبيرا أو لا تحمل الخبر ولكن تتصل بها فقط قرائن الفعل انما هي شبه فعل أو هي مثلما سيأتي الحديث عنها ، قرينة خاصة بالجملة أو القول .

قبل الحديث عن اختلافات قسم الأفعال وموافقاته نشير الى مسألة مهمة تتعلق بما يسمى أنساق الأفعال ، لأن الذي سنقوله عن الفعل ينطبق في جملة على نسق الفعل . فالنسق الفعلي قسيم يتميز عن الفعل بما يتحد معه من مضيفات اتحادا عضويا بحيث لا تكون الخيرة للمتكلم في استقلال ذلك المضيف وإن فصل فغرضه أن يفيد السامع بغير ما يفيده به مع ضم المضيف . نحن نقول هذا ليعلم - كما سيأتي أثناء التحليل - أن الأنساق الفعلية منها ما ورد على هيئة خاصة فريدة من نوعها ك : " عبأ ب " في قوله تعالى " قل مايعبأ بكم ربي " (آ 77 الفرقان 25) ، ومنها ما يرد على هيئة تحمل على التساؤل عن

في تثبيت هذا التقسيم المتميز داخل قسم الأفعال ، مثال : " جاء " و " جاء " في : وجاءوا على قميصه بدم كذب . (آ 18 يوسف 12) وفي : اذا جاء نصر الله والفتح (01 النصر 110) وفي : وجاء وآبا هم عشاء يبكون (آ 16 يوسف 12) .

الاثبات : يبين لنا التحليل أن الفعل في القول المثبت في صيغة " يفعل " يتميز عن الفعل في القول المنفي بأمرين :

أولهما : نوع الصوت الذي يلي الحرف الأخير (أو الحركة) الرفع

ثانيهما : وجود نون تلحق الفعل في المخاطب عموما ما عدا المفرد المذكر : تكتب

والجمع المؤنث : تكتبن ، وكذلك مع الغائب عموما ما عدا المفرد مذكرومؤنثا : يكتب ، تكتب ،

وجمع المؤنث : يكتبـــن .

الشّخص : ان لمفهوم الشّخص قرائن خاصة تظهر في الفعل ، ميزتها في صيغة فعل : الاشتراك الواسع الغالب في " استعمال " التاء " مع مختلف المصوتات القصيرة والسكون ، واشتراك استعمال النون مع جماعة المتكلّمين ومع جمع الغائبات (مع ضرورة المخالفة) وأخيرا الاشتراك في انعدام الحاق الصامت بأنواعه مع الغائب المذكر مطلقا ــ أما بالنسبة لصيغة " يفعل " فقرائن الأشخاص أربعة : " أ " : الهمزة المفتوحة للمتكلم ، و " ن " : النون المفتوحة لجماعة المتكلمين و " ت " : التاء المفتوحة للمخاطب أو الشخص الثاني مع ملاحظة الاشتراك في الشخص الثالث المفرد المؤنث و " ي " : الياء المفتوحة خالصة للغائب (انظر الجدولين المعروضين في التحليل) .

العدد : ان قرائن العدد التي أوضحتها التحليلات هي : الفتحة المدية

(والألف كتابة) للمثنى مطلقا ، سواء مع صيغة " فعل " أو " يفعل " ، والضمة المدية (الواو وكتابة) مع جمع الغائبين فقط مع صيغة " فعل " ومع جمع المخاطبين والغائبين في صيغة " يفعل " — وهذه الزيادة التي ذكرنا يقابلها النقصان في المفرد وفي ما ذكرنا بالنسبة للجمع .

الجنس : ان العربية لا تفرّق بين المتكلّم المذكّر والمؤنث كما لا تفرّق بين المتكلمين ذكرنا وانا ثا شأنها في ذلك شأن لغات العالم المعمور .

أما بالنسبة للمخاطب والجمع ، فالأمر يختلف . ففي صيغة " فعل " ، فتعتمد المخالفة بين المصوتات في المخاطب المفرد : تَ / تِ (التاء التي تتعاقب عليها الفتحة والكسرة) ، وتغفل التفرقة الجنسية بين المخاطب المثنى لبيان الحال فيه شأنه في ذلك شأن المتكلّم ، وتفرّق بين جماعة المخاطبين بالحاق الفعل ميما في المذكر ونونا مضاعفة في المؤنث ، وتأتلف التاء الساكنة بالفعل في صيغة الغائب المؤنث ، وتنعدم مع المذكر فيحصل التقابل ، وكذلك يكون الأمر بالنسبة للمثنى : التاء المفتوحة مع المؤنث وانعدامها مع المذكر ، وعلى هذا المنوال من التقابل يكون حال الغائيات والغائبين في صيغة " فعل " : نون مفتوحة مسبوقة بانعدام الحركة للمؤنث وضمّة مدّية مع انعدام النون للمذكر .

وأما صيغة يفعل فالأساس الذي يجب الحديث عنه هو المخاطب والغائب : افرادا وجمعا ، فالمفرد يتميز بالمصوت القصير (الضم) — ومخالفته بالمصوت المدى (الكسر المدى) ـــ ى ؛ والجمع يقابل فيه الضم المدى لآخر صامت في الفعل بالنسبة للمذكر انعدام المصوّت بالنسبة للمؤنث مع التحاق نون الاناث به في المخاطب وتكرر نفس الصورة بالنسبة للجمع الغائب ولكن الذى يساعد على التقابل الذى ذكر هو السابقة : تاء مفتوحة بالنسبة للأول وياء مفتوحة

بالنسبة للثاني (الغائب) ، وعلى هذا يعتمد أيضا بالنسبة للغائب المفرد والمثنى :

المنقطع وغير المنقطع : انه على خلاف ما يذهب اليه أكثر النحاة من أن الفارق بين الحدث المنقطع والحدث غير المنقطع ينحصر في سوابق ساتين الصيغتين ولواحقهما ، فانا نذهب الى ما ذهب اليه ابن جني (انظر التحليل) من أن الفارق الأساسي هو اختلاف المصوتات المتعاقبة على عيني " فعل " . و " يفعل " ، الى هذا الأساس نضيف هذا التقابل العجيب الذي لاحظناه أثناء التحليل بين مواقع بعض القرائن في صيغتي " فعل " و " يفعل " :

ـ 1 ـ أولا وأساسا ، " التاء " التي غلبت على المخاطب مطلقا كلاحقة في صيغة " فعل " فانها تصير سابقة في صيغة " يفعل " (انظر الجدول ص . . .)

ـ 2 ـ " النون " : أمر النون كأمر " التاء " ولكن بالنسبة لجماعة المتكلمين كتبنا / نكتب .

ـ 3 ـ " الهمزة المفتوحة " للمفرد المتكلم كسابقة في " يفعل " تقابلها التاء المضمومة كلاحقة في " فعل " : أكتب / كتبت.

ـ 4 ـ بالنسبة للغائب اقتران التاء والياء المفتوحتين في " يفعل " وانعدامها في " فعل " : يكتب ، تكتب / كتب ، كتبت .

ـ 5 ـ وأخيرا التحاق الميم في المخاطب بصيغة " فعل " وانعدام ذلك في " يفعل " : كتبتما ، كتبتم / تكتبان ، تكتبون .

المجهول : تعرف صيغة المجهول بمخالفتها لصيغة المعلوم بما يطرأ عليها من تغيرات صوتية تمس " فعل " كما تمس " يفعل " ، وذلك بأن تضم فاء الفعل وتكسر عينه في جميعها يسمح به بناء المجهول في المنقطع من الأفعال الصحيحة ، وللأفعال الأخرى تصاريف يرجع اليها في كتب الاختصاص . أما في غير

المنقطع فتضم السابقة وتفتح عين الفعل دائما في ما يمكن به بناء الأفعال للمجهول . هذا بناء المجهول بالنسبة للفعل ، ولكن الأمر لا ينطبق تماما على النسق الفعلي . مثل : وجيء يومئذ بجهنم (آ 23 الفجر 89) و : وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق (آ 69 الزمر 39) و : وأحيط بثمره (آية 42 الكهف 18) و : ولقد استهزئ برسل من قبلك (آ 41 الأنبياء 21) ذلك لأن المضيف المكون لجزئ من النسق الفعلي يدرج الاسم كما هو ظاهر هنا في الأمثلة : جهنم ثمره النبيين ورسل . ففي حال الأفعال التي يمكن بناؤها للمجهول تذكر الضمائر المتصلة كأسناد أو تقوم بوظيفة السند ولكنها لا تدل على الفاعل لأن الفاعل مغفول عنه عمدا سواء مع " فعل " أو " يفعل " انظر هذه الأمثلة : يوم أبعث حيا (آ 33 مريم 19) و : بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم (آ 07 التغابن 64) و: وفي : يبعث حيا (آ 15 مريم 19) وفي : وأوتيت من كل شيء (آ 23 النمل 27) وفي : وإذا حييتم بتحية (آ 86 النساء 04) .

هذا وانه لا بد من التنبيه الى وجود تركيبين :

1 ـ تركيب مألوف يأتي في هذه الصيغة لا يخفى فيه بالضرورة الفاعل ، وانما يؤتى به لمعنى مطلق وذلك في قوله تعالى : وقضي الأمر : انظر الآيات التسعة عشر الواردة في القرآن الكريم .

2 ـ تركيب غير مألوف قد يدفع بعضهم الى رفضه لو صادفه في غير القرآن الكريم ، وبما أنه ورد في التنزيل الحكيم مرتين فانتنا نلفت اليه نظر الناظرين ، فتضمنه : الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (آ 01 هود 11)

وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم. (آ 6، النمل 27)

ففي القولين اخفاء وتصريح ، اخفاء بحكم وجود صيغة المجهول : ترك الفاعل الحقيقي : أحكمت ثمّ فصّلت ، وتلقى ، وتصريح بالفاعل الحقيقي حكيم ، خبير ، عليم ، وقد أدرجه المضيف المركّب : " من لدن " . واذا بحثنا في بعض كتب التفسير عن التفاتة لبديع هذا التركيب فلم نعثر على شيء يذكر .

الأمر : تبيّن لنا أثناء التحليل أن الأمر يحصل عليه في القرآن الكريم وفي لغة العرب بأحد وجهين : الصيغة أو القرينة ، والحق أن الصيغة تنبني على تغيير مخصوص به تنفرز عن هيئات الصيغ الأخرى . والمعلوم أن الأمر في اللسان العربي تلحق به همزة يتبعها صوت مطابق لمصوّت عين الفعل في غير المنقطع بالنسبة للصّحيح السالم فقط ، أما الأفعال مهموزة الفاء أو الأفعال معتلة الفاء فيسقط منها الصامت أو نصف المصوت الأول فيظهر التغيير بالمخالفة ، وللمزيد من التفاصيل يرجع الى الجدول التصريفي في كتب الاختصاص

أما الطريقة الثانية للحصول " على الأمر " فتكون بائتلاف لام مكسورة مع أنواع الشخص الغائب في غير المنقطع باسقاط نون الاثبات ، وهذا ما سمي " أمر الغائب " بالنظر الى " أمر المواجهة " . بهاتين الطريقتين من ائتلاف قرائن الأمر ينفتح الباب على الائتلافات الصريحة باضافة القرائن الخاصة بالقول أو الجملة باعتبار المحور الأساس فيها :

النهي : ان قرائن القول الفعلي تختلف باختلاف أساليب الكلام وقد تتعدّد في الأسلوب الواحد أو الصيغة الواحدة ، وقد تتحد القرينة والصّيغة ولنبدأ بهذا الضرب الذي يجسّده النهي : فللنهي قرينة واحدة هي :

" لا " وتأ تلغمع الفعل في غير المنقطع فقط ومثا ل ذلك قوله جلّ وعـــلا :

ولا تأ كلوا أ موا لكم بينهكم بالبا طل .(آ 188 البقرة 02)

النفـــي : للنغي قرا ئن عديدة تمس في الوا قع القول كلّه من خلا ل مركز نوا ته : الفعل ، وهذه القرا ئن هي : ما و لا و لم و لن والدوا ل المتقطعة: " أ ن ... لا " و " هل ... لا " ولما الخا لصة للقول الفعلي وحده .

مثـل : فما ربحت تجا رتهم (آ 16 البقرة 02) و : ما يبدّ ل القو ل لدىّ (آ 29 ق 50) .

لا : ان اقترنت بالمنقطع قد تكر رمثل :

فلا صدّ ق ولا صـلّى . (آ 31 القيا مة 76)

ولا تكـــر رمثـل :

فلا اقتحم العقبـة . (آ 11 البلـد 90) .

وكذلك الشأ ن مع غير المنقطـع مثا ل :

لا يموت فيها ولا يحـــيى . (آ 74 طـه 20)

لـم : قرينة نفي تختص بغيـر المنقطـع مثـل : لم يلـد ولم يو لد (آ 103 الاخلاص 111)

لـن : قرينة خا صـة بغير المنقطع مثل : لن تنـا لوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (آ 92 آ ل عمرا ن 03)

ا نّ والدا ل المتقطع : ان ... الا : مثا لها كمثا ل سا بقتيها فا نظـر خلا ف الائتلا ف فا نه ظا هر :

ان أ د رى أ قريب أ م بعيد ما توعدون (آ 109 الأنبيا ء 21)

و : ان أ ردنا الا الحسنى (آ 107 التوبة 09)

هـل: كقرينة نفي ، فا نها تظهر في دا ل متقطع : هل ... الا ومثا لـه :

هل ينظرون الا أ ن يأ تيهم الله في ظلّ من الغمام (آ 210 البقرة 02)

الاستفهام : ان قرائن الاستفهام هي أكثر القرائن عددا على الاطلاق ، وهي : أنّى وأين وكم وكيف والهمزة المفتوحة وأي ومن وهل وعم ولم (بكسر اللام) وأم (بفتح الهمزة) وماذا ، وفي ما يلي نقدّم أمثلة على ائتلافاتها بالفعل :

أنّى ، مثل أنّى يحيي هذه الله بعد موتها (آ259 البقرة 02)

أين ، مثل وأين تذهبون (آ 26 التكوير 81)

كم ، مثل : كم لبثت (آ 259 البقرة 02)

كيف ، مثل : كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم (آ86 آل عمران 03)

ومع فعل تقدم هذا المثال : انظر كيف ضربوا لك الأمثال

(48 الاسراء 17)

الهمزة المفتوحة : مثل ، أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى (آ109 العلق 96)

أيّ : وتأتي " أيّ " على صورة مخصّصة من التركيب بحيث أنها لا تتبع الا باسم ثمّ بفعل أو جزىء من النسق الفعلي في الأقوال الفعلية مثل :

فأيّ آيات الله تنكرون (81 غافر 40)

أما مع المنقطع فقد وردت في القرآن الكريم مسبوقة بمضيف آخر مثل المضيف الدال على ابتداء الغاية في المثال التالي :

من أيّ شيء خلقه (آ 18 عبس 81)

ومن النسق الفعلي نذكر هذا المثال على أساس أن النسق هو : "آ من ب " في :

فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (آالجاثية 45)

ومع الفعل الذى لم يسمّ فاعله نذكر هذا المثال :

بأيّ ذنب قتلت . (09 التكوير 81)

من : تتوافق مع الفعل في صيغتيه مثل : ([illegible])

ومن يغفر الذنوب الاّ الله . (آ 135 آل عمران 03)

و : من بعثنا من مرقدنا (آ 52 يس 36)

هل : حالها كحال " من " في توافقها مع الفعل : انظر الى :

هل أتاك حديث الغاشية (آ 01 الغاشية 88)

هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالا (آ 103 الكهف 18)

عمّ : ورد مرة واحدة في القرآن الكريم ومثالها :

عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم (آ 1ـ2 النبأ 78)

لم : بكسر اللام وفتح الميم ، قرينة استفهامية تتوافق مع " فعل " و " يفعل " مثل :

لم تحاجون في ابراهيم (آ 65 آل عمران 03)

لم كتبت علينا القتال (آ 77 النساء 04)

أم : بفتح الهمزة وسكون الميم مثأنها في التوافق كشأن " لم " ومثال ذلك في :

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم (214 البقرة 02)

أم يقولون افتراه (آ 38 يونس 10)

ماذا : تدخل على الفعل بصيغتيه مثل :

ماذا أراد الله بهذا مثلا (آ 26 البقرة 02)

و : ماذا ينفقون (آ 215 البقرة 02)

ومع الفعل الذى لم يسم فاعله نقدّم هذا المثال :

ماذا أحلّ لهم (آ 04 المائدة 05)

التوكيد : من الائتلافات التي يعرفها الفعل أيضا ، قرائن التوكيد ومن هذه القرائن ما هو خاصّ بالفعل لأنها تلتحق به مباشرة ، وعندنا نون التوكيد الخفيفة ونون التوكيد الثقيلة ومثال الأولى ما ورد في قوله تعالى :

كلّا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . (15 العلق 76)

و : من بعثنا من مرقد نا (آ 52 يس 36)

هل : حا لها كحا ل " من " في توا فقها مع الفعل : انظر الى :

هل أ تا ك حديث الغا شية (آ 01 الغاشية 88)

هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالا (آ 103 الكهف 18)

عمّ : ورد مرة وا حدة في القرآ ن الكريم ومثا لها :

عمّ يتسا ءلون عن النبا العظيم (آ 1ـ2 النبأ 78)

لم : بكسر اللام وفتح الميم ، قرينة استفهامية تتوا فق مع " فعل " و " يفعل " مثل :

لم تحا جو ن في ابرا هيم (آ 65 آل عمران 03)

لم كتبت علينا القتـــا ل (آ 77 النساء 04)

أ م : بفتح الهمزة وسكون الميم شأ نها في التوا فق كشأ ن " لم " ومثا ل ذلك في :

أ م حسبتم أ ن تدخلوا الجنة ولمّا يأ تكم مثل الذين خلوا من قبلكم (214 البقرة 02)

أ م يقولو ن افتـــرا ه (آ 38 يو نس 10)

مـا ذا : تد خل على الفعل بصيغتيـه مثــل :

ما ذا أ را د الله بهذا مثــلا (آ 26 البقرة 02)

و : ما ذا ينفقـــو ن (آ 215 البقرة 02)

ومع الفعل الذ ى لم يسم فا عله نقدّم هذا المثا ل :

. ما ذا أ حــلّ لهــم (آ 04 الما ئدة 05)

التــوكيــد : من الا ئتلا فا ت التي يعرفها الفعل أ يضا ، قرا ئن التوكيد ومن هذه القرا ئن ما هو خا صّ بالفعل لأنها تلتحق به مبا شرة ، وعندنا نو ن التوكيد الخفيفة ونو ن التوكيد الثقيلة ومثا ل الأو لى ما ورد في قوله تعا لـى :

كلّا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . (15 العلق 76)

ومثا ل الثا نية في : ثم بدا لهم من بعد ما رأ وا الآيات ليسجننّه حتّى حين

(آ 35 يوسف 12 ٠)

وهذا الذي قلنا ه عن الفعل نقوله عن القرينة الزما نية " كا ن " (أ وعن شبه الفعل " كا ن ") انظـر الأمثلـــة :

ليكونـنّ من الصا غـرين . (آ 32 يوسف 12)

و : لئن جا ء كم نذير ليكونـنّ أ هدى من احدى الأمم (42 فاطر 35)

والجدير بالملاحظة أ ن نوني التوكيد لا تد خلان الا على صيغة " يفعل " وقد سبق مبا شرة بلام التوكيد ، فاللام ملا زمة للفعل ما دخلت عليه النون ولكن العكس غير صحيح ثمّ ان اللام كقرينة توكيـد تتوا فـــق مع الفعل في صيغة " فعل " وصيغة " يفعل " مثا ل ذلك :

فلو لا أ نه كا ن من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون (آ 143 ــ 144 الصافات 37)

وانهم ليقولو ن منكرا من القول وزو را (آ 02 المجا دلة 58)

الوا قع ان اللام ليست قرينة خا صة بالفعل وحده ، وانما هي قرينة مشتركة بينه وبيـن الأسم ، وقد تتجا و ز هما بحيث انها تقترن مثلا ب " ان " في " لئن " ، وهما وجهان لقرينة شرطية وا حدة .

والوا قع أ يضا ان اقترا ن اللام بصيغة " فعل " مطلقا لا غبا ر عليها ولكننا كلما عدنا للسيا ق وجدنا أ ن التركيب الوا رد فيه يتعلّق بالشّرط ، وأ دا ة الشرط فيه هي : " لو لا " أو " لو أ ن " أو " لو لا " متبوعة ب " أ ن " ، وقد تقد م مثا ل : " لو لا أ نّ " ، بقي أ ن نذكر مثا لين يتعلّقا ن ب : " لو لا " و " ولوأنّ " وهمـــا :

ولو آ من أ هل الكتا ب لكا ن خيرا لهم (آ 110 آل عمران 03)

ولو أ نهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم (آ 66 النسا ء 04)

/ الزمان : سبق أن تحدثنا عن قرينتي الحدث وقلنا إنهما عليقتان بالفصل في هيئتيه " فعل " و " يفعل " ، والآن نتحدث عن القرينة الزمانية " كان " التي تدرج القول الفعلي في الماضي أو تنقله الى المستقبل من حيث معناه ، وتكون معه مخبرا مركبا من حيث مبناه . وقبل الشروع في الحديث عن " كان " كقرينة زمانية لا بأس من التذكير : أن " كان "

ـ 1 ـ تكون فعلا تاما أى مخبرا في مثل قوله تعالى :

يا ليتها كانت القاضية (آ27 الحاقة 69) أو في قوله جل وعلا :

كن فيكون (آ 82 يس 36)

ـ 2 ـ تأتي في دال متقطع عبارة على تركيب جامد رغم مجيئها في هيئة " فعل " و " يفعل " انظر الآيتين الكريمتين :

ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض (آ67 الأنفال 08)

ثم : ما يكون لك أن تتكبر فيها (آ 13 الأعراف07)

فمعنى التركيب الأول : ليس له أو ما كان ينبغي له ، حسب القراء ، ومعنى التركيب الثاني : لا يصح لك ولا ينبغي لك .

بعد هذا ننظر في " كان " كقرينة زمانية ونقول انها تدخل على المخبر الفعل في صيغة " فعل " وفي صيغة " يفعل " بهيئتيها : " فعل " و " يفعل " وعلى هذا فالمفروض وجود أربعة ضروب من التراكيب :

كان فعل ـ كان يفعل ـ يكون فعل ـ ويكون يفعل ـ

واننا لم نجد في المدونة الا الضروب الثلاثة الأولى ، أما الضرب الأخير فوجوده مشروط بتقدم قرينة النفي عليه : وذلك في مثل قوله تعالى :

أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات . (آ 50 غافر 40)

بعد هذا نعود الى الضروب الثلاثة الأخرى فنعرض أمثلتها :

أولا : كان فعل يغلب وروده مع الشرط ولكنه ورد أيضا بدون شرط

في قوله سبحانــــه :

جزاء لمــــن كان كفــــر (آ 14 القمر 54)

ثانيا : كان يفعل ، مع ورود السند بعد المخبر المركب مثل :

ونذر ما كان يعبــد آباؤنــــا (آ 70 الأعراف 07)

ومع توسط السند جزأي المخبر المركب مثل :

أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير (آ 21 لقمان 31)

ثالثا : يكون فعل ، ورد في تركيب طريف بعد : " عسى أن " في هاتين الآيتين :

وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم (آ 185 الأعراف 07)

قل عسى أن يكون ردف بعض الذى تستعجلون (72 النمل 27)

قبيل إختتام الحديث عن القرينة الزمانية " كان " نلفت النظر الى هذا التركيب

في القرآن الكريم : " ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء

(آ 18 الفرقان 25)

حيث أن القرينة الزمانية " كان " تدخل على العبارة الجامدة : ما ينبغي لـ

ة بمعنى ما يأتي أو لا يتمّ " أو لا يحصل لنا وهي الدالة على الاستحالة ، وقد وردت

هذه العبارة خمس مرات في القرآن الكريم بهذا الشّكل وورد ت مرّة واحدة في سورة

" يــس " على النحو التالي :

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر (آ 40 يــس 36)

وهو من نفس الأصل ، الا أن تقديم الاسم وضرورة اعادة ذكره مستبد لا بالضمير

عقدا صورة تركيبية ، فعندما اقترنت بها " كان " فتوسّطت جزأيها الأولين

أدرجتها في الزمان الماضي .

<u>الكيفيـــــة</u> : من الائتلاف الذي يعرفها الفعل اتصاله بأشباه الأفعال التي

تنحصر وظيفتها في الدّلالة على الكيفية التي يتم بها الحدث أو الدّلالة على الحالة

التي يقع بعها الفعل ويمكن أن نقول أن أشباه الأفعال هذه مساعدة ، حالها كحال " كان " كما بين التحليل ، وعليه فانها تكون مخبرا مركبا مع الفعل الحقيقي الذى تتصل به . وهذه القرائن هي : كاد وطفق وأقبل وقام وظل وفتىء ولايزال وعسى أن وأصبح .

ورد شبه الفعل " كاد " في القرآن الكريم بصيغتيه : كاد / يكاد ولكن هاتين الصيغتين لا تأتلفان مع الفعل الحقيقي الا وهو في هيئة " يفعل " مثال ذلك :

فقد كدت تركن اليهم (آ 74 الاسرا ء 17)

و : يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار (35 النور 24)

ما عدا القرينة الكيفية " كاد " التي وردت في صيغتي " فعل " و " يفعل " فان بقية القرائن الكيفية قد وردت على وجه واحد مثال :

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . (آ 121 طه 20)

لمزيد من التدقيق ينظر في أمثلة القرائن الأخرى في التحليل .

بعد هذا نقول ان الفعل يأتلف مع المكتفيات ومع الكيفيات والقول في هذا مفصّل في التحليل وأمثلة كثيرة جدا ومتنوعة . ومن طريف ما ورد في القرآن الكريم توافق بعض الأفعال في ما بينها .

1 ــ دون معلق بينها أو أداة واسطة واصلة لنتآلفهما كما هو مألوف في قوله تعالى : ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم (آ 102 النساء 04)

2 ــ دون وجود فعل يأتلف مع مفعول استنباطي مثل :

اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا (آ 36 يوسف 12)

3 ــ دون ائتلاف شبه فعل بفعل حقيقي لتكوين مخبر مركب كما هو الحال في :

كانا يأكلان الطعام (آ 75 المائدة 05)

وهذا الضرب من التوافق منه ما يتيسر فهمه بعد امعان النظر في علاقات الافعال بغيرها من الوحدات والتنبه الى وظيفتها الأساسية مثل :

الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (آ 57 الاسراء 17)

فالفعل الأول في هذه الحالة تابع للاسم المبهم : " الذين " ويكون معه كلاً لا يقبل التجزأة ، يمكن استبدا له باسم واحد ، وعليه فالفعل الثاني هو المخبر والأساس الذي يلبني عليه القول ، فظاهر الالتباس يزول بعد هذا التحليل ويبقى الشكل قائما مميزا .

أما المثال الثاني من الائتلافات بين فعلين دون واسطة ، فهو الذي يأتلف فيه فعل في صيغة الأمر بفعل في صيغة غير المنقطع مثل ما هو الحال في :

رب أرني انظر اليك . (آ 143 الأعراف 07)

الفعل الأكثر تواترا من الفعل السابق هو : " وذر " مثل :

ذروها تأكل في أرض الله (آ 73 الأعراف 07) أو : ذرهم يخوضوا (آ 83 الزخرف 43) .

أما المثال الثالث فيتألف فيه غير المنقطع بغير المنقطع في قوله جلّ وعلا :

أفغير دين الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (آ 64 الزمر 39)

وأما المثال الرابع والأخير ففيه يتوافق الفعل غير المنقطع بالمنقطع مثل :

ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا (آ 27 هود 11)

ـ 2 ـ قسم الأسماء :

عند عرضنا لقسم الأفعال وضحنا أن الحد بين هذا القسم وبين ما يمكن أن يدخل في قسم الأسماء غير واضح المعالم لما يمكن أن يحدث من التباس لما تحمله الوحدة الواحدة من معاني مختلفة من جهة ولا شتراك هذه المعاني في الشكل الواحد ، وقد بينا ذلك في ما سبق ، ولكننا نعود اليه الآن لأنه كما تعلق الأمر بالفعل يتعلق الأمر ببعض الأسماء في لغة العرب ، وفي القرآن الكريم مثل : أحمد ، آزر ويحي ولكن الغالب في الأسماء أنها قسم مجموعاتا ثم بذاته يندرج تحته قسمان :

ـ أ ـ قسم أسماء الأعلام مثل : آدم ، ابراهيم ويعقوب وهي في شكل كلمات وثمة مجموعة أخرى ترد في شكل أنساق مثل : آل عمران ، أم القرى وبنو اسرائيل .

ـ ب ـ قسم أسماء الجنس : مثل رجل وامرأة وذئب وبقرة .

لقد تبين بعد التحليل أن أهم مميزات قسم الأسماء ، تعدد وظائفه فهو يمكن أن يكون في مخبر ويمكن أن يكون مسندا أو باسطة ، كما يمكنه أن يكون نواة لمركب مكثف أي أنه يمكن للاسم أن يكون في وظيفة غير أولية (كما يمكنه أن يكون في وظيفة غير أولية) كما يمكنه أن يكون منادى ، اليك أمثلة من القرآن الكريم لما سبق ذكره من الوظائف .

أنا يوسف (آ 90 يوسف 12)

أقتلوا يوسف (آ 09 يوسف 12)

اذ قال ابراهيم لأبيه آزر (آ 74 الأنعام 06)

ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا (آ 25 التوبة 09)

يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات . . . (آ 46 يوسف 12)

يا مريم اقنتي لربك واسجدي (آ 43 آل عمران 03)

اعتمادا على هذه الوظائف يمكن أن نقول إن الاسم يحتمل مجموعة من الائتلافات والموافقات نصنفها صنفين أساسين : صنف عليق بالاسم مطلقا سواء كان في جملة فعلية أو في جملة اسمية ، وصنف يحدد قرائن تدخل على الجملة الاسمية اختصت بها أم لم تختص بها . ولنبدأ بالصنف الأول لاعتبارات عملية (تصاعدية) في التركيب .

لام التخصيص* قرينة خاصة باسم الجنس كاختصاص التاء بالمتقالع من الأفعال والحق إن هذه القرينة تتعاقب مع قرينة أخرى على الاسم هي قرينة التنكيـــر ، فكلتا القرينتين تتوافق مع الاسم ولكن على حدة (ذلك لأنهما يتنافران) فان وجدت احداهما امتنع وجود الأخرى . والفرق بين اقتران الاسم بلام التخصيص (أو التعريف) واقترانه بنون التنكير (أو التمكين) هو أن الاسم المخصص باللام ، يمكن أن يأتي في سياق القول أو في آخره فيبقى التخصيص لا صوتا ودلالة وكتابة ، ولكن التنوين يستبدل جهرا بالضم والفتح والكسر عند اضافة الاسم النكرة الى اسم معرفة . وعندما يتبع الاسم النكرة بنعت فلا بد من استقرار التنوين فيه . وحين ينتهي القول أو الجملة بالاسم النكرة فان الوقف يكون بالسكون في حالتي الضم والكسر ، ولكن في حالة النصب تزاد الألف كتابة ، أما دلالتا فيلحق الصوت مع الفتح فيمد ، وهو دليل على انقطاع الكلام . والزمخشري يقول في هذا : جعلت فواصل الآي كقوا في الشعـــر .

ان هذا الذي يذكره بالنسبة للنكرة مع الفتح قد ورد أيضا بالنسبة للمعرفـــة في قولـــه تعالـــى :

(*) هي لام ساكنة لفظا ، ان هي ائتلفت مع مجموعة من الحروف المعروفة "بالقمرية" وهي مضاعفة للصامت الأول من الاسم بحيث يكون الصامت الأول ساكنا وضعفه متحركا على الوجه الذي كان عليه قبل التعريف في ما يسمى بمجموعة الحروف الشمسية . وبهذا يكون للتخصيص في لسان العرب من حيث نطقـــه وجهان لمدلول واحـــد .

يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا [+] (آ 66 الأحزاب 33)

هذا وإن الاسم النكرة ليخصص بإضافته الى اسم معرفة بذاته (أي اسم علم) مثل : امرأة عمران أو معرّف باللام مثل : عباد الرّحمان أو ربّ السماوات ، كما يخصص الاسم بإضافته الى ضمير متّصل : كتابي أو بصرك ، والملاحظة أن الاسم النكرة يتقدّم فيتبعه الاسم المخصّص ـ أما الذي يخرج الاسم المخصّص من التعريف فينكّره هذه القرينة الخاصّة بالأسماء وهي في صيغة الجمع ، وهذه القرينة تذكّر وتؤنّث وفقا للاسم التابع لها ، أو ما يحلّ محلّه مثال ذلك :

انها لاحدى الكبر (آ 35 المدثر 74)

و : أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل (آ 266 البقرة 02)

<u>العدد</u> : ونقصد به هنا التثنية والجمع وقد سبق الحديث عنهما في عرض قرائن الفعل ، الا أنّ الذي يتميّز به الاسم هو أنّ الاسم المثنى وجمع السّلامة في الأسماء يقترنان على التوالي بالألف والواو (أو بالفتحة المدية نطقا) في حالة الرفع ، ويقترنان بالياء (أو الكسر المدى لفظا) في حالتي النصب والجر مثل : فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان . (آ 282 البقرة 02)

و : آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون (آ 285 البقرة 02)

و : وبشّر المؤمنين (آ 223 البقرة 02)

أما اذا كان الاسم مؤنّثا فجمع السّلامة فيه يكون بفتحة مدّية وتاء (ألف وتاء) مثل :

ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ (آ 221 البقرة 02)

(+) يقول الفراء في هذا : يوقف عليها بالألف ، وكذلك أضلونا السبيلا والظنونا يوقف على الألف لأنها مثبتة فيهن ، وهي مع آيات بالألف ورأيتها في مصاحف عبد الله بغير الألف . وكان حمزة والأعمش يقفان على هؤلاء الأحرف بغير ألف فيهن . وأهل الحجاز يقفون بالألف وقولهم أحب الينا لاتباع الكتاب . ولو وصلت بالألف لكان صوابا ، لأن العرب تفعل ذلك ، وقد قرأ بعضهم بالألف في الوصل والقطع ـ معاني القرآن ج 2 ، ص 350 .

اننا لا نتعرّض هنا لجمع التكسير في الأسماء ، لأنه تصريفي لا تركيبي فولد مثلا يجمع على أولاد أو ولدان ، وكاتب يجمع على كاتبون أو كتبة أو كتاب أو كتّب ، والمرجع في جمع التكسير استعمال العرب ، ونحن اذ نتكلم لسانهم نسير على هديهم ، فلا يحق لنا تغيير صوت واحد ولا استبداله ولا يحق لنا أن نقول كان الواجب أن يقولوا ... مذريان في مذروان . كما أنّه لا ينبغي لنا أن نقول ان " فُعّل " أتى في كلام العرب للجمع الواحد دون أن نلتفت الى عمل اللغويين العرب وتنبيههم الى نسبة الواحد في هذه المسألة وفي غيرها بالنظر الى الجمع فنتصرّف في كلام العرب وفق هوانا .

التأنيث : ان الذى نريد أن نقف عنده من تأنيث الأسماء هو القرينة الخاصّة بها . والذى يتميز به الاسم المذكّر عن الاسم المؤنّث والسّكون ، فان أريد التأنيث استبدل السّكون فتحا في آخر صامت من الاسم مثل : مؤمن مؤمنة+، اذا انقطع الكلام ، ... وعلامة هذا الفتح تاء في الكتابة . وتطفو هذه التاء على السّطح أى تظهر في اللفظ اذا توسّط الاسم المؤنّث الكلام أو كان في أوّلـــه والذى نقوله في الاسم يصدق على الصفة مثال ذلك :

ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم (آ 221 البقرة 02)

فيها عين جارية + ... وزرابي مبثوثة+ (آ 12ـ16 الغاشية 88)

الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة+ (آ02 النور 24)

النـــداء : ومما يتوافق مع الاسم ويختصّ به قرائن النداء ، وهي : يـــا وأيها ويا أيها وأيّتها ويا أيتها . " يـــا " تتوافق مع الاسم مذكّرا كان أو مؤنثا مثل : يا مريم ، يا ابراهيم أما " أيها " فتأتلف مع الاسم المذكر مفردا كان أو جمعا مثل يوسف أيّها الصّديق افتنا (آ 46 يوسف 12) أو : فما خطبكم أيها المرسلون (آ 57 الحجر 15) .

وشأن يا أيها كشأن أيها مثال ذلك :

+ التاء : لا ينطق بها فانما هو فتح قد يتبع بهاء خفيفة جدا تسمى هاء السكت

يا أيها النا س اعبدوا ربكم (آ 21 البقرة 02)

و : يا أيها الرّسول لا يحزنك قول الذين يسارعون في الكفر (آ 41 المائدة 05)

انّ القرينتين : أيّتها ويا أيتها تختصّان بالمؤنث ، وقد وردت الأولى مرّة واحدة

في القرآن الكريم في قوله تعالى :

ثمّ أذّن مؤذّن أيّتها العير (آ 70 يوسف 12)

وردت " يا أيتها " مرّة واحدة أيضا في القرآن الكريم ، وذلك في قوله سبحانه :

يا أيتها النّفس المطمئنّة ارجعي الى ربّك راضية (آ 27 الفجر 89)

وقريب من قرائن النداء ، قرينة التنبيه " ها " التي لا تأتلف الا مع الضمائر

المنفصلة وقد وردت أربع مرّات في مدوّنتها متبوعة بضمير جمع المخاطبين

" أنتم " في كلّ مرّة ، ومثال قرينة التنبيه هو :

ها أنتم حاججتم في مالكم به علم (آ 66 آل عمران 03)

ان الاسم يقترن بمجموعة من الوحدات النحوية تدخل تحت أقسام عدة

سيأتي الحديث عنها بالتفصيل ان شاء الله ، ونكتفي هنا بذكر مثال من كلّ قسم

منها :

ـ الاشارة : مثل ان هذه أمتكم أمّة واحدة (آ 92 الأنبياء 21)

وفي حال ائتلاف اسم الاشارة باسم آخر فقط فان اسم الاشارة يكون في وظيفة

السند عوضا عن أن يكون بدلا .

ـ بعض الأسماء الخاصّة : بعضها يفيد التعميم والاحاطة أو يقصد به الكلية

وبعضها يقصد به الجزئية والتبعيض أو الابهام والتنكير ، وقد تضاف هذه

الأسماء الخاصّة الى الاسم النكرة فتتوافق معه : مثل :

ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت (آ 281 البقرة 02)

كما أنها قد تضاف الى المعرّف من الأسماء في :

كلّ الطعام كان حلّا لبني اسرائيل (آ 93 آل عمران 03)

ـ المضيفات : وهي كثيرة تختصّ بالأسماء وحدها دون الأفعال مثل :

الحمــــــد للـــــــه (آ 01 الفاتحة 01)

وهي تتوافق مع الاسم المخصّص كما هو الحال في المثال السابق كما تتوافق مع الاسم غير المخصّص في :

وهم في غفلـــة معرضـــون (آ 01 الأنبياء 21)

هذا وان بعض الوحدات النحوية التي تدرج في قسم ما قد تتّحد مع قسم آخر لتدلّ على معنى خاصّ مثل : كم من قرية ، وكم ملك في السماوات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئا (آ 36 النجم 53) ، والملاحظ أنّ كم من لا تدخل الا على الاسم غير المختّص .

بعد هذا نبيّن أن الاسم كقسم قائم بذاته يكون مخبرا في الجملة الاسمية ، وتتميّز هذه الجمل الاسمية بقرائن تأتلف مع الاسم :

ـ من النفي : مثلا : ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا . (آ 67 آل عمران 03)

ـ الاستفهام : تأتلف بعض قرائن الاستفهام مع الاسم وحده ، ويكون ائتلافهما صيغة السّؤال ، مثل : متـى نصــر الله ؟ (آ 214 ـ 02) أو : أنّى هذا؟ (آ 165 آل عمران 03) وانه لا بد من التنبيه الى أنّ بعض قرائن الاستفهام قد تدخل الاسم دون الفعل في القول مثل : أ بشرا واحدا منا نتبعه (آ 24 القمر 54) وهذا ازاء ما يرد في القول الفعلي في قوله تعالى : أ بعث الله بشرا رسولا (آ 94 الاسراء 17) . ومن القرائن الاسمية المؤتلفة بالاسم فـي القول الاسمي هذا المثال : أى الفريقين أحق بالأمن (آ 81 الأنعام 06)

ـ التوكيـد : للتوكيد قرائن تأتلف مع الاسم في القول الاسمي مثل :

ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منّا . (آ 08 يوسف 12)

ومع الاسم في القول الفعلي : وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب (آ 78 آل عمران 03) .

أمّا التوكيد الذي يتوافق مع القول الاسمي كلّه فمثاله :

ان الله لهو العزيز الحكيم . (آ 62 آل عمران 03)

ـ الزمان : تأتلف كان مع القول الاسمي مثال ذلك :

كان الناس أمة واحدة . (آ 213 البقرة 02)

وتأتلف مع الاسم المكون لسند القول " الفعلي " اذ أن أشباه الأفعال كلّها سواء الدالة على الزمان أو الدالة على الكيفية ، تقترن حالها حال الأفعال بالضمير (بالضمير) المشارك الذي ينعكس فيه الشّخص وجنسه وعدده .

ـ العدد (مرّة أخرى) انه بغضّ النظر عن الوظيفة يأتي فيها العدد كوحدة معجمية لا كوحدة نحوية ، فان العدد يتوافق مع الاسم ، فيكون موضع ائتلافه به على النحو التالي :

ـ 1ـ يتأخّر عليه جبرا اذا كان بسيطا من واحد الى اثنين ويتبعه من حيث الجنس مثل :

ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (آ 28 لقمان 31)

ثمّ : لا تتّخذوا الاهين اثنين (آ 51 النحل 16)

ـ 2 ـ يضاف الى الاسم (بمعنى يتقدّمه) من ثلاثة الى عشرة مثال :

فسخّرنا عليهم سبع ليال وثمانية أيام (آ 07 الحاقة 69)

ـ 3 ـ تتقدم الاسم اذا كانت مركّبة مثال :

انّي رأيت أحد عشر كوكبا . (آ 04 يوسف 12)

و : ان عدّة الشّهور عند الله اثنا عشر شهرا (آ 36 التوبة 09)

ـ الصفة : تأتلف مع الاسم

(1) نكرة كان أو معرفة مثل :

لها كتاب معلوم (آ 04 الحجر 15)

و : حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب (آ 1ـ2ـ3 غافر 40)

(2) مذكرا كان أو مؤنثا ، مفردا كان أو جمعا مثل :

انها بقرة صفراء فاقع لونها (آ 69 البقرة 02)

ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (75 النساء 04)

فترى القوم فيها كأنهم أعجاز نخل خاوية (آ 07 الحاقة 69)

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم (آ 29 الفتح 48)

الملاحظة أن الصفة قد تأتي على صيغة اسم الفاعل مثل ما ورد في الأمثلة السابقة غافر الذنب قابل التوب الظالم أهلها ، الا أن الاسم التابع لاسم الفاعل - والذى هو في وظيفة غير أولية - ان كان مخصصا بضمير متصل عائد على الاسم الموصوف ، ارتفع جبرا .

- الموصلات : ان كانت الصفة لها امكانية تقم الاسم لأغراض أسلوبية ، فان الموصلات تأتي بعد الاسم فتأتلفه ، ولكن الذى تنفرز به الموصلات هو أنها لا تتوافق الا مع الاسم المخصص ، ونوع الموصل يتبع الاسم في تذكيره وتأنيثه (أى في جنسه) وعدده . هذا وان الموصل يتبع . . جبرا بمخبر فعلي أو اسمي مثل :

فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (آ 2 - 3 البقرة 02)

و : وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السماوات. . .
(آ 8 - 7 البروج 85) .

- 3 - قسم قرينتي التنكير والتعريف :

بعد عرض قسم الأسماء الذى هو قسم معجمي ، نعرض الآن قسما نحويا تكونه قرينتا التنكير والتعريف (أو التخصيص) . واننا جمعنا هاتين القرينتين لأنهما تتعاقبان على اسم الجنس خاصة ، فالتنكير يجسده التنوين ، والتنوين عبارة عن نون ساكنة تلحق الاسم نطقا . وان ما يرد من وجوه رسم التنوين خطا بوضع رفعتين أو نصبتين أو جرتين انما هو في اعتبارنا دال ملفم مزج فيه المصوتات الأخير

من الاسم ـ (بحسب موقعه من القول وعلاقته بالمخبر الفعلي) ـ والنون الساكنة الدالة على التنكير ، انظر الأمثلة التالية :

وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى	(آ 20 يس 36)
فزادهم الله مـرضـا	(آ 10 البقرة 02)
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا	(آ 25 البقرة 02)

الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج

مطهّرة ورضوان من الله .	(آ 15 آل عمران 03)
فأذنوا بحرب من الله ورسولـه	(آ 279 البقرة 02)

هذا وإن التنكير قد يلحق بعض الأسماء المبهمة مثل : كلّ وبعض مثل :

كلّ له قانتـون	(116 البقرة 02)
وكلا وعد الله الحسنى	(آ 95 النساء 04)
ولكلّ جعلنا موالي ممّا ترك	(آ 33 النساء 04)

ان القرينة الدالة على التعريف هي : "ال" (ألف ولام ساكنة كتابة) أما نطقا فيجب التفريق بين نوعين لهذه القرينة ، فهي لام ساكنة مع ما يسمى بالحروف القمرية وهي مع ما يسمى بالحروف الشمسية مضاعفة أوّل صامت من الاسم المعرّف بحيث يكون الصامت الأوّل ساكنا ويكون ضعفه متحرّكا بحركته قبل التعريف .

هذا وإن الاسم المعرّف مهما كان صنف الصامت الأوّل منه ، إن تصدّر الكلام فإنه لا بدّ له من همزة خفيفة مفتوحة تمكّن من النّطق بـه ورسم هذه الهمزة الخفيفة هو الألف .

4 - تقسيم العدد

العدد ينقسم منحصياً تاماً بذاته متعدد الوظائف منه البسيط ومنه المركّب وينقسم الى قسمين رئيسيين : العدد الأصلي والعدد الترتيبي .

أ - فالأصلي : البسيط منه يبتدأ بواحد وينتهي عند عشرة . ويمتاز أوّل العدد بائتلافات لم ترد في غيره من الأعداد الأخرى ، من هذه الائتلافات اقتران الواحد بلام التعريف دون أن تدرجه في تقسيم الأعداد الترتيبية مثل :

وهو الواحد القهار (آ 16 الرّعد 13)

ومنها اقترانه بلام التوكيد مثال :

ان إلهكم لواحد (آ 04 الصافات 37)

أيضاً من الائتلافات التي يعرفها أوّل العدد الأصلي دخول "كلّ" عليه في قوله عزّ وجلّ :

آتت كلّ واحدة منهن سكيناً (آ 31 يوسف 12)

ان ثاني العدد حاله كحال أوّل العدد الأصلي في التذكير والتأنيث ولا يعرف قرينة أخرى غير قرينة التأنيث مثال ذلك :

اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم (آ 106 المائدة 05)

و : فان كانتا اثنتين .... (آ 176 النساء 04)

هذا وان ثاني العدد قد ورد في القرآن الكريم تواة للوحدة "فوق" في : فوق اثنتين بمعنى ما زاد على ومثال ذلك ما ورد في قوله سبحانه :

فان كنّ نساء فوق اثنتين (آ 11 النساء 04)

أمّا بقية الأعداد من ثلاثة الى عشرة فترد منعزلة وتأتي مضافة مثال ذلك :

ولا تقولوا ثلاثة (آ 171 النساء 04)

وفي : فصيام ثلاثة أيام في الحج (196 البقرة 02)

كان هذا حال الأعداد البسيطة ، أمّا الأعداد المركبة فتركيبها يتمّ بائتلاف الأعداد من واحد الى تسعة مع العشرة . والأمر الذي يجب ذكره بالنسبة لها هو أنها بخلاف الأعداد المطابقة التي تذكّر مع المؤنث وتؤنث مع المذكّر : مثل :

صّخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما (آ 07 الحاقة 68)

فانّ الأعداد المركّبة تذكر بجزأيها مع المذكّر ، وتؤنّث مع المؤنّث مثل :

ان عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا (آ 36 التوبة 09)

و : فانجرت منه اثنتا عشرة عينا . (آ 60 البقرة 02)

بعد الأعداد المركّبة تأتي الأعداد المضاعفة أو العقود فالعشرات منها تجمع جمع السّلامة ، وتتصرّف بحسب مواقعها من القول ووظائفها مثل :

وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة (آ 15 الأحقاف 46) .

أما المائة والألف فلا تأتي الا على هيئة واحدة للمؤنّث والمذكّر ، فحالها كحال الأعداد المضاعفة مثل

وأماته الله مائة عام (آ 159 البقرة 02)

يودّ أحدكم لو يعمّر ألف سنة (آ 96 البقرة 02)

ب ـ العدد الترتيبي . بالاضافة الى التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير التي تعرفها الأعداد الأصول تمتاز الأعداد الترتيبية بائتلافاتها بالضمائر المتّصلة مثل :

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (آ 22 الكهف 18)

أيضا يمكن أن يدرج العدد الترتيبي مضيف مثل :

ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأوّلنا وآخرنا (آ 114 المئدة 05) .

ومن خصائص العدد الترتيبي ، توافقه مع قرينة الجمع بنوعيها حسب موقعها من القول مثل :

بل قالوا مثل ما قال الأوّلون (آ 81 المؤمنون 23)

و : قل ان الأوّلين والآخرين لمجموعون (49 الواقعة 56)

هذا وان الأعداد الترتيبية يمكن أن تكون نواة لوحدة أخرى مثل :

ومضى مثل الأوّلين (آ 8 الزخرف 05)

كما يمكن أن تكون تابعة لنواة أخرى تضاف اليها ، عكس ما سبق وتكون هذه الوحدة عدد أصلي مثل :

لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (آ 73 المائدة 05)

5 - تقسيم الاشارة

أسماء الاشارة تقسم معجمي عدد وحداته محدود جدا وتمتاز بتواترها الشديد في القرآن الكريم، وتصنف هذه الوحدات باعتبار جنس المشار اليه ثم باعتبار عدد ما يشار اليه (من مفرد ومثنى وجمع) وكذلك باعتبار قرب المشار اليه وبعده وان هذه الاعتبارات كلها تتداخل فتصاغ تنوعا لوحدات هذا التقسيم يلفت النظر نقدم اليك جرده في ما يلي :

مفرد		مثنى		جمع
مذكّر / مؤنّث		مذكّر / مؤنّث		
				أولائك
ذا		ذان (ك)		أولاء .. أولائ (كم)
هذا	هذه	هاذان	هاتين	هؤلاء
ذلك	تلك			
ذلك (م)	تلك (ما)			
ذلك (ن)	تلك (م)			

ان ما تجدر الاشارة اليه هنا أمران

1 - أن أسماء الاشارة المستعملة للمشار اليه القريب : "ذا" أو " أولاء "، تسبقها " ها " مفتوحة أجمع اللغويون على تسميتها " هاء " التنبيه . والملفت للنظر أن التحليل بيّن لنا أنّ الوحدات التي تأتلف مع التنبيه أكثر عددا وأكثر استعمالا من الوحدات المجرّدة من " هاء " التنبيه فالمجرّدة هي بنسبة الخمسين .

2 - ائتلاف أسماء الاشارة المستعملة للقريب والوسيط والبعيد بالوحدة النحوية الدالة على المخاطب والوحدة النحوية الدالة على جنس المخاطب وعدده، في سياقات يوجّه فيها الخطاب للفرد وللشخصين وللجماعة ذكرانا واناثا : مثل :

وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا (آ 91 النساء 04)

فذانك برهانان من ربك (آ 32 القصص 28)

ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها (آ 43 الأعراف 07)

فذلكن الذي لمتنني فيه (آ 32 يوسف 12)

كذلك قال ربك هو علي هين (بكسر الكاف في ذلك) (آ 21 مريم 19)

وأخيرا : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة (آ 22 الأعراف 07)

بعد هذا نشير الى أن توافق أسماء الاشارة متنوع في القرآن الكريم
ف "ذا" مثلا لم تأت الا في تركيب واحد : من + ذا + الذي + يفعل ، مثل :

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا (آ 245 البقرة 02)

أما بقية الوحدات الأخرى فتأتي في توافقات مطابقة لتوافقات الاسم الدال
على الجنس ، نقتصر على هذه الأمثلة منها :

أذهب بكتابي هذا (آ 28 النمل 27)

إنْ هذا الا أساطير الأولين (آ 31 الأنفال 08)

ويغفر ما دون ذلك (آ 116 النساء 04)

وفي ذلكم بلاء من ربكم (آ 49 البقرة 02)

وفي الاستعمالات الخاصة بالقرآن الكريم لأسماء الاشارة ورود
اللام في اسم الاشارة لعظمة المشار اليه القريب ، حتى لغير العاقل مثل :

ذلكم الله ربي (آ 30 يونس 10)

و: مه تلك بيمينك يا موسى (آ 17 طه 20)

أيضا قد يشار بالوحدة " ذلك " الى ما ولي مثل:

ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (آ 58 آل عمران 03)

تماما كاستعمال " هذا " في قوله سبحانه:

ان هذا لهو القصص الحق (آ 62 آل عمران 03)

ومما نلفت النظر اليه ان اسم الاشارة " ذلك " يدرجه المضيف " كَ " (بالفتح) وحاله كحال أي اسم ، ولكن المركب : كذلك ، وكذلك ، لكثرة استعماله ، فانه يؤدى وظيفة الرابط بين قولين ، انظر مثلا :

فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى (آ 73 البقرة 02)

و: قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك . . . وكذلك يجتبيك ربك (آ 5/ 6 يوسف 12)

اذا كانت هذه وظيفة الوحدة " ذلك " أو " كذلك " فان الوحدة " أولئك " وردت في القرآن الكريم بتواتر كبير ، قبل انتهاء القول وقبل انتهاء الجملة كمخصص معجمي للاسم المبهم " الذين " وصلته فوظيفته كوظيفة ضمير الفصل بين السند السابق والمخبر اللاحق به ومعناه التأكيد انظر هذا المثال:

والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (آ 51 الحج 22)

بالاضافة الى هذا وجدنا أثناء التحليل أن اسم الاشارة يمكن أن يكون مركز نواة فيخصص اسم نكرة بالتبعية له ويكون الكل سندا لقول فعلي المخبر مثل:

ومكر أولئك هو يبور . (آ 10 فاطر 35)

والطريف في هذا التركيب الفعلي وجود ضمير الفصل " هو "

ـ 6 ـ قسم الضمائر

هو قسم نحوي في جريدة محدودة ، يتفرع الى قسيمين رئيسيين باعتبار ائتلافاته مع قسم الأسماء أو قسم الأفعال . والظاهرة الرئيسية البارزة التي ينفرز بها كلّ قسيم عن الآخر ، هو الاتصال سلبا وايجابا أو الانفصال كتابة أما نطقا ، فالموضع هو الذي يحدد القسيم وضربه .

1ـ1 ـ قسم الضمائر المنفصلة : يمكن لهذه الضمائر أن تقوم بوظائف عدّة وفق ائتلافات متنوعة ، ففي وظيفة السند يأتلف المنفصل مع الاسم ، كما يأتلف مع الفعل مثل :

أنا يوسف (آ 90 يوسف 12)

أنا أحيي وأميت (آ 258 البقرة 02)

كما يمكن للضمير المنفصل أن يقوم بوظيفة العماد سواء كان ذلك في القول الاسمي أو القول الفعلي ، حيث يتوسّط الضمير المنفصل اسمين معرّفين أو ما يقوم مقام المسند منهما مثل :

الله هو الغني (آ 15 فاطر 35)

كنت أنت الرّقيب عليهم (آ 117 المائدة 05)

وتواتر هذا الضرب من الائتلاف في القول الفعلي أقل وهو خاص بالقرآن الكريم ومثاله :

ومكر أولئك هو يبور (آ 10 فاطر 35)

ومن موافقات الضمائر المنفصلة الكثيرة نذكر ائتلافها مع قرائن الاستفهام مثل :

أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الاهين (آ 116 المائدة 05)

أو بتسهيل الهمزة الثانية : " ءآنت " برواية ورش ، وهي مسألة صوتية بحتة .

ومع القرينة الاستفهامية هل نذكر هذا المثال :

هل أنتم منتهون (آ 91 المائدة 05)

ومع قرينتي النفي الواردتين في دال متقطع : ما . . . ب و : لا . . . ولا نذكر هذين الضربين من ائتلافات الضمائر المنفصلة :

ما أنا بمصرخكم (آ 22 ابراهيم 14)

و : لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ (آ 10 الممتحنة 60)

أيضا يأتلف الضمير المنفصل مع لام التوكيد مثال ذلك :

لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله (آ 13 الحشر 59)

وممّا تتميّز به الضمائر المنفصلة امكانية تعريفها بالاسم المبهم وصلته ، مثل :

هو الذى يصوّركم في الأرحام كيف يشاء (آ 06 آل عمران 03)

وامكانية ائتلافها بـ " ها " التنبيه مثل :

ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم (آ 119 آل عمران 03)

هذا وان الضمير المنفصل قد يرد في الضمير المتصل فيوا ليه مؤكدا له مثال ذلك في القول الفعلي :

فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله (آ 28 المؤمنون 23)

وفي القول الاسمي يكون الائتلاف كالتالي :

انّك أنت الوهاب (آ 08 آل عمران 03)

ـ 2 ـ قسم الضمائر المتصلة : ويتميز بتنوع أشكاله ، انظر الجدول التالي ، وقد ذكّرنا في أوّل واحد منه بالضمائر المنفصلة وقد قابلناها بالضمائر المتصلة بالفعل المنقطع وبالفعل غير المنقطع ثم بالضمائر المتصلة بالاسم ثمّ بالضمائر التي تأتي باسطات وقد تفرّعت الى باسطات تتقدّم المخبر وباسطات تلي المخبر:

شخص جنس عدد		الضمائر المنفصلة	الضمائر المتصلة بالمنقطع	بغير المنقطع	بالاسم	الضمائر الباسطات متأخرة	متقدّمة
مفرد	I	أنا	...تُ	أَ...	ـي	ني	ايا ى
جمع		نحن	نا	نـ	نا	نا	ايانا
مفرد مذ. مؤ.	II	أنتَ أنتِ	تَ تِ	تـ تـ	كَ كِ	كَ كِ	ايا كَ ايا كِ
مثنى مثنى		أنتما	تما	تـ	كما	كما	اياكما
جمع مذ. مؤ.		أنتم أنتن	تم تن	تـ تـ	كم كنّ	كم كنّ	اياكم اياكن
مفرد مذ. مؤ.	III	هو هي	∅ ت	يـ تـ	ـه ـها	ـه ـها	ايا ه ايا ها
مثنى		هما	ا تا	يـ ـا تـ	هما	هما	ايا هما
جمع مذ. مؤ.		هم هن	وا ن	يـ يـ	هم هن	هم هن	اياهم اياهن

حسبنا الضما ئر التي من جنس " ايا ى " في الضما ئر المتصلة لأنها ترد على الدوا م ملازمة للموطأ " إيا " ، والحق ان هذا الموطأ هو الذ ى يجعلها تنفرز عن الضما ئر المتصلة الأخرى ك " اليا ء " المفتوحة و " الكا ف المفتوحة " وغيرهما وقلنا انها تتقدّ م المخبر مثل ما هو الحا ل في :

ايا ك نعبـد وايا ك نستعين (آ 05 الفا تحة 01)

وهذا هو الأصل لأن الغرض من تقديمها أ سلوبي . لكن الواقع أ ن هذا الجنـس من الضما ئر قد ور د في القرآ ن الكريم وقد تأ خر عن المخبر ، وفصل بينهما بباسطة أخرى

وهذا أيضا أسلوب خاص في الكلام يعمد له عمدا ، حاله كحال التقديم تماما ،
انظر الى قوله جل وعلا :

ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم (آ131 النساء 04)

أما أمثلة الضمائر المتصلة بالفعل فنقدّم للتذكير بعض أمثلتها في ما يلي :

ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا (آ 107 الأنعام 06)

قال: أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (آ 38 النمل 27)

أما ائتلاف الضمائر المتصلة بالاسم فيكون للتخصيص مهما كانت الوظيفة .

هذا هو الجانب المبين من ائتلافات الضمائر المتصلة بالفعل وبالاسم
يبقى جانب آخر فيه أشتات من الوحدات تتصل بها هذه الضمائر هي عبارات
جامدة مثل " حسبك " ، " حسبي " ، " ليتني " أو قرينة النفي : " ليس " أو
قرينة التوكيد : " ان " أو المضيف " لدى " أو " لدن " أو المعلقات مادام
ولكن ، ولعل ، انظر الأمثلة التالية :

فان تولّوا فقل حسبي الله (آ 129 التوبة 09)

يا ليتني لم أشرك بربي أحدا (آ 42 الكهف 18)

لست مرسلا (آ 43 الرعد 13)

وان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (آ118 المائدة 05)

انه لا يخاف لدي المرسلون (آ 10 النمل 27)

لو أردنا أن نتخذ لهوا لا تخذناه من لدنا (آ 07 الأنبياء 21)

وكنت شهيدا عليهم ما دمت فيهم (آ 117 المائدة 05)

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (آ 45 الأنفال 08)

يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين (آ 61 الأعراف 07)

أيضا نشير الى أن الضمائر المتصلة تتوافق مع جميع المضيفات (ماعدا
الكاف التي للتشبيه) ، وهذه المضيفات هي : من ، الى ، عن ، على ، في ، الباء
المكسورة ، ومع ، وتحت ، وفوق ، وغير وعند ومثل وقبل (بكسر القاف وفتح الباء)

وتتركب من هذه الضيغات وحدات أخرى هي فن فوق ومن تحت ومن بعد ...

ونقتصر في ما يلي على مثالين :

فما ل الذين كفروا قبلك مهطعين (آ 36 المعارج 70)

ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به (آ 47 الزمر 39)

وأخيرا نذكر أن الضمائر المتصلة قد تأتلف في ما بينها فتتوالى في التركيب الواحد مشارا بها الى المتكلم فالمخاطب فالغائب مثل :

فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها (آ 37 الأحزاب 33)

أنلزمكموها وأنتم لها كارهون (آ 28 هود 11)

والغالب في الائتلاف هو ضمير المتكلم (في المقطع) مع ضمير المخاطب عموما في مثل :

انا عطيناك الكوثر ... أو : لقد جئناكم بالحق ، أو العكس مثل :

لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة (آ 94 الأنعام 06)

7 - قسـم المبهمات

يحتوى هذا القسم على مجموعة من المبهمات المعجمية تتفرق عن الأسماء خاصّة بكونها تكوّن جردا محدودا ويكون معانيها تدور حول استغراق الأفراد المنكر، وحول الابهام والهوية والتجزأة والبدلية، وهذه الوحدات هي : كلّ وبعض وبضع وجميع وغير وكم ومن وأحد (وقد تقترن بعلامة " فتأتي على صيغة : احدى) وآخر والذى ومن وما.

وما عدا الوحدات الثلاثة الأخيرة التي لها وضع تركيبي خاص فإن بقية الوحدات الأخرى لهذا القسم تأتي على صورتين : مخصّصة وغير مخصّصة. وفي كلتا الحالتين فإنها تكاد تتصرّف تصرّف أسماء الجنس من حيث ... ومن حيث وظائفها وسنبين في ما يلي خصوصيات هذا القسم بالنسبة لمميزات كل وحدة من وحداته في التركيب :

- كلّ : (منونة بالضم) تقوم مقام المسند في القول الاسمي أو ... مثـل :

كـلّ لـه قانتـون (آ 116 البقرة 02)

كـلّ آمن باللـه (آ 285 البقرة 02)

وهذا الاختلاف لا تعرفه أسماء الجنس.

أما "كـلّ" المخصّصة فتكون على الوجوه ... ما عدا التخصيص بلام التعريف وأمثلتها هي :

كلّ الطعام كان حلاّ لبني اسرائيل (آ 93 آل عمران 03)

و : كلهم آتيه يوم القيامة فردا (آ 95 مريم 19)

- بعض : تتميز هذه الوحدة عن بقية وحدات القسم بكونها تتكرر في ... الواحد على أن تكون الصورة الأولى منها مغايرة للصورة الثانية ... تأتي على الدوام مخصّصة والثانية غير مخصّصة ، وتحرى هذه ... لتماريف تركيب هذه الوحدة دون غيرها مثل :

أ فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض (آ 85 البقرة 02)

فضّلنا بعضهم على بعض (آ 253 البقرة 02)

ذرية بعضها من بعض (آ 34 آل عمران 03)

ففي هذه الحالات التي قد ما تفصل بين هاذين الدالين وحدة أو وحدات أخرى ، غير أن وجه توالبهما وارد في الاستعمال مثال ذلك :

فان أمن بعضكم بعضا ف ... (آ 283 البقرة 02)

هذا وان وحدة بعض قد تأتي في دال بسيط (غير مقطع) مضافة الى وحدة أخرى تخصصها مثل :

فقلنا اضربوه ببعضها (آ 73 البقرة 02)

- بضع : وردت مرّتين في القرآن الكريم متعلّقة بلفظة " سنين " وهي غير مخصّصة ففي المرّة الأولى جاء في علاقة مباشرة وذلك في قوله تعالى :

فلبث في السجن بضع سنين (آ 42 يوسف 12)

أما المرّة الثانية فجاءت مدرجة بالوظيفي : " في "

... سيغلبون في بضع سنين . (آ 04 الروم 30)

جميع : تأتي للشمول وتأتي للتأكيد ، وردت أربع مرّات (بالضّمّ والتنوين) منها ثلاث مرات اثر الضمير المنفصل مثل :

وانا لجميع حذرون (آ 56 الشعراء 26)

والملاحظ هنا أنها قد توافقت مع لام التأكيد ، وقد تأتي دون هذه اللام :

نحن جميع منتصر (آ 44 القمر 54)

أما الملاحظة الثانية ، فتتعلّق بالتركيب الذي ترد فيه هذه الوحدة ، فهو أوّلا اسمي ، وثانيا ان المخبر فيه يأتي على وجهين : بصيغة المفرد وبصيغة الجمع انظر المثالين السابقين .

آخر : ميزة هذه الوحدة أنها تأتلف وباطراد مع الوحدات الدالة على الجنس أو العدد أو التخصيص أو معها جميعا أحيانا مثل :

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا (آ 102 التوبة 09)

آخرون معطوف على هذا السياق على " لفظة " : منافقون (دون تخصيص) ، المثال الذي تقدمه في صيغة المثنى :

اثنان ذوا عدل منكم وآخران من غيركم (آ 106 المائدة 05)

ومع ائتلافها بالمؤنث ، ثمّ بالجمع والتذكير والتخصيص تقدّم هاذين المثالين :

قد مننّا عليك مرّة أخرى (آ 37 طه 20)

و : ثمّ أغرقنا ثمّ الآخرين (آ 82 الصافات 37)

أحد : على عكس الوحدة المذكورة سابقا فانها لا تثنّى ولا تجمع ولا تخصّص " باللام " ولكنها تأتلف فقط مع الوحدة الدالة على التأنيث (أحد / احدى) مثال :

ولا يلتفت منكم أحد (آ 81 هود 11)

و " احدى " لم ترد الاّ مضافة : احدى الحسنيين / احدى الطائفتين و :

انها لإحدى الكبر (آ 35 المدّثر 74)

تخصّص الوحدة " أحد " أو " احدى " بالضمائر المتّصلة مثل :

أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة (آ 266 البقرة 02)

أو : فتذكّر احداهما الأخرى (آ 282 البقرة 02)

وقد تسبق هذه الوحدة ، وحدة " من " كما سنبيّنه في التّحليل لتعطي القول دلالة خاصّة مثل :

وما يعلمان من أحد حتى يقولا ... (آ 102 البقرة 02)

غير : كالوحدة " أحد " لا تثنّى ولا تجمع ولا تخصّص بلام التعريف ، بالاضافة الى ذلك فانها لا تأتلف مع الوحدة الدالة على التأنيث ، مثال غير :

فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم (آ 59 البقرة 02)

ان هذه الوحدة مع ما تتصل به من اسم مخصّص ، قد ترد بعد نكرة لتدلّ على البديل ، وقد تتصدّر القول ، فيرد الاسم النكرة بديلا لما اتصلت به مثل :

أغير الله اتخذ وليا (آ 14 الأنعام 06)

كان هذا في حالة الاستفهام وفي غير حالة الاستفهام نذكر قوله تعالى :

ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . (آ 85 آل عمران 03)

أيضا من مميزات هذه الوحدة ، اتّصالها على الدوام بغيرها (ورودها مضافة) نكرة أو معرفة مثل :

ويقتلون النبيين بغير الحق (آ 61 البقرة 02)

و : ويقتلون النبيين بغير حق (آ 21 آل عمران 03)

كم : نسق يرد في أول القول يليه اسم نكرة ليدل على عدد غير محدد مثل :

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله (آ 249 البقرة 02)

ان آخر وحدات هذا القسم هي : الذي ومن وما وتفترق عن الوحدات الأخرى بورودها في تركيب خاص بها ، لأن ما يرد بعد هما جبرا من اسم أو فعل انما يكون بسبب وجودها في القول ، وان أهم ما يلفت اليه الانتباه بالنسبة ل " الذي " وأخواتها أنها تأتي بنفس وظائف الاسم فتكوّن وحدات أولية ، وهذا فانها تفترق عن " الذي " التي تأتي في وظائف غير أولية ، بمعنى تأتي موسعة لوحدات بعدها باسم سابق لها مثل :

ربي الذي يحيي ويميت (آ 258 البقرة 02)

في هذا المثال يقوم " الذي " وصلته بوظيفة المخبر ، أما في وظيفة السند فقد ورد في قوله تعالى :

الذين آمنوا أعظم درجة عند الله (آ 20 التوبة 09)

أما في وظيفة الباسطة الأولية فقد ورد في قوله سبحانه :

لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا (آ 29 فصلت 41)

أو : ربنا أرنا الذين أضلانا (آ 57 المائدة 05)

وفي بقية الآية 57 من " المائدة " تأتي الوحدة " الذي " مدرجة بالمضيف " في " هكذا :

" من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء " ـ وتبين لفظة : الكفار ـ جليا ـ أنها معطوفة على الاسم المبهم وصلته " الذين أوتوا الكتاب "

وزيادة في تأكيد الوظيفة الأولية للاسم المبهم " الذي وصلته " تتقدم هذه الائتلافات مع قرينة النداء : " يا أيها الذين آمنوا ... " مثلما ورد في قوله تعالى :

يا أيها النا س . . .   (آ 01 النساء 04)

ثم ان " الذى وصلته " قد يستقطب اسما نحـو : " مثل " وذلك في قوله عز وجلّ :

مثلهم كمثل الذى استوقد نا را .   (آ 17 البقرة 02)

ومما يوضح هذه الوظيفة الأولية لـ " الذى " اقترانه بلام التوكيد ، ومثال ذلك هو :

ان أوّل بيت وضع للنا س للذى ببكة مبا ركا   (آ 96 آل عمران 03)

كذلك ورود الاسم المبهم وصلته طبعا بعد الجزء الثاني من الدال المتقطع : ان . . . الا . في قوله تعالى :

ان أمها تكم الا اللائى ولدنكم   (آ 02 المجادلة 58)

دليل اضافي على انتمائه لهذا القسم .

وأخيرا وردت الذى وصلتها ، في عبارة تكرّرت أكثر من مرّة جاءت بنفس التركيب في الآيات الكريمة التالية :

وجادلهم بالتي هي أحسن   (آ 25 النحل 16)

و : ادفع بالتي هي أحسن السيئة   (آ 96 المؤمنون 23)

ومن بديع التراكيب التي وردت فيها " الذى " وصلتها الاجبارية الفعلية هذا التركيب الذى يتوالى فيه فعلان ، دون رابط ولا واصل ولا معلق ولا باسطة بينهما في :

أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة   (آ 57 الاسراء 17)

ومن طريف ائتلافات الذى نقدم هذين المثالين :

وراودته التي هو في بيتها عن نفسه   (آ 23 يوسف 12)

و : ذلكن الذى لمتنني فيه   (آ 32 يوسف 12)

من : انه تبين لنا بعد الاستقراء والتحليل أن " من " وصلتها تقوم بوظيفة السند في أقوال كثيرة ، عهد الأقدمون تسميتها بـ : أداة الشرط ، والحق أنها تدل على الاطلاق والتعميم مثال ذلك :

ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارا (آ 14 النساء 04)

ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (آ 85 آل عمران 03)

وحال "من" وحالها كحال "الذي" وأخواتها التي ذكرناها قبل حين،

انظر مثلا :

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم

(آ 15 النساء 04).

والدليل القاطع على ما ذكرنا أن "من" واللاتي والذين وردت معطوفة

انظر الآيات 13 — 14 — 15 — 16 من سورة النساء .

ومن الأدلة على أنها اسم مبهم كونها ترد في وظيفة أولية بصدد

النسق الفعلي : "أنفق على" في قوله جلّ وعلا على لسان المنافقين :

لا تنفقوا على من عند رسول الله (آ 07 المنافقون 63)

ما : حالها كحال سابقتيها : "الذي" و "من" وهي كثيرة التواتر

انظر :

وكشفنا ما بهم من (آ 75 العنكبوت 29)

و : بل قالوا مثل ما قال الأولون (آ 81 المؤمنون 23)

و : له ما في السماوات وما في الأرض (255 البقرة 02)

ث 8 ـ تقسيم أسماء الفاعلين والمفعولين

يتميز هذا القسم عن بقية الأقسام الأخرى بسمتين أساسيتين :
أولاهما : شكلية ، ذلك أن أسماء الفاعلين والمفعولين تأتي وفق صيغ محدودة في لسان العرب لا يمكن للمتكلم أن يخرج عنها وبالتالي فانه لا يمكن التصرف فيها بسهولة أثناء سماع الخطاب أو عند قراءته .
أما السمة الثانية فهي تتصل بالمعنى اذ أن أسماء الفاعلين والمفعولين تدل على معنى الدوام ، دوام الحدث أو الفعل ، ولعله انطلاقا من هذا الاعتبار سمى الكوفيون ـ مثلما سنرى في التحليل ـ اسم الفاعل بالفعل الدائم .
هذا وان وظيفتي أسماء الفاعلين والمفعولين قد تتطابق مع وظيفة الفعل الأساسية التي هي الاخبار ، ومن ناحية أخرى فان علاقة أسماء الفاعلين والمفعولين قد تتطلب بساطة أولية ، حالها في ذلك حال الفعل المكون من نفس المادة المعجمية مثل : فـ ـلـ ـق ـ أو : أ ـ ـتـ ـ م ـ أو : أ ـ ـخـ ـر ـج ـ أو : بـ ـ ـسـ ـط .
انه يمكن توزيع الوحدات المكونة لهذا القسم الى قسمين رئيسيين واضحي الشكل : تقسيم أسماء الفاعلين وتقسيم أسماء المفعولين ، والملاحظ أن التقسيم الأول أكثر تواترا وانتشارا في القرآن الكريم ، مثلما بين ذلك الدكتور مصطفى الشويفي في عمله العلمي الدقيق : " الفعل في القرآن ".
ـ أ ـ قسم أسماء الفاعلين :

ان الذي نريد أن نؤكد عليه بالنسبة لهذا التقسيم هو أنه يقوم بوظيفة المخبر ، وبالتالي فانه قد يستقطب بساطة فتأتلف معه ، وان وجود هذه البساطة أمر يعود الى الاستعمال أي الى المعجم ، لننظر الى هذه الآية :

ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ، فالق الأصباح وجاعل الليل سكنا . (آ 95 ـ 96 الأنعام 06)

من خلال هذا المثال تتضح أمور ، منها : أنّ اسم الفاعل "مخرج" هو من نفس مادّة الفعل "أخرج" ، ومنها أنّ كلا من الفعل واسم الفاعل يتطلّب باسطة أولية مباشرة ، ومنها أيضا أنّ "فالق" و "جاعل" اسما فاعلين واضحة ضرورة أتصال الوحدات التالية لهما بهما ذلك لأنّ "جاعل" و "جعل" مثالا بتان دون أن يعطي أمثلة لـ "جعل" فالكا بيسمة علاقة الوحدات اللازمة به كثيرة متواترة في القرآن الكريم ، لا تخفى على الناظر .

ويبقى مع اسم الفاعل ولنبين تمام تطابقه في وظيفته الاخبارية مع الفعل وتنوع الوحدات التي تأتلف معه ، نذكر هذا المثال الذي فيه تظهر الباسطة الأوليـة في صورة اسم مبهم مع صلته الفعليـة الاخباريـة :

انّي متوفّيك ورافعك الي وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا (آ 55 آل عمران 03)

أيضا من تنوع ائتلافات اسم الفاعل بوحدات غير التي سبق التأكيد عليها نذكر هذا المثال الطريف الوارد في قوله تعالى :

وتخفى في نفسك ما الله مبديه (آ 37 الأحزاب 33)

فعلى الرغم من ارتباط الضمير : "ـه" كباسطة أوّلية مباشرة بالمسند "مبدي" فان اسم الفاعل هذا قد ورد كما هو واضح في المثال ، صلة اخبارية للاسم المبهم "ما" الذي هو مع صلته في وظيفة باسطة أولية مباشرة للفعل : "أخفى" :

أما تشابه اسم الفاعل بالاسم فواضح في ائتلاف اسم الفاعل بلام التعريف ومفارقته له في :

المحصنات من المؤمنات (آ 05 المائدة 5)

و : ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات (آ 25 الفتح 48)

تقسيم أسماء المفعوليين : أسماء المفعولين حالها كحال أسماء الفاعلين ترد مخبرات ، وقد تتصل بها وحدات أخرى فتأتلف معها فتكون في علاقة أوليّة

مباشرة معها مثلما سيرى ، وقد لا تتصل بها أي وحدة على الاطلاق ، وهذا
مثلما ذكرنا راجع الى المادة المعجمية التي يتكون منها اسم المفعول مثل :

انهم كانوا قبل ذلك مترفين (آ 45 الواقعة 56)

هذا وانه واجب أن ننبه الى أن اسم المفعول كاسم الفاعل قد يأتلف مع لام
التوكيد في :

انهم عن السمع لمعزولون (آ 212 الشعراء 26)

و : انه على رجعه لقادر (آ 08 الطارق 86)

والآن نبين تنوع الوحدات التي تتوافق مع اسم المفعول وتكون معه
في علاقة أولية مباشرة :

ان هؤلاء متبر ما هم فيه (آ 139 الأعراف 07)

أولئك مبرءون مما يقولون . (آ 62 النور 24)

ما شهدنا مهلك أهله . (آ 49 النمل 27)

ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . (آ 103 هود 11)

في هذه الأمثلة التي قدمنا يظهر أن اسم المفعول قد يأتلف مع اسم مبهم
أساس نواة صلته فعل أو أساس نواة صلته اسم مثل :

مبرءون مما يقولون ومتبر ما هم فيه : أو مع اسم صريح معرف بالاضافة
مثل : مهلك أهله . الى هذا نضيف أن اسم المفعول قد تتعلق به وحدتين
فيكون التوافق مع اسمين معرفة فنكرة مثال ذلك :

وما كنت متخذ المضلين عضدا . (آ 51 الكهف 18)

في الأمثلة السابقة يظهر ورود اسم المفعول في صيغته المجردة : "متبر"
كما يظهر وقد ائتلف مع قرينة جمع المذكر : "معزولون" ، وفيما يلي
نعطي أمثلة عن ائتلافه بقرينة التأنيث في حالتي الافراد والجمع :

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية .
(آ 28 الفجر 89)

وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا
متخذات أخدان . (آ 25 النساء 04).

٩ - قسم الموصلات

الموصلات وحدات تربط ما يسبقها بما يلحقها ؛ وهو ضرب من العلاقة متميز ، يختص بتعليق مجموعة من الوحدات تتل وتكشر باسم معرف ضرورة تتقدمها . هذا وان مجموعة الوحدات التي يدرجها الموصل تتميز بتنوع العنصر الرئيسي لنواتها ، رسمها يكون كما يلي :

... اسم معرف ـــ موصل ...... مجموعة من الوحدات ذات مخبير { اسمي / فعلي

ان ما يرد بعد الموصل يكون في علاقة غير أولية على الدوام ، من أجل هذا سميناالعنصر الرئيسي الذي حوله تتبنى ائتلافات الوحدات الأخرى المكونة للجملة مخبيرا ، وسيرد تفصيل هذا أثناء التحليل ان شاء الله ، أما التركيب الذي يرد بعد الموصل فسميناه جميلة .

ان مجموعة الوحدات التي تقوم بهذه الوظيفة تعرف بكون هذا الضرب من المواقعات والائتلافات محدودة جدا . والحق أنها من أصل واحد تعدد وحداته قائم على ائتلافه بوحدات الجنس والعدد ، فهي اذن : الذي ، التي ، الذين (بفتح الذال وسكون الياء) ، الذين (بالكسرالمدي) ، اللاتي واللائي وحتى تتضح وظيفة هذا القسم من الوحدات نقدم الأمثلة التالية مقسمين اياها الى ذات مخبيرات فعلية والى ذات مخبيرات اسمية :

أ - ألم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى (آ 37 النجم 53)

حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم . . . وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم (آ 23 النساء 04)

وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم (آ 04 الأحزاب 33)

فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (آ 2، 3 البقرة 02)

وضرب الله مثلا امرأة فرعون ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها (آ 11، 12 التحريم 66)

ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس (آ 29 فصلت 41)

ب - عم يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون (آ 1، 2، 3 النبأ 78)

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون (آ 1، 2 المؤمنون 23)

اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض (آ 158
الأعراف 07)

الملاحظ في الأمثلة السابقة أنّ المخبير الفعلي يرد في صيغة فعل وفي
صيغة يفعل وقد يبنى لخبير المعلوم وذلك في مثل قوله تعالى :

واتبعوا النور الذي أنزل معه (آ 135 آل عمران 03)

وقد يتوافق الموصل مع قول شرطي مثل :

للمتّقين الذين . . . والذين اذا فعلوا فاحشة . . . ذكروا الله (آ 135
آل عمران 03) .

أما القول الاسمي فيظهر فيه جهرا بعد الموصل ضمير قد يكون منفصلا
وقد يكون متّصلا يعود على الاسم السابق مثل ما ورد في الأمثلة التي تقدّما :
المؤمنون الذين هم . . . و : الله الذي له . . . وهذا يخضع لنوع القول الاسمي
والمعنى المراد تبليغه .

10 - المكتفيات

تنقسم المكتفيات من حيث شكلها إلى كلمات وأنساق وأنماط وتراكيب، أمّا من حيث المعنى فتنقسم إلى أقسام ثلاثة حسب ما تدلّ عليه من زمان ومكان أو حال .

إنّ الخاصية التركيبية لوحدات هذا القسم عامّة هي أنّها تكتفي بذاتها، بمعنى أنّها على الرّغم من علاقتها بالمخبر معنويا، فإنها لا تعرف موضعا محدّدا إجباريا في القول، إذ أنها يمكن أن تتصدّر القول أو تتخلّل عناصره، كما يمكن أن يختتم بها القول . وسنتعرض فيما يلي التقسيم القائم على المعنى لما يندرج تحته مختلف الوحدات البسيطة أو المركبة الدالة على معنى معيّن :

أ - تقسيم المكتفيات الدالة على الزمان : إنها كثيرة العدد، كثيرة التواتر نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الآن، غدا، مساء، ليلا، عشية، يومئذ، بعد، قبل، هنالك، ليلة الصيام، حين الوصية، حين تسرحون، ليلا ونهارا، حينئذ، يوم البأس، يوم القيامة، يوم تقوم الساعة، يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا، بالأمس، بالعشي والإشراق، يوم مبعثهم، يوم حنين، يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان ... اليك بعض الأمثلة تبين موضعها من القول :

ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (آ 27 الجاثية 45)

لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده (آ 249 البقرة 02)

والله على كلّ شيء قدير يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا . (آ 29، 30 آل عمران 03)

ان هذا القسيم من الكتفيات الدالة على الزمان يتميز بوجود نسقين أو لفظين أو تركيبين دالّين على زمنين مختلفين ولكنهما معطوفين مثال ذلك :

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (آ 52 الأنعام 06)

وأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (آ 11 مريم 19)

لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها (آ 49 النازعات 79)

اني دعوت قومي ليلا ونهارا (آ 05 نوح 71)

سيروا فيها ليالي واياما آمنين (آ 18 سبأ 34)

وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون (آ 18 الروم 30)

ب ـ قسيم المكتفيات الدالة على المكان : لم نعثر في القرآن الكريم الا على وحدتين فقط تكوّنان هذا القسم هما : ثمّ وههنا وذلك لأنه ليس كلّ ما يدلّ على المكان ، يكون وحدة مكتفية بذاتها في القول ، ولأن الاستعمال الخاص لـ " هنالك " في القرآن الكريم ليس مفاده المكان . أما أمثلة لوحدتين المكونتين للقسم فأمثلتها هي :

وأزلفنا ثمّ الآخرين (آ 64 الشعراء 26)

انا ههنا قاعدون (آ 24 المائدة 05)

ج ـ قسيم المكتفيات الدالة على الحال : تبيّن لنا بعد التحليل أنه لا وجود للحال في شكل كلمة وانما يرد الحال في شكل أنساق وألفاظ وتراكيب هي بعدد مرتفع جدا وعليه فاننا سنقدّم أمثلة منها دون أن نلتزم بحصرهـــا وهذه الأمثلة هي : بغتة ، سفها ، جهرة ، افتراء ، متشابها ، تفصيلا ، حثيثا عجبا ، هدى ، رحمة ، غرورا ، ثمّ بالتزاوج طوعا وكرها ، عميا وبكما وصما ، سجّدا وبكيا ، متشابها وغير متشابه ، صفا صفا . . .

الملاحظ في هذا القسيم أن الوحدات فيه قد تأتي مفردة وقد تتوالى بالعطف وقد تأتي متوالية دون عطف يذكره واليك الأمثلة من كلّ صنف :

يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (آ 112 الأنعام 06)

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم (آ 140 الأنعام 06)

وحرّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله

ومن أمثلة الوحدات المكتفية المتوالية بالعطف :

ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها (آ 15 الرعد 13)

ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما (آ 97 الاسراء 17)

ومن أمثلة المكتفيات الدالة على الحال المتوالية دون عطف نذكر :

أخرج منها مذؤوما مدحورا (آ 08 الأعراف 07)

وجاء ربّك والملك صفا صفا (آ 22 الفجر 89)

بعد هذا نذكر أنّ الوحدات المكتفية الدالة على الزمان والحال قد ترد في نفس القول مثال ذلك :

فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون (آ 04 الأعراف 07)

أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون (آ 97 الأعراف 07)

الملاحظ من هذين المثالين أنّ أولهما يتميز بعطف التركيب المكتفى "هم قائلون" على النسق الدال على الاكتفاء "بياتا" أما في المثال الثاني فيأتلف التركيب المكتفي بالنسق المكتفي بالتجاور أي دون أداة تذكر .

11 - قسم المضيفات

تكوّن المضيفات قسما قائما بذاته ، وهي وحدات نحوية ، محدود عدد ما تأتي على شكلين مختلفين : كلمات وأنساق وهي :

من ، الى ، عن ، على ، في ، مع ، بـ ، (بالكسر) ، ل (بالكسر) ، ك (بالفتح) ، الآ ، بعد ، فوق ، تحت ، قبل ، أمام ، خلف ، وراء ، لدى ، عند ، حتى بين ، حين ، شطر ، حول ، دون ، ثم الأنساق : من قبل ، من بعد ، من تحت من فوق ، من لدن ، من وراء ، من عند .

انّ الوظيفة الأساسية لهذه الوحدات هي ادراج الوحدة التي تليها وقد تكون هذه الوحدة كلمة أو لفظة أو نسقا أو تركيبا لا يمكن أن يضاف الى القول الا بهذه الواسطة ، واننا سنفصّل القول في معانيها أثناء التحليل ان شاء الله ، ونكتفي هنا بعرض أنواع الوحدات التي تأتلف معها في القول ، وهي كلّ الأقسام التي سبق ذكرها ما عدا قسم الأفعال وقسم الموصلات وقسم المكتفيات واليك في ما يلي أمثلة من ائتلافاتها :

الحمد لله	(آ 01 الفاتحة 01) مع اسم علم
واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا	(آ 48 البقرة 02) اسم نكرة
انّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي	(آ 72 ص 38) اسم معرفة بالاضافة الى ضمير
أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا	(آ 16 الأحقاف 46) ضمير
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر	(آ 27 المائدة 5) اسم مبهم
انّ في ذلك لعبرة لمن يخشى	(آ 26 النازعات 79) اسم اشارة واسم مبهم
والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك	(آ 04 البقرة 02) ضمير واسم مبهم
سلام هي حتى مطلع الفجر	(آ 05 القدر 97) اسم معرفة بالاضافة
هو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام	(آ 04 الحديد 57) العدد

كد أ ب آ ل فرعون (آ 11 آ ل عمرا ن 03) اسم مضا ف الى العلم

من قبل صلا ة الفجر (آ 58 النور 24) أسم مضا ف الى معرفة

ومن ما و رد في القرآ ن الكريم من هذه الأنماط نسق " من لدن " والطريف فيه أ نّه ورد في قول ، المخبر فيه فعلي ولكنه مبني لما لم يسم فاعله وهو يذكّر با ستعما ل شا ئع اليوم ، يستهجنه الكثيرون من مستعملي اللسان العربي : "استقبل من طرف ". وقد ورد في الذّكر الحكيم قوله تعالى :
ألر كتا ب أ حكمت آ يا ته ثمّ فصّلت من لد ن حكيم خبير (آ 01 هود 11)
وفي : انك لتلقى القرآ ن من لدن حكيم عليم (آ 06 النمل 27)

الملا حظ في مدوّنتنا وفي كلا م العرب عموما أ نّ وحدا ت هذا القسم تتوا تر بشكل يجلب الانتبا ه ، والسبب في ذلك تعد د الوحدا ت وتعد د تنوع ائتلا فا تها مع الأقسا م الأخرى ، انظر مثلا الى قوله تعالى :

قل أؤنبؤكم بخير من ذلكم للذين أ تقوا عند ربّهم جنا ت تجري من تحتها الأنها ر خا لدين فيها وأ زوا ج مطهّرة ورضوا ن من الله والله بصير بالعبا د .
(آ 15 آ ل عمرا ن 03)

في هذه الآية وردت ستّ وحدات مضيفة : ب ، من ، ل ، عند ، في ، ومن تحت ، وقد ورد ت " البا ء " مرّتين وتكرّرت " من " مرّتين ، أ ما الأقسا م المد رجة فهي الاسم والمبهم والضمير والاشا رة .

انّ أ هم ميزة في هذا القسم بعد ادرا ج ما يلي وحدا ته في القول هو تكوين مركّب (من المضيف والوحدة المد رجة) ، قا بل في أ غلب الأحيا ن للتنقّل دا خل وحدات القول ، دون مسا س بصحّة التركيب (انظر التحليل).

12 ـ المعلقات

هي قسم نحوي يتكوّن من : أن ، حتى ، كي ، ل (بالكسر) ، لا لا كما ، لمّا ، اذ ، قبل . أن ، بعد أن ، أينما ، بعد اذ ، من بعد ما ، حيث ، من حيث ، لكي ، من قبل أن ، كأن لم ، ألا ، كيلا ، لكيلا ، وما دام (وقد اتصلت بضمير) .

سبق أن تحدّثنا عن قسم المضيفات وبينا أن أى وحدة منه وظيفتها ادراج اسم في سياق القول ، وقد بين لنا التحليل أن هذا الاسم والوحدة التي أدرجته ينعمان بامكانية التنقل بين وحدات القول ، ثمّ تحدّثنا أيضا عن قسم من الوحدات قائم بذاته ، وظيفته ادراج جميلة امّا اسمية وامّا فعلية وسمّينا وحدات هذا القسم موصلات ، ذلك لأنّ الموصلات تعلّق ما بعدها وتربطه بالضرورة باسم معرّف سابق لها . والآن نأتي للحديث عن قسم المعلّقات وهي مجموعة من الوحدات تنفرز عن المضيفات والموصلات بكونها تدرج مجموعة من الوحدات نسميها جميلة فتعلّقها بالمخبر الأساس في القول ، والملاحظ أن هذه الجميلات فعلية في أغلبيتها ، وأنّ الفعل فيها قد يأتي على صيغة "فعل" كما يمكن أن يأتي على صيغة "يفعل" .

هذا وانّ هذه الوحدات المكونة لقسم المعلّقات تتوزّع الى بسيطة والى مركبة لا تعرف التجزأة أى الى أنساق مثال ذلك على التوالي :

أن ، حتى ، كي ، و : قبل أن بعد ان ، من حيث ، وما دام . . . انظر الأمثلة :

فرجعناك الى أمّك كي تقرّعينها (آ 40 طه 20)

ومنهم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (آ 105 الحج 22)

في المثال الأوّل اقترنت " كي " بجميلة مثبتة وانه بامكانها أن تأتلف مع جميلة منفية مثل : ما أفاء الله على رسوله . . . فلله وللرسول . . . كي لا يكون دولة بين الأغنياء (آ 07 الحشر 59)

هذا وانّنا حدّدنا وظائف هذه المعلّقات وفقا لما نيها المختلفة التي استخرجنا ها من التفاسير المعتمدة (أنظر الجزء الخاصّ بذلك في التحليل)

أما "ما دام" + (ضمير متّصل) فهو معلّق يتميّز عن بقية المعلّقات الأخرى بأمزيتين :

1) - بكونه يتّصل بضمير يقوم بوظيفة السّند في الجميلة التي يدرجها المعلق؛

2) - ويكون الجميلة ذات مخبر أسمي أو مسندا .

ورد هذا المعلق خمس مرات في القرآن الكريم ، اليك كيفية تحليلية مع الجميلة في قوله تعالى :

انا لن ندخلها ما داموا فيها (آ 24 المائدة 05)

ف : "ما داموا فيها " أصله : ما دام + هم فيها . (الذي لا وجود له طبعا) ولكن : "هم" و : "وا" ضميران لنفس الشّخص جنسا وعددا ، أولاهما منفصل والثاني متّصل ، أضف الى هذا أنّ "ما دام ..." لم ترد لا في القرآن الكريم ولا في كلام العرب أوّل القول .

- 13 - قرائن الجمل

هي قسم تحوي تتميّز الوحدات فيه بائتلافها بجمل قائمة بذاتها في أغلب الأحيان ، فيتم ائتلافها بتغيير مباينتها ، كما يتم - مع بعض تقسيمات هذا القسم - تغيير إجباري فيما متى الجزأين الأخيرين من النواة الاخبارية ، وهذا التغيير الحتمي مردّه الى ما تلفّظت به العرب عند توافق هذه القرائن بجزأي النواة الاخبارية في القول الاسمي المخبر على الخصوص ، مثلما سنرى عند عرض القسيمات المكوّنة لهذا القسم.

انّنا نقيم توزيع وحدات هذا القسم على أساس ائتلافها نسبي هذه الوحدات ، وسنتحدّث عن قرائن النفي وعن قرائن الاستفهام وعن قرائن التوكيد وسنتعرّض كذلك للتّمنّي والتّرجّي والعرض والتّحضيض ، وسنفرد كما بيّن التّحليل قرائن للزّمان وأخرى للكيفية أو الحال .

أ - قسيم قرائن النفي : هي كثيرة ، منها ما هو مشترك بين الأقوال الاسمية والأقوال الفعلية ، ووحداته هي : ما ، لا ، ان ، وهل ، ... الا ، ولم ، ولن ، والملاحظ أن لم ولن لا تدخلان على الجملة الاسمية الا في حال ائتلافهما بالقرينة الزمانية " كان " مثال ذلك :

لم أك بغيا (آ 20 مريم 19)

و : لن أكون ظهيرا للمجرمين (آ 17 القصص 28)

(انظر التحليل) . مثل : هل ... الا وان ... الا ولا ... الا ، سواء كان ذلك عند اقترانها بالقول الفعلي مثل :

ان يقولــــون الا كــذبا (آ 05 الكهف 18)

أو عند اقترانها بالقول الاسمي مثل :

ان هو الّا نـــــذير (آ 184 الأعراف 07)

ومن قرائن النفي ما هو خاص بالقول الفعلي ، والذى يجب التنبيه اليه في هذا الشأن هو أنه توجد قرينتان ، احداهما خاصة بالأقوال الفعلية وهي : لمّا ، والأخرى خاصّة بالأقوال الاسمية وهي : " ليس " ، اليك أمثلتها على التوالي :

ولما يدخل الايمان في قلوبكم (آ 14 الحجرات 49)

و : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء (آ 32 الأحزاب 33)

في أمثلة أخرى كثيرة في القرآن الكريم ترد القرينة " ليس " في دال بسيط ، ولكنها تأتي أيضا في دال متقطع هو : ليس ... الا ، مثال ذلك :

وأن ليس للانســـان الّا ما سعـــى (آ 39 النجم 53)

حالها كحال : ان ... الا وما من ... الا (انظر التحليل)

وتراكيبها بهذا الوجه ، هو مما جرى على لسان العرب ، لا وجه آخر فيه وبالتالي لا اختيار فيه للمتكلم فما بالك بالمتعلم . هذا وانه لا بد من التنبيه

ونحن نتحدث عن هذه الظاهرة الى أن تقديم قرينة الاستفهام على قرينة العطف أثناء ائتلافها أمر وارد واجباري ، حين تأتي قرينة الاستفهام في دال متقطع مثل : " أ . . . أم " .

أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس . . (آ 109 التوبة 09)

بالاضافة الى هذا نقول انه ليس لقرائن الاستفهام نفس الائتلافات وقد ذكرنا أن معانيها مختلفة ، فعندما ننظر الى القرينة : كيف مثلا نرى أنها تأتلف مع : " اذا " و : " ان " .

ان ائتلاف " كيف " مع " اذا " ، ليس كائتلاف همزة الاستفهام مع " اذا " ، فاذا مع كيف ظرفية في قوله تعالى :

فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه (آ 25 آل عمران 03)

أو في : فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد (آ 41 النساء 04)

أما اذا مع الهمزة في قوله تعالى : (مع تسهيل همزة اذا في رواية ورش)

أاذا (أيذا) متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون (آ 33 الصافات 37)

فان " اذا" قرينة شرط .

أما ائتلاف "كيف" مع " الواو" متبوعة ب " ان " فقد وردت في السياق التالي :

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله (آ 07 التوبة 09)

ثم : كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة (آ 08 التوبة 09)

فقد تكررت القرينة ، وعليه فان " كيف " الثانية أتت دون الوحدة الدالة على المستفهم عنه : (الحدث مثلما في : كيف تحيي الموتى 26 البقرة 02))

أو الشيء المعين مثلما في :

نذير كيف نذير (آ 17 الملك 67) . انما الذي توافقت معه ، الواو الدالة على الحال متبوعة بان الشرطية المدرجة لجميلتين : ان يظهروا . لا يرقبوا . . .

بعد هذا نتحدّث عن وحدات الاستفهام المركّبة وهي ضربان: منها ما يأتي في دال متقطّع ومنها ما يأتي على غير ذلك الوجه، فالتي تأتي في دوال متقطعة، ترد في ائتلافات متنوعة، اسمية مثل:

أذلك خير أم شجرة الزقوم (آ 62 الصافات 37)

وفعلية مثل:

وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (آ 10 يس 36)

ان موافقات هذه الوحدات المركبة لا تخضع لنمط واحد من الائتلافات، فـ"هل من" مثلا تأتي بهذا الوجه في العبارة الجارية على لسان العرب، وفي القرآن الكريم:

هل من مزيد (آ 30 ق 50)

أو: هل من مدّكر (17 القمر 54)

وأما "لم" مثلا فتختص بالقول الفعلي في صيغتي فعل ويفعل مثل:

لم أذنت لهم (آ 43 التوبة 09)

و: لم تعظون قوما الله مهلكهم (آ 184 الأعراف 07)

أما "بم" و "عمّ" فأمثلتها هي:

بم يرجع المرسلون (آ 35 النمل 27)

و: عمّ يتساءلون (آ 01 النبأ 78)

ـج ـ قسيم قرائن التوكيد

هي وحدات نحوية تدخل على القول المثبت والمنفي وعلى الأقوال الدالة على الاستفهام فتؤكدها، ووحدات هذا التقسيم هي: ان، اللام المفتوحة، انما وقد والأدلة المتقطّعة: ما ... من وان ... الا وأما ... فـ ثم الضمائر المنفصلة التالية: أنا ونحن وأنت وأنت وهو وهي وهما وهم وهن. والذي تنفرز به بعض وحدات هذا التقسيم هو أن مكانها من الوحدات المكوّنة للقول يختلف فهي تتوسط

وحدات القول ولا تتصدّرها ، كما هو الحال بالنظر الى قرائن الجمل الأخرى مثال ذلك :

والله هو الغني الحميد . (آ 15 فاطر 35)

هذا وانه قد تبين لنا بعد التحليل أن قرائن التوكيد المختلفة قد تجتمع في القول الواحد مثل :

ان الله لغني عن العالمين (آ 06 العنكبوت 29)

و : ان الله لهو الغني الحميد (آ 64 الحج 22)

أما بقية وحدات هذا التقسيم فلها ضروب من الموافقا تتحدّد هنا أنواع الائتلافات المتعلّقة بكلّ وحدة .

انّ : تأتي بمفردها فتأتلف مع القول الاسمي كما تأتلف مع القول الفعلي مثل :

انّ للمتّقين مفازا (آ 31 النبأ 78)

و : انّ الله يأتي بالشمس من المشرق (258 البقرة 02)

ومع النفي يكون التركيب في القول الفعلي كالتالي : (. أى بتوسط النفي السند والمخبر)

ان الله لا يحب كلّ مختال فخور (آ 18 لقمان 31)

كما تأتي " أن " مرفوقة بلام التوكيد المفتوحة في القول الاسمي والقول الفعلي مثل :

انّ لهم علينا لشوبا من حميم (آ 67 الصافات37)

أيضا : اني ليحزنني أن تذهبوا به (آ 13 يوسف12)

لام التوكيد : انها تدخل على الجملتين الاسمية والفعلية على السواء مثل :

لمغفرة من الله ورحمة خيرمما يجمعون (آ 157آل عمران 03)

غير أن الجملة الفعلية لا تدخل عليها لام التوكيد الا اذا ائتلف الفعل غير المنقطع مع نون التوكيد الثقيلة مثل :

الله لا اله الا هو ليجمعنّكم الى يوم القيامة (آ 87 النساء 04)

(انظر تفا صيل ائتلافا ت لا م التوكيد مع شبه الفعل " كا ن " ومع " نعم " و " بئس" في التحليل) .

هذا وأن لا م التوكيد تتوا فق مع الجملة الشرطية " با ن " وهو أمر متوا تر مثا ل ذلك :

لئن أ كله الذئب ونحن عصبة انا اذن لخاسرون (آ 14 يوسف 12)

انمـــا : تد خل هذه القرينة التوكيد ية على القول الا سمي وعلى القول الفعلي ولا نجد شيئا يلفت الانتبا ه لموا فقا تها ، انظر الى الأمثلة :

انما الله الا ه وا حـــد (آ 171 النساء 04)

و : انما نملي لهم ليزدا دوا اثما (آ 178 آل عمران 03)

قـد ولقـــد : قرينتا ن توكيديتان تختصا ن بالجمل الفعلية مثـل :

وقد خا ب من افترى (آ 61 طـه 20)

و : لقد خلقنا الانسا ن في أ حسن تقويم (آ 04 التين 95)

وتتميز قد بدخولها على غير المنقطع مثا ل ذلك :

لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم (آ 05 الصف 61)

أ يضا الأمر الطريف في " قد " ولقد أ نها لا تتوا فق مع الجملة الاسمية الا اذا اقترنت بها قرينة الزما ن " كا ن " مثا ل ذلك :

قد كا نت لكم اسوة حسنة في ابرا هيم (آ 04 الممتحنة 60)

لقد كان في يو سف واخوته آ يا ت للسا ئلين (آ 07 يو سف 12)

بعد هذا نأ تي الى الأدلة المتقطعة من قرا ئن توكيد الجمل : ان ... الا وما ...فـ ونقـد م وا حـد عنها .

انّ ... الاّ : تأ تلف مع الجملة بضربيها الفعلي والاسمي ، الفعلية بصيغتي فعل ويفعل . والا سمية مقترنة " بكان " وغير مقترنة بها ، اليك الأمثلة :

ان أ ردنا الا الحسنى (آ 107 التوبة 09)

ان يقولون الا كذ با (آ 05 الكهف 18)

ان كا نت الا صيحة وا حد ة (آ 39 يس 36)

ان هي الا حيا تنا الدنيا (آ 37 المؤ منون 23)

ان قرا ئن الا ستفها م والنفي والتو كيد التي عرضنا هي القرا ئن الأكثر عددا ، أ ما قرا ئن الجمل الأخرى ، فهي قرا ئن التمني وهي : هل ولو أ ن وياليت

وقرينتا الترجي وهما : لعلّ وعسى أ ن

وقرينتا العرض والتحضيض وهما : ألا ولولا

وقرا ئن الزما ن وهي : كا ن وأ صبح وما يزا ل

وقرا ئن الكيفية وهي : أ صبح وكا د وطفق وقا م وأ قبل وظل .

سنرى في قسم التحليل أ ن " هل " التي للسؤا ل قد ورد ت في القرآ ن الكريم بمعنى التمني ، أ ما " لو " فا نها ترد مسبوقة بـ " ودّ " أ و متبوعة بـ " أ ن " كما أ نها تتوا فق معها في ذا ت الو قت (انظر التحليل)

يا ليت : قرينة مركبة ، وهي لا تأ تلف مع الفعل مبا شرة ، ذلك لأنّ السند يحتل المكا ن الأوّل منها جبرا مثلما هو الحا ل في المثا لين التاليين : (مع الضمير أو مع الا سم المعرف بالا ضا فة):

يا ليتنا أ طعنا الله . (آ 66 الأحزا ب 33)

يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربّي (آ 26 يس 36)

فالضمير في يا ليتنا أو يا ليتها أو ياليتني إن فصل من " يا ليت " أعطى الجملة التي لا ترد فيها يا ليت صيغتها الحقيقية في الا ستعما ل : نحن أ طعنا الله . وتمسي القا ضية في : يا ليتها كا نت القا ضية من أ جل هـذا نقول ان ليت لا تد خل على الجمل الفعلية الا وقد تقدّ مها السند .

بالنسبة للجمل الاسمية الأمر بيّن أنظر الأمثلة وتصور فصل يا ليتمن القول :

يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين (آ 38 الزخرف 43)

يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون (آ 79 القصص 28)

لعلّ : حال مواقات قرينة الترجي لعل كحال مواقات يا ليت انظر الى :

لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا (آ 01 الطلاق 65)

لعل الساعة قريب (آ 17 الشورى 42)

لعلّك تارك بعض ما يوحى اليك (آ 12 هود 11)

عسى أن : نسق فعلي للترجي ، يقترن بالجملة الفعلية وبالجملة الاسمية على السواء ونبدأ بالجملة الاسمية وقد اقترنت ب " كان " فانظر أمثلتها لأنه لا وجود لها دون " كان " :

عسى أن يكون قريبا (آ 51 الاسراء 17)

عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا (آ 48 مريم 19)

وفي تركيب طريف فصل فيه بين جزأي النسق فقدم هذا المثال :

فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (آ 18 التوبة 09)

أما بالنسبة للجملة الفعلية فأهم شيء نذكره هو أن النسق الفعلي يأتلف مع الجملة الفعلية التامة ومع الجملة الفعليةغير التامة ان فصل عنها عسى أن " انظر الأمثلة :

عسى الله أن يأتي بالفتح (آ 52 المائدة 05)

أو : عسى ربه أن طلقهن أو يبدلنا أزواجا خيرا منهن (آ 11 الحجرات 49)

و : عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا (آ 21 يوسف 12)

ألا ولولا : قرينتان للعرض والتحضيض لا تدخلان على جملة تامة المعالم أو الوحدات كالقرينة التوكيدية مع ان مثلا ، ذلك لأننا عندما نسقط : ألا أو لولا تبقى الجملة مفتقرة الى ضمير منفصل يدعم الضمير المشارك الموجود مع الفعل ، انظر مثلا الى :

ألا تحبون أ ن يغفر الله لكم (آ 22 النور 24)

لو لا أ خرتني الى أ جل قريب (آ 10 المنا فقون 63)

وحا ل تركيب التحضيض كحا ل تركيب العرض ما عدا ما يرد فيه الاسم صريحا مثل :

فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طا ئفة ليتفقهوا في الدين (122 التوبة 09)

أ ما في القول الاسمي فا ن " الا " التي للتنبيه لا تطرح هذه المشكلة التي (طرحتها هذه المشكلة التي) طرحتها " الا " في القول الفعلي انظر المثال :

ألا أ نهم هو المفسد ر ن (آ 12 البقرة 02))

ـ د ـ قسيم قرا ئن الزما ن : بين لنا التحليل أ ن أ صبح ولا يزا ل وكان قرا ئن جملية ذلك أ نها ان انتزعت من القول الا سمي أ و الفعلي على السوا ء ، لا يضير انتزا عها القول في شي ء من حيث المبنى ، والذ ى يحد ث من حيث المعنى هو أ نها ان اقترنت بجملة ما أ د رجت فعلها أ و حد ثها في الزما ن الما ضي ، ان كا نت في صيغة المنقطع .

ونحن نعتبر أ ن التغير الحا صل ، في مصوّ ت آ خر صا مت من المخبر (الاعرا ب) بعد ائتلافه بـ " كا ن " أ و " لا يزا ل " أ و " أ صبح " ، أ مر اجبا ر ى فيه عا د ة لسا نية عند العرب ، بقي شي ء آ خر لا بد من ذكره يتعلق بأ مر ائتلافا ت هذه القرا ئن الجملية ، هو ما يتصل بها من ضما ئر شأ نها شأن الأفعا ل الحقيقية ، والحق انها ليست أ فعا لا حقيقية ، وسيأ تي تفصيل القو ل في هذا أ ثنا ء التحليل ان شا ء الله .

هذا وان لقرا ئن الزما ن هذه ميزة حين ائتلافها مع الأفعا ل فهي تتحد معها في المرجع أ و تشا ركها فيه ، وهذا نا جم عن موا فقا تها للضمائـــر التي ذكرنا ، وبهذا فا ن المخبر بوجودها معه يصبح مركبا ، والذى يجب أ ن نلفت النظر اليه هو أ ن القرا ئن الزما نية : كان وأ صبح ولا يزا ل ، ليست على

بنفس الدرجة من الاستعمال والتواتر ، كما أنها ليست على نفس وجوه التصريف فعل بفعل ولا على نفس القدر من الائتلافات والتوافق : فالقرينة الزمانية كان "يكون" مثلا وردت بهاتين الصيغتين 325 مرة في القرآن الكريم ، بالتقسيم التالي : 1071 مرة بصيغة فعل و 254 مرة بصيغة يفعل بغض النظر عن ورودها فعلا تاما (وهو أمر نادر بالنسبة لورودها قرينة زمانية ، أو شبه فعل . فهذا العدد الهائل 1325 مرة لا يقاس بـ "23" عدد تواتر "أصبح" الذي يرد قرينة زمانية ويرد قرينة كيفية (كما سيأتي في التحليل) ولا يقاس بالعدد (08) ثمانية ، تواتر مازال ولا يزال .

أما من حيث وجوه التصريف ، فان "كان" لها متسع في تحديد مراحل الزمان مع الفعل الذي تتوافق معه ، لا يملكه شبه الفعل "أصبح" ولا شبه الفعل "مازال" ، ذلك لأنّ صيغة "فعل" من "أصبح" و "مازال" لا ترد في القرآن الكريم مع فعل حقيقي في صيغة "فعل" لتكون معه مخبرا مركبا ، مثل ما هو الحال بالنسبة "لكان" في قوله تعالى :

ان كان قميصه من دبر (آ. 27 يوسف 12)

أيضا مما تمتاز به القرينة الزمانية "كان" هو تنوع الوحدات التي تأتلف معها الخاصة بالأفعال مثل : السين وسوف :

فسوف يكون لزاما (آ. 77 الفرقان 25)

و : علم أن سيكون منكم مرضى (آ. 20 المدثر 73)

فالسين المفتوحة وسوف لا تتوافقان مع "يصبح" و "لا يزال" ، تضيف الى هذا أن أصبح وما زال كقرينتين تدلان على الزمان لا تأتلف الا مع الجمل الاسمية ، مثل :

فأصبح في المدينة خائفا (آ. 18 القصص 28)

هذا وان " مازال " كقرينة تدل على الديمومة (استمرار الزمان) وليس على جزء معين من الزمان مثل ما هو الحال في الآية الكريمة التالية :

فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا (آ 15 الأنبياء 21)

أيضا من أهم ما تختص به "كان" من حيث طبيعة ائتلافاتها هو أن لا تختص بمكان معين في الجملة ك "أصبح" و "مازال" ، فهي تتوسط القول مثل ما هو الشأن في :

ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . (آ 29 المطففين 83)

أو : ان ذلكم كان يؤذى النبيء فيستحي منكم . (آ 53 الأحزاب 33)

وفي القول الاسمي :

كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل (آ 93 آل عمران 03)

ـ هـ ـ قسيم قرائن الكيفية ، هي : كاد وطفق وقام وأقبل وأصبح وظل ، يتفرع هذا القسيم بحسب امكانية دخوله على ضربي الجملة ، فمنها مالا يدخل الا على الجملة الفعلية : مثل : قام وأقبل ومنها ما يدخل على الجملة الفعلية وعلى الجملة الاسمية معا وهي : كاد طفق وأصبح وظل . والحق ان طفق هو شبه فعل غير متصرف حاله كحال التسنن الفعلي : عسى أن (الذى لا يندرج في هذا القسم) .

من خصائص قرينتي الكيفية : قام وأقبل أنهما لم تردا في القرآن الكريم الا على صيغة "فعل" ، لننظر وجوه ائتلاف هذه القرائن الدالة على الكيفية التي يتم بها الحدث أو الفعل حسب ورودها في الجمل :

لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا (آ 74 الاسراء 17)

كاد تأتلف أيضا مع شبه الفعل "كان" في القول الاسمي مثل :

كادوا يكونون عليه لبدا (آ19 الجنّ 72)

كانت تلك "كاد" في صيغة "فعل" مع صيغة "يفعل"

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (آ 78 النساء 4)

بالنسبة لقام عندنا مثال واحد هو،

ولما قام عبدالله يدعوه ... (آ 19 الجن 72)

وقريب من "قام" القرينة "أقبل" ومثالها هو،

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون (آ 20 القلم 68)

طفق وردت مرتين في القرآن بنفس التركيب : فعل + يفعل :

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة (آ 22 الاعراف 7 و121 وطه 20)

ومرة في تركيب اسمي فريد من نوعه خاص بالقرآن الكريم في :

فطفق مسحا بالسوق والأعناق (آ 33 ص 38)

أصبح : كقرينة كيفية في أكثر تواترا وأكثر وضوحا وهاهي أمثلتها في القول الاسمي وفي القول الفعلي :

فأصبحتم بنعمته اخوانا (آ 102 آل عمران 3)

فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها (آ 42 الكهف 18)

ظل أيضا تأتلف مع الجملة الاسمية كما تأتلف مع الجملة الفعلية، مثل :

واذا بشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّا (آ 58 النحل 16)

و : فظلتم تفكهون . (آ 65 الواقعة 56)

قد تأتلف "ظلّ" بلام التوكيد مثال ذلك :

ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون (آ 51 الروم 30)

وللمزيد من التدقيق انظر التحليل .

ـ 14 ـ قسم قرائن الشرط :

وحدات هذا القسم هي : إن ـ من ـ لو ـ اذا ـ لولا ـ ما ـ أن ما أينما ـ انى ـ أيام ـ حيثما ـ مهما ـ لولا ـ وقد وردت في القرآن الكريم بتواتر بارز التفاوت *، فان مثلا وردت 572 مرة أي بنسبة 41,47 % بالنظر الى قرائن الشرط كلها الواردة في القرآن الكريم ، أما مهما فقد وردت مرة واحدة ، أي بنسبة 0,07 % .

ان الذى تمتاز به هذه القرائن عن غيرها هي أنها ان انتزعت من القول الواردة فيه اهتز البناء وارتبك المعنى مثال ذلك :

ان تبدو الصدقات فنعمّا هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم (آ 271 البقرة 02)

و : لو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك (آ 159 آل عمران 03)

فبعد نزع قرينة الشرط فنحصل على ما يلي :

تبدو الصدقات فنعما هي و : تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم

أيضا كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك .

وهذه التراكيب ومثلها لم نعثر عليها في كلام العرب ، وعليه فاننا وجدنا أثناء التحليل أن القرينة عبارة عن موصل جامع بين جزأي الشرط وجوابه . هذا وانه تجب الاشارة الى أن هذه القرائن ان كانت تتميز بموصل ما يلي الشرط والجواب فانها لا تعرف نفس الموافقات ، فالقرينتان : ان " و " اذا " تأتيان في سياق لا تأتي فيه القرائن الشرطية الأخرى ، انظر الى هاذين المثالين

ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك (آ 75 آل عمران 03)

و : الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة (آ 41 الحج 22)

ثم : وبشر المؤمنين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا . . . (آ 155ـ6 البقرة 02)

---

* نقلنا هذه النسب من كتاب : الشرط في القرآن ، ص 28 و ص 116 .

ففي هذه الأمثلة كلها يكون قول الشرط بتمامه وكماله صلة للاسم المبهم: من أو الذين

أيضا من المواقع الخاصة بـ "ان" و "اذا" وردهما مخبريين مثل :

انك ان تذرهم يضلوا عبادك (آ 27 نوح 71)

ثم : ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها (آ 34 النمل 27)

وهما موقعان تقدم فيهما المسند على المخبر عمدا ثم وقع تأكيده بائتلافه مع القرينة "إن" وأن المثال الثاني بوضوح المسند فيه يجلي المثال الأول .

بالاضافة الى هذا نقول إن التوكيد يتوافق مع جزأي قول الشرط، وائتلاف وحدات التوكيد هذه هي : إن "واللام المفتوحة، ولكنها لا تأتلف مع أي قرينة شرط كانت، انظر مثلا اقتران لام التوكيد بان وبالجواب في ذات الوقت :

ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله (آ 157 آل عمران03)

أو : لئن لم تنته لأرجمنك (آ 46 مريم 18)

ومن الظواهر التي تلفت الانتباه أن يأتلف جواب الشرط بالتوكيد دون أن يأتلف الشرط به مثل :

واذا سألك عبادي عني فاني قريب (آ 186 البقرة 02)

أو : فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (آ 64 البقرة 02)

ومع لو: ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (آ 44 فصلت 41)

ومع اما : واما نرينك بعض الذي نعدهم . . . فانما عليك البلاغ (آ 40 الرعد 13)

في المثال الأخير التوكيد الحاصل في الفعل "نرينك" من جزء الشرط، غير التأكيد اللاحق قرينة الشرط، أما في جواب الشرط فالتأكيد حاصل بأداة أخرى هي "انما".

وشبيه بهذا الوضع اقتران "لو" بتركيب أوله توكيد بـ "أن" مثل :

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم (آ 49 المائدة 05)

ومن ائتلافات قرينة الشرط بغيرها من القرائن ، نلفت النظر الى قرينة الاستفهام " أ " ، فهي ان ائتلفت مع جملة من القرائن الشرطية فان ائتلافاتهـا معها لا يتم بنفس الكيفية ، فاننا نقول : " أفإن " و " أولو " ولكننا نقول : " أإذا " مباشرة دون اللجوء الى فصل القرينتين بـ " فاء " أو بـ " واو " ، انظر الأمثلة التالية :

أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . (آ 144 آل عمران 03)

ثم : أولو جئتك بشيء مبين . (آ 30 الشعراء 26)

ان سياق هذه الآية هو الذي يوضح أمرها فنتأمله :

لئن اتخذت الاها غيري لأجعلنك من المسجونين (آ 29 الشعراء 26)

بعد هذا نقدم مثال " أإذا " الوارد في قوله تعالى :

أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد (آ 10 السجدة 32)

ومن ائتلافات قرائن الشرط مع " كيف " ، لاحظنا أن " كيف " تأتلف مع " إذا " مباشرة ولكنها مع " ان " تستلزم توسط واو مفتوحة ، انظر هاذين المثالين :

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض . (آ 41ـ42 النساء 04)

أما مع " إن " فالأمر يختلف كما قلنا ، انظر المثال التالي :

كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلّا . (آ 08 التوبة 09)

ان المبدأ في قرائن الشرط ، أن تصل بين جملتين كما ذكرنا ، فيتم المبنى ويظهر المعنى ، ولكن بعض هذه القرائن ترد في الشرط دون الجواب الظاهر المفروض وجوده ، في هذه الحالة يتخذ الشرط معاني خاصة جارية على ألسنة العرب ، انظر مثلا الى وضعي " لو " و " لولا " في سياقات الشرط العامة ثم انظر اليها بمعانيها الخاصة .

ـ أولا : السياق العادي : في هذه الآية الكريمة الجامعة للشرط بـ " لو "
و " لولا "

ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
فنتبع آياتك . (آ 134 طه 20)

ـ ثانيا : السياقات الخاصة :

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر . (آ 39 النساء 04)

و : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم .
(آ 135 النساء 04)

أيضا : وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . (آ 76 القيامة 56)

بالنسبة لـ " لولا " نقدم هذين المثالين :

وقالوا لولا أنزل عليه ملك . (آ 08 الأنعام 06)

و : وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها . (آ 203 الأعراف 07)

من الوحدات المدرجة ضمن قرائن الشرط ، " ما " و " من " ، وقد اعتبرناهما بعد التحليل اسمين مبهمين ، وقد بينا أنهما يكونان متبوعين ـ جبرا ـ بصلة ، غالبا ما يكون مركزهما التركيبي " فعلا " ، ويمكن أيضا أن يكون اسما . لكن الاسم المبهم وصلته لا يتم بهما البناء ولا ينجلي بهما المعنى ، فهما بمثابة السند المفتقر على الدوام الى مخبر . انظر هذه الأمثلة :

وما تفعلوا من خير يعلمه الله . (آ 197 البقرة 02)

من دخله كان آمنا . (آ 97 آل عمران 03)

ثم وما تنفقوا من خير / فلأنفسكم / فإن الله به عليم (272، 273 البقرة 02)

فمن لم يجد فصيام شهرين . (آ 92 النساء 04)

بعد هذا التعرف وجوهنا الى الأمثلة المبنية على " الذى " (كاسم مبهم) لتتضح السبيل الذي قصدنا .

الذين يظهـرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم (آ 02 المجادلة 58)
والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لماقالوا فتحرير رقبة (آ 03 المجادلة 58)
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . (آ 04 المجادلة 58)
ثم الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته . (آ 121 البقرة 02)

والذى تختص به " من " دون " ما " هو ان الجزء المتضمن المخبر قد تظهر فيه وحدات اضافية متنوعة تدل على التوكيد مثل : ان أو : قد أو : ذلك أو : أولئك ، وهذا التأليف يضفي على التركيب صبغة خاصة ، انظر الأمثلة :

بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحبّ المتقين . (آ 76 آل عمران 03)
فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون . (آ 82 آل عمران 03)
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته . (آ 192 آل عمران 03)
لمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الأمور . (آ 43 الشورى 42)

15 ـ قسم الروابط :

الروابط وحدات تجمع بين الجمل في القول الواحد وبهذا فانهما تكوّن قسما قائما بذاته ، قائمته مغلقة ، وهذه الوحدات هي : الا ـ لكن ـ ولكن ـ الواو المفتوحة ـ الفاء المفتوحة ـ اذ ـ وذلك ؛

تبين لنا أثناء التحليل أن الرابطة " ذلك " لا يمكن أن تجمع بين جملتين بغض النظر عن كون الثانية منهما اسمية أو فعلية ، مع ان المبدأ الذى يتأسس عليه قسم الروابط يقتضي وصل الجمل ـ أيًّا كانت ـ في ما بينها ، السبب في هذا الحائل هو أن الوحدة "ذلك" تكوّن سند الجملة الثانية سواء كان مخبرها اسميا أو فعليا ، وبالتالي فان "ذلك " جزأ اجباري وجوده متى سقط تقوّض بناء الجملة الثانية ، وحتى يتبين لك الأمر تمعن هذه الأمثلة :

واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف . ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر . (آ 232 البقرة 02)

ف " ذلك " أو أي اسم اشارة كان نعدّه رابطا معنويا اذ أنه يشير الى محتوى الجملة السابقة ، أو يذكر به ككل شامل ثم ان المخبر الاسمي أو الفعلي المتمم له يكوّن حكمه انظر هذا المثال :

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة . (آ 196 البقرة 02)

في الأمثلة التي قدمنا تأتلف الرابطة "ذلك" أو "تلك" بفعل أو باسم يكون المخبر، ولكن هذا المخبر يمكن أن يكون كتقبة ، مثل ما ورد تكملة للآية السابقة :

ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام (آ. البقرة 02)

وشبيه بهذا الوضع ولكن ليس متطابقا له ما سنقدمه في المثال التالي :

الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا . (آ 275 البقرة 02)

حيث ان المخبر قول كامل أدرجنه مضيف ؛ والقول معقد التركيب ؛ ذلك لأن السند فيه موكد بالقرينة إن والمخبر فيه فعل "القول" الذى يقبح على الدوام بمقولة ، فتأمله .

أما بقية الروابط الأخرى فانها تجمع بين منفيي الجملة ، وتسبق موافقات الوحدة الرابطة نفسها مع القرائن الأخرى رعينة الاستعمال ؛ " لكن " المخففة ولكنّ الثقيلة لا تأتلف مع "لم" فلا وجود لـ "لم" بعدهما . كذلك الشأن بالنسبة للرابطة "الا" ؛ غير أن و "لكن" و "بل" تتوافقان مع "لا" كما تتوافق "بل" وحدها مع "لمّا" ؛ مثال ذلك :

بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (آ 08 ص 38)

و : فيقول ربي أهانني كلّا بل لا تكرمون اليتيم . (آ16ـ17 الفجر 39)

ومعلوم أن "لا" غير "لما" لما توصل اليه من معنى ، كما هو بيّن في المثالين السابقين . أما المثال الوحيد من القرآن الكريم لـ : ولكن مع "لا" فهو :

قل : لكل ضعف ولكن لا تعلمون (آ 38 الاعراف 07)

بعد هذا نعود الى أنواع الجمل (بمنفيها) التي تجمع بينها الروابط فنقدم هذه الأمثلة :

لست عليهم بمسيطر الا من تولّى وكفر فيعذّبه الله العذاب الأكبر .
(آ 32 ـ34 الغاشية 88)

و : فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر .
(آ 24 ـ25 الانشقاق 84)

ففي المثال الأول الجملة الأولى اسمية منفية والجملة الثانية مثبتة فعلية ، أما المثال الثاني ، فالجملة الأولى فيه فعلية والثانية اسمية ، وتمعّن أيضا أحوال الجمل الأخرى التي نعرضها عليك و قد وردت بصيغ وائتلافات متنوعة نفي واثبات وأمر واستفهام وتوكيد مثل :

فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (آ 22 البقرة 02)

أو قال أوحي اليّ ولم يوح اليه (آ 93 الأنعام 06)

و : أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر . (آ 60 التوبة 09)

انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر . (آ 1ـ2 الكوثر 108)

ألا إن طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون . (آ 131 الأعراف 07)

فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (آ 33 الأنعام 06)

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر

فتلقى آدم من ربه كلمات . . . (آ 35ـ36 البقرة 02) .

ـ 16 ـ قسم أدوات العطف :

ان العطف في نظر الوظيفيين هو احدى وسيلتي البسط ، وقد يتم البسط بزيادة عنصر واحد في التركيب ، أيّا كانت وظيفة هذا العنصر ، كما يتم البسط باضافة تركيب بتمامه وكماله الى تركيب آخر يماثله ، وتكون الواسطة التركيبية الأساسية في هذا (العنصر) أو ذاك (التركيب) احدى أدواة العطف .

أدواة العطف قليلة العدد كثيرة النجاعة والفعالية وهي : الواو والفاء مفتوحتين وثم (بضم الثاء) وأو وأم (بفتح الهمزة فيهما) وسكون الواو والميم ، والذى لاحظناه أثناء التحليل أنه لا تخلو سورة من القرآن الكريم ـ من العطف ـ مهما قصرت .

من المعلوم أن أدوات العطف ذات معاني مختلفة سنتعرض اليها أثناء التحليل ، وفي هذا العرض نكتفي بتقديم أمثلة تتعلق بعطف العناصر المفردة وبعطف الجمل على الرغم من أن العناصر المنفردة لا قيمة لها الا بوظائفها (وقد ركزنا على عطف الوظائف في التحليل) ، وأن تجاوز حدود الجملة تجاوز لحدود علم التراكيب .

فأمثلة العناصر المفردة والألفاظ هي :

فيهما فاكهة ونخل ورمان (آ 68 الرحمان 55)

و : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم .

(آ 22 المجادلة 58)

وأمثلة عطف الجمل هي :

واذا مسّ الانسان ضرّ دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه . (آ 08 الزمر 39)

و : لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولّن الأدبار ثم لا ينصرون . (آ 12 الحشر 59)

ومن طريق ما وجدنا في العطف بالواو هذا التركيب في القرآن الكريم :

ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننّ وليكونن من الصاغرين (آ 31 يوسف 12)

حيث يعطف شبه الفعل على الفعل (القرينة الزمانية كان على السجن ") والتوكيد الخفيف على التوكيد الثقيل ، (في يكونن ويسجننّ) ، ولعل المتتبع للسياق الذى ورد فيه هذا التركيب ينتبه الى أن تأكيد التأكيد وقع على المستعجل ، يسير التنفيذ ، وان تخفيف التأكيد وقع على اللاحق بحكم فصول الزمان .

II التحليل

العناصر غير التركيبية
أو
العبارات الجامدة

القسم
النداء
التحذير
الإغراء
التحية
التعجب
المدح والذم .

قبل الحديث عن القول الاسمي والفعلي وضروبهما سنتطرق الى الكلمة واللفظة المعزولة تركيبيا ونقول ان عزلتهما التركيبية هي التي تجعل الوظيفة منعدمة فيها . ونقول أيضا ان العنصر اللساني هو ما يتلفظ به ونفرق بينه وبين العنصر غير اللساني مما يوحي به المقام مثلا ولا يتلفظ به . ونبيّن كذلك أن الكلمة الواحدة أو اللفظة الواحدة قد ترد في مقام ما لتدلّ على ما يدلّ عليه تركيب عناصر الجملة عموما .

والآن سنتطرق الى العناصر البسيطة من كلمات أو ألفاظ ، والى المركبات اللفظية التي لها لا محالة دور في سياق القول ولكنها جامدة لا تصرف التصريف لأنها تأتي على الدوام في نفس الشكل ، وعليه فانهما معدومة الوظيفة . وهذه العناصر بسيطة كانت أو مركبة فهي عبارة عن ألفاظ جمل يعود أغلبها الى بعض المجالات المحددة في العلاقات الاجتماعية والدينية والثقافية لمتكلمي اللسان العربي . ان مواطن التلفظ بهذه العبارات الجامدة متنوعة ومختلفة منها ما هو مألوف معروف عند العرب في الجاهلية ومنها ما دخل العربية عبر تعاليم الاسلام ، ونحن سنعرضها متداخلة حسب محاورها العريضة العامة ، دون الوقوف عند دقائق معانيها ، لأنه من شاء تفاصيل المعاني فعليه بكتب التفاسير فسيجد فيها سؤله .

(أ) ـ القسم : من العبارات الجامدة ، فلا يؤتى به لكمال الحجة وتأكيدها فقط ، وانما يكون الملجأ الأخير في أخطر ما يكون عليه وضع الزوجين عند قذف الرجل امرأته في غياب الشهود ، وعبارته هي " والله " و " بالله " و " تالله " . وهذه العبارة وكل العبارات التي سنتطرق اليها ان أسقطت من القول فان اسقاطها لا يؤثر في شيء لا على التركيب ككل ولا على أي عنصر من عناصره ، وهذه العبارات ترد في القول الفعلي والاسمي على السواء ، أنظر هذه الأسئلة :

قالوا : تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض . (آ 73 يوسف 12)
قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا . (آ 85 يوسف 12)
قالوا : تالله انك لفي ضلالك القديم . (آ 95 يوسف 12)

ومن عبارات القسم الجامدة المعروفة ، عبارة " لعمر " مضاف الى المتكلم أو المخاطب ، وقد ورد في القرآن الكريم هذا المثال :

لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون . (آ 72 الحجر 15)

(2) ـ الدعاء : في باب النداء تدرج أيضا الدعاء لأن مثله كمثل النداء يأتي في عبارات جامدة . والدعاء كما هو معروف يصدر من الشخص الى من هو أعلى منه منزلة ، فالمؤمن يدعو ربه قائلا : " رب " أو " ربنا " أو " اللهم " أو " اللهم ربنا " مثل :

ربنا آتنا في الدنيا حسنة . (آ 201 البقرة 02)

و: قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء . (آ 116 المائدة 05)

واذا كان النداء من المولى عز وجل أو كان من البشر الى البشر ورد على وجوه ، أبسطها خلوه من (يا) النداء مثل ما جاء في قوله سبحانه :

يوسف أعرض عن هذا . (آ 29 يوسف 12)

أو قال: ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء . (آ 150 الأعراف 07)

ويأتي أيضا بياء النداء مثل :

يامريم اقنتي لربك واسجدي . (آ 43 آل عمران 03)

ثم : قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي . (آ 94 طه 20)

هذا للعاقل من البشر ، أما لغير العاقل فقد ورد في قوله تعالى :

يا جبال أوّبي معه والطير . (آ 10 سبأ 34)

والوجه الآخر أو الصيغة الأخرى في عبارات النداء هي : " يا أيها ".

والحق أن عبارات النداء لا تستعمل خلطا ملطا ، وانما لتخضع لموجبات تحددها تصاريف التراكيب وهي كما يلي :

ـ أ ـ اذا نودى الاسم المفرد العلم أو الاسم النكرة استعملت (يا) ورفع جبرا الاسم بعد (يا) مثل : يا ابراهيم ويا نوح ويا مريم ويا جبال ، ولك في نداء اسم العلم القريب أن لا تستعمل (يا) مثل " يوسف " .

ـ ب ـ اذا كانت في الاسم اضافة ، نصبت جبرا عند النداء الاسم المضاف مثل : يا بني اسرائيل . ومثل " يا أبانا " في :

يا أبانا مالك لا تأمنّا على يوسف . (آ 11 يوسف 12)

ـ ج ـ اذا نودي الاسم المعرّف باللام نجم عن ذلك ـ جبرا ـ استعمال : يا أيها مثل :

يا أيّها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه (78 يوسف 12)

واذا كان الاسم مؤنثا ظهرت هذه العبارة في صيغة التأنيث : يا أيتها : في

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي . . . (آ 28 الفجر 89)

ـ د ـ اذا كان المنادى مضافا الى شخص له علاقة بالمنادي ، كانت لك الخيرة وفقا لكلام العرب :

(1) اما في اثبات الياء مفتوحة مثل : يا بنيّ ويا عبادي في :

يا عبادي لا خوف عليكم . (آ 68 الزخرف 43)

(2) وأما في استئنافها تخفيفا مثل ما جاء في قوله تعالى :
ياعباد فاتقون . (آ. 15 الزمر 39)

في هذا الضرب بالذات ضرب المنادى المضاف الى شخص له علاقة بالمنادي ، تلفت الانتباه الى أن إسما مثل : "ابن أمي " تستقل منه " ياء " النسبة جريا على ما عرف عند العرب وتبقى الخيرة المتكلم في نصب اسم : "أم " وكسره . فالفتح قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وحفص عن عاصم ، والكسر قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر .

(3) ـ التحسر : ومما جاء في القرآن الكريم على شكل النداء من حيث تركيبه ولكنه ليس نداء ، عبارات تدل على الجزع والتحسر والهلكة مثل : "ياحسرة " و "يا ويلتى " ، انظر الآيات التالية :
ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون .
(آ 30 يس 36)
و : ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب. (آ 31 المائدة 05)
و: قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز . (آ 72 هود 11)
وكذلك : ويقولون ياويلتنا مالِ هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة .
(آ 49 الكهف 18)

فالملاحظ أن كلمة " ويل " هذه لافصل لها في لفظها وهي في الأمثلة السابقة مضافة ، ونصبها اجباري حال ائتلافها مع ضمير المتكلم في الافراد والجمع . وتأتي هذه الكلمة على وجه آخر من التركيب هو : " ويل لـ " مثل : " ويل للمطففين " ومثل :
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله . (آ 22 الزمر 39)

(4) ـ الضجر : ومن العبارات الجامدة التي تستعمل عند الضجر والتأذي كلمة "أف" وهي في الواقع محاكات لصوت طبيعي يصدره الانسان اذا كره شيئا واستثقله ، انظر :

فلا تقل لهما أفّ . (آ 32 الاسراء 17)

و : أف لكم ولما تعبدون من دون الله . (آ 67 الأنبياء 21)

وهي كما ترى تأتي صرفة وتأتي متبوعة بالمضيف "ل" : أف ل . .

(5) ـ التحية : تحية المسلمين هي السلام . جاء في قوله تعالى : "تحيتهم يوم يلقونه سلام" ، فالسلام ، عبارة جامدة كثيرة التواتر وتأتي على وجهين : "سلام عليكم" و "السلام عليكم" و "السلام" هو اسم من أسماء الله الحسنى ، والسلام معناه النجاة والأمان من الشرور والآفات . ومن السلام بمعنى الأمان جاءت التحية ، وأصله أن يطمئن غيره بالأمان والنجاة منه ، فعلى الوجه الأول جاء قوله تعالى :

وإذا جاءك الذين لا يؤمنون بالآخرة فقل سلام عليكم .

(آ 54 الأنعام 06)

يأتي بمعنى المفارقة والمتاركة مثل :

قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي . (آ 47 مريم 19)

أما الوجه الثاني فورد في قوله تعالى :

ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا . (آ 94 النساء 04)

بمعنى التحية والأمان أي الاستسلام . وقد ورد أيضا في قوله عز وجلّ على لسان عيسى :

والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّا . (آ 33 مريم 19)

ومن العبارات الأخرى الجامدة الذي ينزه بها الله جلّ جلاله قول المؤمن : "سبحان الله" أو :

سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون . (آ 180 الصافات 37)

ومن العبارات الجامدة أيضا التي ينزّه بها الله جلّ جلاله ويقدس قول المؤمن " تبارك الله " في :
ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين . (آ 54 الأعراف 07).

(6) ـ **التعجب** : للتعجب صيغتان تبنيان من الثلاثي فقط وهما :"ما أفعله " و " أفعل به " مثال الأولى ورد في قوله سبحانه :

قتل الانسان ما أكفره . (آ 17 عبس 80)

وفي : فما أصبرهم على النار . (آ 171 البقرة 02)

وبالنسبة للصيغة الثانية فهي تأتي بلفظ الأمر وليست أمرا في الحقيقة . فالواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد أنظر الى قوله تعالى :

أسمع بهم وأبصر . (آ 38 مريم 19)

أي هؤلاء ممّن يجب أن يقال لهم هذا وأن يتعجب منهم .

(7) ـ **المدح والذم** : من عبارات المدح والذم عبارتا : " نعم" و " بئس " اللتان تردا متبوعتين باسم معرف فيه يقع المدح أو الذم .

ولنبدأ بالمدح فتمعن هذه الأمثلة وانظر ما يرد قبل عبارة المدح " نعم " الجامدة :

انا وجدناه صابرا نعم العبد . (آ 114 ص 38)

ثم : حسبنا الله ونعم الوكيل . (آ 173 آل عمران 03)

و : أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين . (آ 136 آل عمران 03)

وعبارة المدح هذه تأتي على وجه آخر : هو " نعمّا " وهي ترد كما ترد " نعم " بعد الحديث عن الممدوح ، أنظر الى قوله تعالى :

ان تبدوا الصدقات فنعمّا هي . (آ 271 البقرة 02)

ثم : ان الله نعمّا يعظكم به . (آ 58 النساء 04)

ومن بين وجهي عبارة المدح التي ذكرنا لا يمكن أن تدخل قرينة التوكيد " ل " الا على " نعم " ، مثال ذلك قوله سبحانه :

ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين . (آ 30 النحل 16)

للذم أيضا عبارة تأتي على وجهين كذلك : " بئس " و " بئسما " . وتأتي " بئس " في التركيب على غرار ما تأتي عليه " نعم " ، فانظر الآيات الكريمة التالية بالنسبة " لبئس " .

ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . (آ 126 البقرة 02)

كذلك : ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين . (آ 151 آل عمران 03)

في المثال السابق الاسم الوارد بعد " بئس " مضافا الى معرفة وقد يكون الاسم مبهما مثل :

واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون . (آ 187 آل عمران 03)

أما " بئسما " فيجب أن نفرق بينهما وبين " بئس " التي يرد بعدها اسم مبهم مع صلته مثل ما بينّا في المثال الأخير : بئس ما شروا به أنفسهم . فبئسما دال واحد يعبّر به عن الذم ويرد بعده فعل في صيغة " فعل " أو في صيغة " يفعل " مثل :

وقالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل قل بئسما يأمركم به ايمانكم . (آ 93 البقرة 02)

بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم . (آ 150 الأعراف 07)

وان حال " بئس " كحال " نعم " ، يمكن أن تدخل عليهما قرينة التوكيد (اللام المفتوحة) مثل :

لبئسما كانوا يعملون . (آ 62 المائدة 05)

وردت هذه العبارة الجامدة بعد قوله تعالى : " وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السّحت " .

نختم مجموعة العبارات الجامدة بالحديث عن عبارات : " نعم " و " إي " و " لا " و " بلى " . وتأتي الثلاثة الأولى في الجواب على سؤال ما مثل :

فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقا قالوا نعم ، (آ 44 الأعراف 07)

ثم : ويستنبئونك أحق هو ، قل إي وربي ، (آ 53 يونس 10)

أما بالنسبة للاستفهام الانكاري فالجواب يكون بـ " بلى " ومثاله :

قال أولم تؤمن قال بلى . (آ 160 البقرة 02)

المسألة الثانية :

القول من الكلام

تعريف القول ومفهومه :

- القول الأدنى وحدّه
- القول الأدنى الفعلي
- ضروبه .

اذا كان النحو في المنهج المتبع في بحثنا هذا هو درا سة العلاقات بين الوحدات الواردة في الكلام في أى لسان كان ، فاللسان في مفهومنا ما اتسعت له ذاكرات الناس جميعا في أمة من الامم والكلام ما نطقت به أفواههم أثناء تخاطبهم . فالعربية مثلا هي لسان العرب الذى به يتكلمون . والكلام يتضمّن الاقوال التي منها ما يطول ومنها ما يقصر وفقا لما يقتضيه الحال من بسط أو من ايجاز عند التفصيل أو عند الاجمال ، على أن ذلك كلّه لا يكون الّا لما تتم به الفائدة من حيث معناه ويتجاوز الكلمة الواحدة من حيث مبناه .

بهذا نكون قد احترزنا من أمرين كان النحاة العرب فيهما رأى يعد أساسا من الاسس التي يقوم عليها منهجهم .

ـ أولا : ما يمكن أن يضيفه المقام الى الكلمة الواحدة من عناصر غير لسانية ضرورية تعرفنا الدور الذى تقوم به الكلمة الواحدة في قول مستقل . وقد خصّص سيبويه لذلك بابا سماه : باب ما جرى من الامر والنهي على اضمار الفعل المستعمل اظهاره اذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل . يقول سيبويه : وذلك قولك : زيدا ، وعمروا ورأسه . وذلك انك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل ، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت : زيدا ، أي أوقع عملك بزيد ... استغنيت عن الفعل بعلمه انه مستخبر ... وأما النهي فانه التحذير ، كقولك : الاسد الاسد والجدار الجدار ، والصبي الصبيّ ، وانما نهيته أن يقترب الجدار المخوف المائل ...[1] والواضح ان سيبويه لا يتناول هذه الوحدات بالتحليل باعتبارها وحدات منعزلة ولكنه يتناولها باعتبارها

---

(1) الكتاب : سيبويه ، ج 1 ، ص 253 .

تخضع لضروب معيّن من الاعراب متضمنة لوحدات أخرى مضمرة. ومتى تصفّحت كتاب سيبويه وجدت فيه أبوابا كثيرة أخرى تتناول وحدات هذا الجنس بتبيين اعرابها وبالتمثيل لما أضمر قبلها في ما يتعلق بغير الأمر والنهي وما يتعلق بالدعاء وغيره. ونحن اذ نقول هذا نذكر أن سيبويه عالم بقدر ما للمقام من دخل في صحة الكلام وخطئه وآية ذلك أنه ورد في باب من أبواب الكتاب ما يثبت هذا، يقول سيبويه: "... إلّا أن رجلا لو كان خلف حائط أو في موضع تجهله فيه فقلت، من أنت؟ فقال أنا عبد اللّه منطلقا في حاجتك، كان حسنا"[1] الا ان الزاوية التي ينظر منها سيبويه للأمور ليست نفس زاوية الوظيفيين.

لقد فسّر الوظيفيون هذه المسألة فاعتبروا سلوك الأشخاص في مقامات معينة جزءا متمما للفائدة وضربوا الأمثال العديدة، لذلك نذكر منها مثال الرجل الجالس في مطعم ما حين يقول: "الفواكه" يقول ذلك النادل وهو على وشك الانتهاء من طعامه، فيحصل على ما يرغب فيه. في هذا المقام بالذات تحمل كلمة "فواكه" الخبر وهي في علاقة مباشرة مع المقام الذي يوجد فيه المتخاطبان. ولو أن نفس الشخص تلفظ بنفس الكلمة في غير هذا المقام ما أدت الكلمة الى معنى، وعليه فان المتخاطبين يستغنون في أقوالهم عن ذكر بعض العناصر اللسانية الضرورية كلّما سمح لهم المقام باسقاطها ووفّر البديل عنها من غير اللساني. فهذا القول: "الفواكه" يعد مبتورا في نظر الوظيفيين وهو يعادل ما يمكن أن يقال في المقام الذي ذكرناه: "اعطني الفواكه" أو "عجّل لي بالفواكه" أو "هات الفواكه" الخ...

---

(1) الكتاب: سيبويه، ج 2، ص 81.

ان دراسة الأقوال المبتورة غير مجدية في اقامة موافقات الكلمات التي تقوم عليها أقسام الكلام .

ثانيا : ما يمكن أن يفضي به الحال من عناصر لسانية تبرز في حالات الاستخبار . مثال ذلك ما ورد في الكتاب لسيبويه يقول : " حدثنا أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب وقيل له : لم أفسدتم مكانكم هذا ؟ فقال : الصبيان بأبي ، كأنه حذر أن يلام فقال : " لم الصبيان "(1).

لقد وضع الوظيفيون جانبا حالات الاستفهام المقدرة لأن صيغة السؤال تعد قرينة لسانية تحمل في عناصرها الخبر ، والواقع كما يقول ف . فرانسوا : " ان الجواب هو الذي يتضمن السؤال وليس العكس صحيحا ... لأنه من الممكن أن يبقى السؤال بدون جواب "(2)

وهكذا يمكننا أن نقول ان الوظيفيين يلفتون النظر الى أمرين هامين في الأقوال المبتورة وهما : المقام والقرينة . فالمقام يمد السامع أو الدارس بعناصر غير لسانية متممة للعناصر اللسانية يكتمل بها المعنى وبها يحصل الفهم ، فهي اذن عناصر ضرورية لتعريف الدور الذي تقوم به الكلمة المنعزلة . أما القرينة فهي تلك العناصر اللسانية التي يتكون منها السؤال والتي تمكن من فهم دور الكلمة المنعزلة أو القول المبتور . بهذه الكيفية نخلص الى تحديد القول عند الوظيفيين فنقول : انه كل متوالية صوتية يتلفظ بها المتكلم في بث واحد في غير حاجة لا الى مقام ولا الى قرينة . وان شئت قلت كما قال بعضهم : " هو جزء من مدرج الكلام يطول ويقصر ، يستعمل في تبليغ معطيات التجربة ... "(3) والجدير بالملاحظة

---

(1) الكتاب : سيبويه ، ج : 1 ، ص : 255 .
(2) الكلام : ف . فرانسوا ، ص : 257 .
(3) اللسانيات ، مرشد أبجدي : ص 37 .

في هذا التعريف ما يلي : " للمصطلح قيمة عامية ، ذلك لأنه يمكّن الباحث من عدم استباق الأحكام حول طبيعة الوحدات وامتدادها في المرحلة الأولى من معالجة المدونة ، تلك الوحدات التي يكشف عنها التحليل "[1] . ان الذي تجب الاشارة اليه بعد هذا التعريف هو مسألة الطول والقصر في القول أو مسألة مدى امكانية امتداد الوحدات في القول (الواحد) . ان الأقوال قسمان قول أدنى وقول أقصى ، فالقول الأقصى هو الذي يوجد فيه بسط للقول الأدنى ، وقد عبّر ابن أبي الأصبع في غاية من الدقة عن مفهوم البسط حيث قال : " وهو أن يأتي المتكلم وهو يتحدث عن المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير ... "[2] ان أهمّ ما يجب الوقوف عنده في هذا التعريف لابن أبي الاصبع هو : أولا المعنى الواحد وثانيا :امكانية التعبير عن المعنى الواحد في ذات الوقت بالقليل من اللفظ حينا وبالكثير من اللفظ حينا آخر . وقد اختار ابن أبي الأصبع مثالا يتعلق بمعنى خلق الكون في القرآن الكريم نورده هنا للتوضيح .المثال يتكون من قولين الأول هو : " قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء امرها "[3] ؛

---

(1) اللسانيات ، مرشد أبجدى : ص 37 .

(2) بديع القرآن : لابن أبي الاصبع المصرى ، ص 252 .

(3) سورة فصّلت ، آية 9 ... 12 .

أما القول الثاني فهو : "الله الذى خلق السماوات والأرض ومابينهما في ستّة أيّام "[1].

بعد هذه التحديدات التي ستظهر أهميتها العلمية والعملية أثناء التحليل لمدونتنا ان شاء الله يمكن أن نذكّر أنه ليس بامكان أىّ كلمة ولا بامكان أى متوالية من الكلمات أن تشكل قولا : ذلك لأنّ تكوين الأقوال يخضع الى لزوميات خاصة بكل لسان وان أول مرحلة في دراسة الكلمات هي البحث عن الوظائف المكونة للقول الذى يمكن فهمه دون مقام ولا قرينة . أيضا انه من المعلوم أن كل قول يتكون من مجموعة من الوحدات الدنيا (الكلمات) ، ومتى افترضنا أن كل قول هو متوالية من الكلمات (وليس لنا بديل عن ذلك ما دمنا قد قرّرنا المجرى الصفيّ للكلام) وجدنا أنفسنا - على حدّ تعبير " محموديان " - أمام أحد أمرين :

(1) اما أن تضم الكلمات في القول كيفما اتفق وهذه امكانية .
(2) واما أن يخضع حد الكلمات الى لزوميات عند التركيب وهذه امكانية ثانية ، والواقع الذى لاحظه العلماء أن الحد الحر للكلمات لا وجود له البتة .

ومتى قلنا أن الكلمات تخضع الى قواعد في حدها ، قلنا أيضا بوجود بنية لوحدات المستوى الأول من التقطيع[1] . ففي قول الله سبحانه : " والله يحب المحسنين " ، (آ - 134 آل عمران 03) ، يوجد ارتباط من حيث المعنى بين لفظ " الله " وبين لفظي " يحب " و " المحسنين ". هذا الارتباط في المعنى يبيّنه ترتيب الألفاظ : " الله " + " يحب" + " المحسنين " . وليس الأمر كذلك بالنسبة لـ : " المحسنين " + الله + يحب " . بالاضافة الى ترتيب الألفاظ نلاحظ التطابق الموجود

---

(1) سورة السجدة ، آية 4 .
(2) كي تدرس الفرنسية ، م . محموديان ، ص : 73 ، (بتصرف) .

بين الاسم: (الله) والفعل : (يحب) من حيث علامة الشخص : "الله يحب وليس : " الله يحبون " مثل هذه العلاقات والارتباطات من حيث المعنى ومن حيث المبنى توجد في ائتلافات أخرى ، مثل قوله سبحانه : "ان هؤلاء يحبون العاجلة " (آ 27 الانسان 76) ، العلاقات في هذا القول تظهر في الشكل التالي : ان +(هؤلاء ⇐ يحبون ⇐ العاجلة) كما توجد هذه العلاقات والارتباطات في أقوال أكثر سعة لنأخذ المثالين التاليين : أولا "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " (آ 54 المائدة 5) ترتسم العلاقات في هذا القول على النحو التالي فـ ⇐ سوف ⇐ يأتي ⇐ الله

بـ ⇐ قوم ⇐ يحب + هم

يحبون + ـه

ثانيا : " والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم " (آ 9 الحشر 59) ، تختصر شكل هذا القول الثاني كالتالي : (والذين تبوءوا الدار (والايمان) ..من قبلهم ..) ⇐ يحبون ⇐ (من هاجر .. اليهم ..) . ان المتأمل في هذه الأقوال الأربعة من الآيات الكريمة يظهر له ما حصل فيها من استبدال وفق تعويض يمس في ذات الوقت مبناها ومعناها ، وسيأتي تفصيل القول في كل هذا ان شاء الله في حينه . انما كان مرادنا أن نبين أن علاقة الوحدات من حيث مبناها ومعناها تخضع الى قواعد وفقها تشكل الكلمات والألفاظ في أقوال تطول وتقصر .

الا أن الأمر الذي يجب لفت النظر اليه في كلام العرب عموما وفي لغة القرآن خصوصا هو مسألة تتعلق بالكلمات والألفاظ واختيارها لوضعها في غيرها وضعه الواضح لها لتشكل أقوالا وفق طرق مميزة

تسمى مجازا ، وهذا ضرب في الكلام قائم بذاته له مميزاته وخصائصه التي تستوجب قبل الخوض فيها سؤالا وتحقيقا .

أما السؤال فموزع وشقين : شق متعلق باللفظ وهل تكمن الأهمية في عدده ، وشق متعلق بالمعنى وكم هي جوانبه . لقد أثار في ما يخص اللفظ القاضي عبدالجبار هذه القضية حين قرر أن المعاني لا تتزايد وانما التزايد يحصل في الألفاظ.يقول القاضي عبدالجبار : "على أنا نعلم أن المعاني لا يقع فيها تزايد ،فاذن أن يكون الذى يعتبر ،التزايد عند الألفاظ التي يعبر بها عنها . ."[1] والحق إن عبدالقاهر الجرجاني يعطي هذا الكلام معنى ومعنى غير ذلك الذى نراه اذا ما فرقنا بين ضربي الكلام المعروفين : الحقيقة والمجاز فالجرجاني يرى أن هذا الكلام يوهم السامع أن المزية في حقيقة اللفظ ، ونحن نريد أن نرده الى ما كنا أيدنا فيه ابن أبي الأصبع في التعبير عن المعنى الواحد باللفظ القليل حينا وباللفظ الكثير حينا آخر .

أما فيما يخص المعنى وجوانبه ،فلا أفضل من أن نرجع فيه الى فصل غاية في الدقة عقده الجرجاني للمعنى ومعنى المعنى يقول فيه : " نعني بالمعنى ،المفهوم من ظاهر اللفظ والذى تصل اليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى ،أن تعقل في اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر . . ."[2]. وهذا لا يمكن أن يوصل إليه الا بطرق المجاز.

وعلى الرغم من أن طرق المجاز كثيرة العدد ،متشعبة الأقسام عند بعضهم ،فان الواقع الذى يقرره ابن فارس وهو يتحدث عن سنن العرب

---

(1) المغني : القاضي عبدالجبار،ج 16 ، ص: 199ـ200.
(2) دلائل الاعجاز ،الجرجاني ،ص: 263.

في حقائق الكلام ، والمجاز هو أن أكثر الكلام وأكثر آي التنزيل يأتي على ضروب الحقيقة يقول ابن فارس : " فالحقيقة الكلام الموضوع موضعه الذى ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير كقول القائل : " أحمد الله على نعمه واحسانه " . وهذا أكثر الكلام . قال الله جل ثناؤه : " والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " البقرة 2 / 4 . وأكثر ما يأتي في الآي على هذا ... "(1)

على أننا ونحن نتحدث عن المجاز في القرآن الكريم كضرب في الكلام عند العرب لا نجد أروع مما وصف به ابن قيم الجوزية بدائع ما ورد في آياته يقول : " وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة الرونق وغوامض اللسان وحسن الترتيب والتركيب وعجيب السرد وغريب الاسلوب وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألغى بلاغة البلغاء من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلّت ألسنتهم الذربة وأقصرت خطبهم المسهبة وقصائدهم المضروبة وأراجيزهم المعربة وأسجاعهم المطلوبة ... "(2) من ذلك نأخذ بعض الأمثلة ، يقول سبحانه وتعالى : " فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقضّ " . وقوله سبحانه : " واسأل القرية التي كنّا فيها " وقوله تعالى : " انا سنلقي عليك قولا ثقيلا " . وقوله جلّ شأنه " فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين " وقوله جلّ ثناؤه : " والساعة أدهى وأمرّ " .

(1) الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ، ص : 197 .
(2) الفوائد المشوق الى علوم القرآن ، ابن قيم الجوزية ، ص : 5 .

وقوله عزّ وجلّ : " ضربت عليهم الذلّة والمسكنة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس ". وكل هذه الأقوال الواردة في الآيات الكريمة جاءت على مذهب العرب في الكلام وعلى الصحيح الجاري والفصيح في محاوراتهم وعلى المتعارف المستعمل في أساليبهم ومخاطباتهم . ولكننا مع ذلك سنقف في تحليلنا لهما على الجانب التركيبي النحوي فقط ، ونترك لعلماء المعاني الجانب البلاغي فيهما لأنّ الذى يهمنا في المنهج الوظيفي هو :

أولا : التأكيد على امكانية السامع اعادة بناء التجربة التي هي الغرض الأساسي من التخاطب .

ثانيا : النظر الى النحو على أنه دراسة الكيفية التي بها تأتلف الوحدات اللسانية الدالة في مدرج الكلام لتكون أقوالا .

أما كون هذه الأقوال تستدعي تفسيرا أو تأويلا أو يقصد بها الأمر وهي واردة بصيغة الخبر أو العكس أو أن النفي فيها وارد بصورة الايجاب أو أنهما تحتوي على رموز فهذه تخرج من دائرة علم النحو وتتخطاها الى دائرة علم المعاني من استعارة وتشبيه وتمثيل وكناية وتعريض وتورية وتقديم وتأخير وتكرار وحذف واخفاء واظهار وغيره ، كما تتخطاها أيضا الى دائرة علم المعاجم مما يعرض لموضوع الكلمة المفردة وحتى يتضح أمر موضوع الكلمة المفردة نأخذ مثال لفظة " السلسلة " ، فان العرب تستعملها حقيقة وتستعملها مجازا على ثلاثة أوجه فتريد بها الاجبار على الأمر والاكراه ، كما تريد بها المنع من الشيء والكف عنه ، وأخيرا تريد بها ما تتابع بعضه في أثر بعض واتصل .

وعليه فانا نريد من علم التراكيب أن يكون جزءا من النحو يدرس من الأقوال الدالة على معنى ، كيفية تركيبها ووجوه التركيب فيها كما يدرس من الوحدات الواردة في تلك الأقوال عمومياتها باعتبار أقسامها ووظائفها وليس خصوصياتها كوحدات فردية .

ان الذى قررناه في أول الفصل من أن القول لا يمكن أن يأتلف من وحدة لسانية منعزلة ، مسألة تتعلق في ظاهر الأمر بالجانب الشكلي فقط ، والحق

اننا في دراستنا هذه لا نفرق بين المبنى والمعنى ولا نجعل أحدهما يطغى على الآخر. وعليه فاننا نقول : ان المعنى الذى نريد تبليغه لغيرنا يتكوّن أساسا من جزأين أو عنصرين فثنائية أجزاء المعنى تعكسه ثنائية المبنى ، ذلك لأنه من المعروف أن القول في عهد أرسطو وكما حدده هو دون بعد فلسفي ولا منطقي هو : " لفظ دال ، الواحد من أجزائه قد يدل أفراده على طريق أنه لفظة ، لا عن طريق أنه ايجاب وأعني بذلك أن قولي " انسان " مثلا يدل على شيء ، لكنه ليس يدل على أنه موجود أو غير موجود ، لكنه يصير ايجابا أو سلبا ان أضيف اليه شيء آخر . . "[1]. وان شئت تحليلا مستفيضا لرأى أرسطو في عبارة مستنيرة فاسمع قول الجرجاني : " اعلم أن معاني الكلام كلّها معاني لا تتصور الّا فيما بين شيئين ، والأصل والأول هو " الخبر ". واذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع . ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه ، لأنه ينقسم الى "اثبات " و " نفي " . و " الاثبات " يقتضي مثبتا ومثبتا له . و " النفي " يقتضي منفيا ومنفيا عنه . فلو حاولت أن تتصور اثبات معنى أو نفيه من دون أن يكون هناك مثبت له ومنفى عنه ، حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم . . . "[2] . بهذا يتضح الأمر في ما يتعلق بالقول من حيث معناه ومن حيث مبناه ، ويبقى أن نزيل الغموض عن رأى الوظيفيين في تأليف القول من حيث عدد وحداته وذلك بأن ندقق أن الثنائية هي حدّ أدنى ولكن ليست أساسا مطلقا . وان نحن قلنا في ما تقدم ان القول لن يطول ويقصر،

---

(1) منطق أرسطو : تحقيق عبدالرحمان على بدوى ، ج 1 ، ص : 103.

(2) اعجاز القرآن ، عبدالقاهر الجرجاني ، ص : 527.

فالقصر ليس معناه ضرورة اشتمال فمه من وحدتين ، وقد رأى بعضهم انه من المستحسن أن يستعمل مصطلح القول الأدنى ازالة للالتباس .

واذ قد عرفنا القول من جهة معناه ومبناه في المطلق نأتي الآن الى تفصيل جملة المعاني التي يمكن للمتكلم أن يلفظها . فابن قتيبة مثلا يوجز القول في هذه المسألة كالتالي : " والكلام أربعة : أمر وخبر واستخبار ورغبة " ، ثلاثة لايدخلها الصدق والكذب وهي الأمر والاستخبار والرغبة ، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو المخبر "(1) . الا ان الخبر كما هو معروف ينقسم الى : اثبات ونفي وتأكيد ، أما الثلاثة الأخرى التي ذكرها ابن قتيبة والمتعلقة بالانشاء فتفصيل أقسامها باعتبار معانيها هي بالاضافة الى الأمر والاستفهام والرغبة ، والنهي والعرض والتحضيض والتمني والترجي والنداء ، وكلها داخلة في الطلب ، أيضا من المعاني الواردة في الأقوال : الشرط والقسم والندبة والاستغاثة والتعجب .

وان نحن عدنا الى رأى الجرجاني عن الأصل في معاني الكلام وجب أن نقف عند تركيزه على أن الأصل والأول في المعاني هو الخبر ثم نضيف أمرا آخر لا يقل أهمية عنه وهو أن الاثبات هو الأصل والمنطلق بالنسبة للتأكيد والنفي والبقية الباقية من المعاني ما عدا الأمر وذلك لأن الاثبات صيغة والأمر صيغة لا زيادة فيهما ، فهما مجردين من حيث الشكل ، ومتى اقترنت بالاثبات أدوات أوقرائن أخلصته الى معاني أخرى .

---

(1) أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، ص : 4 .

الذي يدعم عن هذا هو أن القول يتألف من وحدتين فصاعدا ، تحملان خبرا ، وان النظر في هذه الأقوال العمدة هو منطلق دراسة علم التراكيب ؛ وانه لمن مواصفات علم النحو عموما أن تكون فيه أقوال عمدة اليها يمكن أن تضاف وحدات لسانية أخرى فيمتد البناء ويتشعب التركيب . وليست الأقوال العمدة هي الأقوال المميزة والمفضلة لكثرة تواترها في المدونة ولا لاحتوائها على عناصر غير ضرورية لوجود القول من حيث التركيب .

هذا وان نحن أردنا أن نطلع على طبيعة الوحدات اللسانية المكونة للقول الأدنى أو العمدة المثبت والى أى قسم من أقسام الخطاب تنتمي هذه الوحدات ، انطلقنا من رأى يعرضه علينا الجرجاني وهو يتحدث عن معاني الكلام وعن الأصل فيها : " ولما كان الأمر كذلك ، أوجب ذلك أن لا يعقل الا من مجموع جملة فعل واسم كقولنا : " خرج زيد " أو اسم واسم ، كقولنا : " زيد منطلق " فليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل ، وبغير هذا الدليل ، وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وأمة ، وحكم يجري عليه الأمر في كل لسان ولغة "(1). ان الذي يهمنا في هذا الرأى هو أن اللسان العربي يحتوى على ضربين من الأقوال العمدة : ضرب يوجد فيه فعل وضرب لا وجود للفعل فيه .

لقد سبق الحديث عن ضرورة تنظيم الخطاب وصفته ، وانه ليترتب عن ذلك أن القول أيضا تتوالى فيه الوحدات اللسانية وفق قواعد خاصة بكل لسان بشرى ، الا أن الذى يجب أن نعرفه أن الوظيفيين يقولون

---

(1) اعجاز القرآن ، ع . الجرجاني ، ص : 523 .

بوجود وحدة لسانية في القول تكوّن المركز أو الأساس الذي به وحوله تتعلق وتتناسق تركيبيا كل الوحدات اللسانية الباقية ، وهذه الوحدة المركز أو هذه الوحدة الأساس هي التي تحمل الخبر ، وإن شئت قلت هي الوحدة المحور التي لا تقبل العزلة أبدا ، بل انها تمتد الى وحدة لسانية أخرى على الأقل لتدخل معها في علاقة تركيبية ، وقد تدخل في علاقة مع مجموعة من الوحدات المكونة للقول ، فترسم العلاقات وظائف الوحدات بالنسبة للمركز .

ان السؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا هو : كيف سنتمكن من تحديد ذلك الذي يكون المركز الوظيفي في القول والذي يقابل كل ما تبقى منه . لقد تناول أ . مارتينيه المثال المشهور لـ إدوارد صابير فحلله ليبرهن على أن القول الذي لا تسلسل فيه والذي يحمل كل عنصر منه وظيفته أو الدور الذي يجب أن يقوم به في الخطاب نحو : " محمول ـ بسط ، عامل ـ فلاح ، حدث ـ قتل ، زمن ـ البارحة ، مكان ـ حظيرة الدواجن " ، ان مثل هذا القول قابل الفهم لكنه ثقيل قليل المردودية . والملاحظ فيه وجود خمس وحدات اضافية هي بمثابة عناوين تدل على دور الأجزاء الأخرى في مجموع القول . وإن نحن أسقطنا التركيب حدث قتل من هذا القول الذي تساوت فيه الوحدات فان القول يفقد معناه وان السامع سيتساءل عن زمان ومكان ومحمول وعامل ماذا ؟ ذلك لأنه تعوّد ترتيب التعبير عن أفكاره وتجاربه المتداخلة الأبعاد ، بصفّها حول مركز واحد وانه بمجرد أن يدرج الجواب عن السؤال : عامل ماذا ؟ فان القول ينتظم المدلول حول محوره حتى وإن كانت بقية الوحدات مكتفية بذاتها . والنتيجة انه بدون محور ، لا امكانية لتشكيل أجزاء قول ما وبالتالي لا نحو أيضا .

متى تدبرنا لغة القرآن الكريم اهتدينا الى ضربين من الأقوال الدنيا قائمين على ضربين من البناء : ضرب مخبره فعل ، وضرب مخبره غير فعل ، يتجلى هذا في جزء من الآيات الكريمة التالية : "قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون ، الله يستهزئ بهم ..." (آ - 14 - 15 البقرة 02) ، أو في قوله تبارك وتعالى : " لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن " (آ 10 الممتحنة 60) ، نستخرج من هذه الآيات الكريمة ضربين من الأقوال التامة :

1) - أ - نحن مستهزءون ب - هن حل لهم
2) - أ - الله يستهزئ بهم ب - هم يحلون لهن .

فالضرب الأول المخبر فيه : " مستهزءون " أو " حل " والضرب الثاني المخبر فيه " يحلون " أو " يستهزءون " فمادة المخبر بين في رقم 1 ورقم 2 واحدة ومعناهما واحد ولكن الصيغتين مختلفتان ، اسم فاعل وفعل أو مصدر وفعل . والذى نريد أن نؤكد عليه من الآن أن الضرب الأول من الأقوال قائم على غير بنية الفعل ، ومجال القول فيه واسع وشائك ، سنحاول معالجته وتيسيره بعد دراسة الضرب القائم على بنية الفعل المكونة للمركز الاخباري .

- من المعلوم أن الفعل في اللسان العربي يتصدر القول عادة وعليه فاننا سنبدأ بهذا القسم أولا فنقول ان الفعل في اللسان العربي يتميز من حيث مبناه عن بقية أقسام الكلام الأخرى ، ولقد كان للنحاة العرب العديد من الآراء حوله : منها ما يخص تسمياته أثناء التصريف، ومنها ما يخص ما يلحقه من زيادات . فان نحن رجعنا الى سيبويه في " الكتاب " وجدناه يعرف الفعل كالتالي : "أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع ،

وما هو كائن لم ينقطع "[1] ، وبما أن هذا القول يتطلب شرحا فان سيبويه قد وضحه قائلا : " فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد ... "[2] وهذا معناه أن الفعل الماضي الثلاثي - والثلاثي هو الأغلب تواترا في لسان العرب - يأتي على وجوه أربعة ، ثلاثة ميزتها حركة عينها (ـَ / ـِ / ـُ : فتح فكسر فضم) مع لزوم فتح فائها والوجه الرابع يتميز بضم فائه وكسر عينه وهو الفعل الذى لم يسمّ فاعله ، ونواصل مع سيبويه الشرح : " وأما بناء ما لم يقع فانه قولك آمرا : اذهب واقتل "[3] والأمر كما لايخفى لايدخل في الخبرية وهو صيغة أسلوبية خاصة لنا فيها رأى سنقوله في حينه باذن الله . ونبقى دائما مع سيبويه ومع تعريفه لبناء ما لم يقع "فانه قولك ... مخبرا يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب . "[4] والملاحظ هنا أيضا أن سيبويه يجمع بين الفعل الذى سمي فاعله والفعل الذى لم يسمّ فاعله ، وغرضه من ذكر الصيغتين معا - في رأينا - هو تبيان ما يطرأ عليهما من زيادة ثم من تغيير لحركة عينيهما ما عدا فعل " ذهب " الذى تعمّد اختياره أيضا . وحاصل ما نلاحظه من تعريف سيبويه للفعل أمران :

أولا : أنه يجعل الانقطاع أساس التقسيم ، فالمنقطع هو الماضي وغير المنقطع هو الذي لم يقع بعد وهو أيضا الكائن الذى لم ينقطع سمي فاعله أم لم يسمّ

ثانيا : التأكيد في البناء على الاختلاف الكائن في حركات فاء الفعل وعينه .

---

(1) - (2) - (3) - (4) الكتاب : سيبويه ، ص : 12 .

وان نحن عدنا الى ابن يعيش في شرحه للمفصل وجدناه يجعل الأفعال مساوقة للزمان وحركات الفلك يقول ابن يعيش : " لما كانت الأفعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه ، انقسمت بأقسام الزمان . ولما كان الزمان ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل ، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك فمنها حركة مضت ومنها حركة لم تأت بعد ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية . كانت الأفعال كذلك : ماض وحاضر ومستقبل "(1)

ثم انه بعد هذا ينتقل الى شرح قول الزمخشري " وهو مبني على الفتح " فيبين أن العلة في ذلك هو وجوب تسكين الأفعال واعراب الأسماء أصلا ، وعليه يجعل للأفعال مراتب ثلاثة : أولاها مشابهة الأسماء في الاعراب مشابهة تامة ومنها يأتي اسم : " الفعل المضارع " ، وثانيها ما يشابه الأسماء مشابهة ناقصة وهو "الفعل الماضي " ، وثالثها هو فعل الأمر الذى لا يشابه الاسم البتة .

والملاحظ في هذا الترتيب أن ابن يعيش يقرب " الفعل الماضي" من الاسم لا من حيث اعرابه كما كان في المنطلق ولكن من حيث انه يمكن أن ينوب منابه في قولهم : " مررت برجل قام " فان الفعل هنا يمكن أن يعوض بالقول التالي : " مررت برجل قائم " . فأيّ الاتجاهين نولّ وجوهنا ؟ والمسألة تتضح أكثر عندما يتعرض ابن يعيش لتبيان وجوه مضارعة الفعل التامة للاسم فهو يذكر :

1) دخول الزوائد الأربع على أوله وهي الهمزة والنون والتاء والياء فنقول يقول ونقول ...

---

(1) شرح المفصل ، ابن يعيش ، ص 7 ، ص 4 .

2) ثم دخول السين وسوف عليه بعد أن دخلته الزوائد الأربع فتخلصانه للمستقبل .

3) وتوجهه موقع الأسماء وتأديته معانيها نحو قولك زيد يضرب كما تقول زيد ضارب ، المعنى فيهما واحد .

4) دخول لام التأكيد عليه وهي في الأصل الاسم نحو قولك ان زيدا ليقوم كما تقول : ان زيدا لقائم .

ويختم ابن يعيش عرضه بهذا الحكم : "فلما ضارع الاسم من هذه الأوجه أعرب لمضارعة المعرب ، واعربه بالرفع والنصب والجزم ولا جر فيه " . كل هذه الاعتبارات مجموعة يذكرها ابن يعيش لتأكيد أمر واحد وهو الاعراب في الفعل ومضارعته للاسم .

والحق اننا ان تأملنا جيدا ما ورد في تعريف النحاة العرب للفعل وجدنا أن تداخل الاعتبارات المتعلقة بالمعاني واعتبارات الاعراب التي تكشف عن المعاني في اعتقادهم واعتبارات التصريف واعتبارات التركيب كلها متداخلة متشابكة تتقدم في آن واحد ولغرض واحد . وعليه فانه من الضروري ان كنا نريد الوضوح أن نفرق بين الاثبات والنفي وبين الحال والاستقبال وبين صيغة المعلوم وصيغة المجهول ، ونحن اذ نقول هذا لا ننكر أبدا أن الحركة الاعرابية كانت أم لكن تكن لها وظيفة مثلها كمثل الحرف تماما . وفي هذا الباب بالذات باب النظر في الفعل ومدلولاته نرى أن لابن جني رأيا سديدا يستحق الذكر والاعجاب ذلك لانه أولى الحركات دورا خطيرا لفهم معاني صيغ الأفعال والدلالة على الزمن بموجب تنوعها فيها . يقول ابن جني : " وذلك أنه قد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع اذ الغرض من صيغ هذه المثل انما هو لافادة الأزمنة ، فجعل لكل

زمان مثال مخالف لصاحبه ، وكلما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوة للدلالة على الزمان . فمن ذلك أن جعلوا بإزاء حركة فاء الماضي سكون فاء المضارع وخالفوا بين عينيهما ، فقالوا : ضرب يضرب، وقتل يقتل وعلم يعلم ". [1] . وبالنسبة لذهب يذهب الذي يذكره سيبويه في مثاله أثناء تعريفه للفعل وكذلك بالنسبة اكرم يكرم ، فإن ابن جني يذكر أن فاءه ساكنة في المضارع . وهكذا نرى أن ابن جني في هذا الباب بالذات قد أصاب الغرض بنفاذ بصره وسعة اطلاعه على أحد دقائق سنن العربية أو أحد النواميس التي تميزها والمتمثل في المواقف أو الحركات وتغييرها لتغيير المعاني . وهذا الناموس الذي اهتدى اليه ابن جني قد جعله ا. مايير قانونا أو طارية لغوية تعتمدها الألسن الدالة على بعض المفاهيم ، يقول هذا العالم :
" ان مبدأ تغيير الحركات مثلا تعتمده الانجليزية (في) "قوز" — " قيز " (بطة — بط) ، لا ينطبق على معنى الجمع فحسب، بل يمكنه أيضا أن يدل على اختلاف الزمن مثل : "سينق" — " سونق " (شدا — يشدو) . . . " [2]

واذا عرفنا هذا فاننا نقرر أن تعريف ابن جني هو الوظيفية أقرب، لأنه يعتبر ما يعتور الفعل من تغيير في هيكله الأساسي . وحتى نقف عند تعريف وظيفي للفعل يجب أن نثبت واقعا في استعمال اللسان العربي وهو أن الفعل قد يرد وحده معزولا ان كان على صيغة "فعل" وقد يرد مصحوبا بكلمة أخرى أو بكلمتين اذا جاء على صيغة "يفعل" ، وهذه الكلمات الزوائد تأتي

---

(1) ابن جني : الخصائص، ج 1 ، ص : 375 .
(2) ا. مايير . اللسان ، ص : 53 .

مطابقة تماما الاسم الذي يرتبط بالفعل ارتباطا أبازريا في المقول الأدنى . وقد تحدث النحاة العرب عن الضمائر بالنسبة لصيغتي " فعل " و " يفعل " وعن حروف المضارعة بالنسبة لصيغة " يفعل " .

اننا نرى أنه من الواجب طرح قضية الضمائر للبحث ، ذلك لأن صيغة " فعل " تسبق صدر المقول الأدنى . شأنها شأن صيغة " يفعل " ، وفي هذا الموضع بالذات فان صيغة " فعل " تبقى على حالها مع الشخص الثالث أو الغائب عموما مهما كان العدد ، أما الجنس فعلامة المؤنث فيه " التاء " نحو قوله تعالى : " اقتربت الساعة " (آ 1 القمر 54) ، أو قوله سبحانه : " وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم " (آ 213 البقرة 2) . هذه هي القاعدة الجارية في كلام العرب : اظهار تاء التأنيث ، وما تاء التأنيث هذه الا جزء من دال متقطع جزؤه الثاني هو الاسم الموالي له مباشرة والدال المتقطع وظيفته وظيفة المسند . وقد يتوسط هذا الدال المتقطع ضمير له وظيفة مغايرة تماما . الا أنه قد ورد في القرآن الكريم آيات حذفت فيها التاء ، وهذا أيضا قياسا على ما سمع عن بعض العرب ، يقول سيبويه في هذا : " وانما حذفوا التاء لأنهم صار عندهم اظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء كما كفاهم الجميع والاثنان حين أظهروهم عن الواو والألف "(1) . هذا قياس منزلة يعقده سيبويه بين الجنس والعدد ، ثم انه ينبه الى هذا الضرب من الحذف لتاء التأنيث في استعمالات بعض العرب وهي درجات متفاوتة : مؤنث فحيوان فآدمي يبين يقول : " وهذا في الواحد من

(1) سيبويه ، الكتاب ، ج 2 ، ص : 38 .

الحيوان قليل ، وهو في المدرات كثير ، فرقوا بين الموات والحيوان ، كما فرقوا بين الآدميين وغيرهم . . . ومما جاء في القرآن الكريم من الموات قد حذفت فيه التاء قوله عزّ وجلّ "فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى" (آ 275 البقرة 2) وقوله : "من بعد ما جاءهم البينات" (آ 105 آل عمران 3) ، وهذا النحو كثير في القرآن الكريم وهو في الواحدة اذا كانت من الآدميين أقل منه في سائر الحيوان . . . وذلك قوله تعالى : "وقال نسوة في المدينة" (آ 30 يوسف 12) "[1].

بهذا الشكل وعلى هذه الدلو يتقة في بعض كلام العرب ـ ولغاتهم كلها حجة ـ يمكن أن نضع جدولا لا علامة فيه للضمير مع الفعل في صيغة "فعل" اذا تصدر القول الأدنى وكان يتعلق بالغائب مذكرا كان أم مؤنثا ، ومفردا أو مثنى كان أم جمعا بحيث تكون الأمثلة كما يلي :

أ ـ شق القمر	(آ 1 القمر 54)	هو
فمن جاءه موعظة من ربه .	(آ 275 البقرة 2)	هي
ودخل معه السجن فتيان .	(آ 36 يوسف 12)	هما
وجاء أخوه يوسف .	(آ 58 يوسف 12)	هم
فقد جاء أشراطها .	(آ 18 محمد 47)	(هي)
وقال نسوة في المدينة .	(آ 30 يوسف 12)	هن .

انه من المعلوم ضرورة ذكر الاسم المظهر مع الفعل في صيغة "فعل" حتى يتمّ القول الأدنى كما بينا ولا سبيل لاخفائه مستبدلين اياه بالعلامة العدمية ، ومتى تحدثنا عن الاسم المظهر مطلقا قصدنا ضمائر الغيبة جميعها : هو هي هما[2] هم هنّ .

---

(1) سيبويه ، الكتاب ، ج 2 ، ص ـ ص : 38 ـ 39 ـ 40 .

لكن صيغة فصل مع غير الاسم المظهر تتصل ضرورة اما بضمائر المتكلم وأما بضمائر المخاطب ، وفي كلتا الحالتين يمكن أن نحصل على قول أدنى مؤلف من لفظة واحدة نحو "آمنّا" في قوله تعالى : "قالت الأعراب آمنّا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " (آ 14 الحجرات 49) ، فالقول "آمنا " أو "أسلمنا " متألف من كلمتين "آمن " أو "أسلم " : فعل في صيغة "فعل " ثم "نا " ضمير جماعة المتكلمين (الاعراب في هذا المثال) ، وفي أي مثال مهما كان فان الضمير معرفة أو انه يحيلك الى معرفة يقول سيبويه : " لأنك انما تضمر اسما بعد ما تعلم أن من يحدّث قد عرف من تعني وما تعني ، وانك تريد شيئا يعلمه "(1).

وان نحن الآن نظرنا الى طبيعة الضمائر التي تلحق صيغة فعل بالنسبة المفرد مطلقا معتمدا على القائمة التالية : تُ(أنا) ـ تَ (أنتَ) ـ تِ(أنتِ) ـ تْ (هي) ـ ✗ هو . لقد تعمدنا تقديم ضمير الغائب المؤنث على المذكر ، به تتضح لنا صورة تبين سرّاً من أسرار العربية ، تدعّم ما ذهب اليه ابن جني في شأن صيغ الأفعال ، وتكرّس حقيقة نجاعة الدراسة الوظيفية : ان التاء هي الكلمة الأساس في هذه الضمائر كلها ، وحتى تؤدي معاني ضمائر الانفصال أنا وأنت وأنت وهي وهو كان لابد من توفر شرطين :

1 ـ تعاقب كل صوائت العربية (أو حركاتها) : الضم والفتح والكسر ثم السكون أو انعدام الحركة .

2 ـ بعد نفاد كل الامكانيات الصائتية وتوظيفها يأتي الشرط الثاني : وهو خلو الفعل من هذه التاء التي استنفدت طاقاتها ، فتصير عدم العلامة علامة في حدّ ذاتها . (انظر الجدول (ص)

---

(1) سيبويه : الكتاب ، ج 2 ، ص : 6 .

أما بالنسبة للضمائر الأخرى التي تتصل بصيغة فعل مع الجمع والمثنى فتتميز بالزيادة مطلقا : امّا زيادة الفتح مع المد أو الضم مع المد في "أسلما " و " أسلموا " ، واما بزيادة صامت هو " ن " مع الفتح فقط أو مع الفتح والمد وذلك في "أسلمن " و " أسلمنا " وأخيرا زيادة صامتين أولهما مضموما وهو " التاء " وثانيهما اما الميم بالفتح مع المد في "أسلمتما " واما بالسكون في " أسلمتم " وامّا " النون " المضاعف في أسلمتن وتبقى حالها واحدة وهي " أسلمتا " للمثنى المؤنث وحالها ظاهر بالنسبة " أسلما " المثنى المذكر وتفصيل ما ذكر يكون كالتالي :

بالنسبة للمثنى فان الصامت الذى اختير للفرد والذى هو " التاء " يعاد استعماله ، ولكن حتى يؤدى وظيفته كاملة فانه اختير له الفتح المدى في " كتبتما " واختير له الضم مع زيادة مقطع طويل هو : " ما " في كتبتما " واختير مد الفتحة مقابلا لقصرها بالنسبة للمثنى الغائب المذكر : " هما كتبا " .

ولنصل بعد هذا الى الجمع فنلاحظ أن المقطع القصير للتاء المضمومة يستعمل في خمسي الوحدات النحوية ، فيأتي في المخاطب متبوعا بميم ساكنة في " كتبتم " أو نون مضاعفة مفتوحة في " كتبتن " ثم يستند الى مقطع ، تارة قصير وتارة طويل ، أساسه النون المفتوحة المخالفة بين " كتبنا " و " كتبن " (للمتكلمين والغائبات .

ويستمر انعدام اقتران الصوامت بالنسبة لجماعة الغائبين ، ولكنه كي تتميز عن المثنى والمفرد ، فانه يعتمد على المد (مد الضم في " كتبوا " .

فحاصل مايستعمل بالاعتماد على التاء في مواقتات " التاء " كوحدة نحوية مع الوحدة المعجمية (مادة الفعل) ثماني مرات من اثنتا عشرة مرة (أى : بنسبة الثلثين) ومن تلك الثمانية ، استعملت التاء مع الحركات القصيرة الثلاثة كلها ا مرة مع السكون ومرة مع مدّ الفتح .

بهذه الضمائر تتميّز صيغة فعل كما تتميز بحركة عينها المخالفة لصيغة يفعل ، وإنه قد استقر الأمر على هذه الخاصية في عين الفعل وعلى سكون التاء في يفعل ، تبقى مسألة دخول الكلمات التالية على صيغة يفعل وهي الهمزة والنون والياء والتاء وكلها ترد مع الفتح ويسميها ابن يعيش الزوائد الأربع التي يضارع بها الفعل الاسم ، وبما أننا بصدد النظر في ما يتميز به الفعل عن الاسم في العربية ، فاننا نرفض أن نجعل من الاسم مدار أمرنا كله وقطب اهتماماتنا . وعليه فاننا نقول : انه اذا كان تميّز الفعل في صيغة فعل بما تميّز به فان الفعل في صيغة يفعل يتميز بدخول هذه الكلمات التي تدل على معاني خاصة ، فابن جني مثلا يقول في معانيها " وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل اذ كنّ دلائل على الفاعلين : من هم ، وما هم ، وكم عدّتهم نحو أفعل ونفعل وتفعل ويفعل "[1] . والحق أن هذا وحده لا يكفي فما علينا الاّ أن ننظر في العشرة الباقية ، لأن الهمزة مع الفتح قد خلصت المتكلم المفرد مذكرا كان أم مؤنثا ، كما خلصت النون مع الفتح لجماعة المتكلمين اناثا وذكرانا ، ولئن كانت التاء قد ظهرت في صدر الفعل مع المخاطب عموما جنسا وعددا الا أنها قد تجاوزت المخاطب عموما الى الغائب المؤنث في المفرد وفي المثنى ، وقد نجم عن هذا ما يسمى بالاشتراك في المخاطب المفرد

---

(1) ابن جني : الخصائص، ج 1 ، ص : 225 .

المذكر وفي المثنى أيضا والغائب المفرد والمثنى المؤنث : أنت / وهي تكتب ، وأنتما / وهما تكتبان . من الطبيعي أن السوابق الأربعة لا تكفي للتمييز بين أربعة عشر ضميرا ، فألحقت بالفعل أصوات ثلاثة : المد مع الكسر وقد خص المخاطب المفرد المؤنث والمد مع الفتح جعل للمثنى عموما - أما المد مع الضمّ فيلحق المذكر في جمع المخاطب والغائب المذكر ، وتلحق هذه الزيادات التي ذكرناها " نون " هي على التوالي مكسورة مع المثنى عموما ومفتوحة مع الجمع ومع المفرد المؤنث المخاطب انظر الجدول ص . وهذه النون يقول فيها سيبويه "كأنها عوض لما منع الفصل من الحركة والتنوين " ، ونحن نرى أن هذه النون خاصة بالحدث المثبت غير المنقطع ، ذلك أنها تختفي في نفس الصيغة مع الحدث المنقطع المنفي المقترن بـ "لم " ، كما أنها تزول مع انعدام الحدث في المستقبل في نفس الصيغة أيضا ، المقترن بـ "لن " . الا أنه يفرد جمع المؤنث الغائب بنون ليست كالأخريات . وأخيرا نقول أن الفعل مع صيغة يفصل ومع الغائب عموما يتصل بالاسم الظاهر ضرورة في القول الأدنى نحو قوله عزّ وجلّ : "يمحق الله الربا " (آ 267 البقرة 2) هذا مع الاسم المفرد ، أما مع الجمع فيظهر هذا في قوله سبحانه : "وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون " (آ 35 النمل 27) ، ومع جمع غير العاقل يظهر في قوله تعالى : " وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " (آ 65 يس 36) .

تعرضنا في ما سبق الى بنية الفعل الثلاثي الصحيح في العربية دون الاشارة الى تصاريف أنواع الأفعال الأخرى من مهموز ومثال وناقص ومضاعف ولفيف مفروق أو مقرون لأنها مسائل يرجع اليها

في علم التصريف ، ولأننا لم نبحث الا في ما يحتوي بنية الثلاثي في صيغتي فعل ويفعل ، ثم اننا نظرنا في الذي يلحق هاتين البنيتين من زوائد للتمكن من معرفة خصائص الفعل في العربية لأنه يؤدي دور المركز في النواة الاخبارية حيثما وجد . وان نحن قسمنا الفعل الى صيغتين فقط : "فعل" و"يفعل" فلأننا اعتبرنا القول الأدنى المثبت هو الأصل وهو المطلق الذي يمكن أن ندخل عليه تغييرات بإلحاق الزيادات أو بالحذف لنصل الى معاني أخرى كإخفاء الفاعل الحقيقي أو كالنفي أو الاستفهام وغيره .

أما حقيقة الفعل في العربية من حيث معناه فابن سيده يقسمه قسمين : "أحدهما يدل على حادث أخذ منه هذا الفعل المتصرف والآخر لا يدل على حادث . . . فالأول لا يدل على فعل نحو : كان وأخواتها ونحو تضادّ الشيئان وتماثلا في الجنس وعدم الشيء هو مأخوذ في الحقيقة اما من القلب أو من غيره نحو : فهم وفطن وسر واغتمّ واشتهى . . . وأما أفعال الجوارح نحو : جلس وذهب وضرب وكسر فتجري في المتعدي وغير المتعدي . . ."(1) فابن سيده يعتمد أولا المبنى فيقول ان كل ما كان على طريقة فعل ويفعل في أي معنى كان فهو فعل في حكم النحويين ثم انه بعد ذلك يرجع الى حقيقة المعنى فيصنف الأفعال صنفين بناء على المصادر التي أخذت منها ، صنف لا يدل على فعل وحدث لا يدل على عمل حادث في الحقيقة ، وهذا الصنف ينقسم بدوره الى قسمين : قسم القلب مداره ، وقسم الجوارح سبيله .

والحق اننا عندما نرجع الى كتاب : "الأصول في النحو" لابن السراج نرى دقة عجيبة في الملاحظة امتاز بها هذا العالم في هذا الموضوع

---

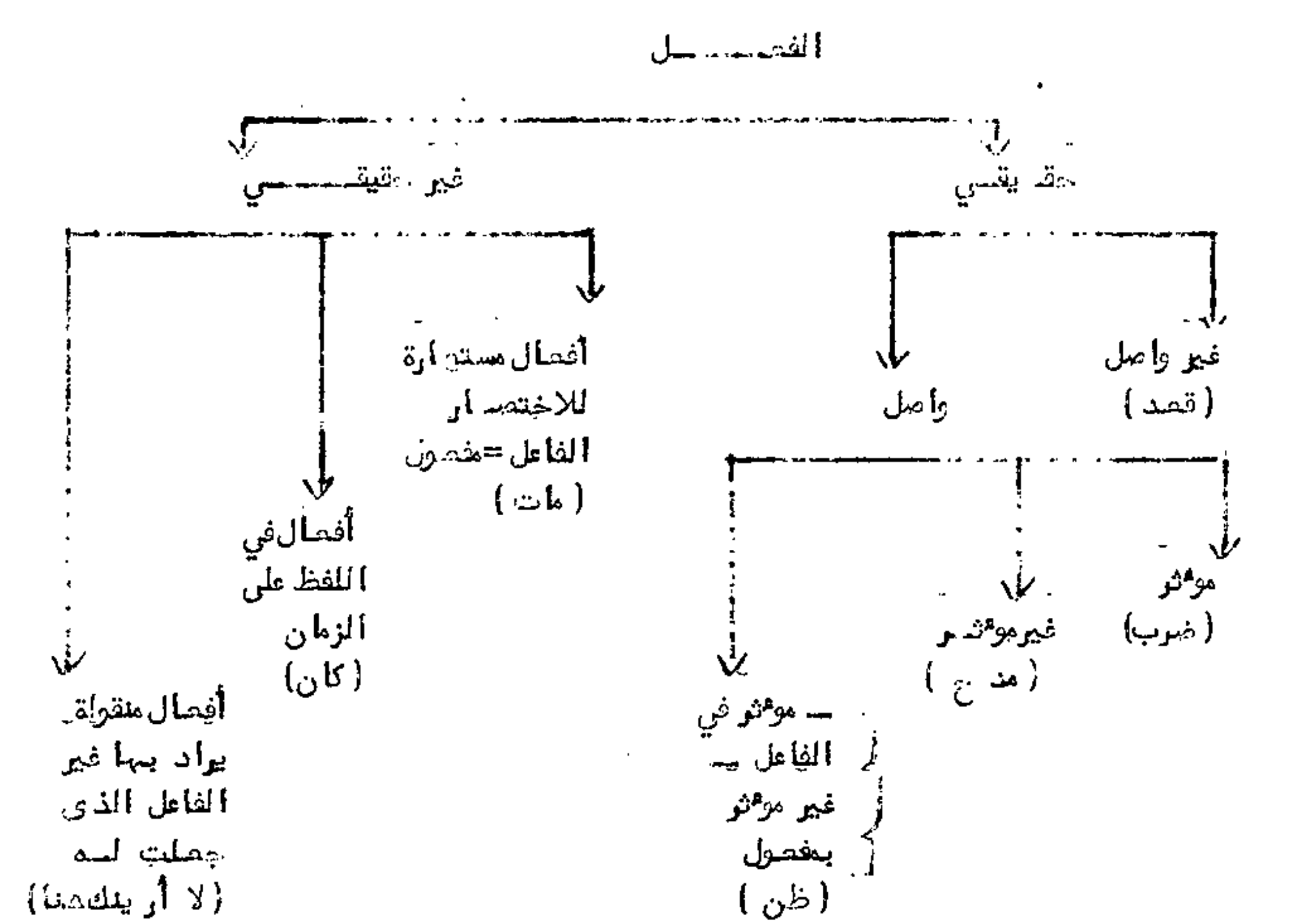
(1) ابن سيده : المخصص ، المجلد الرابع ، السفر 14 ، ص : 130 .

بالذات . فهو يقسم الأفعال قسمين كبيرين : فعل حقيقي وفعل غير حقيقي ، والفعل الحقيقي ينقسم قسمين أيضا ، أحدهما أن يكون الفعل لا يتعدى الفاعل الى من سواه ولا يكون فيه دليل على مفعول نحو قمت وقعدت والآخر أن يكون واصلا الى اسم الفاعل : والفعل الواصل على ضربين : فضرب واصل مؤثر نحو : ضربت زيدا .. والضرب الآخر واصل الى الاسم فقط غير مؤثر فيه : ذكرت زيدا ... ومنها الأفعال الداخلة على الابتداء والخبر وانما تنبيء عن الفاعل بما هجس في نفسه ، مثل ظننت زيدا أخاك ..."[1] في هذا القسم ، الفعل يقوم به الفاعل اما ليؤثر فيه واما لينعكس على غيره ، أثر فيه أم لم يؤثر ، ويبقى ضرب من الأفعال يحدث في ذات الفاعل ويخبر بما وقع عنده . أما القسم الثاني فأروع ما جاء في تعريفه عند ابن السراج قوله : "فالضرب الأول : أفعال مستعارة للاختصار وفيها أن يبان فاعليها في الحقيقة مفعولون نحو : مات زيد وسقط الحائط ومرض بكر . والضرب الثاني أفعال في اللفظ وليست بأفعال حقيقية وانما تدل على الزمان فقط وذلك قولك : كان عبدالله أخاك ليست تخبر بفعل فعله انما تخبر أن عبدالله أخوك في ما مضى ...[2]

لبا ب المسألة ان ابن السراج في أشد ما تكون الرؤية وضوحا اذ أنه يبين أن بعض الأفعال تكون بلا فاعل ، وقد يحكم الناظر المتسرع بأنه ضرب من التناقض أو من المحال . ثم يمضي ابن السراج في تحليله ، ويبين أن بعض الأفعال الأخرى أوما تسامح النحاة في تسميته كذلك ليست أفعالا حقيقية وانما هي تدل على الزمان فقط فتدرج الخبر في الزمان : وقد رأينا أن نضع رسما يجلي نظرة ابن السراج في الفعل فهو كما يلي :

---

(1) ـ (2) ابن السراج : الأصول في النحو ، المجلد الأول ، ص ص : 73ـ74 .



هذا وان النحاة العرب ابتداء من ابن يعيش قد وضعوا الأفعال في مجموعات أساسها المحور المعنوي ، فتحدثوا عن أفعال القلوب ، وأفعال المقاربة ، وأفعال العلم واليقين وأفعال الشروع ، وأفعال التحويل ، وفعلي التعجب ، وفعلي المدح والذم . والرأي السديد لا يمكن أن يقام الا على الواقع ، وهذا ما يراه الوظيفيون ، اذ أنهم يعتبرون أن الفعل الحقيقي هو الذي يحمل الخبر وهو الذي يكوّن محور النواة الاخبارية التي يرتبط في علاقة اخبارية مع وحدة أخرى على الأقل هي السند اذا كان الفعل مستقلا ، أما مسألة عدد الوحدات التي يمكن أن ترتبط بالنواة الاخبارية

فهي في نظر الوظيفيين نحوية معجمية لأن الوصل أو عدم الوصل أو ما يسمى باللزوم والتعدي ظاهرة لا تخفى الا أن ضابطهما الأصلي معجمي لأن المعجم هو المرآة التي تنعكس فيها الاستعمالات ، وإننا نورد بهذه المناسبة رأيا لـ . أ. مارتينيه نعتقد أنه يسير المسألة ولا يترك مجا لا للجدل فيها ، فهو يرى : " أن أي حال أو أي حدث يمكن أن يعتبر دالا على حال ما في شخص ما أو شيء ما أو واقعا لصالح شخص أو شيء ما) أو لعدم صالحه ، وعليه يمكننا أن نفكر في وظيفة غير خصوصية تعبر عن هذا الضرب من العلاقة "(1) . ولتوضيح الأمر يقدم م " مارتينيه " أمثلة منها فعل " صنع " وفعل " بنى " فيقول انهما يتضمنان بالضرورة أثرا مصنوعا أو صرحا مشيدا ولكنهما لا يتضمنان البتة شخصا لصالحه يتم العمل ، وعلى العكس من ذلك فان فعل أعطى لا يتصور في المطلق دون شخص يقدم عطاء أو دون شخص يتقبل العطاء ولا دون شيء يعطى ، حتى وان كان اللسان مرنا بحيث انه يدعي الطرفين الآخرين (العطاء ومتقبله) . ولهذا الفعل استعمالات في القرآن الكريم تظهر لنا صور أربعة تعكس ضروبا أربعة من التراكيب نقدمها في ما يلي باعتبار تعلق الوظائف الخصوصية مع الفعل :

1 ـ انا أعطيناك الكوثر (آ 1 الكوثر 108) / ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه .

مخبر سند باسطة باسطة أولية
أولية ثانية .
أولى

2 ـ ولسوف يعطيك ربك فترضى (آ 5 الضحى 93)

مخبر باسطة سند
أولية
أولى

---

(1) أ. مارتينيه : علم التراكيب العام ، ص : 200 .

3 ــ أفرأيت الذى تولّى وأعطى قليلا وأكدى (34 النجم 53)
مخبر سند = ⌀ بواسطة أولية
ثانية .

4 ــ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى (5 الليل)
مخبر سند = ⌀

بالنظر في شكل صيغتي فعل ويفعل وباعتبار الوظيفة الوحيدة للفصل التي هي الاخبار ثم بالتطرق الى المحلى في الفصل ننهي الكلام على الفصل دون أن نعد تمه لننظر في الجزء الضرورى الآخر من القول الأدنى والذي نطلق عليه مصطلح السند حتى لا نوقع المتعلمين في ما أوقعهم فيه النحاة القدامى من لبس في الفاعل الحقيقي والفاعل الذى هو مفعول ونائب الفاعل . . .

وظيفة السند في القول الأدنى يؤديها الاسم الذى يكوّن مع الفصل قسمين منسجمين بارزين على مستوى التركيب في اللسان العربي . وقد يقوم الاسم المعرفة بدور السند كما يمكن أن يقوم به الاسم النكرة أو ما يقوم مقام أحدهما وسنتحدث عن هذا الضرب الأخير في بابه ان شاء الله ، ولننظر في المعرفة أولا . فالمعرفة في نظر سيبويه خمسة أشياء ولنعتها عنده كما يلي : "الأسماء التي هي أعلام خاصة ، والمضاف الى المعرفة (اذا لم ترد مع التنوين) ، والألف واللام ، والأسماء المبهمة والاضمار"(1) .

لنبدأ بالأسماء التي هي أعلام خاصة ، فسيبويه قبل أن يعرّفها اعتمادا على معناها دون مبناها بعرض أمثلة منها يقول : "فأما

(1) سيبويه : الكتاب ، ج 2 ، ص : 5 .

العلامة اللازمة (الخصّة) المختصة نحو : زيد وعمرو وعبد الله وما أشبه ذلك ، وإنما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه يعرف به بعينه دون سائر أمته "(1) ، فاذا كان العلم اسم يدل على معنى يختص بسه بالوضع ، واذا كان بمثابة وسم أو شارة خاصة بالمسمى تدل بذاتها عليه فانه من حيث مبناه يعرف بطبيعته أي أنه مجرد من كل قرينة وأنه يمتاز عن بقية الأسماء الأخرى في كونه لا يعرف التغييرات التي يدخلها الجنس والعدد عليها ، فالأمثلة الواردة في القرآن الكريم على نمط واحد : آزر ، ابراهيم ، اسرائيل ، قارون ، موسى ، عيسى ، مريم ، هود ... لا تعرف التغيير ، مثال فـ رجع موسى الى قومه . مخبر سند .

وشبيه بوضع الاسم العلم من حيث تجرده من القرائن اللفظية - نحوية كانت أم معجمية - وضع الضمائر والأسماء المبهمة كاسم الاشارة والاسم الموصول ، ووجه شبه هذه كلها بالاسم العلم يكمن في عدم اتصالها بالزوائد ، اما اختلافها عن العلم من حيث المبنى فهو بيّن بدخول الجنس والعدد عليها أما من حيث المعنى فيوجد تفاوت بين الضمائر وأسماء الاشارة والاسم الموصول . فالضمير يعرف مسماه بقرينة الشخص المتكلم أو المخاطب أو الغائب مثل : "وجاءوا أباهم عشاء يبكون ." (16 يوسف 12) . مخبر سند

ومثل "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة " مخبر سند

(آ 94 الأنعام 06) ، ومثل : "أنا أحيي وأميت " (آ 258 البقرة 02) .

---

(1) سيبويه : الكتاب ، ج 2 ، ص : 5 .

واسم الاشارة يعرف مسماه بالاشارة المادية الحسية أو الاشارة المعنوية مثل :

وحسن أولئك رفيقا

مخبر سند

أما اسم الموصول فيعرف بصلته أى بما يأتي بعده ونكتفي في هذا المكان بتقديم الأمثلة على أن نفصل القول فيه في حينه ان شاء الله : المثال الأول : فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه (12 القصص 28).

سند مخبر

المثال الثاني : قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها .

مخبر سند

المثال الثالث : "سبح لله مافي السماوات وما في الأرض"(آ 1 الحشر 59)

مخبر سند

واذا كانت الصلة تأتي بعد الاسم الموصول فتعرفه فان الاسم المضاف الى المعرفة يأتي قبل الاسم المعرفة فيتصل به تركيبيا ليكون معه كلا يقوم بوظيفة الاسم الواحد غير المركب، وهنا تتعدد الأمثلة بتعدد أنواع المعرفة .

1 ـ وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه (آ 58 يوسف 12)

مخبر سند

2 ـ حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور (آ 40 هود 11)

مخبر سند

3 ـ انه قد جاء أمر ربك .

مخبر سند .

4 ـ وجاءت سكرة الموت بالحق (آ ـ 19 ق 50)

مخبر سند

ان الاسم النكرة : هو اسم يدل من حيث معناه على مسميين فصاعدا لا يخصّ به واحد دون غيره ، وعليه فان الشيوع والعموم من لوازمه . أما من حيث مبناه فانه ان لم يضف الى غيره نوّن بمعنى لحقته نون في آخره ، مثال ذلك :

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (آ 15 المائدة 05).

مخبر سند

وجاءت سيارة (آ ـ 12 يوسف 12)

مخبر سند

ان الاسم النكرة اذا لم يضف الى غيره ولم ينوّن دخلت عليه أدات التخصيص أو ما يسمى بلام التعريف فيصير مخصّصا ومثاله :

قل جاء الحق وزهق الباطل . (آ ـ 81 الاسراء 17) .

مخبر سند .

ان لابن الجوزية رأيا في التنوين جد طريف نورده هنا لما فيه من فائدة يقول هذا العالم : " التنوين فائدته التفرقة بين فصل الكلمة ووصلها فلا يدخل في الاسم الا علامة على انفصاله عما بعده ولهذا كثر في النكرات لفرط احتياجهما الى التخصيص بالاضافة ، فاذا لم تضف احتاجت الى التنوين تنبيها على أنها غير مضافة ولا تكاد

المعارف تحتاج الى ذلك الا ما قلّ من الكلام لاستغنائها في الأكثر من زيادة تخصيصها وملا يتصور فيه الاضافة بحال كالمضمر والمبهم لا بنون بحال وكذلك المقرون باللام" [1]، والذى يفيدنا في هذا الرأى هو انه يمدنا بامكانية تعرفنا على نهاية القول الأدنى ستظهر قيمتها على الخصوص عندما نتعرض بالبحث في الفصل الموالي للقول الأدنى الاسمي .

في نهاية الحديث عن القول الأدنى المثبت في أبسط صوره نود أن نقف عند مسألة تتعلق بمفهوم الحدث عند اللسانيين ـ تجلى بها مما تركته الآراء المعروضة المتداخلة في ما سبق ذكره . فأستاذنا بلقايد يقول مثلا : "في حالة ماذا اعتمدنا الواقع المتمثل في كون مفهوم النحو يتصل اتصالا وثيقا بالتجربة البشرية ، فانه يمكننا أن نطرح السؤال التالي : ما هي المتغيرات التي ترجع الى هذه التجربة البشرية بالذات ، وما هي المتغيرات التي ترجع الى اللسان"؟ [2] في هذه الحالة يقول الأستاذ بلقايد مؤيدا رأى دريز فرانسوا "ان الزمن الحقيقي (غير الزمن النحوى) والمكان هما ثابتان أساسيان في التجربة البشرية ، يمكن تجاوزهما حين ترجمة المعطيات المكانية والزمانية الى اللفظ . ومن هذا المنظار ، فان الحدث النحوى الذى يشدّ انتباهنا "موكيفية" قابلة للتقابل مع الزمن من حيث انها تمكن من وضع القول ـ ليس بالنظر الى زمن الكلام . ولكن بالنظر الى الزاوية التي يرى منها المتكلم الى الحدث أو الهيأة التي يعبر عنها الفعل ، كمنقطع ـ اما في المطلق واما بالنسبة الى حدث آخر أو حالة أخرى ـ أو غير منقطع" [3].

---

(1) ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ، م1 ، ج 1 ، ص : 86 .
(2) محمد بلقايد : المدرسة العربية : ص ص 435 ـ 436 .
(3) نفس المرجع ، ص : 436 .

وعليه أن الذى يجب أن يعلم هو أن صيغتي فعل ويفعل متقابلتان تدلّان على الحدث المنقطع وغير المنقطع ، وان طبيعة هذا التقابل ليست زمانية عدا أوضاع خاصة بالقرآن الكريم سنقف عندها في حينه باذن الله .

هذا وان الحديث عن القول الأدنى الفعلي لايكون كاملا مالم نتعرض بالذكر الى مجموعة من الأفعال التي تأتي تارة تامّة ، مكوّنة محور القول الأدنى الفعلي ، وبالتالي فهي تؤدّى وظيفة المخبر ، وتأتي تارة أخرى غير تامّة بمعنى أنها لاتؤدّى وظيفة المخبر ، ولا تكفي وحدها لتكوين القول الأدنى الفعلي ، ولكنها تكون مساعدة لفعل آخر تكوّن معه مخبرا مركّبا ، وبالتالي فهي عبارة عن قرائن زمنية أو حديثة ، أو هي قرائن تدل على كيفية وقوع الفعل أو الحدث . وان هي اتصلت أو اقترنت بالقول الأدنى الاسمي فانها تدرج المخبر الاسمي في الزمان، أو انها تحدد نوعية الخبر والتحولات التي طرأت عليه . وسيأتي تفصيل الحديث عنها في حينه ان شاء الله .

سنقتصر هنا اذن على تبيان النوع الأول من هذه الأفعال الخاصة وهي : كان وأصبح وأمسى وأضحى .

1 ــ كان ــ مثال : " واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ".
(آ ــ 117 البقرة 02).

ومع قرينة الشرط مثال : "وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ".
(آ ــ 230 البقرة 02).

2 ــ أصبح وأمسى : مثال :"فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ".
(آ ــ 17 الروم 30)

3 ــ أضحى : مع قرينة النفي مثال : " وانك لا تضمأ فيها ولا تضحى ".
(آ ــ 119 طه 20) .

موافقات فعل كـ ـ ت ـ ب

الحدث المقطع

الشخص		المفرد	مقطع واحد مم	المثنى	مقطعان 1و2	الجمع	
I		ك ـ ت ـ ب °	تُ		ق ط	ك ـ ت ـ ب °	نا
II	مذكر	ك ـ ت ـ ب °	تَ	ك ـ ت ـ ب °	تما	ك ـ ت ـ ب °	تم
	مؤنث	ك ـ ت ـ ب °	تِ		مق ط	ك ـ ت ـ ب °	تنّ
III	مؤنث	ك ـ ت ـ ب [box]	ت	ك ـ ت ـ ب ـ ت	تا	ك ـ ت ـ ب °	نَ
	مذكر	ك ـ ت ـ ب [box]	000	ك ـ ت ـ ب [box]	ا	ك ـ ت ـ ب	وا

مواقعات فعل : ك ـ ت ـ ب

الحدث غير المنقطع

الشخص			المفرد	1	2	3		المثنى	1	2	3		الجمع	1	2	3
I		أ	كْتُبُ	ـُ	ـَ	ـْ						نَـ	كْتُبُ	ـُ	ـَ	ـْ
II	مذكر	تَـ	كْتُبُ	ـُ	ـَ	ـْ	تَـ	كْتُبَ	ان	ا	ا	تَـ	كْتُبُ	ون	وا	وا
II	مؤنث	تَـ	كْتُبِ	ين	ي	ي	تَـ	كْتُبَ	ان	ا	ا	تَـ	كْتُبْ	نَ	ن	ن
III	مؤنث	تَـ	كْتُبُ	ـُ	ـَ	ـْ	تَـ	كْتُبَ	ان	ا	ا	يَـ	كْتُبْ	نَ	ن	ن
III	مذكر	يَـ	كْتُبُ	ـُ	ـَ	ـْ	يَـ	كْتُبَ	ان	ا	ا	يَـ	كْتُبُ	ون	وا	وا

1 ـ عند انعدام القرينة .
2 ـ عند اقتران الفعل بـ " لن " .
3 ـ عند اقتران الفعل بـ " لم " .

المسألة الثالثة :

القول الأدنى الاسمي

وضروبه

ان السند الذى يصاحب اجباريا المخبر الفعل يكون كما رأينا اسما معرفة أو اسما نكرة وموضعه المألوف التأخير عن المخبر . والمعلوم أنه من الممكن تغيير مجرى التعبير الطبيعي للكلام ، فيتقدم السند المخبر الفعل ، وهذا الأمر يفسره المفهوم التركيبي الأعم المعروف عند الوظيفيين بالنظم (بعض الوحدات تكون مركز القول وبعضها الآخر يتصل مباشرة بهذا المركز ، وتبقى بعض الوحدات الأخرى في علاقة غير مباشرة بالمركز) . وان نحن ذكرنا بالشكل الصفي للقول والذي يمثله مدرج الكلام ، والشكل الصفي للكلام البشري الناجم في الواقع عن خاصية النطق ، فان الأقوال المنطوقة تحدث بالضرورة في الزمان وتلتقط بالسمع كوحدات متوالية في خط واحد مستقيم . وعليه فان خاصية الصف في الأقوال تفسر توالي الأصوات والكلمات وفي هذه المتواليات يمثل الموضع أحد الطرق التركيبية الثلاثة ، في هذا الموضوع يقول ف . فراسوا : "ان الموضع الذى هو من الموجبات الضرورية للتركيب ، يمكن أن يصير علامة : بالمعنى البعيد : عندما يغير القلب المكاني في خطاب ما معنى ذلك الخطاب ، وهذا هو حال الفاعل والمفعول في قولنا : ضرب موسى عيسى ، وبالمعنى القريب يظهر موضع هذا في قولنا : "هذا الطفل" لا يقابل : "الطفل هذا" واذا كان ذلك كذلك فانه من المعلوم أنه يوجد تفاعل في الأقوال التالية : "هذا الطفل يحب هؤلاء المعلمين" و "هؤلاء الأطفال يحبون هذا المعلم" ، ان تغيير موضع اسم الاشارة لا يغير وظيفته التي هي مفعول له ... ولكنه يدل على علاقته : مفعول ماذا ؟ "[1]. وزيادة في الابانة نأخذ أمثلة الحركات التي تتعاقب على عيني صيغة "فعل" و "يفعل"

---

(1) الوظيفية في علم التركيب ، في : Langue française ، ص 14 ، رقم 35 سنة 1977 .

في قولنا : "ظننت أنه يعمل " وأظن أنه عمل فهذه الحركات غير تفاضلية في اللفظ التي وردت فيه الكلمة مهم أن نعلم أنها تكون جزءا من ذلك اللفظ دون غيره . فهذه الحركات الموجودة داخل الفعل والتي تتعاقب على عينه انما هي ذات وظيفة واحدة وهي مدرجة بالضرورة في اللفظ وهو الأمر الذي يدلّ على موضعها . اننا لا نبحث في هذا الفصل وفي حقيقة الأمر عن الاكتفاء الوظيفي للوحدات الدالة وانما نريد أن نبيّن أن تغيير مواضع بعض الوحدات الدالة من شأن وجوده — يغير مجرى التعبير الطبيعي للكلام ويكون له بالتالي تأثير على المعنى كما ذكرنا .

واذ قد عرفنا هذا فان تغيير مواضع الوحدات الدالة في حالة القول الأدنى الفعلي يؤدي بنا الى طرح مسألة الاشكالية في اختيار الأسس التي يقوم عليها منهج دون آخر في وصف اللسان وتقعيده كأن نعتمد الاعراب مثلا فنقول انه هو الدال على وظائف الوحدات في مختلف الأقوال في كلام العرب ، ثم نقول ان معرفة أحواله وأسبابه وعلله والعوامل التي تؤدي الى وجوهه هي الأسس الرئيسية المكوّنة لنظام تامّ متكامل به يتم وصف اللسان العربي وعلى ضوئه يتم وضع قواعده . بحيث ان حدث أن تحدثنا عن التقديم والتأخير فلن نجد رأيا أحسن ولا أدق من رأي عبد القاهر الجرجاني الذي يقول :
" واعلم ان تقديم الشيء على وجهين" :

1 — تقديم يقال انه على نية التأخير ، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ اذا قدمته على المبتدأ والمفعول اذا قدمته على الفاعل .

2 ــ وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم الى حكم وتجعل له بابا غير بابه واعرابا غير اعرابه ، وذلك أن تجيء الى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا"[1] .

ولعل من وضوح أكثر من هذا في أن نقول ــ جريا على ما قرره النحاة العرب من أن الاعراب هو أخص خصائص العربية ــ ان التقديم يكون امّا على نية التأخير واما على غير نية التأخير . وفي هذه الحال أو تلك فان مردّ الأمر كله يعود الى الحكم النحوي ، اما أن نقرره مع التقديم ، فنقول ان الفاعل مرفوع وانه متأخر عن الفعل وانه لا يجوز أن نقدمه على الفعل البتة ، واما أن ننقل الشيء كما قال الجرجاني عن حكم الى حكم ، ونجعل له بابا غير بابه واعرابا غير اعرابه . وفي حالة تقديم الفاعل على الفعل في القول المحددة بل تقديم المحدّث عنه على الفعل لانُ المحدّث عنه اذا تقدم لا يسمى في نظرهم فاعلا انما هو مبتدأ في هذه الحالة النظرية توجد استحالة عملية في رأيهم لانُ الفعل في رأيهم عموما وفي رأى الزمخشري أحد مشاهيرهم هو كالتالي : " اثباتا كان أو نفيا يقتضي أمرا ما يكون هو مسند اليه فحصول ماهية الفعل في الذهن يستلزم حصول شيء يسند الذهن ذلك الفعل اليه ، والمنتقل اليه متأخر بالرتبة عن المنقل عنه ، فلما وجب كون الفعل مقدما على الفاعل في الذهن وجب تقدمه عليه في الذكر . فان قالوا : لا نجد في العقل فرقا بين قولنا " ضرب زيد " وبين قولنا : " زيد ضرب " قلنا الفرق ظاهر لأُنا اذا قلنا زيد لم يلزم من وقوف الذهن على معنى هذا اللفظ أن يحكم باسناد معنى

---

(1) الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص ص : 106 ــ 107 .

آخر اليه ، أما اذا فهمنا معنى لفظ ضرب لزم منه حكم الذهن باسناد هذا المفهوم الى شيء ما "(1). وتبعا لهذا المنهج في التحليل اذا كان "زيد" في "زيد ضرب" مبتدأ ، فان الفعل "ضرب" لابد له من فاعل لأن الفاعل كالجزء منه ، وهذا يقتضي أن يكون "ضرب" جملة في رأيهم مكونة من فعل وفاعل (ضمير مستتر تقديره هو) خبرا المبتدأ "زيد".

بعد الاطلاع على هذه التفاصيل نقول اننا نقف أمام أهم مدرجات النحو التقليدي ، وهي المتمثلة في قوة العامل وما يلجم عنه من تقدير واخفاء ، نهاية المطاف فيه التحويل . ففي مثالنا هذا : " زيد ضرب " ، يحوّل النحو العربي بسيطة "زيد ضرب" الى بسيطة أخرى : "زيد ضرب هو" ليبرهن أن عامل الرفع في "زيد" هو الابتداء وليس الفعل : "ضرب". والحق ان هذه الذهنية هي ذهنية راسخة في القدم ، قوامها الاعتقاد بأن القواعد التي تتحكم في تكوين الأقوال في لسان ما تخضع الى ضرورات الفكر المنطقي الذي به يتم تفسيرها . وذلك باعتبار أنه لابد لكل أثر (حركة اعرابية) من مؤثر (عامل لفظي أو معنوي) وباعتبار ما توصلوا اليه من تقسيم الأقوال الى "جائز" و "ممنوع" نظرا للقواعد التي ابتدعوها وباعتبار الأقيسة الرياضية التي لا تطابق الواقع اللساني في شيء . وليس العرب هم أوّل من اهتدى الى اخضاع اللسان للمنطق وليسوا أيضا آخر من لجأ الى المنطق في تحليل اللسان .

والذي يهمنا في هذا المجال أن النحاة العرب لم يفتهم الحديث في مسألة التقديم والتأخير ، فقد ذكروا أن المفعول يمكن أن يتقدم الفاعل

(1) الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج 1 ، ص : 55.

وان المفعول يمكنه أيضا أن يتقدم الفعل والفاعل في ذات الوقت ومنهم من نظر في تقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية . ومن الجدير بالملاحظة أن منهم من بحث أمر تقديم الظرف والحال والاستثناء على العامل . لكن أمر التقديم والتأخير كما سبق ذكره في القول الأدبي الشكلي لا يناقش البتة بالنسبة لتقديم الاسم (كفاعل) على الفعل . فالمبدأ الشكلي واحد موحد لدى الجميع وضابطه هو العامل .

أما من حيث معاني التقديم والتأخير فهم متفاوتون في عرضهما وبسط القول فيهما ، فسيبويه مثلا يرى أن اللفظ يجري في حال التقديم ، كما يجري في حال التأخير يقول : " لأنك انما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه ، وان كان مؤخرا فيه اللفظ . فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير كأنهم انما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وببيانه أعنى ، وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم "(1) . أما عبد القاهر الجرجاني فيتفق على رأي النحاة السابقين له بأن التقديم للعناية والاهتمام غير كاف فيتجاوز ذلك الى سبب العناية ووسيلتها ثم يبين بالأمثلة العديدة حسن التقديم في الوعد والضمان والمدح ويصل الى نتيجة مفادها أن التقديم يكون للتأكيد ومنع الشك ، وأنه اذا كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر وجئت به في صلة كلام ووضعته بعد واو الحال ، فانه يحسن حينئذ به الكلام ويقوى به الوصف . والحق إننا لسنا في غنى عن الأمثلة التي قدمها الجرجاني من شعر يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه على حد تعبيره ، ولكن لأننا نخشى تجاوز حدود علم التراكيب الى علم المعاني والى أساليب التعبير . أيضا لأن الجرجاني ، قد أفرد فصولا ثلاثة مطولة للتقديم

(1) سيبويه : الكتاب ، ج 1 ، ص : 34 .

والتأخير بوجوهه التي عددت ، غير أنه تجاوز فيها صيغ الاثبات الى صيغ النفي والاستفهام . ونحن في هذا الفصل لا نخرج عن القول الأدبي الفعلي المثبت ، وخلاصة رأي الجرجاني غير بعيدة عما نراه ذلك لأنه يقول : " واعلم أن معك دستورا لك فيه " ان تأملت " غنى عن كل سواه ، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في " الخبر "(1).

وحتى يكون الحديث في هذه المسألة تاما شاملا فلا بدّ من الوقوف فيه عند رأي دلو يف لابن الأثير ، ينقسم فيه التقديم والتأخير الى ضربين رئيسيين نقدم خلاصتهما كالتالي :

1 ـ ضرب يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، فلو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى وهذا الضرب ينقسم بدوره الى قسمين :

أ ـ أحدهما أن يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، كتقديم المفعول على الفعل والمبتدأ على الخبر وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل .

ب ـ تقديم ما الأولى به التأخير لأن المعنى يمثل بذلك ويضطرب . وهذا النوع يسمى المعاظلة المعنوية وهو كما يقول فيه ابن الأثير : " اذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجري على سجيتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد . ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المشار اليه ".(2)

---

(1) الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص : 140.
(2) ابن الأثير : المثل السائر ، ج 2 ، ص : 251.

2 ـ ضرب يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك فانه مما لا يحصره عدّ ويكون في : تقديم السبب على المسبب وتقديم الأكثر على الأقل وتقديم الأفضل على الأفضل والأعجب فالأعجب.

والجديد في رأي ابن الأثير الجدير بالذكر، أنه تجاوز مفهوم الاختصاص في التقديم والتأخير في نطاق الجملة في القسم الأول من الضرب الأول وفي الضرب الثاني الى ما بعد الجملة بكل صراحة ووضوح، وبيّن بكل دقة علمية وبراعة أن التقديم والتأخير يستعمل لمراعاة الحسن في نظم الكلام وقد مثل لهذا بأمثلة كثيرة من القرآن الكريم. وقد فهمنا من استعمال عبارة " نظم الكلام " عند ابن الأثير معنى الأسلوب، والخوض في الأسلوب ليس داخلا في مجال بحثنا ولكننا نورد رأيا نديه نراه مطابقا لوجهة نظر الوظيفيين في أمر التقديم والتأخير. يقول لويس بريتو في تعريفه للأسلوب : " هو الطريقة التي يتم بالفصل وفقها تنفيذ عملية ما، ولا يتأتى ذلك الا في نطاق امكانية وجود طريقة أو طرق أخرى بحيث يكون وقع عليها اختيار صاحب العملية "(1). فالأسلوب عند ل. بريتو لا يساوي الاختيار ولكنه يقرر أن الأسلوب يتضمن اختيارا. والوظيفيون كما هو معلوم يجعلون الاختيار أساسا للوظيفة. واذا كان ذلك كذلك فتقديم المسند على المخبر الفعل يدرج في هذا النطاق، وبهذا يتأتى لنا أن نحلل وظيفيا قوله تعالى :

الرحمان علّم القرآن.

اذ: مخصّص مخصص

كالتالي : مسند مخبر.

---

(1) ل. بريتو : دورية اللسانيات، ص 5، رقم 1، ص 69.

وان تقول : الرحمان مبتدأ وعلم : فعل وفاعل والجملة الفاعل الفاعل (المستتر المقدر بهو العائد على الرحمان) والمفعول به خبر المبتدأ .

ان الذي أجمع عليه النحاة العرب كما ذكرنا هو عدم جواز تقديم الفاعل على الفعل وما قرروه من استتار الضمير والفعل واعتبار الاسم السابق للفعل مبتدأ ، هو نهج في التفكير قد اعترض عليه ابن مضاء القرطبي وقد خصص له في كتابه الرد على النحاة فصلا سماه الاعتراض على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال ، فيه يقول : " فان قيل : فما تقول في مثل : "زيد قام" اذ قالوا : ان في قام ضميرا فاعلا ؟ وليس داع يدعو الى ذلك الا قول النحويين : الفاعل لا يتقدم ، ولا بد للفعل من فاعل . وقولهم هذا لا يخلو من أن يكون مقطوعا به أو مظنونا ، فان كان مظنونا فأمره أمر الضمير المدعى في اسم الفاعل ، وان كان مقطوعا به صح هذا الاضمار ... "(1) وان المطالبين بالتجديد من النحاة المحدثين يعتمدون هذا الرأي ويسيرون وفقه نذكر منهم الأستاذ مهدي المخزومي في نقده وتوجيهه حيث يقول : " فاذا أردنا أن ندرس الجملة الفعلية دراسة جديدة في ضوء المنهج اللغوي وجب علينا أن نغض النظر عن كل ما قدموه من اعتبارات لا تمت الى الطبيعة اللغوية بصلة ، وأن ننسى أنهم فصلوا القول في بابين هما في الواقع اللغوي باب واحد . الجملة الفعلية هي ما كان المسند فيها فعلا ، سواء تقدم المسند اليه أم تأخر ... "(2)

---

(1) ابن مضاء القرطبي : الرد على النحاة ، ص : 90 .
(2) مهدي المخزومي : في النحو العربي نقد وتوجيه ، ص : 67 .

ان صادف ان اتفقت آراؤهم مع آراء الوظيفيين ، فستظل نكرر أن المسألة لا تجد حلها بتجنب بعض ما ورد عند النحاة القدامى والعمل ببعضه الآخر ، خصوصا اذا ما اعتمد الاعراب كعلامات تبين ما للكلمة أو الجملة من وظيفة لغوية أو من قيمة نحوية (المخزومي ، في النحو العربي ، ص 67) .

المقول العمدة الاسمي :

نعتبر قولا عمدة اسميا ، كل قول تامّ الدلالة مؤلف من وحدتين على الأقل من غير قسم الأفعال . ولئن كنّا بيّنا أن القول العمدة الفعلي يتكوّن أيضا من وحدتين على الأقل احداهما فعل ، قد يتقدم المسند أو يتأخر عنه باعتبار ما يقتضيه المقام ، فان الذى ينفرز به القول العمدة الفعلي من حيث مبناه ومن حيث معناه عن القول العمدة الاسمي نستطيع أن نلخصه في النقاط التالية :

1 — من حيث المعنى : ان الفعل يحمل مفهوم الحدث كما أنه يحمل مفهوم الزمان وسيأتي توضيح هذه النقطة في حينها ان شاء الله .

2 — من حيث الشكل : لئن كان الفعل الحقيقي وشبه الفعل يتفقان في ما يتصل بهما من قرائن : من سوابق ولواحق تخص الشخص من حيث عدده وجنسه ، ومن تغيير بيّن يمس الجانب المادى الظاهر في عيني صيغتي "فعل" و "يفعل" يتصل بطبيعة الدلالة على الحدث والزمن ، فان الفعل الحقيقي هو الذى يكوّن النواة الاخبارية .

3 — من حيث الوظيفة : ان للفعل قدرة مزدوجة كما يقول اميل بنفنيست (1) تتمثل في :

أ — الائتلافية : وهي تنظيم عناصر القول في بنية كاملة وهي وظيفة تركيبية .

---

(1) اميل بنفنيست : مشكلات اللسانيات العامة Emile Benveniste ج 1 ، ص ص : 151 — 167 (بتصرف) .

ب ـ <u>الاثباتية :</u> وهي امداد القول بمخبر ، فصيغة الفعل تحتوى على الاثبات ضمنيا وهو أمر يتصل بالمعنى ويضفي على القول الأدبي الفعلي كله صيغة المطابقة بين المجموع النحوى الذى يعكس نظام القول والحالة المثبتة أو نظام الحقيقة والواقع .

متى تحقق هذا للفعل وعلم تيسّر علينا أن ندحض الأدلة الواهية التي تجعل من المصدر دالاً على معنى الحدث وندحض أيضا بالتالي الأدلة التي تسقط سمة القيمة الكلية لمفهوم الحدث في الفعل ، كما أنه يصبح من اليسير علينا أن نفصل مفهوم الزمن في صيغتي شبه الفعل ونفي الاسم ، ذلك ان اشتراك الفعل والمصدر في الحدث وهمي وأن اشتراك ظرف الزمان وشبه الفعل في الزمان وهمي أيضا ، وقد فصلنا القول في هذا من حيث المبنى ، أما من حيث المعنى ، فاننا نرى من اللائق ـ زيادة في التوضيح ـ أن نذكر رأى ابن سينا في المسألة اذ يقول :
" فالاسم كل لفظ مفرد يدل على معنى من غير دلالة مبنية على الزمان الذى يقارن ذلك المعنى من الأزمنة الثلاثة ، مثل " زيد " . وأما الكلمة ـ فهي التي تكون في كل شيء كالاسم ـ الا انه يدل على الزمان المذكور ، مثل قولك " ضرب " فانه يدل على معنى هو " الضرب " وعلى شيئين آخرين : أحدهما نسبته الى موضوع غير معين ، والثاني وقوعه في زمان خارج عنه هو ماض ، وأما " أمس " فليس يدل على شيء وعلى ذلك الزمان الخارج ، بل الشيء الذى يدل عليه نفس الزمان . وأما " التقدم " فليس يدل على معنى وعلى زمان مقارن له ، بل على زمان هو داخل في حقيقة نفس ذلك المعنى ، فكذلك أمس والتقدم اسم "(1) .

---

(1) ابن سينا : منطق المشرقيين : ص 105 .

وإذ قد عرفنا نظام التركيب في القول الأدنى الفعلي واتساق المعنى فيه فإنه يتضح لنا المسار بالنسبة للقول الأدنى الاسمي ، فتكون الأسئلة المطروحة كالتالي : كيف تأتلف الوحدتين فيما بينهما ؟ هل ترتبطان بترتيب ثابت ؟ هل التمييز بينهما شكلي و /أو معنوي أم يقتصر على أحد الطرفين فقط ؟ وأيهما ؟

نذكّر أولا أن القول الأدنى الفعلي أو الاسمي على السواء هو الذي يتلفظ به بين سكوتين وأنه ينفرز بنغمة نهائية خاصة تقابل في كل لسان نغمات أخرى خاصة أيضا : تشويقية أو استفهامية أو تعجبية . وبهذه المناسبة نذكّر أن الوقف في القرآن الكريم قد يتحدد بضوابط تختلف باختلاف القراءات ، نذكر على سبيل المثال ولتبيان الأمور هذا النموذج منها في الآية 35 من سورة الأحقاف (46) ، ففي رواية ورش قراءة الإمام نافع يكون الوقف كما يلي : "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون". أما في رواية حفص قراءة عاصم بن أبي النجود فهي كالتالي : "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ج كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا ساعة من نهار ج بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون" ، فيتغير الوقف يتغير التركيب وبالتالي يتغير المعنى .

وكما أن المخبر لا ينفك عن مسنده في القول الأدنى الفعلي فإن المخبر في القول الأدنى الاسمي يقتضي مسندا ، والعلاقة بينهما ضرورية اجبارية . وإن الأمر البارز في القول الأدنى الاسمي هو أن

الاسم تتعدد وظائفه خلافا للفعل المختص بوظيفة الاخبار .
فالاسم يمكن أن يكون المركز التركيبي للقول كما يمكنه أن يكون العنصر الثاني الضروري الذي به يتم بناء القول . ففي هذه الحالة بالذات يتوجب علينا أن نبحث عن الوسيلة اللسانية وغيراللسانية التي تمكننا من التمييز بين وحدتي المسند والمخبر اذا كانا اسمين . لقد تحدثنا عن القسيمات الخمسة التي تتألف منها المعرفة ، كما تحدثنا عن النكرة من حيث المميزات الشكلية لكل قسيم من هذه وتلك ، بقي فقط أن نذكر أن الاسم يتميز بتعدد صيغه بالمقارنة بصيغ الفعل ذاك لأن البون شاسع بين تصنيف العلماء الأوائل في حصر أبنية الأسماء وتصنيف العلماء الأواخر ، فالذي أورده سيبويه في كتابه ثلاثمائة مثال وثمانية أمثلة ، أما السيوطي فيرى أن سيبويه والعلماء اللاحقين به ما منهم الا من ترك أضعاف ما ذكر فهو يقول : " والذي انتهى اليه وسعنا ، وبلغ جهدنا بعد البحث والاجتهاد ، وجمع ما تفرق في تآليف الأئمة ألف مثال ومئتا مثال وعشرة أمثلة "(1) والملاحظ في هذا كله أن الصيغة الواحدة قد يجيء عليها اسما وصفة في ذات الوقت وعليه فانه بامكاننا أن نقول ان القول الأدنى الاسمي اذا كان مؤلفا من اسمين ، اسم معرفة واسم نكرة أو صفة ، فالاسم المعرفة هو المسند والاسم النكرة أو الصفة هو المخبر . والتمييز بين شكليهما أمر يسير . لنرى هذا في الأمثلة التالية :

1 ـ و اللّه (مسند) قديـر (مخبر) آ ـ 07 الممتحنة 60

2 ـ الطلاق (مسند) مرّتان (مخبر) آ ـ 229 البقرة 02

---

(1) السيوطي : المزهر ، ج 2 ، ص : 4 .

	سند	مخبر	
و	إلهنا وإلهكم	واحد	آ 46 العنكبوت 29
	سند سند	مخبر	
3 -	يداه	مبسوطتان	آ 64 المائدة 05
	سند	مخبر	
	متاع الدنيا	قليل	آ 77 النساء 04
	سند	مخبر	
4 -	هو	أذى	آ 222 البقرة 02
	سند	مخبر	
	هذا	غلام	آ 19 يوسف 12
	سند	مخبر .	

ان الذي تنفرد به وحدة المخبر عن وحدة السند هو خلوهما من لام التعريف ، وهي ميزة شكلية . وان أردنا أن نعرف ما هو المميز المعنوي للوحدتين وجب علينا أن نعود بالضرورة الى بعض مفاهيم الفلسفة والمنطق هنا ، وبالتحديد الى مفهوم الماهية والكائن . فالكائن عند أرسطو " تعتبر فيه معاني عديدة . . . فهو يعني من وجه ، ما الشيء أو الماهية ، ومن وجه آخر فانه يعني الكيفية أو الكمية أو احدى الأخبار الأخرى أو المقولات من ذلك القبيل . لكن من بين هذه المعاني للكائن انه واضح أن الكائن بالمعنى الأول هو " ما الشيء " وهو مفهوم لا يعبر عن شيء آخر سوى المادة ، اننا في الواقع عندما نتكلم عن كيفية شيء ما محدد فاننا نقول انها جيدة أو رديئة ولا نقول انها ذات ثلاثة أذرع أو انها انسان ، وعلى العكس من ذلك ، عندما نعبر عن ماهيتها فاننا لا نقول انها بيضاء أو ساخنة ، أيضا لا نقول انها ذات ثلاثة أذرع ، ولكن نقول انها انسان أو رب . أما الأشياء الأخرى فلا تسمى كائنات

الا لأنها كميات للكائن بأتم معنى الكلمة أو كيفيات أو انفعالات (أعراض) لذلك الكائن أو بعض التحديدات الأخرى من ذلك القبيل "[1] .

ويذهب أرسطو في تعميق هذه الفكرة وتوضيحها حتى ترسخ في الأذهان فيقول انه لاشيء من حالتي الجلوس أو التنزه مثلا ، موجود بنفسه ولا شيء منهما - بالطبيعة - يمكن أن ينفصل عن المادة ، وهو أمر أساس ينطبق تماما على الاسناد في ناظرنا ؛ ويقول أيضا انه ليوجد من وراء كل واحدة منها موضوع حقيقي محدد ، وهذا الموضوع هو المادة والشخص الذي يظهر في قسم ما أو مقولة ما . فالمادة تكون في الرتبة الأولى على الاطلاق في رأي أرسطو وهذه الأولوية هي في ذات الوقت منطقية وطبيعية في المعرفة وفي الزمن . والحق إن العدم لاصورة له ، أما الكائن فبإمكانه أن يتقبل كل المعاني والمفاهيم التي تشير اليها ضروب الأقسام أو المقولات ، ذلك أن معاني الكائن تساوى في عددها عدد الأقسام . ولقد أشار " تريكو " في تعليقه على هذه المسألة الى الجدل الذى أحاط بمسألة الكائن والوجود أو المعاني التي يمكن أن يعتبر من خلالها الكائن كما تطرق " تريكو " الى مسألة مطابقة معاني الكائن العشرة مع أقسام الكلام العشرة ، مع العلم أن " المادة " أو مجموعة المواضيع التي تدل على المادة هي أولاها وبقية الأعراض يكتمل بها العدد وتتوزع كالتالي : المادة مثل : رجل ، فرس ، والكم مثل : ذراعان ، الكيف ، مثل : أخضر ، الاضافة بمعنى العلاقة مثل كثير أو أكثر ، المكان : مثل في المدرسة ، الزمان : مثل : أمس ، الوضع مثل : قائم ، الملك : مثل : مسلح ، الفعل مثل : يكتب ، الانفعال : مثل مكتوب .

---

(1) أرسطو : الميتافيزيقا ، تعليق تريكو ، ج 1 ، ص : 347 .

انهذا الذى قلناه عن التصورات الذهنية للكائن أوالمقولات وفقا لما ورد في كتاب الميطافيزيقا لأرسطو، انما قلناه من أجل اظهار ما نرى من علاقة بيّنة بين المعنى العام الذى يدلّ عليه القول الأدنى الاسمي على الخصوص ـ بجزأيه ـ والمعاني التي ترد في القضية المنطقية بالنظر الى الموضوع والمقولات أوإن شئت قلت أنواع الصفات ! فالاسم المعرفة في وظيفة السند اذا أخبر عنه لا يخلو أمره من أن يكون من حيث معناه دالا على وزن أوقيا س أولون أوعلى مكان أوعلى زمان أوعلى حالة ما أوعلى احدى الصفات الأخرى .
والأساس في هذا كله أنه لاسبيل الى ذكرهما دون ذكره البتة، كما أنه لا يتصور الا بها وان تقدم في الرتبة .

ولقائل ان يقول ان هذا بيّن بالنسبة لمجموعة الأمثلة الأولى، فكيف يكون حال الأقوال الدنيا الاسمية الأخرى ، وقد ترد على صور مغايرة لتلك التي عرضت آنفا ؟ نقول ان الأقوال الدنيا الاسمية ضروب خمسة وفقا لمبناها وهي كالآتي :
أ ـ اسم معرفة واسم نكرة ، وقد سبق الحديث عنه وعرضت أمثلة منه .
ب ـ اسم معرفة واسم معرفة .
ج ـ والضرب الثالث والرابع هما كالضرب الأول والثاني الا انهما مسبوقان ضرورة بوظيفي .
د ـ اما الضرب الخامس فتؤلفه مجموعة من الأسماء الخاصة .

ان الضرب الثاني من الأقوال الدنيا الاسمية هوالذى يتكوّن من اسمين كلا هما معرفة مثل : "عزير بن الله " ، "المسيح بن الله ".
والحق انه ، ان نحن فصلنا القول كما سبق بالنسبة للضرب الأول

في نوع المعرفة تعددت الأمثلة وكثرت ، وسنرى في ما يأتي مما يحتوي عليه القرآن الكريم من أمثلة : أ : ـ " المسيح بن الله " (30 التوبة 9) ، ب : ـ " اللّه نور السماوات " (35 النور 24) ، ج :ـ " اللّه ربنا " (15 الشورى 42) ، د : ـ " الله الغني " (38 محمد 47) ، هـ : ـ " قوله الحق " (73 الأنعام 6) ، و : ـ " مأواهم جهنم " (73 التوبة 9) ، ز : ـ " أزواجه أمهاتهم " (6 الأحزاب 33) ، ح : ـ " عقبى الكافرين النار " (35 الرعد 13) ، ط : ـ " أنت مولانا " (286 البقرة 2) ، ي : ـ ج " نحن أنصار الله " (52 آل عمران 3)، ك : ـ " هو القاهر " (61 الأنعام 6) ، ل : ـ " أنا أول المؤمنين " (143 الأعراف 7) ، م : ـ " أنا يوسف " (90 يوسف 12) ، ن : ـ هي عصاي " (19 طه 20) ، س : ـ " هو الأول " (3 الحديد 57) ، ع : ـ " تلك أمانيهم " (111 البقرة 02) ، ف : ـ " تلك حدود الله " (187 البقرة 02) ، ص : ـ " ذلكم الله " (95 الأنعام 06) ، ق : ـ " أولئك الأحزاب " (13 ص 38) ، ر : ـ " ربنا الله " (31 غافر 40) ، ش : ـ " ذلك عيسى بن مريم " (34 مريم 19) .

في هذا الضرب من الأقوال الدنيا الاسمية العنصران متساويان شكلا ، فكلا هما مخصص اما بالعلمية واما بلام التخصيص ، واما مخصص معجميا أو نحويا ، واما مخصص بطبعه كأسماء الاشارة أو الضمائر المنفصلة . والسمة المميزة للمخبر هي الموضح اذ أنه يلي السند دائما في هذا الضرب ، بالاضافة الى عامل تنغيمي صوتي بنفس درجة الأهمية لعامل الموضع ويأتي بالضرورة في موضعين : أولهما وقيفة لا يكاد يشعر بها بعد التلفظ بالسند والثاني وقفة أو سكون بعد المخبر

ينخفض فيه المعنى التخصيصي الى حد الانعدام مثال ذلك :
" اللّه الغني " و "أنتم الفقراء " .

أما الضرب الثالث فيتألف من اسم معرفة مسبوق بوظيفي ومن اسم نكرة . في هذه الحالة يكون الاسم النكرة سند القول ، والاسم المعرفة المسبوق بوظيفي يكوّن المخبر مثال ذلك :

على أبصارهم غشاوة (آ 7 البقرة 02)
مخبر = وظيفي اسم مخصص مخصص / اسم غير مخصص = سند .

في هذا الضرب تقدم المخبر السند على غير ما جرت به العادة والطبع أو كما يقول النحاة العرب خلافا للأصل . والحق أنه ليس في الأمر شيء متعلق بالتقديم والتأخير لغرض أسلوبي أوغيره ، ولكن المسألة وبكل بساطة متعلقة باستعمالات العرب للسانهم ، فتقديم المخبر هنا وتأخير السند يعدّ من موجبات التركيب ، وعليه فاننا أفردنا له ضربا خاصّا به ، وهذه بعض الأمثلة الأخرى من هذا الضرب : " في قلوبهم مرض " (آ 10 البقرة 02) ، " لها سبعة أبواب " (آ 44 الحجر 15) ، " فيهما فاكهة ونخل " (آ 68 الرحمن 55) ، " لدينا مزيد " (35 ق 50)، " لي دين " (آ 6 الكافرون 109) ، " عليهم غضب " (آ 16 الشورى 42) .

والضرب الرابع من الأقوال العمدة الاسمية يتألف من اسم معرفة مسبوق بوظيفي وباسم معرفة ، فالاسم المعرفة المعرف هو السند وهو متأخر في هذا الضرب أيضا ، أما المخبر فمتقدم ويكوّنه الاسم المعرفة المسبوق بوظيفي . وأمثلته في القرآن الكريم عديدة نذكر منها

ما يلي : أ ـ " لله الحمد " (آ ـ 36 الجاثية 45) ، ب : " عندى خزائن الله " (آ ـ 50 الأنعام 6) ، ج : " عنده مفاتح الغيب " (آ ـ 59 الأنعام 6) ، د : " إليّ المصير " (آ ـ 48 الحج 22) ، هـ : إليّ مرجعكم " (آ ـ 55 آل عمران 3) ، و : " ولي عملي " (آ ـ 41 يونس 10) ، ز : " للآخذه " (آ ـ 131 الأعراف 7) ، ح : " له دعوة الحق " (آ ـ 14 الرعد 13) ، ط : " على الله قصد السبيل " (آ ـ 9 النحل 16) .

أما الضرب الخامس والأخير فتشترك في تأليفه مجموعة من الأسماء الخاصة وهي " كل " ، " بعض " ، " مثل " ، و " ما " وتكمن هذه الخصوصية في أشكالها ومعانيها :

1 ـ " كل " : اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر كما يقول ابن هشام في المغني وقد يعرّف وقد يضاف الى المعارف كما يضاف الى النكرات أو المبهمات ، وقد يقطع عنها جميعا دون أن تلحق به أداة التعريف مع احتفاظه بالموضع الأول في القول فيكون سندا وظيفيا ـ وما بعده يكون مخبرا نحو :

أ ـ كل منقطع : مثل : " كلّ من عند الله " . (آ ـ 78 ، النساء 04) . " كلّ من عند ربّنا " (آ ـ 7 آل عمران 03) ، " كلّ من الصابرين " (آ ـ 85 الأنبياء 21) ، " كلّ متربص " (آ ـ 135 طه 20) .

ب ـ كل ، مضاف الى نكرة : مثل : " كلّ أمر مستقرّ " (آ ـ 3 القمر 54) .

ج ـ كل : مضاف الى مبهم : مثل : " كلّ من عليها فان "(آ ـ 26 الرحمن 55) .

د ـ كل : مضاف الى معرفة : مثل : " كلّهم آتيه " (آ ـ 85 الكهف 18) .

2 ـ " مَا " اسم مبهم ويدخل بالضرورة في علاقة اجبارية مع اسم مصرف مسبوق بوظيفي ، والمركب من الاسم المبهم " ما " وعلاقته يكوّن السند . أما الصفة التي بعده فهي المخبر ، مثال ذلك : " ما عند الله خير " (آ 60 القصص 28) . " هذا ما لديّ عتيد " (آ ـ 23 ق 50) .

3 ـ بعض : اسم للاختصاص عند سيبويه ، لا يأتي منقطعا أبدا في القرآن الكريم في وظيفة السند ، ثم انه يأتي وفقا لمعناه في غالب الأحيان في دال متقطع يتكون جزؤه الثاني من كلمة : " بعض " مسبوقة بوظيفي ، مثال ذلك : " بعضكم لبعض عدوّ " (آ ـ 123 طه 20) ، فالاسم بعض قد خصّصه ضمير جماعة المخاطبين "كم " والمخبر في هذا القول هو : "عدوّ" . أما وحدة "بعض " المسبوقة بالوظيفي " لـ " فهي جزء من الدال المتقطع : "بعض " .

4 ـ مثل : اسم للتسوية ، كسابقة لا يأتي منقطعا ، ويكون في شكل دال متقطع على وجهين : الوجه الأول : " مثل . . . ك" والوجه الثاني : " مثل . . . . كمثل " . نحو : " مثل الفريقين كالأعمى والبصير " (آ ـ 24 هود 11) و "مثل نوره كمشكاة " (آ ـ 35 النور 24) ، " مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة " (آ ـ 26 ابراهيم 14) ، أما الوجه الثاني فنحو : " مثله كمثل الكلب " (آ ـ 176 ، الأعراف 7) .

هذه هي الأضرب الخمسة التي يأتي على شاكلتها القول الأدنى الاسمي في القرآن الكريم فالصدارة على الدوام للاسم المعرفة مجردا كان أم مسبوقا بوظيفي ، وللوظائف اعتبار آخر كما أشرنا الى ذلك في ما سبق في الضرب الثالث والرابع .

بعد هذه التحديدات فان السؤال الملح هو كالآتي : هل يتسنى لنا قلب مواضع الوحدات في القول الادنى الاسمي ، كما فعلنا بالنسبة للقول الأدنى الفعلي ، لأغراض أسلوبية ؟ ان النظر في المدونة هو وحده الكفيل بتكوين مادة الاجابة ، ذلك وأنه لابد من اسقاط الضرب الخامس من الحسبان ، لخصوصية الأسماء فيه وتركيب مبانيها ، أما الأضرب الأربعة الباقية فتنقسم الى قسمين حسب تواتر ورودها في القرآن الكريم :

1 ـ القسم المتواتر ويتألف من نقيضي الضرب الثاني والرابع .

(أ) ـ معرفة ـ معرفة وهو يكاد يكون محصول حاصل ان نحن نظرنا في المثالين اللذين سقناهما في ما سبق : "الله ربنا" و" ربنا الله " .

(ب) ـ معرفة ـ وظيفي معرفة (*) مثل : " الله معكم" (آ ـ 35 محمد 47) ، " الملك على أرجائها " (آ ـ الحاقة 69) ، " الحمد لله " (آ ـ 36 الجاثية 45) ،

---

* لقد شكل هذا النمط من القول الأدنى الاسمي موضوع جدل لدى النحاة العرب وذلك لأنهم ـ بعد الاتفاق على أن الجار والمجرور والظروف يكونان خبرا متعلقا بمحذوف واجب الحذف ـ قد انقسموا الى فريقين : فمنهم من ذهب الى أن المحذوف اسم فاعل تقديره كائن أو ثابت

" الأمر اليك " (آ ـ 5 النمل 27) ، " هذا لي " (آ ـ 50 فصلت 41) ، " هذا لله " و " هذا لشركائنا " (آ ـ 136 الأنعام 6) ، " أنا من الضالين " (آ ـ 20 الشعراء 26) .

2 ـ القسم غير المتواتر ويتألف من نقيضي الضرب الأول والثالث، وهو نادر جدا ، ذلك لأننا لم نجد الا مثالا واحدا لكل نمط .

(أ) ـ : نكرة ـ معرفة : نحو : "سلام هي" (آ ـ 5 القدر 97) .
مخبر سلند

(ب) ـ نكرة ـ وظيفي معرفة : نحو : " معذرة الى ربكم"
مخبر سلند
(آ ـ 64 الأعراف 7) . لقد أثار النحاة قضية الابتداء بالنكرة واعتبر بعضهم انه لا يحسن الابتداء بالنكرة واعتبر آخرون أن ذلك لا يجوز لأن الخبر عندهم حكم ، والحكم على الشيء لا يكون الا بعد معرفته

= أو مستقر في قولك : زيد في الدار وهو عندهم من قبيل الخبر المفرد . أما الفريق الثاني ، فاعتبر أن المحذوف الذي يتعلق به الخبر هو فعل وتقديره استقرأ ويستقرأ وثبت أو يثبت وهو من قبيل الخبر بالجملة . وقد كان لابن مضاء القرطبي اعتراض على تقدير متعلقات المجرورات في كلام يعتبره تاما لا يفتقر السامع له الى زيادة قال : ابن مضاء في هذا الشأن : " ومما يجري هذا المجرى من المضمرات التي لا يجوز اظهارها ما يدعونه في المجرورات التي هي أخبار . . . مثل (زيد في الدار) . . . فيزعم النحويون أن قولنا " في الدار" متعلق بمحذوف تقديره (زيد مستقر في الدار) والداعي لهم الى ذلك ما وضعوه من أن المجرورات اذا لم تكن حروفها الجر الداخلة عليها زائدة فلا بد لها من عامل يعمل فيها ، ان لم يكن ظاهرا كقولنا (زيد قائم في الدار) كان مضمرا كقولنا (زيد في الدار) . ولا شك أن هذا كله كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة وتلك النسبة دلت عليها "في" ولا حاجة بنا الى غيرذلك " . (الرد على النحاة ، ص37) .

فالحكم على المجهول لايفيد . فسيبويه مثلا يقول : " وأحسنه اذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدى ء بالأعرف ، وهو أصل الكلام . ولو قلت رجل ذاهب لم يحسن حتى تعرفه بشيء فتقول : راكب من بني فلان سائر "[1]. أما ابن مالك فقد وضع شروطا ستة بعد حصول الفائدة حتى يجوز الابتداء بالنكرة [*] ، والظاهر ان ابن عقيل لم يكتف بهذه الشروط فراح يعقب على ابن مالك في شرحه قائلا : " هذا ما ذكره المصنف في هذا الكتاب وقد أنهاها غير المصنف الى نيف وثلاثين موضعا وأكثر من ذلك "[2] ، لكن الأشموني في كتابه " منهج السالك الى ألفية ابن مالك " يرى رأيا آخر بيّن فيه الأسباب التي كانت أساس الفرق بين وجهة نظر سيبويه والمتقدمين في اعتبار حصول الفائدة فقط وبين المتأخرين في وجوب تعداد مواضع الفائدة ، فيقول : " انه ليس كل أحد يهتدى الى مواضع الفائدة ، فتتبعوها ، فمن مقلّ مخل ومن مكثر مورد مالايصح أو معدد لأمور متداخلة "[3] ، ثم ان الأشموني يقطع في الأمر فيتخذ موقفا يحسب أنه وسطا ، لا افراط فيه ولا تفريط فيقول : " والذى يظهر انحصار مقصود ما ذكروه في الذى سيذكر وذلك خمسةعشر أمرا "[4].

---

(1) سيبويه : الكتاب ، ج 1 ، ص ص : 328 ـ 329 .
(2) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ، ج 1 ، ص : 218 .
(3) الأشموني : نهج السالك الى الفية ابن مالك ، ج 1 ، ص : 302 .
(4) نفس المرجع .
(*) ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد : كعند زيد نمرة
وهل فتى فيكم ؟ فما خل لنا ورجل من الكرام عندنا
ورغبة في الخير خير ، وعمل بر يزين ، وليقس مالم يقل

والحق أن الأشموني قد أغفل رأى رضى الدين الاستراباذى وهو علم في المتأخرين ورأيه هذا قد انفرد به عن المتقدمين وغيرهم ذلك أنه مع اعتباره الابتداء بالنكرة فانه ينظر الى الخطاب كله أو القول كله ولا يوقف الأمر عند افادة الاسم النكرة فقط ، يقول رضى الدين : " يقول ابن الدهان وما أحسن ما قال اذا حصلت الفائدة فاخبر عن أى نكرة شئت وذلك أن الغرض من الكلام افادة المخاطب فاذا حصلت جاز الحكم سواء تخصص المحكوم عليه بشيء أولا "[1]. ويدقق الاستراباذى هذا الرأى فيضيف : " فضابط تجويز الاخبار عن المبتدأ وعن الفاعل سواء كانا معرفتين أو نكرتين مختصتين بوجه أو نكرتين غير مختصتين بشيء واحد ، وهو عدم علم المخاطب بحصول ذلك الحكم للمحكوم عليه ، فلو علم في المعرفة ذلك كما لو علم قيام زيد مثلا فقلت زيد قائم عدّ لغوا ، ولو لم يعلم كون رجل ما من الرجال قائما في الدار جاز لك أن تقول : رجل قائم في الدار وان لم تتخصص النكرة بوجه ... قال تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة " ...[2]

لقد أوردنا هذه الآراء للنحاة العرب دون أن نتطرّق بالتحليل العميق الى المواضع التي يستحسن فيها عندهم ورود النكرة في بداية القول، وذلك لأنها تخرج بنا عن الخط الذي ارتسمناه وهو دراسة القول الأدبى المثبت أولا وأساسا ولا نرى كما يرون مكانا في هذا الباب المنفي ولا للاستفهام ولا للتعجب ولا للحصر ولا للتصغير ولا لغيره ؛ وما ينجم عن هذه الصيغ كلها من ذكر المسوغات وتعداد لها وبسط للقول فيها ، ولكن حتى نتبيّن هذا الأمر نسوق بعض الأمثلة من الألفية لتلك

---

(1) الاستراباذى : شرح كتاب الكافية في النحو ، ج 1 ، ص . : 88 ـ 89 .
(2)

المواضع التي يجوز الابتداء (عندهم) فيها بالنكرة ، وتلك المسوغات المتعلقة بها :

1 ـ) تقدم الخبر على النكرة	مثل : في الدار رجل .
2 ـ) أن يتقدم على النكرة استفهام	مثل : هل فتى فيكم .
3 ـ) أن يتقدم عليها نفي	مثل : ما خل لنا .
4 ـ) أن تكون موصوفة	مثل : رجل من الكرام عندنا .
5 ـ) أن تكون عامة	مثل : رغبة في الخير خير .
6 ـ) أن تكون مضافة	مثل : عمل بر يزين .

والملاحظ أن محمد محي الدين عبد الحميد له تعليق على الأمر الخامس الذى ذكره ابن مالك يبين فيه التداخل الموجود بين الأمر الخامس والسادس ، كما أن له تعليقا على أجناس هذه المواضع وأنواعها يقول : " ومن هذا تعلم أن الأمر الخامس يغني عن ذكر الأمر السادس ، لأن السادس نوع منه ... قد علمت أن بعض الأمور الستة يتنوع كل واحد منها الى أنواع ، فالذين عدّوا أمورا كثيرة لم يكتفوا بذكر جنس يندرج تحته الأنواع المتعددة ، وانما فصلوها تفصيلا لئلا يحوجوا المبتدئ الى اجهاد ذهنه "[1] ، والذى نستخلصه من هذا الرأى والآراء التي سبق عرضها هو أن المسألة ذات تشعب كثير ولف ونشر غير مرتب ، وعليه فاننا الى رأى رضى الدين الاستراباذى أميل لأنه الى الواقع أقرب . واننا بعد هذا كله نقرّ أن ظاهرة الابتداء بالنكرة أمر نادر بالنظر الى أمثلة الأضرب الأخرى التى أوردناها فمثالان في القرآن الكريم كله أمر يبعث على التأمل والتدبر ويجلب الانتباه لا محالة .

---

(1) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ج 1 ، ص : 219 .

ليس هذا الذي ذكرناه هو كل ما يمكن أن يقال عن القول الأدبي الاسمي في القرآن الكريم ذلك لأننا اعتمدنا على الأقوال المكونة من عنصرين فقط ؛ اما مختلفين واما متفقين من حيث الشكل ثم جعلنا قبل هذين العنصرين سالفي الذكر وحدة وظيفية فصارت عندنا أربعة أضرب ثم اننا بعد هذا قلبنا مواضع الوحدات باعتبار أن الوظيفي ملازم للاسم المعرفة ، فلم نحصل الا على ضرب واحد كثير الاستعمال وهو ضرب معرفة + وظيفي + معرفة ، وقد مثلنا له في ما سبق مثل غيره ، ثم اننا ذكرنا انه يوجد ضرب يتألف من أسماء خاصة عرضنا كل الأمثلة الموجودة فيه . والحق أن الواقع يملي علينا ضربا قائما بذاته وهو يتمثل هذه المرة في تغيير موضع الوظيفي وجعله أمام الاسم النكرة وهي تالية للمعرفة مثال ذلك : "المصباح في زجاجة " (آ ـ 35 النور 24)، " هم في لبس" (آ ـ 15 ق 50) ، "أولئك على هدى " (آ ـ 5 البقرة 02) .

بهذا الضرب نكون قد وقفنا على سبعة أضرب للفعل الأدبي الاسمي في القرآن الكريم متواتر ورودها فيه ، أما الضربان النادران فاننا سقناهما في ما سبق لنستكمل الرسم الذي وضعناه لتتضح الصورة . ويبقى بعد هذا كله ان القرآن الكريم يحتوي على بعض الأمثلة تتميز من حيث تركيبها عن كل الأضرب التي توصلنا اليها وهي كالتالي : "قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ـ و ـ "جزاء سيئة سيئة مثلها ـ و ـ "وجوه يومئذ ناضرة " . ففي القول الأول النكرة خرجت عن التنكير المطلق بالوصف ، وفي المثال الثالث النكرة خرجت عن التنكير المطلق بالاضافة الى نكرة . والحق إن المسألة ليست

متعلقة بالبسط (الذي سنفصل القول فيه اذا بلغنا اليه) بقدر ما هي عليقة بنوع الخبر. فالخبر في المثال الأول والثاني يتصل بالتفضيل والتسوية وهي معاني خاصة، ولأن عموم معاني القول الأدنى الاسمي هي اثبات احدى الصفات الممكنة لذات ما، ثم ان الخبر بالاثبات يكون خارجا عن أيّ تحديد زماني، وعليه انه يؤتى بالقول الاسمي سعيا الى الاقناع بالإخبار عن حقيقة عامة. أما المثال الثالث والأخير فللمكتفي: "يومئذ" فيه دور أساس على غير ما هو معهود في الاثناء، كما سنرى في حينه ان شاء الله.

هذا وانا نعتبر أن القول الأدنى الاسمي أو الفعلي لا تتم دراسته ولا تكتمل الا اذا تناولنا بالتحليل مواقع ضرب خاص من الأسماء، فهو ضرب الأسماء المبهمة وهي: "ما - أيّ - من - والذى". و"ما" أوغلها في الابهام. ولهذه الأسماء المبهمة ميزتان خاصتان:

أ - أنها لا تأتي منفصلة البتة وهي تحمل معنى الاسمية، بل تأتي ومعها صلة تلزمها. وهذه الصلة هي التي توضحها وتمكّن من الاخبار عنها.

ب - أنها لا تأتي مخبرا أبدا منعزلة. (لنحترز من الضرب التالي: قال: "ربّنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى". (آ. 50 طه 20).

والملاحظ في مدونتنا أن ورودها في بداية القول قليل. فان نحن أخذنا مثالا "الذى" باعتبار تصرفاته فانه حسب الزركشي يعيّن به الابتداء في سبعة مواضع فقط. والحق اننا متى ما اعتبرنا قرائن التوكيد

التي تسبق الاسم المبهم تجلّى لنا تواتر استعمال هذا الاسم ، كما سيأتي تبيان ذلك في حينه . أما الآن فنكتفي بالتمثيل لهذا الضرب من الأسماء المبهمة بـ " ما " لأن بعض الوجوه التي وردت بها بسيطة لا تعقيد فيها وهي تتلاءم مع ما اعتمدناه وسيلة عملية في الانطلاق من اليسير البسيط ثم التدرج الى ما هو مركب معقد ثم الوصول الى ما هو أشد تركيبا وأكثر تعقيدا . فالوجوه التي ترد عليها " ما " أربعة :

1 ـ ما + فعل + اسم ، مثل : ما جئتم به السحر ، (آ 81 يونس 10).
2 ـ ما + فعل + فعل ، مثل : وما تنفقوا من خير يوفّ اليكم (آ 272 البقرة 2).
3 ـ ما + وظيفي + اسم ، مثل : ما عند الله باق .(آ ـ 96 النحل 16) .
4 ـ ما + " " + فعل ، مثل : ما عندكم ينفد .(آ ـ 96 النحل 16).

هذا هو مجمل الكلام في القول الأدنى الاسمي والفعلي من حيث أبنيتهما بالتفصيل ، ومن حيث عموم معانيهما ، وقبل أن نتطرق الى باب الباسطات وتفصيل القول فيها نرى من الواجب النظر في بعض الأقوال التي تأتي في سياقات محددة والتي تتألف من وحدة يتيمة . لقد أشار أستاذنا محمد بلقايد في أطروحته الى القول المكون من وحدة فريدة واعتبر : " أنه لابد من طرق الأقوال التي ترد في الاجابة والأقوال المبتورة ـ بادىء الأمر ـ عند تحليل المدونة ، وذلك على الرغم من أنها غير جامدة فانها لا تمكننا من استخراج الرسوم النحوية الأساسية "(1). هذا جانب والجانب الثاني الذي يوضحه أستاذنا في هذا الباب هو (الصعوبة) أنه من الصعب رسم حدود الوحدات غير

---

(1) محمد بلقايد : لغة " تنس " العربية ، ص : 447.

الفعلية التي يمكن أن تستعمل في (سياق ما) مستقام ما وحدها ، يقول : " والذى يمكن أن نقوله هو أن هذه الأقوال فريدة الوحدات غير الفعلية الواردة في مقام ما غالبا ما تستعمل كسؤال أو عبارة تعجبية ، وعليه فانها على هذا الأساس ذات امكانية في البسط محدودة ، حتى وان كانت تمثل اقتصادا لسانيا هائلا "(1) . ولتبيان هذه الحقائق هي ذى بعض من الأمثلة الكثيرة الواردة في مدونتنا :

1 ـ " وقولوا : حطة " (58 البقرة 2) .

2 ـ " قالوا : خيرا " ، (30 النحل 16) .

3 ـ " قل لا تقسموا ص طاعة معروفة "ص. (53 النور 24) .

4 ـ " فصبر جميل " . (18 ، 83 يوسف 12) .

انا عندما تطرقنا الى القول الأدنى الاسمي والفعلي اقتصرنا في جل الأحوال على قسمين رئيسيين من أقسام الكلام : هما الاسم والفعل باعتبار ترائنهما المختلفة الخاصة بكل قسم . والحق ان العربية عموما ولغة القرآن خصوصا تحوي وحدات تكوّن قسما خاصا لا هي بالأفعال ولا هي بالأسماء أو هي كما يقول أستاذنا " بلقايد " : " ألفاظ تكون قسما من نوع هجين "تملك خصائص الأسماء والأفعال ، وهي تتوزع الى قسمين نواصل تسميتهما على غرار ما جرت به العادة : أسماء الفاعلين وأسماء المفعولين "(2) . والجدير بالذكر في هذا المضمار أن اسم الفاعل يستعمل للدلالة على الحال والاستقبال كما يستعمل لما مضى من الزمان ، شأنه شأن استعمال الفعل مع فارق في المعنى يكمن في كون اسم الفاعل واسم المفعول يدلان على استمرار الحدث أو ثباته

---

(1) محمد بلقايد : لغة "تلس" العربية ، ص : 447 .

(2) نفس المرجع ، ص : 213 .

وأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين تدخل في علاقة ، وفقا لما يقتضيه معنى المادة التي يتألفان منها ، اما مع وحدة فريدة ، واما مع وحدتين . من أجل هذا أجّلنا الحديث عنها لنبيّن الخصوصية التي ينفرد بها المقسم الذى يكوّنانه ، وأيضا من أجل أن هذا المقسم فسي منزلة بين المنزلتين من حيث علاقته ، فمنه ما يندرج في الأقوال الدنيا المكونة من وحدتين ، ومنه ما يتخطاها الى ثلاث وحدات .

ان المشكلة تطرح بالتحديد عندما يكون اسم الفاعل أو اسم المفعول أحد قسمي القول اما باعتباره مخبرا في الرتبة الثانية ، عندما يتصدر في موجبات تركيب هذه الوحدة ، واما باعتباره مخبرا وهو في الرتبة الأولى من القول . فنحاة البصرة مثلا يشترطون أن يكون كل وصف أى اسم فاعل معتمدا على أحد الشروط الأربعة التالية : الاستفهام ، النفي ، رفع فاعل ظاهر أو ضمير منفصل ، وأن يتم به الكلام - حتى يكون في الرتبة الأولى . وهم يعتبرون الاسم الذى يرد بعده فاعلا يسد مسد الخبر . أما الكوفيون فيجيزون أن يكون اسم الفاعل في الموضع الأول ولا يشترطون - لاكتفائه بالفاعل عن الخبر - وقوعه في سياق نفي أو استفهام . وهذا يسوقنا الى الكشف عن رأى الكوفيين لاسم الفاعل ، فاعلا . يقول الفراء : " واذا تقدمت الفعل قبل الاسم رفعت الفعل واسمه ، قلت : "ما سامع هذا" و"ما قائم أخوك "(1) . وقد وافقه الأخفش من البصريين حيث يقول في تفسير قوله تعالى : " تذهل كل مرضعة عما أرضعت " (آ - 2 الحج 22) وذلك أنه أراد والله أعلم الفعل ولو

(1) الفراء : معاني القرآن ، ج 2 ، ص : 43 .

أراد الصفة فيما نرى لقال : " موضح " (1) . ومما يظهر الوضع الخاص لاسم الفاعل عند الكوفيين ما ورد على لسان الفراء في تفسيره لقوله تعالى : " كل نفس ذائقة الموت "(*) " ولو نونت في (ذائقة) ونصبت (الموت) كان صوابا . وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل ، فاذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون الا بالاضافة . فأما المستقبل فقولك : أنا صائم يوم الخميس اذا كان خميسا مستقبلا . فان أخبرت عن يوم خميس ماض قلت أنا صائم يوم الخميس . فهذا وجه العمل " (2). بهذا الوجه يتبين لنا ما كنا ذكرناه من موجبات التركيب في اسم الفاعل عندما يرد في الرتبة الثانية ، فتنوينه يتبعه ضرورة نصب الاسم المتعلق به التالي له ، أما ضمه فيستوجب جر الاسم المتعلق به التالي له والمعنى يتغير - كما وضح الفراء وابن السراج وغيرهما - بتغير الشكل من : الى ما أنت فيه أو المستقبل كمعنى الفعل المضارع لاسم الفاعل : الى :

---

(1) الأخفش : معاني القرآن ، ج 2 ، ص : 635 .
(2) الفراء : معاني القرآن ، ج 2 ، ص : 202 .
(*) جاء في التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ما يلي : " وروى عن الحسين أنه قرأ (ذائقة الموت) بالتنوين ونصب الموت ، وهذا هو الأصل ، وقرأ الأعمش (ذائقة الموت) بطرح التنوين مع النصب " ج 9 ، ص : 125 . وقد نظرنا في آيات أخرى من القرآن الكريم ، فوجدنا ان المسألة غير متعلقة بشواذ القراءات ، فقد ورد في كتاب الحجة في القراءات السبعة للامام ابن خالويه في قوله تعالى : " هل هنّ كاشفات ضرّه " و " هل هن ممسكات رحمته " (آ 38 الزمر 39) " يقرآن بالتنوين والنصب وحذف التنوين والخفض . فالحجة لمن نون أنه أراد الحال والاستقبال ، ولمن أضاف أنه ثبت ومضى " ص : 310 . وهذا وجه آخر لما كان ذكر .

معنى المضيّ . لم يجز فيه الا هذا ، يعني الاضافة والخفض لأنه بمنزلة قولك : غلام عبدالله على حد قول" ابن السراج " (الأصول في النحو : ج 1 ، ص 125) .

هذا ما قرره النحاة في هذا الباب لكن القرآن الكريم يحتوى على آيات يدل معناها على أن ضم اسم الفاعل وجر الاسم التالي له يحتمل معنيين : معنى المضي الذى ذكرناه ومعنى عدم حصول الحدث بعدُ ، ففي الآية الكريمة "كل نفس ذائقة الموت " (بالضم فالجر) معناها : لم تذق بعد الموت ، كذلك الشأن في قوله تعالى : "انا مرسلو الناقة " وهذا معناه ان الناقة لم ترسل بعد ، فقد تتم الاضافة اذن دون وقوع الفعل والمعنى مقتض النصب .

بعد هذا التوضيح المتعلق بشكل اسم الفاعل ومعناه نقول ان علاقته قد تتعدى الى وحدة أخرى ، مثال ذلك : و "كلبهم باسط ذراعيه " (آ ــ 18 الكهف 18) و "الله متمّ نوره " (آ ــ 8 الصف 61) ، ففي الحالتين يكوّن اسم الفاعل في النواة الاخبارية ، أما الاسم الذي يليهما فهو في علاقة اجبارية معهما ، بمعنى ، أن وجوده ضروري ، فاذا سقط انهدم البناء وفسد المعنى . وقد يرد اسم الفاعل مخبرا لا تربطه علاقة الا بالسند ، مثال ذلك في قوله تعالى : " وهي ظالمة " (آ ــ 45 الحج 22) ، وفي قوله سبحانه " هم معرضون " (آ ــ 23 آل عمران 3) .

المسألة الرابعة :

البساطات الأولية المباشرة

1 ـ ضروبها ـ { الصنف الأول
الصنف الثاني .

2 ـ المفعول الاستبطاني

3 ـ المفعول المطلق

4 ـ المفعول السببي

5 ـ التمييز

6 ـ ضروب من الانساق الفعلية وبساطاتها

7 ـ البساطات النسقية

8 ـ ظاهرة تحويل البساطة سندا .

لقد بينا أن أساس بناء القول الأدنى مركز اخباري ، فقد يكون اسما وقد يكون فعلا ، ثم بيّنّا أيضا أن هذا المركز الاخباري لا يستقر وجوده الا بوجود وحدة ثانية تدخل معه في علاقة ضرورية ، وأن وظيفة هذه الوحدة هي بالتالي وظيفة اجبارية . والذي نريد أن نؤكد عليه في بداية هذا الفصل هو أن وظيفة السند لا تحمل قيمة خاصة كما يقول "أ. مارتينيه " : "وظيفة السند من حيث المبدأ ومن حيث الواقع لا قيمة خاصة بها البتة . والقيمة التي نسعى أن نسندها اليها هي التي يمنحها اياها الفعل الخاص والصيغة التي يتخذها الفعل ، فمع الفعل "مشى" مثلا ، تتضمن وظيفة السند أن الاسم الذي يقوم بهذه الوظيفة هو الذي يشير الى الذي يقوم بالعمل ، ومع الفعل "تألم" أن الاسم الذي يقوم بوظيفة السند هو الذي يقع عليه الحدث أو الفاعل وهو في واقع الحال مفعول ، وكذلك الشأن اذا كان الفعل في صيغة مالم يسم فاعله (المبني للمجهول مثلا في قوله تعالى "ضرب مثل " (آ 73 الحج 22) ، فالاسم اذا عزل عن السياق يحتفظ بطبيعته الاسمية ولكنه يفقد وظيفته "[1] ، لأن الوظيفة وليدة الارتباط بالمركز الاخباري ، وهو الذي يربط الاسم بالسياق الذي يوجد فيه . واذا أن نحن انتقلنا من القول الأدنى المكون من عنصرين الى قول ثلاثي العناصر لواجدون أنفسنا في حاجة الى الاحاطة بجوانب يحتويها سؤال "ف . فرانسوا " التالي : "أيجب علينا أن نميز بين نوعين من الأفعال وبالتالي أن نتكلم على أقوال دنيا ثلاثية الوحدات ؟

---

(1) أ. مارتينيه : النحو العام ، ص: 173.

اننا أكّدنا أكثر من مرة أن الأقوال التي نحللها لها مباني تحتوي أو تعكس معاني واضحة ، وبمعنى آخر اننا نحلل أقوالا تامة ، وقد فصلنا القول في الأقوال الدنيا الثنائية الواحدات في ما تقدم ، ولقد أشرنا أيضا الى أن مسألة عدد الوحدات التي يمكن أن ترتبط بالمركز الاخباري متعلقة بالنحو والمعجم في ذات الوقت ، فاذا نظرنا مثلا الى قوله تعالى : " يمحق الله الربا ويربي الصدقات " (آ ـ 267 البقرة 02) فانه لا يمكننا بأيّ حال أن نقول : " يمحق الله " ونسكت ، فالقول غير تام ، كذلك الأمر بالنسبة " ليربي " ، وبالمقابل اذا ما نظرنا الى قوله تعالى : " والله يعلم " (آ ـ 216 البقرة 02) بالنسبة الى قوله سبحانه : " والله يعلم أسرارهم " (آ ـ 26 محمد 47) ، فان لفظة أسرارهم هي بكل وضوح باسطة ، ذلك أن البسط في تعريف " أ . مارتينيه " هو كل ماليس بضروري وهو يعرضه كالتالي : " يعد بسطا كل عنصر يضاف الى قول ما ولا يغير ، لا العلاقات المتبادلة بين العناصر السابقة الوجود فيه ولا وظائفها "(1) . وان أ . مارتينيه ليقلب الأمر نفسه ، فكما نظر الى القول من حيث الزيادة باضافة ما يمكن اضافته من العناصر فانه ينظر الى القول من حيث النقصان بسلبه مجموعة من العناصر يمكن ازالتها فيقول : " لقد بيّنت التجربة أنه من بين الوحدات الدالة التي تكون القول ، توجد وحدات يمكن ازالتهما دون مساس ، لا بسلامة العناصر الباقية ولا بالعلاقات المتبادلة بينهما ضمن هذه الوحدات نجد ما يسميه النحو التقليدي " بالفاعيل " وتعتبر هذه الفاعيل اليوم باسطات أي انطلاقا من نواة تكونها الوحدات التي لا يمكن أن تزول دون أن ينقصّ القول المأخوذ بعين الاعتبار ".(2)

---

(1) أ . مارتينيه : مبادئ في اللسانيات العامة ، ص : 128 .

(2) أ . مارتينيه : النحو العام ، ص : 36 .

انه باعتبار القيمة المركزية للمخبر التي تحدثنا عنها سيكون من الصعب أحيانا في خضم التحليل أن نميّز بين القول الأدنى والبسط ، فان نحن انطلقنا مثلا من شكل صيغة الأمر ، فانه يمكننا أن نقرر أن القول الفعلي الأدنى ، أحادي الكلمة ، وانه متى أضفنا له السند ، فان السند يكون أول باسطة له ، ولكن مثل هذه الأقوال أحادية الكلمة هي في واقع الأمر وحقيقته مختصة بوظيفة فريدة تستعمل على الدوام في مقام ما ، كمقام اصدار الأوامر ، وبالمقابل متى خرجنا من هذه الوظيفة الى غيرها فان وجود السند اجباري .

فالذي يجب توضيحه اذن هو أن التقسيم الى وحدات دنيا وبسط لا علاقة له البتة بالخبر المحمول ، فالبسط كمصطلح لا يعني أنه ذو قيمة ثانوية ، كما يمكن أن يتبادر الى الذهن ، ذلك أن قيمة الخبر الذي تحمله الباسطات قد تفوق قيمة الخبر الذي يحمله العنصر الرئيس في القول . فالمسألة تمس العلاقات بين الوحدتين المكونتين للقول الأدنى فقط السند والمخبر كوظيفتين ليس الا . أما مادون ذلك فيقول فيه ف . فرانسوا ردّا على السؤال السابق : " ان ما يضاف الى الفعل لا يغير علاقة الوحدتين الأوليين واللتين يشار الى وظيفتهما دون الرجوع الى الوحدة الثالثة ، فالأمر يتعلق اذن بوجود على الدوام ملحوظ في اطار ما (باسطة اجبارية) ، وليس بضرورة وظيفية شرط لامكانية القول الأدنى ، يمكن أن يكون هذا صحيحا فقط في صورة ما اذا تعذر علينا تحديد وظيفة الوحدتين الأوليين دون وظيفة الوحدة الثالثة ، وفي صورة ما اذا كانت الوظائف في الأقوال ثلاثية الوحدات غير الوظائف في الأقوال ثنائية الوحدات "(1).

---

(1) ف . فرانسوا : اللغة ، ص : 263 .

1 ـ **ضروب الباسطات :** بناء على ما ورد في التعريفات السابقة للبسط عند الوظيفيين ، نريد أن نؤكد على أن كل زيادة تلحق القول الأدنى المبني على عنصرين هي بسط بلا نزاع ، وذلك من حيث الشكل سواء أكان ذلك في القول الاسمي أم في القول الفعلي ، أما من حيث المعنى فالقول الفعلي قد يتميز بوجود وحدة أو وحدتين زائدتين على الوحدتين الأساسيتين ، ان أزيلت احداهما أو كلتاهما اضطرب المعنى ، وعليه فان هذه الباسطات تعد ضرورية وتصير الباسطات الأخرى بالمقابل باسطات اختيارية . بالاضافة الى هذا نريد أن ننبه الى حقيقة لسانية عامة تكمن في كون القول الأدنى في وضعه الخام ليس متواترا ، وهو في غالب الأحيان متبوع أو موفوق ببسط . ونحن في ما يلي سنعكف على تبيان أنواع الباسطات الأولية ، ويتعلق أمر هذه الباسطات بالمعنى الذي يتضمنه الفعل وشكله .

والملاحظ أن هذه الأفعال صنفان : منها ما يتطلب باسطة واحدة ، ومنها ما يتطلب باسطتين ، وسننظر أولا بأول في هذين الصنفين .

ـ أ ـ **الصنف الأول :** الأصل في هذا الصنف أن يرد على شكل القول الأدنى الفعلي ، أي أن يتقدم فيه الفعل أي المخبر ثم المسند ثم تأتي في المقام الثالث الباسطة الأولية . ومثاله في القرآن الكريم كثير . وقد تكون هذه الباسطة اما اسما علما واما اسما معرفا بالـلام واما ضميرا متصلا ، واما اسم اشارة واما اسما مضافا الى أحد هذه الأسماء السابقة واما اسما نكرة ، واما اسم عدد أصلي واما أحد الأسماء المبهمة وفي ما يلي نعرض الأمثلة :

أ ـ اسم العلم : وقتل داوود جالوت . (آـ 151 البقرة 2)

ب ـ اسم معرف بالام : يمحق الله الربا . (آـ 267 البقرة 2)

ج ـ ضمير متصل : فلما رأينه أكبرنه . (آـ 31 يوسف 12)

د ـ اسم اشارة : وقضينا اليه ذلك الامر . (آـ 66 الحجر 15)

هـ ـ اسم معرف بالاضافة
1 اني لاجد ريح يوسف (آ 94 يوسف 12)
2 واتبعت ملة آبائي . (آـ 38 يوسف 12)
3 يتلون آيات الله . (آـ 113 آل عمران 3)

و ـ اسم نكرة : واذا رأوا تجارة أو لهوا . (آـ 11 الجمعة 62)

ز ـ اسم عدد أصلي : قالوا : ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين . (آ 11 غافر 40)

ح ـ اسم مبهم : يفعل الله ما يشاء . (آ ـ 47 آل عمران 3)
يهدى الله لنوره من يشاء . (آـ 35 النور 24)
ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلهم . (آـ 131 النساء 4)
سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . (آـ 227 الشعراء 26)

هذا هو الوضع العادى لترتيب عناصر القول في القرآن الكريم، أى الاكثر تواترا ، ويأتي على النحو التالي : المخبر أولا ثم السند ثانيا فالباسطة ثالثا ، كما ذكرنا وبالاضرب التي ذكرنا ، غير أنه لا غروا في أسلوبية قد يتغير هذا الترتيب، فتتقدم الباسطة على السند مثلا دون المخبر أو قد تتقدمهما معا ، ولو أننا جدولنا مراتب هذه العناصر الثلاثة لكان الجدول كالتالي :

1	مخبر	سند	باسطة	+
2	مخبر	باسطة	سند	+
3	سند	مخبر	باسطة	+
4	سند	باسطة	مخبر	— -
5	باسطة	مخبر	سند	+
6	باسطة	سند	مخبر	— +

ولكانت النتيجة كما يلي :

وجوه أربعة من احتمالات ستة ، وجه كنّا ذكرناه وتبقى الأضرب

الأخرى ونحن نعرضها عليك . فالضرب الثاني هو :

اذا حضر يعقوب الموت (آ 133 البقرة 2)

مخبر باسطة أو آية مباشرة (علم) سند

اذا حضر أحدكم الموت (آ 180 البقرة 2)

اذا مس الانسان ضر (آ 08 الزمر 39)

لا ينفع نفسا ايمانها (آ 158 الانعام 6)

غرّ هؤلاء دينهم (آ 49 الأنفال 8)

الملاحظ في هذا الضرب أن القائمة تقلصت بالنسبة لقائمة الضرب

الأول . أما الضرب الثالث فهو :

والله خلق كل دابة من ماء . (آ 45 النور 24)

سند مخبر باسطة أولية مباشرة

والله يؤيد بنصره من يشاء . (آ 13 آل عمران 3)

الرحمان علم القرآن . (آ 1-2 الرحمن 55)

وربك يعلم ما تكن صدورهم . (آ 69 القصص 28)

والله يحب المحسنين (آ 148 آل عمران 3)

الذين آمنوا وهاجروا .... أعظم درجة عند الله . (آ 20 التوبة 09)

مخبر اسمي

الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم . (آ 07 غافر 40)

مخبر فعلي

والذين يؤتون ما آتوا ..... أولئك يسارعون في الخيرات . (آ 60 المؤمنون 23)

الملاحظ في هذا الضرب أن الاسم المبهم لا يأتي في موضع الباسطة فقط، ولكنه يرد في موضع الاسم الصريح في وظيفة السند وقد يتكرر الاسم المبهم في وظيفة السند المركب تفرضه مادة صلة الاسم المبهم كما هو الشأن في المثال الأخير .

والضرب الخامس والأخير لا يتصدر الكلام كغيره من الأضرب الأخرى فيبتدأ به، إنما يأتي في سياق حديث فيكون جزءا لذلك الحديث مفصلا لما قبله أو مشيرا اليه كما هو الحال في المثال الأول من سورة البقرة :

ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . (آ 87 البقرة 02)

باسطة أولية مباشرة مخبر سند

أتى بعد قوله سبحانه : " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم " .
المثال الثاني من الأعراف ورد بعد قوله سبحانه : " قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين، كما بدأكم تعودون " .

فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم الضلالة (آ ـ 30 الأعراف 07)

والصورة أوضح في النحل حيث تأتي الباسطة الأولية المباشرة في الرتبة الأولى ، بعد الآية التي ذكر فيها نفس الفصل ، يقول الله : " خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم يأتي المثال :

والأنعام خلقها . (آ ـ 05 الأنعام 16)

والصورة لهذا البناء تتكرر بوجه آخر في " الرحمان " فبعد قوله سبحانه : " الرّحمان علّم القرآن ، خلق الانسان علّمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان " . يأتي قوله سبحانه :

والأرض وضعها للأنام . (آ ـ 10 الرحمان 55)

وهذا النوع كثير في القرآن الكريم (آ ـ 30 ـ 32 من سورة النازعات . وآ ـ 20 من سورة عبس) . وتعود نفس صورة البناء في الانسان الا أن السياق السابق له يختلف . فبعد قوله تعالى : " ان الله كان عليما حكيما ، يدخل من يشاء في رحمته " يأتي قوله تعالى :

والظالمين أعد لهم عذابا أليما . (آ ـ 31 الانسان 76)

الضمير اعادة لذكر الاسم

أما صورة البناء في " النجم " فهي على نحو مغاير لبناء ي " البقرة " و " الأعراف " من ناحية والأبنية الأخرى التي ذكرنا . فلننظر الى قوله تعالى : وانه أهلك عادا الأولى وثمودا فما أبقى ، ثم ترد آية : وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى ، ثم يأتي المثال :

والمؤتفكة أهوى ∅

باسدلة أولية مباشرة ومخبر ومسند وخلوّ من الضمير العائد على الباسدلة .

يميز بناء هذا القول عن غيره من الأقوال السابقة في هذا الضرب على الرغم من تماثل التعريف المشترك بين أغلب باسطات هذا الضرب الخامس.

ب ـ الصنف الثاني :

بعد التعرف على الصنف الأول من الأفعال المتعدية الى باسطة أولية مباشرة واحدة، يعن النظر الآن في الصنف الثاني من الأفعال المتعدية الى باسطتين اثنتين، وان الذي لاحظناه بعد التحري هو أن هذين الاسمين الذين يقعان في وظيفتين خصوصيتين مع الفعل، حالهما في التنوع تماما كحال الباسطة الأولية في القول الأدنى ثلاثي العناصر. والحق أن القول الأدنى رباعي العناصر متى وضعنا له جدولا ترتيبيا لامكانيات ورود عناصره، توصلنا الى (24) أربعة وعشرين ضربا من التراكيب وفقا لتغير مرتبة كل عنصر من عناصره شريطة اعتبار الباسطة الأولى مختلفة عن الباسطة الثانية، اما من ناحية شكلها واما من ناحية مضمون ما تدل عليه، كالدلالة على العاقل وغير العاقل مثلا، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى متى ميزنا بين أصناف الاسم من حيث نوع التعريف ازداد الأمر تشعبا وتعقيدا. والواقع أننا عندما ننظر التركيبية العادية (الأكثر تواترا) للقول الأدنى رباعي العناصر نجد ان الباسطة الأولى تأتي بالوجوه المتنوعة للاسم المعرفة مثل :

1 ـ وعلم آدم الأسماء كلها . (آـ 31 البقرة 02) اسم علم

2 ـ فكسونا العظام لحما . (آـ 14 المؤمنون 23) اسم معرف بالام

3 ـ (وترى الجبال) تحسبها جامدة . (آـ 88 النمل 27) أسم ضمير متصل
4 ـ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم . (آـ 156 آل عمران 3) " اسم اشارة
5 ـ ولقد آتينا آل ابراهيم الكتاب . (آـ 54 النساء 4) اسم مضاف الى علم
6 ـ ورفع بعضهم درجات . (آ 253 البقرة 2) اسم مضاف الى ضمير
7 ـ ويوت كل ذى فضل فضله . (آ 03 هود 11) اسم مضاف الى نسق
8 ـ وآتت كل واحدة منهن سكينا . (آ 31 يوسف 12) مضاف الى نكرة
9 ـ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم . (آ 27 الحديد 57) مبهم (الذين)
10 ـ ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا . (آ 262 البقرة 02) "" (ما)
11 ـ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . (آ 40 التوبة 09) مضاف الى مبهم
12 ـ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح . (آ 10 التحريم 66) اسم نكرة .

الملاحظ ان الباسطتين يمكن أن تردا معرفتين ، كما يمكن أن ترد احداهما معرفة والأخرى نكرة ، لكننا لم نعثر على باسطتين نكرتين مطلقتين . وفي حال ورود الباسطة الأولى نكرة تكون الباسطة الثانية نكرة موصوفة كما جاءت في قوله تعالى :

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة . (آ ـ 24 ابراهيم 14)

أما بالنسبة للباسطة الثانية فحالها شبيه بحال الباسطة الأولى في التنوع لنرى الأمثلة :

1 ـ ففهمناها سليمان . (آـ 79 الأنبياء 21) اسم علم
2 ـ وآتينا عيسى بن مريم البينات. (آـ 87 البقرة 02) اسم معرف باللام
3 ـ وعدها اياه . (آ ـ 114 التوبة 9) اسم ضمير
4 ـ من أنبأك هذا . (آ ـ 03 التحريم 66) اسم اشارة
5 ـ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح . (آ 10 التحريم 66) مضاف الى علم

6 ــ وألزمهم كلمة التقوى . (آ 26 الفتح 48) مضاف معرف بالإم
7 ــ لقد أبلغتكم رسالة ربي . (آ 79 الأعراف 3) " " بضمير
8 ــ تؤتي الملك من تشاء . (آ 26 آل عمران 3) " " مبهم (من)
9 ــ (بما) أخلفوا الله ما وعدوه . (آ 77 التوبة 09) " " " " (ما)
10 ــ وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين . (آ 33 الدخان 44) (ما) دون فصل
11 ــ ولقد آتيناك سبعا من المثاني . (آ 87 الحجر 15) " " عدد

هذه هي الصور التي تأتي عليها الباسطات الأولية المباشرة في وظيفتيهما الخصوصيتين بحد المخبر والسند وفي مواضعهما العادية ، غير أن مراتب هذه العناصر قد يلحقها تغيير . ولقد وجدنا في القرآن الكريم صورا أخرى لتركيب القول الأدنى رباعي العناصر نذكر منها نماذج في ما يلي :

1 ــ تقدم السند على المخبر في الأمثلة التالية :

واللة يؤتي ملكه من يشاء . (آ ــ 247 البقرة 02)
الشيطان يعدكم الفقر . (آ ــ 268 البقرة 02)
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا . (آ ــ " " ")

2 ــ توسط السند الباسطتين في الأمثلة الموالية :

قد هدانا الله سبيلنا . (آ ــ 12 أبراهيم 14)
فآتاهم الله ثواب الدنيا . (آ ــ 148 آل عمران 03)

3 ــ تأخر السند عن الباسطتين في مايلي من الأمثلة :

اذ يريكهم الله في منامك قليلا . (آ ــ 43 الأنفال 08)
فسيكفيكهم الله . (آ 137 البقرة 02)

الملاحظ أن هذه الصورة الأخيرة (رقم 03) على خلاف سابقتيهما التحليلية حيث تظهر العناصر منعزلة عن بعضها البعض، فانها صورة تركيبية تتوالى فيها الضمائر فتتجمع .

هذه هي ائتلافات الباسطات الممكنة مع صنفي الأفعال المتعدية في لغة القرآن . واننا لم نعثر على غيرها فيه ، بحيث يمكننا أن نقول :
- إنه لا وجود لصنف من الأفعال يتعدى الى ثلاث باسطات (أو ثلاثة مفاعيل) .
- أيضا أن الوظيفة الأولية المباشرة وظيفة الباسطات الاجبارية من حيث المعنى هي وظيفة محدودة العدد لا تأتي الا بقدر ، وعليه انه عوضا عن أن نتحدث عن الفعل اللازم والفعل المتعدى ، يمكننا أن نتحدث عن النوى الاخبارية القابلة لهذا الضرب من الباسطات أو ذاك أو عن تلك التي لا تقبلها البتة .

ولئن كنا أشرنا في معرض الحديث عن القول الأدنى الفعلي الى كون الباسطات التي ترتبط بالنواة الاخبارية هي مسألة نحوية معجمية ثم بينا رأى الوظيفيين في الضابط الأصلي المعجمي لهذا المسألة، فاننا نقول الآن ان الضابط المعجمي وحده لا يكفي ، وانه لابد من الضابط النحوي الذى به يكتمل التركيب وأساسه الموضع ، فالموضع العادي للباسطة الأولى والثانية في لغة القرآن الكريم هو الرتبة الثالثة والرابعة بعد رتبتي المخبر والسند . ولا يمكن مطلقا أن يتقدمهما الا اذا ورد القول في سياق حديث كما ذكرنا سابقا . ولعل اختلاف قراءتي ورش وحفص لقوله تعالى في سورة : "يس" .

والقمر قدرناه منازل . (آ ـ 39 يس 36)

بالرفع عند ورش والنصب عند حفص مع اتفاق القراءتين في الآية السابقة : والشمس تجري لمستقر لها (برفع والشمس) - يوضح لنا الصورة أحسن توضيح ، ذلك أنه اذا سبق الرفع كان الرفع أو النصب على الخيار ، أما اذا سبق النصب فالنصب الزاميّ .

2 - المفعول الاستبطاني :

ان الوظيفة الأولية للباسطات الضرورية أو الاختيارية تنبثق عن المعنى المعجمي للفعل . وقد بينا أن الأفعال الحقيقية قد تدل من ضمن ما تدل عليه على وضع ما أو حالة ما في شخص ما أو شيء ما ، كما يمكن أن تشير الى عمل ما أو حدث ما يقوم به شخص ما "أ" فيؤثر في شيء ما "س" أو يكون لصالح شخص ما "ب" أو عدم صالحه ، وقد ذكرنا أن لهذه الأفعال بهذه المعاني أشكالا موضح دراستها علم التصريف ، والذي نريد أن نضيفه هنا هو أن بعض الأفعال أو الأحداث تنعكس على الشخص ذاته متكلما كان أو مخاطبا أو غائبا ، وتسلك العربية للتعبير عن هذا الغرض مسلكان : المسلك الأول تصريفي محض بحيث تدل صيغة الفعل على هذا الأمر : مثل صيغة تفعّل أو صيغة انفعل في "تألم" ، و "انتحر" . والمسلك الثاني نحوي وهو الذي يهمنا في هذا العرض ، ذلك أن الفعل الاستبطاني يكون متبوعا بعد السند :

- اما بضمير متصل يتفق مع السند في جنسه وعدده . مثل قوله تعالى:

اني أراني أعصر خمرا . (آ - 231 البقرة 02)

- واما بكلمة "نفس" وقد اتصل بها ضمير يذكّر بجنس السند وعدده مثل :

فقد ظلم نفسه . (آ ــ 231 البقرة 02)

وهبت نفسها للنبي . (آ ــ 50 الأحزاب 33)

وما أبرىء نفسي . (آ ــ 33 يوسف 12)

وتنسون أنفسكم . (آ ــ 44 البقرة 02)

ربنا ظلمنا أنفسنا . (آ ــ 22 الأعراف 07)

ظلموا أنفسهم . (آ ــ 135 آل عمران 03)

وفي الحالة الأولى ــ وهي فريدة من نوعها ــ وفي الحالة الثانية يكوّن الضمير المتصل أو كلمة " نفس " مع الضمير المتصل باسطة ضرورية وظيفتها أولية مباشرة . والملاحظ أن موقع هذه الباسطة قد يتغير لغرض أسلوبي فقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت ذلك ومثاله :

وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون

باسطة أولية مباشرة — مخبر — مسند

3 ــ المفعول المطلق :

بعد الحديث عن الباسطات الأولية التي لها وظائف خصوصية ، نلفت النظر الى امكانية ظهور باسطات اختيارية ولكن علاقتها مباشرة مع المخبر ، وبالتالي فان وظيفتها أولية ، من هذه الباسطات نذكر المفعول المطلق .

فالمفعول المطلق من حيث الشكل ، منه ما يكون من لفظ الفعل وحروفه ومنه ما يكون من غير لفظ الفعل . أما من حيث المعنى

فلئن قيل ان الأصل في تعبير الفعل اللازم أن يكون حديثا مطلقا صادرا عن الفاعل فان الباسطة التي نريد أن نتحدث عنها هي المصدر الذى لا يمتنع منه فعل متصرف البتة على حد قول ابن السراج .
والمصدر معنى غير شخص يدل على مطلق الزمن ومطلق الحدث ومطلق الفعل ،فان ورد كباسطة أمكنك أن تقول انه المفعول الصحيح الحقيقي لسائر المخلوقين ،ونحن لا نرى الفائدة في احياء جدل قديم كقدم التفكير عند اليونان في أولوية أيهما : الفعل أم المصدر، واشتقاق أيهما من الآخر . وانما الذى يهمنا من كل ما أثير من جدل حول هذه القضية (أنظر المسألة الثامنة والعشرين من كتاب الانصاف) هو أنه اذا أضيف مصدر الى قول أدبي سواء أكان المصدر من نفس لفظ الفعل أم/غير لفظه فاجتمع الفعل والمصدر ، حصل التوكيد والبيان .

مما جاء في القرآن الكريم من هذه الوظائف الأولية غير الخصوصية نذكر هذه الأصناف من المفعول المطلق :

1) أ ـ المصدر غير مخصص من مادة الفعل ومثاله :

ورتلناه ترتيلا . (آـ 32 الفرقان 25)

باسطة أولية غير خصوصية ،

ب ـ المصدر نكرة من غير مادة الفعل مثل :

والله أنبتكم من الأرض نباتا . (آ ـ 17 نوح 71)

ج ـ المصدر نكرة موصوفة مثل :

انا فتحنا لك فتحا مبينا . (آ ـ 01 الفتح 48)

د ـ المصدر نكرة مكررة . مثل :

اذا دكّت الأرض دكّا دكّا . (آ ـ 21 الفجر 89) .

2) المصدر مخصص ومثاله :

أذا زلزلت الأرض زلزالها . (آ 01 الزلزلة 99)

3) المصدر في حالة تخصيص :

أ ــ المخصّص : كل مثال : فلا تميلوا كلّ الميل ، (آ ــ 129 النساء 04)

" " " : بعض مثال : ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل . (آ 44 الحاقة 69)

ج ــ " " " : صفة مثال : وجاهدوا في الله حق جهاده . (آ 78 الحج 22)

د ــ " " " : المصدر مثال : يرونهم مثليهم رأى العين . (آ 13 آل عمران 3)

4) المصدر محول الى اسم مرة ، ومثاله :

فدكّتا دكّة واحدة . (آ ــ 14 الحاقة 69) .

4 ــ المفعول السببي :

ومن البساطات الأولية غير الخصوصية نذكر المفعول السببي :
وهو أيضا مصدر لا علاقة له بمادة الفعل المعجمية ، يأتي بعد انتهاء تركيبة القول الأدنى ليوضح سبب وقوع الفعل أو الحدث وعلاقة هذا المصدر بالمخبر علاقة أولية مباشرة . أما الصور الذى يأتي على نحوها فهي صنفان :

1 ــ صنف يأتي في حالة تخصيص وأمثلته هي :

أ ــ المخصّص اسم معرف باللام مثل :

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت . (آ 19 البقرة 02)

بأسدلة أولية مباشرة غير خصوصية

ب ــ المخصّص اسم في حالة تخصيص مثل :

ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله . (آ ــ 265 البقرة 02)

ج ـ المخصص ضمير المتكلم مثل :

ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي .   (آـ 01 الممتحنة 60)

2 ـ ما يأتي مجرداً من التخصيص وأمثلته :

هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً .   (آـ 12 الرعد 13)

واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة .   (آـ 205 آل عمران 03).

5 ـ التمييز :

في اطار هذه العلاقات الأولية المباشرة يفرز قسم التمييز عن غيره من الأقسام الأخرى من حيث الشكل ومن حيث المضمون أيضاً. فالتمييز من حيث الشكل هو اسم نكرة ، جامد . أما من حيث المضمون فيأتي التمييز مفسراً لما انبهم من الذوات وهي المقادير والأعداد ، ولما انبهم من النسب ، وهي نسبة المخبر الفعلي أو الاسمي للسند ، ونسبة المخبر الفعلي للباسطة الأولية .

فتمييز الأعداد والمقادير وما يشبهها ورد في القرآن الكريم على النحو التالي :

1 ـ العدد وما يتعلق به اذ أن العدد لا يأتي منفصلاً مهما كانت وظيفته .

له تسع وتسعون نعجة

باسطة أولية .

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة .   (آـ 142 الأعراف 07)

2 ـ المقادير حالها كحال الأعداد لا تأتي الا متصلة بوحدة تفسرها ومثاله :

فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا . (آ 91 آل عمران 03)
ولو جئنا بمثله مددا (مع البحر) . (آ 09 الكهف 18)
ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . (آ 07 الزلزلة 99)

أما تمييز النسبة ، فمنه ما يقع بعد أفعل التفضيل في القول الاسمي أو ما يقع بعد المخبر الفعلي للسند أو نسبة المخبر الفعلي للباسدلة الأولية .

1 ـ أفعل التفضيل وما يرد بعد مثل :
نحن أكثر أموالا . (آ 35 سبأ 34)
ان ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا . (آ 06 المزمل 73)

2 ـ تمييز نسبة المخبر للسند وأمثلته :
اشتعل الرأس شيبا . (آ 04 مريم 19)
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا . (آ 04 النساء 04)
وحسن أولئك رفيقا . (آ 79 " " ")

3 ـ تمييز نسبة المخبر للباسدلة الأولية ومثاله :
وفجّرنا الأرض عيونا . (آ 12 القمر 54)

ان هذه الباسدلات الأولية المباشرة غير الخصوصية من مفعول مطلق ومفعول نسبي وتمييز ، ذات مواضع محددة ، لا تصرف التغيير ، فهي لا تتقدم المخبر ولا تتقدم السند ، وبذلك فانها تتميز عن الباسدلات الأولية المباشرة الخصوصية .

6 ـ ضروب من الانساق الفعلية وباسطاتها :

تحدثنا عن القول الأدنى الاسمي كظاهرة تركيبية في القرآن الكريم تحمل الخبر في صيغة الاثبات ثم تحدثنا عن القول الأدنى الفعلي ثنائي العناصر ثم ثلاثية ثم رباعية ، ناظرين الى محوره الرئيس الفعل وضروب علاقته ببقية الوحدات ، والحق ان هذا الفصل الذي اعتمدنا فيه علاقات عناصر المبنى بالنظر الى المعنى كان يبتغي من ورائه السيطرة على ضروب العلاقات في كيفيات تركيب الأقوال في لغة القرآن الكريم . ولئن كنّا اعتمدنا المعنى في ظاهرة البسط وضروبه فلأنّ واقع لغة العرب وواقع الألسن البشرية عامة يفرض طبيعة هذه الظاهرة . وانه انطلاقا من هذا الواقع المعنوي نجد أنه من الضروري الحديث عن مجموعة من الأفعال ليست بالقليلة والتي تدخل في علاقة مباشرة مع الباسطة بواسطة وظيفي (أو أداة) فيتحد الفعل مع الوظيفي فيكونان نسقا لا يمكن تجزأته ، ذلك أن الفعل بمادته يدل على معنى وأن الأداة بمفردها تدل عموما على معنى ، واجتماع الفعل بالأداة يدل بالضرورة على معنى غير المعنى الذي يدل عليه الفعل مجردا . وكلما تنوعت الأدوات مع الأفعال تنوعت معاني هذه الانساق . أما وضع النسق تركيبيا فهو كوضع الكلمة ذلك لأن ائتلاف النسق الفعلي كائتلاف لفظ الفعل تماما غير أن موافقات لفظ الفعل وموافقات النسق الفعلي تختلف . فمثال موافقات لفظ الفعل هي :

انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا . (آ ـ 12 يس 36)

ومثال موافقات النسق الفعلي فهي :

فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا . (آ ـ 33 النور 24)

(فباسطة الفعل لن غير الماقبل ؛ وباسطة النسق الفعلي من الماثل)

إن هذه الصورة أقل مزاحمة من صورة الأفعال التي نريد أن نقف عندها ، ذلك أن هذه الأفعال منها ما تكون الزيادة فيها ظاهرة وهي من ضرب اللواحق كلها ومنها ما لم يرد الا مصحوبا بلواحق معينة دون ورود الصورة المجردة ، فمثال الأولى : صدى ـ صدى الى ـ صدى له ، ومثال الثانية : رغب عن ـ رغبت الى . وإن كان ابن القطاع يأتي بهذا الفعل مجردا في علاقة مباشرة مع الباسطة في قوله : "رغبت الشيء وشبه طلبته وأحببته وعقه ... "[1] على الرغم من أنه ورد عكس ما ادعى ابن القطاع عند الأخفش ، والأخفش أسبق وهذا رأيه : "الا ترى أنك لا تقول : " هذا رجل قصدت " وأنت تريد "اليه " ولا "رأيت رجلا أرغب" وأنت تريد "فيه "[2].

هذا وإنا نريد أن ننبه الى ظاهرة شبيهة بالتي ذكرناها قبل قليل والمتمثلة في وجود أفعال لازمة ترد بعدها وظيفيات تدل على معاني مختلفة : كالموضع أو الملكية أو الاستعانة أو الاستعلاء أو الاتجاه أو المجاورة أو المصدر وغيرها كثير سيأتي النظر فيه في حينه ان شاء الله . وهذه ظاهرة مختلفة تماما عن الظاهرة التي نريد أن نجليها الآن . إننا نستعمل مصطلح النسق الفعلي ليفرز عن مصطلح لفظ الفعل .

في تعريف أندري مارتينيه للأنساق يبرز أمر اشتراك كل المشتقات وكل المركبات في الوحدة الدلالية للمركب والذى يتسم بكون كل مركب

---

(1) ابن القطاع : كتاب الأفعال ، ج 2 ، ص : 29 .
(2) الأخفش : معاني القرآن ، ج 1 ، ص : 260 .

يطابق اختيارا واحدا ، يقول مارتينه : "ان الميزة الوحيدة التي يجب أن نحفظها هي أنها (المركبات) تسلك في علاقاتها مع الوحدات الأخرى للقول تماما نفس سلوك الكلمات التي تظهر في نفس السياقات التي تظهر فيها المركبات ، الأمر الذي يتضمن مثلا ، أن الكلمات والأنساق يمكن أن ترفقها نفس القرائن ، وأن هذه القرائن لا يمكنها مطلقا أن تؤثر على عنصر دون غيره من المركب أو المشتق "[1] ، بالاضافة الى هذا يوضح مارتينه أن النسق لا ينقضّ في حالة ما اذا تخلل عنصر أجنبي عنصري دالّه المقتطع ، قرينة كان هذا العنصر أو مخصصا مهما كان نوعه .

والأنساق الفعلية ثلاثة أضرب ، منها ضربان يكونان المحور الرئيس للنواة الاخبارية ، ومنها ضرب يرد بواسطة ضرورية في علاقة أولية مباشرة مع فعل متعدى ، سيأتي الحديث عنه بعد الحديث عن الضربين الأولين :

الضرب الأول : وهو الذي يوهم بأنه ليس نسقا فعليا لأن بعض الأفعال ترد مجردة من الوظيفي ، وبعضها الآخر يرد مقرونا بوظيفي ، فالعامل المشترك المتجسد في كون المادة واحدة قد يزري على الخلط بينهما . والواقع أننا أمام وضعين مختلفين . فالزيادة في المبنى زيادة في المعنى لا محالة . عند هذه المسألة بالذات يقف ابن القيم الجوزية في "بدائعه" مفصلا القول في الفروق الموجودة بين الفعل المعدى بنفسه والفعل المعدى بالحروف المتعددة على حد تعبيره . يقول ابن القيم في الفعل : "لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى ، زائد عن معنى الحرف الآخر ، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف فإن ظهر

---

(1) أندري مارتينه : أساسيات اللسانيات العامة ، ص : 33 .

اختلاف الحرفين ظهر الفرق نحو رغبت عنه ورغبت فيه وعدلت اليه وعدلت عنه وملت اليه وعنه وسعيت اليه وبه . وان تفاوت معنى الأدوات عسر الفرق نحو قصدت اليه وقصدت له وهديته الى كذا وهديته لكذا "(1). وابن القيم يرفض رأى ظاهرية النحاة الذين يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر ولا يرتضي هذه الطريقة ، انما رأيه هو رأى فقهاء العربية الذين يجعلون الفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره . وأمثلة هذا الصنف كثيرة في العربية واضحة معالمها في القرآن الكريم مثل ذلك :

ويهديك صراطا مستقيما . (آ 2 الفتح 48) بالمعنى الجامع

ثم : قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم (آ 161 الأنعام6) يتضمن الايصال الى الغاية المطلوبة

وكذلك : ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم . (آ 9 الاسراء 17) يتضمن معنى ذكرته له وهيأته .

والجدير بالملاحظة في هذا المضمار أن كثيرا من الأفعال ترد لازمة وترد متعدية مجردة عن الوظيفيات ، ثم ان نفس مادة هذه الأفعال ترد في أنساق فعلية بمعاني مختلفة تماما عن تلك التي دلت عليها مادتها الأصلية مثال ذلك مادة الفعل : "أتى" التي تدل على معنى المجيء والعودة ، ثم الأنساق الفعلية : "أتى به" بمعنى أحضر ، و "أتى على" الشيء" بمعنى أهلكه وأذهبه ، وأيضا "أتى على" الشيء" بمعنى مر به ، و "أتيتك" بمعنى أعطيتم ، و "أتى الرجل الأمر" و "الذنب" بمعنى فعله . وكل هذه الأفعال وأنساق الأفعال واردة في القرآن الكريم ، لننظر في بعض الأمثلة كما وردت أفعالها على التوالي :

---

(1) ابن القيم الجوزية : بدائع الفوائد ، م 1 ، ج 2 ، ص ص : 20-21 .

1 ـ فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . (آ ـ 60 طه 20)
2 ـ قال عفريت من الجن أنا آتيك به . (آ ـ 39 النمل 27)
3 ـ ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم . (آ ـ 42 الذاريات51)
4 ـ فأتوا على قوم يعكفون على أصنامهم ، (آ ـ 138 الاعراف07)
5 ـ ولا تأتوا السفهاء أموالكم ، (آ ـ 05 النساء 04)
6 ـ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء . (آ ـ 26 آل عمران03)
7 ـ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن . . (15 النساء 04)

<u>الضرب الثاني</u> : النسق الفعلي الصريح يتمثل في اقتران وحدتين لا تقبلان التجزأة وحدة الفعل ووحدة الوظيفي . واذا كان الضرب الأول من الأنساق الفعلية يتجانس مع الأفعال من نفس المادة ، فان الضرب الثاني من الأنساق الفعلية لا تجانس فيه مع غيره ، ومثله النسق الفعلي "باء بـ" ، فقد ورد في القرآن الكريم ستة مرات لم يرد الا على هذا الوجه ، نذكر منه هنا مثلا واحدا :

وباءو بغضب من الله . (آ ـ 61 البقرة 02)

في تشكيل هذا النسق الفعلي يقول الفراء : "لا يكون (باءوا) مفردة حتى توصل بالباء ، باء بالاثم يبوء بوءا "(1) ، والحق اننا ونحن ننظر في القرآن الكريم قد وجدنا مجموعة من الأنساق الفعلية من هذا الضرب ، لم ترد الا بهذا الوجه ، وفقا لهذا الشكل ، ولكننا عندما عدنا الى كتاب الأفعال لابن القطاع وجدنا لهذه الأنساق الفعلية تجانسا مع أفعال لازمة ومتعدية ، لا نستطيع أن نقطع في مدى استعمالها عند العرب وهي بهذا الوجه يكون من غير اليسير أدراجها في الصنف الثاني ، ولكن ان نحن اعتمدنا القرآن الكريم وحده يحق لنا سردها في الصنف الثاني ، منها نذكر على سبيل المثال :

---

(1) الفراء : معاني القرآن ، ج 1 ، ص : 60.

أبق الى : مرة واحدة : اذ أبق الى الفلك المشحون . (آـ140 الصافات37)
راغ على : " " : فراغ عليهم ضربا باليمين . (آـ93 الصافات37)
راغ الى : " " : فراغ الى آلهتهم فقال . (آـ91 الصافات37)
عشى عن : " " : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا ؛
(آـ36 الزخرف43)
عنى لـ : " " : وعنت الوجوه للحيّ القيوم . (آـ111 طه 20)
ركن الى مرتان : ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار .
(آـ113 هود 11)
حال بين : ثلاث مرات : وحال بينهما الموج . (آـ43 هود 11)
حاق بـ : عشر مرات : فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون .
(آـ10 الأنعام06)

حاصل الأمر بالنسبة للأنساق الفعلية عموما ان كثيرا من الأفعال لا تحتمل باسطات مباشرة ، بمعنى باسطات بدون وجود وظيفي . لقد بينا أن الفعل والنسق الفعلي وان تجانسا في مادتيهما الأصلية فهما يدلان على معنيين مختلفين ، والآن يمكن أن نعتبر أن "أتى زيد الشيء" و "أتى في : أتى زيد على الشيء" الذين يقبلان وظائف خصوصية مختلفة ، يمثلان فعلين مختلفين متمايزين اذ أن الأول يحتمل باسطة مباشرة ، والثاني يحتمل باسطة غير مباشرة ، ولكن هذه الباسطة غير المباشرة خاصة بالنسق الفعلي ، اذ أن هذا المؤشر الى هذه الوظيفة غير المباشرة هو الذي يضمن هوية النسق الفعلي بتمييزه عن الفعل .

بعد هذه التوضيحات المفصلة بعلاقات الفعل والنسق الفعلي نود أن نزيل شبهة قد تحدث في تعريف النسق الفعلي باعتباره

كلاّ لايقبل التجزأة ، وقد ترد أمثلة صريحة تتوسط فيها وحدات جزأي هذا الدال ، غير الدال عديم العلامة أو الدال المشترك للجنس والعدد مثال ذلك :

ولا يحيق المكر السيّء الا بأهله .   (آ ـ 43 فاطر 35)

فالدال في هذه الحالة وفي أغلب الحالات دال مستقطع ولكنه مهما يكن من أمر دال واحد ، ان اقتسلخ منه جزيء تضرر معناه وارتبكت علاقاته وهو يعادل النسق الفعلي ذا الدال الملغم .

من حيث مواضع الوحدات المتعلقة بالانساق الفعلية نقول بعد التحري انها على ثلاثة أضرب :

أولهما ـ وهي القاعدة ـ أن يتصدر النسق الفعلي القول مع التنبيه الى توسط السند جزأي النسق الفعلي ثم تأتي الباسطة ومثاله :

وعنت الوجوه للحيّ القيوم .   (آ ـ 111 طه 20)

ثانيها : أن يتوسط السند والباسطة جزأي النسق الفعلي وذلك عند ما تكون الباسطة ضميرا متصلا ، ومثاله :

أنا آتيك به .   (آ ـ 39 النمل 27)

ثالثها : هو أن يتأخر السند ، فيسبق بالنسق الفعلي والباسطة ومثاله :

وحال بينهما الموج .   (آ ـ 43 هود 11)

7 ـ <u>الباسطات النسقية :</u>

بعد الحديث عن النسقين الفعليين السابقين المتميزين بورودهما مخبرين نأتي الآن المنظر في مميزات الضرب الثالث من الانساق

الفعلية . من حيث شكله يمتاز هذا النسق بكون الوظيفي سابق للفعل الذي يكون معه كلاّ لا يتجزّأ ، ويكون جزأي هذا النسق ملتحمان لا يتخللهما أي عنصر أجنبي عنهما . أما من حيث التركيب ، فهذا الضرب يكون اما متعلقا بغيره تال له في المرتبة ، واما متصدرا القول بعد واو استئناف ، وهذه الحالات الثانية لم ترد ادراجها في القول الأدنى الاسمي لأنها لم ترد في القرآن الكريم الا في سياقات استئنافية أو استدائية وأمثلته في القرآن الكريم هي :

وأن تصوموا خير لكم . (آ 184 البقرة 02)

وأن تعفوا أقرب للتقوى . (آ 237 البقرة 02)

وأن يستعففن خير لهن . (آ 60 النور 24)

في هذه الحالات الاستئنائية كلها يكون النسق الفعلي سندا للقول .

أما في ما يخص الباسطات النسقية الفعلية فهي تأتي بعد الانفصال المتحدية ، وهي في هذا الوضع تكوّن علاقة خصوصية مع المخبر ووظيفتها أولية مثلها كمثل الكلمة المفردة تماما اسما مخصصا كان أو غير مخصص مثال ذلك :

لمن أراد أن يذكر / أو أراد شكورا (آ 62 الفرقان 25)

وقد ترد الباسطة النسقية الفعلية والباسطة الاسمية من نفس المادة المعجمية وذلك مثله :

- ولو أرادوا الخروج ... (آ 46 التوبة 09)

- كلما أرادوا أن يخرجوا منها . (آ 20 السجدة 32)

فالوظيفة واحدة في الحالتين السابقتين ، لكن الانساق الفعلية ليست على الدوام لازمة ، لأن النسق الفعلي قد يرد متعديا ، وهذا تترتب عنه علاقات وحدات أخرى بالنسق الفعلي ومثاله :

أم تريدون أن تسألوا رسولكم . (آ ـ 108 البقرة 02)
أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا . (آ ـ 144 النساء 04)
ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم . (آ ـ 17 المائدة 05)
أحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء . (آ ـ 102 الكهف 18)

فالنسق الفعلي الوارد باسطة أولية للفعل " أراد " يكون بدوره نواة تجلب حولها وحدات أخرى سيأتي النظر في أوضاعها في حينه ان شاء الله .

هذه الأمثلة المسرودة يعتمد النسق الفعلي فيها على الوظيفي "أن " وليس هو الوظيفي الوحيد المكون للنسق الفعلي ، فقد وردت في القرآن الكريم أنساق فعلية الوظيفي فيها هو " ل " في الآيات التالية :

ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم . (آ ـ 06 المائدة 04)
أيضا : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . (آ ـ 08 الصف 61)
وكذلك : انما يريد الله ليعذبهم بها . (آ ـ 55 التوبة 09)

وقد وجدنا في القرآن الكريم صورا تركيبية مطابقة تماما للمثالين الأخيرين في كل أجزائهما ما عدا الوظيفي " ل " فانه استبدل بالوظيفي " أن " وذلك في قوله جلّ وعلا :

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . (آ ـ 32 التوبة 09)
وكذلك : انما يريد الله أن يعذبهم بها . (آ ـ 85 التوبة 09)

وقد اختلفت آراء النحاة القدامى في اعتبار الأداة " أن " والأداة " ل " أهي جزء من فعل " أراد " فيكون المركب : " أراد أن "

أم تريدون أن تسألوا رسولكم ، (آـ 108 البقـرة 02)

أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا . (آـ 144 النساء 04)

ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم ، (آـ 17 المائـدة 05)

أحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ، (آـ 102 الكهف 18)

فالنسق الفعلي الوارد بواسطة أولية للفعل " أراد " يكون بدوره نواة تجلب حولها وحدات أخرى سيأتـي النظر في أوضاعهـا في حينـه ان شاء الله .

هذه الأمـثلة المسـرودة يعتمـد النسـق الفعلي فيها على الوظيفـي "أن " وليس هو الوظيفـي الوحيد المكون للنسـق الفعلي ، فقد وردت في القرآن الكريم أنسـاق فعلية الوظيفـي فيها هو " ل " في الآيـــات التاليـة :

ما يريـد الله ليجعل عليكم من حـرج (آـ 06 المائـدة 04)

ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكـم .

أيضـا : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . (آـ 08 الصف 61)

وكذلك : انما يريد اللـه ليعذبهـم بهـا . (آـ 55 التوبة 09)

وقد وجدنا في القرآن الكريم صورا تركيبـيـة مطابـقة تماما للمثالين الأخرين في كل أجزائهمـا ما عدا الوظيفـي " ل " فانه استـبدل بالوظيفي " أن " وذلك في قولـــه جـلّ وعـلا :

يريـدون أن يطفئوا نور الله بأفواههـم . (آـ 32 التوبة 09)

وكذلك : انما يريد الله أن يعذبهـم بها . (آـ 85 التوبـة 09)

وقد اختلـفت آراء النحاة القدامى في اعتـبار الأداة " أن " والأداة " ل " أهي جزء من فعل " أراد " فيكون المركب : "أراد أن "

أم تريدون أن تسألوا رسولكم . (آ ــ 108 البقرة 02)

أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا . (آ ــ 144 النساء 04)

ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم . (آ ــ 17 المائدة 05)

أحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء . (آ ــ 102 الكهف 18)

فالنسق الفعلي الوارد باسطة أولية للفعل " أراد " يكون بدوره نواة تجلب حولها وحدات أخرى سيأتي النظر في أوضاعها في حينه ان شاء الله .

هذه الأمثلة المسرودة يعتمد النسق الفعلي فيها على الوظيفي "أن " وليس هو الوظيفي الوحيد المكون للنسق الفعلي ، فقد وردت في القرآن الكريم أنساق فعلية الوظيفي فيها هو " ل " في الآيات التالية :

ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج (آ ــ 06 المائدة 04)

ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم .

أيضا : يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . (آ ــ 03 الصف 61)

وكذلك : انما يريد الله ليعذبهم بها . (آ ــ 55 التوبة 09)

وقد وجدنا في القرآن الكريم صورا تركيبية مطابقة تماما للمثالين الأخيرين في كل أجزائهما ما عدا الوظيفي " ل " فانه استبدل بالوظيفي " أن " وذلك في قوله جلّ وعلا :

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . (آ ــ 32 التوبة 09)

وكذلك : انما يريد الله أن يعذبهم بها . (آ ــ 85 التوبة 09)

وقد اختلفت آراء النحاة القدامى في اعتبار الأداة " أن " والأداة " ل " أهي جزء من فعل " أراد " فيكون المركب : " أراد أن "

"أو أراد لـ " هو الأساس، أم هي جزء من الفصل الثاني بحيث أن :
" لـ " أو "أن " زائد الفعل هي بتأويل مصدر ، على الرغم من ورود
تراكيب على هذه الصفة مثلما بينا . ان الذي يحتنق المذهب الأول
هو الزمخشري في شرحه لقوله تعالى : يريدون ليطفئوا نور الله
بأفواههم حيث يقول : " و كأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيداً
له لما فيها من معنى الارادة "(1) . أما أصحاب المذهب الثاني ، فهم كثير
نذكر منهم سيبويه الذي يقول وهو يتحدث عن الحروف التي تضمر فيها
"أن " : لأنّ "أن " و " تفعل بمنزلة اسم واحد ، كما أن الذى وصلته
بمنزلة اسم واحد ، فاذا قلت هو الذى فعل فكأنك قلت هو الفاعل ، واذا
قلت أخشى أن تفعل فكأنك قلت أخشى فعلك " (2) . أما الهروي
النحوي فيوسع مجال المسألة أكثر وينوّع الأمثلة في قوله : " أن "
تدخل على الفعل الماضي والمستقبل فتكون هي والفعل اسما بمعنى المصدر،
وتنصب الفعل المستقبل ، كقولك : أريد أن تقوم ويسرني أن تقعد
وأعجبني أن خرجت . . . . المعنى أريد قيامك ويسرني قعودك
وأعجبني خروجك "(3). هذا وان الأقوال قد تعددت في ناصب المضارع
بعد لام التعليل ، فذهب الكوفيون الى . . . وتمسك البصريون بـ . . .
وكوّن مجموع هذه الأقوال المتباينة ، المسألة التاسعة والسبعين من
مسائل الخلاف في كتاب الانصاف لأبي سعيد الأنباري ، لقد تعرض
الكرماني الى مسألة : يريدون / أن يطفئوا / و ، ليطفئوا فقال :
حذفت اللام من الآية الأولى لأنّ مراد هم اطفاء نور الله بأفواههم ، والمراد

---

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 4 ، ص : 99.
(2) سيبويه : الكتاب ، ج 3 ، ص : 06.
(3) الهروي : كتاب الأزهية : ص، 51.

الذي هو المفعول به في المصحف مضمر ، تقديره ، ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ليطفئوا نور الله ، واللام لام العلة ؛ وذهب بعض النحاة الى أن الفعل محمول على المصدر ، أى ارادتهم لاطفاء نور الله " (1) .
وكما هو بيّن من قول الكرماني ففي الآية الأولى حذف وفي الآية الثانية اضمار . ولا أولى في نظرنا من اعتبار الأداة وظيفيا سواء كان مع " أن" أو " ل " واعتبار الأداة والفعل نسقا فعليا باسطة أولية للفعل السابق (في وظيفة مخبر) ، في علاقة اجبارية معه . وأيضا اعتبار الوظيفي في ذات الوقت مدرجا للفعل الثاني ، أساسا في ابراز هويته كنسق فعلي بالنسبة للفظة الفعل السابقة له . ذلك لأنه لا يمكن أن ندرج فعلا أيّا كان نوعه بعد الفعل المتعدي ، وبهذه الطريقة تتباين الانساق الفعلية اما بورود الوظيفي في الرتبة الأولى قبل الفعل أو بالرتبة الثانية بعد الفعل .

بعد هذا ، ان السؤال الذى يمكن أن نطرحه يتعلق بطبيعة حدث الكلمة الفعل والنسق الفعلي في هذا الضرب من التراكيب بالنسبة للكلمة الفعل لاحظنا أنها وردت في القرآن الكريم على صيغتي فعل ويفعل ، أما بالنسبة للنسق الفعلي فقد ورد على صيغتي فعل ويفعل ، الا أن الأمر لا يؤخذ هكذا مجردا عن التركيب . فمتى ما ركّبنا قولا بكلمة فعل (متعدى) ونسق فعلي حصلنا في المطلق على أربعة أضرب ، الا أن المستعمل في القرآن الكريم لا نجد فيه الا أضربا ثلاثة :

أ) فعل / فعل مثل : وعجبوا أن جاءهم منذر منهم . (آ 04 ص 38)
ب) فعل / يفعل " : كلما أراد وا أن يخرجوا منها . (آ 20 السجدة 32)
ج) يفعل / يفعل " : يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم .
(آ 32 التوبة 09)
د) يفعل / فعل " : ...

(1) الكرماني : اسرار التكرار في القرآن : ص 98 .

والذى تجدر الاشارة اليه هو أن هذه الأنساق الفعلية قد تتكرر وتتوالى في القول الواحد مثال ذلك :

أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا . (آ ـ 2 العنكبوت 29)

ان هذا المثال يوحي بسؤال مهم ملح وهو : أيمكن أن تتوالى الأفعال أو بلغة أدق الألفاظ الأفعال في القول الواحد دون وظيفيات تذكر كما هو الشأن في الجزء الأخير من المثال المعروض "(أن) يقولوا آمنا" ، أو في قوله : "قالت الأعراب آمنا" . (آ. 14 الحجرات 49) . ان هذه الصورة من التركيب قد وردت كثيرا في القرآن الكريم بتنوع صيغة فعل القول "فعل" ، "يفعل" ، "افعل" ، فعل غير المعلوم ، وأيضا بتنوع صيغ الفعل الموالي له في الرتبة ، لكنها لم ترد الا مع هذا الفعل "قال" . ونحن اذ نذكر هذا نؤكد أننا بصدد الحديث عن الأفعال المتعدية التي تكون الباسطة الخصوصية فيها نسقا فعليا أو فعلا ، ولا نريد أن يشتبه الأمر بالأفعال اللازمة التي توفر هذه الامكانية ، وهي كثيرة ، نذكر منها على سبيل التنبيه الأمثلة التالية :

(يوم) تأتي كل نفس تجادل عن نفسها . (آ ـ 111 النحل 16) .
فلما قام عبدالله يدعوه . (آ ـ 19 الجن 79)
وجاءوا أباهم عشاء يبكون . (آ ـ 16 يوسف 12)

ومن أهم الفوارق بين هذين الضربين أن مرجع سند الفعل الأول ليس هو بالضرورة مرجع سند النسق الفعلي في الضرب الأول أما في الضرب الثاني فان اتحاد مرجعي الفعلين أمر قطعي لا اختيار فيه لاستقامة معنى القول مثلما هو ظاهر في الأمثلة السابقة . أما

أمثلة الضرب الأول فقد ترد على الوجه الذى عرضناه سابقا مع اتحاد مرجعي سند الفعل وسند النسق الفعلي ، كما ترد على خلاف ذلك ، كما هو بيّن في الأمثلة التالية :

ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . (آ 27 النساء 04)

ويريدون أن تضلوا السبيل . (آ 44 النساء 04)

انّي أريد أن تبوأ باثمي . (آ 29 المائدة 05)

فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة . (آ 81 الكهف 18)

أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم . (آ 86 طه 20)

أيضا من الفروق المهمة بين الضربين نقول ان الضرب الأول من الأقوال يمكن فيه استبدال النسق الفعلي كباسطة خصوصية باسم مخصص أوغير مخصص (أراد أن يذكّر ـ أراد شكورا ـ تريدن الله ورسوله ـ يريد حرث الآخرة ـ ولو أرادوا الخروج ـ كلما أرادوا أن يخرجوا ...) لكن الضرب الثاني تستحيل فيه امكانية الاستبدال مع الاسم المخصص.

8 ـ ظاهرة تحويل الباسطة سندا :

عندما تحدثنا عن الأفعال أشرنا الى عوامل كثيرة تتعلق بطبيعة الفعل من حيث معناه ومن حيث مبناه ، وقلنا إنه من الأفضل للدراسة النحوية اعتماد مصطلحات دقيقة تتبيّن فيها علاقة النواة الاخبارية ببقية وحدات القول الأدنى ، واعتمدنا مصطلح المخبر ومصطلح السند بالنسبة للنواة الاخبارية . ثم اننا في دراستنا للقول الأدنى الفعلي وقفنا عند بعض مميزات الفعل الشكلية بالنظر الى مفهوم الحدث

و بيّنا أيضا الفروق الدلالية بين الأفعال الحقيقية والأفعال غير الحقيقية، كل ذلك كان أثناء دراسة القول الأدبي المثبت الذي يتمحور فيه الخبر حول السند المعلوم أو الذي تقع الاشارة فيه الى السند المعلوم .
والحق اننا /منتي/ انتقلنا من صيغة المعلوم الى صيغة المجهول ،لاحظنا أن تغييرين يطرآن على بنية القول في صيغة المجهول . التغيير الأول يمس أصوات الفعل . والتغيير الثاني يلحق عدد وحدات القول .

فبالنسبة لتغيير الأصوات نقول : انه يجري في الفعل وفق قاعدة جدّ دقيقة لا يدخلها لاشذوذ ولا استثناء ،وهو أمر يعلم في علم التصريف ،نذكر فقط هنا بالأصل الذي يقوم عليه هذا التغيير : فهو ينحصر في مخالفة الصائتين التابعين لفاء الفعل في المنقطع ولحرف الزيادة في غير المنقطع وكلاهما ضم في الثلاثي الصحيح . مثاله فعل ،الفاء بالفتح ويفعل الياء بالفتح تصير فعل بضم الفاء ويفعل بضم الياء في صيغة المجهول . أما داخل الصيغة ذاتها فالأساس واحد : اختلاف حركة عين المنقطع وغير المنقطع .

أما في ما يتعلق بعدد وحدات القول نقول : ان صيغة المجهول لا تكوّن الا من الفعل المتعدى أو من النسق الفعلي وهي تخالف على الدوام صيغة المعلوم بنقص وحدة ،بحيث اذا كان القول في صيغة المعلوم يتكوّن من أربع وحدات فسيتقلص هذا العدد الى ثلاث وحدات في صيغة المجهول . واذا كان القول في صيغة المعلوم يتكوّن من ثلاث وحدات ،فان نفس القول في صيغة المجهول سيتكون من وحدتين فقط . ومهما كان حدث الفعل المتعدى أو النسق الفعلي منقطعا أو غير منقطع ،فان العنصر الساقط من الحساب هو العنصر الدال على الفاعل حقيقيا كان الفاعل

أم مجازيا . وحتى يتبين هذا الأمر نأخذ بعض الأمثلة من الأفعال وأساق الأفعال التي وردت في القرآن الكريم في صيغتي المعلوم والمجهول .

1 ـ من الأفعال :

أ ـ 1 المعلوم المنقطع : فلما قضى موسى الأجل (آ 29 القصص 28)
مخبر سند باسطة أولية مباشرة .

أ ـ 2 المجهول المنقطع : وقضي الأمر : (آ 210 البقرة 02)
مخبر سند

ب ـ 1 المعلوم غير المنقطع: ولكن ليقضي الله أمراكان مفعولا . (آ 42 الأنفال 8)
خبر سند باسطة أولية مباشرة .

ب ـ 2 المجهول غير المنقطع : ليقضى أجل مسمى . (آ 60 الأنعام 06)
مخبر سند

وهذا مثال فعل يدخل في علاقة اجبارية مع وحدتين في صيغة المعلوم ثم يتناقص عدد وحداته في صيغة المجهول :

أ ـ 1 المعلوم المنقطع : وآتينا عيسى بن مريم البينات . (87 البقرة 2)
مخبر سند باسطة أولية م (1) باسطة أولية م (2)

أ ـ 2 المجهول المنقطع : ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .
(آ ـ 269 البقرة 02) .
مخبر سند باسطة أولية مباشرة فقط .

ب 1 المعلوم غير المنقطع : تؤتى الملك من تشــاء . (آ 26 آل عمران 3)
مخبر سند باسطة أولية (1) باسطة أولية (2)

ب 2 المجهول غير المنقطع : ولم يؤت سعة من المال . (آ 247 البقرة 2)
مخبر سند باسطة أولية مباشرة (فقط)

2 ــ من الأنساق الفعلية :

أ ــ 1 المعلوم المنقطع : بل جاء بالحــــق . (آ 37 الصافات 37)
مخبر سند باسطة أولية مباشــرة .

أ ــ 2 المجهول المنقطع: وجيء بالنبيئين والشهداء . (آ 69 الزمر 39)
مخبر سنــد

ب ــ 1 المعلوم غير المنقطع : اللــه يستهـزئ بهم . (آ 15 البقرة 02)
سند مخبر باسطة أولية

ب ــ 2 المجهول غير المنقطع: يكفر بها ويستهزأ بها . (آ ــ 140 النساء 4)
مخــبر سند ، فقط .

بهذا يعلم أن صيغــة المجهول هي الصيغة التي يهمل فيها عمــدا ذكر الفاعل .
فالفــرق بــيّن بين الفاعل المــشار اليه في قال والفاعل المجهول في قــيــل ،
وكذلك الشأن بالنســبــة ليقول ويقال هذا وانه لا بأس من التذكير أيضــا
أن الفاعل النكرة في قوله تعالى : "ســأل سائل . . ."(1) والــفاعــل

---

(1) آيــة 1 ، المعارج 70 .

والفاعل المبهم في قوله سبحانه : " الذى استوقد نارا "[1]
أو الفاعل غير المحدد في قوله جلّ وعلا : " ومن الناس
من يشرى نفسه "[2] ، كل هذه الأفعال ليست كالفاعل
المتروك ذكره عمداً .

---

(1) آية 17 ، البقرة 02.
(2) آية 207 البقرة 02 .

المسألة الخامسة :

القرائن

ـ 1 ـ القرائن الفعلية
القرينة الزمانية "كان"
القرائن الكيفية

صيغة الأمر

ـ 2 ـ القرائن الاسمية

القرائن الزمانية
أ ـ كان
ب ـ أصبح
القرائن الكيفية .

القـرائـــن :

ان الفعل في لغة القرآن الكريم عندما يكوّن المحور الأساس للقول الأدنى المثبت لا يأتي على شكل كلمة الّا في حالتين اثنتين : حالة الاخبار عن الغائب المفرد وحالة الاشارة الى الغائب المفرد ، وما عدا ذلك فانه يأتي على شكل لفظة ، بمعنى أنه يأتي مقترنا بكلمات تدل على الشخص والعدد والجنس كما أن التغيير الذي يطرأ على عين صيغته يدل على الحدث . وهذه الوحدات الملازمة للفعل والتي يمكن أن تكون النواة الاخبارية ، مثالها في القرآن الكريم كثير ، نحو : " وقالوا : " سمعنا " / و / " أطعنا " . كل هذه الوحدات التي تتصل بالفعل تعد قرائن فعلية .

هذا هو شأن الفعل في لغة القرآن الكريم ، وليس شأن الاسم بمختلف عنه اختلافا جذريا ، فالأساس واحد الا أن كلا منهما يختص بقرائن معينة ، فكلمة : طيب تصبح الطيب أو الطيبون أو الطيبين أو طيبة أو طيبات أو طيباتكم وهكذا . . . وانّا اخترنا ان نبدأ بدراسة القرائن الفعلية ثم نأتي الى دراسة القرائن الاسمية في سياق القول طبعا .

القرائـن الفعليـة :

ان الذي ذكرناه من معاني ابنية الأفعال هو المألوف المتواتر ، والحق ان القرآن الكريم فيه من الأمثلة التي تأتي على عكس الوجوه التي ذكرنا ، مما يستحق الذكر ، بحيث ان بناء " فعل " لا يدلّ على انقطاع الفعل في الماضي فقط ، فقد يدل على المستقبل أيضا ، ثم ان بناء " يفعل " أيضا لا يدل على غير المنقطع في الحال وحده أو الاستقبال ، وانما قد يدل على الماضي كذلك ، وقد يتخطى صيغة الاثبات الى صيغة الأمر والنهي كما سنبينه في حينه ان شاء الله . وعليه فاننا متى وضعنا رسما لمعاني أبنية " فعل ويفعل " كان الأمر كالتالي :

(1) فعـــل + ∅ (2) يـفعـــل

(أ) الماضي (ب) المستقبل — (أ) الماضي (ب) الحاضر (ج) المستقبل (د) الامر

ولعل الصورة تكون أكثر وضوحا ان نحن انطلقنا من تقسيمي الزمان الواضحين الماضي والمستقبل في الرسم التالي :

(1) الماضـــي (أ) فعـل (ب) يفعـل — (2) المستقبل (أ) فعل (ب) يفعـل

وهذا يكشف لنا عن مشكلة ، الاساس فيها هو اتساع مفهومي الحدث والزمن والتعبير عنهما ببنائي "فعل" و"يفعل" مبدئيا ، لنتمعن الامثلة الآن بالنظر الى :

فعل : (أ) فتلقّى آدم من ربّه كلمات . (آ 37 البقرة 02)

(ب) أتى أمر اللّه فلا تستعجلوه . (آ 01 النحل 16)

وبالنظر الى يفعـل :

(أ) واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان . (آ 102 البقرة 2)

(ب) أنا آتيك به . (آ 40 النمل 27)

(ج) فاللّه يحكم بينهم يوم القيامة . (آ 113 البقرة 02)

واذ قد عرفنا هذا فانه يسهل علينا الخوض في أمر القرائن الفعلية باعتبار المعاني التي يحتملها الخبر ، وان شئت قلت بالنظر الى أساليب التعبير ، كأسلوب التوكيد وأسلوب النفي وأسلوب الاستفهام وأسلوب الشرط وأسلوب النداء ، غير أننا وقد أشرنا الى مفهومي الحدث والزمن فاننا نرى أنه من الواجب معرفة مختلف التراكيب التي تغطي كل الامكانيات التي تعبر بهما

لغة القرآن عن الزمان في القول الأدنى الفعلي ، ذلك لأن المثنائي الأساسي المتمثل في "فعل" . "يفعل" المتقابلان ، ليس هو الامكانية الوحيدة التي توصف بها الأحداث في القرآن الكريم ولا هو الوسيلة الغالبة للدلالة على زمن الأحداث أو الكيفيات التي تقع بها الأحداث ، ونقصد بالكيفية أمران :

1 ـ الطريقة التي بها ينظر المتكلم الى الحدث الفعلي بالنسبة الى مفاهيم عليقة به كالحالة النفسية والارادة والتمني .

2 ـ طبيعة شكل الفعل القابلة للتعبير عن موقف المتكلم بالنسبة لحدث الفعل ، وبوجه عام الكيفية التي يعرض بها المتكلم الفعل وفقا لكونه محور قول بسيط أدنى أوغيره في حالة الاثبات أو الطلب أو الأمر أو الشرط .

ان أبسط القرائن الدالة على الزمن هي "السين المفتوحة" و "سوف" . فالسين المفتوحة قرينة فعلية خاصة ببناء "يفعل" تخلص الفعل الى الاستقبال ، نحو :

كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون . (آ ـ 4، 5 النبأ 78)

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . (آ ـ 182 آل عمران 3)

سيقول السفهاء من الناس . (آ ـ 142 البقرة 02)

أما سوف فهي قرينة فعلية تختص أيضا ببناء "يفعل" ولكنها أشد تراخيا في الاستقبال بمعنى أن زمانها أبعد من زمان "السين المفتوحة" وأمثلتها كثيرة ، منها :

كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون . (آ 3، 4 التكاثر 102)

وسوف تسألون . (آ ـ 44 الزخرف 43)

وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرا عظيما . (آ ـ 146 النساء 04)

هذا هو الضرب الأول من القرائن الفعلية، سمتها أنها زائدة على الفعل ليست ملحمة فيه، وأنها جامدة لا تعرف التغيير. أما الضرب الآخر من القرائن فهو من "شبه الأفعال" يطلق عليه الدكتور "بلقايد" اسم القرائن المماثلة للحدث. وخاصية هذه القرائن أنها تضيف معانيها إلى معاني القرائن الأخرى للسياق الفعلي. فيهما يقول الدكتور "بلقايد": "وهذه القرائن هي من ضرب خاص، يمكن أن تعد عناصر مكونة لمخبر مركب، تمكن من تبيان كيفية وقوع الفعل أو نوعية الحدث. وإن وجودها ليس ضروريا للتكوين القول الأدنى الفعلي النظري[1]. وعلى هذا الأساس فإننا نجعل هذا الضرب الثاني من القرائن الفعلية في قسمين: قسم نسميه القرائن الزمانية وتنفرد به "كان". وقسم نطلق عليه اسم القرائن الكيفية ويحتوي على بقية القرائن.

1 — القرينة الزمانية "كان":

بما أن شبه الفعل "كان" يتصرف كبقية الأفعال فإنه من المفروض الحصول على أربعة أضرب من التراكيب، يتشكل فيه شبه الفعل كان مع الفعل الموالي له، باعتبار تماثلهما في صيغة "فعل و"يفعل" وباعتبار اختلافهما في ذلك. وإننا لنجد لهذه الفرضيات في لغة القرآن الكريم صورا هذه تراكيبها:

1 — كان + فعل (+)

2 — كان + يفعل (+)

---

(1) بلقايد: لغة تنس العربية، ص: 437.

3 ــ يكــون + يفعــل (+)
4 ــ يكــون + فعــل (+)

على أن يراعى شكل الصيغة فحسب ، في شبه الفعل "كان" دون النظــر الى ما يمكــن أن يدخل عليه من القرائن الاُخرى التي تؤثــر في المعــنى تأثــيرا كليّــا (انه لا يخفــى على المطلــع معنى : لم يفعل مثلا) .

فبالنســبة للضرب الاُول "كان فعل" ، نذكر قوله تعالى :

وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا . (آ 35 الانعام 06)
وان كان طائفة منكــم آمنوا بالذى أرسلت بــه . (آ 87 الاعراف 07)
ان كان قــميصه قد من قــبــل . (آ 26 يوسـف 12)
ان كنــت قلتــه فقــد علمــتــه . (آ 116 المائدة 5)

ان الظاهرة العامة في هذا الضرب ، تقدّم القرينة الشرطية "كــا ن" وأمــثلة "كان يفعــل" كثيرة ، نذكر منها على سبيل المــثال :

كانا يأكــلان الــطعــام . (آ 75 المائدة 05)

وهو الترتيــب الطبيعي للوحدات ، غير أن هذا الترتيــب قد يحدث فــيه تقديم وتــأخــير لاغــراض أسلوبــية . وهذه أمــثلة تبــيّن ذلك :

ولكن كانوا أنفسهم يظلمــو ن . (آ 70 البقــرة 02)
ثم : وأنفسهم كانــوا يــظلمــو ن . (آ 177 الاعراف 07)
أو : وكانوا من قبل يستفتحو ن على الذين كفروا . (آ 89 البــقرة 02)

وفي هذه الحالات كلها فإن المخبر هو الفعل الموالي لـ "كان" أمــا شــبه الفعل "كان" فوظيفتــه هي ادراج حدث الفعل في الزمان الماضــي : وبالتالي فان القيمــة المعنوية لهذا المخبر المركــب تصطبــغ بألــــوان الديمومــي والمألــوف والتكــراري .

أما بالنسبة للضرب الثالث نذكر هذا المثال :

أفلم تكن آياتي تتلى عليكم . (آ ـ 31 الجاثية 45)

وأخيرا نقدّم مثالين من الضرب الرابع .

لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل . (آ ـ 158 الأنعام 06)

و : فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم . (آ ـ 23 النساء 04)

2 ـ القرائن الكيفية :

ان القرائن الفعلية هي وحدات نحوية لا تؤدي وظيفتهـــا الا باقترانها المباشر مع المخبر الفعلي كما رأينا بالنسبة للقرينة الزمانية " كان " . ومتى تحدثنا عن القرائن الكيفية وجدنا أصنافا ثلاثة يميزهـــا الشكل والمعنى معا ، والعامل المشترك بينهـــا أنها لا تدل على كيفيـــة الحدث في حـــدّ ذاتها ولكن دلالتها على كيفية الحدث تظهر حـــين تقترن بفعل آخر في التركيب . والعامل المشترك بينهـــا أيضا أنهـــا لا تأتلف الّا مع بناء " يفعـــل " . وهذه القرائن الكيفية ثلاثة وهي :

1 ـ كاد : وهو شبيه فعل متصرف : كاد ـ يكـاد .
2 ـ طفق : وهو شبيه فعـل غير متصرف .
3 ـ عسى أن : وهو نسق فعلي غير متصرف .

والفرق بين "طفق" و"عسى أن" هو التحاق علامة التثنية بطفق بخلاف عسى أن فانه لا يستعمل إلاّ على صورة واحدة في كل صيغ الاثبات في القرآن الكريم .

أما من حيث المعنى ف "عسى" عند ابن منظور : طمع واشفاق وترج وهي أيضا عنده في القرآن من اللّه جلّ ثناؤه واجب ومـــن

العباد ظن . أمّا طفق فمعانيها كثيرة في لسان العرب ، فهي مع الفعل الذي يصحبها بمعنى جعل يفعل وأخذ يفعل وعلق يفعل وهو يجمع بين ظل وبات . أما " كاد " فيفيد المقاربة . وأمثلة هذه القرائن هي :

ان الساعة آتية أكاد أخفيها . (آ 15 طه 20)

حيث ان القرينة " كاد " تتبع مباشرة بالفعل " أخفى " في بناء يفعل . وقد يتوسط السند القرينة " كاد " والفعل الذي يصحبها لزاما مثل :

يكاد البرق يخطف أبصارهم . (آ 20 البقرة 02)

أو : يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . (آ 42 النور 24)

هذه أمثلة " كاد " في بناء " يفعل " ومثالها في بناء " فعل " هو :

وكادوا يقتلونني . (آ 150 الأعراف 07)

على خلاف القرينة " كاد " يأتي النسق الفعلي " عسى أن " وشبيه الفعل " طفق " كقرينتين فعليتين ملازمتين لبناء فعل .

فشبه الفعل طفق ورد مرتين في القرآن الكريم بنفس الصورة في التركيب وعلى هذا النحو :

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . (آ 22 الأعراف 07)

قرينة كيفية سند مخبر

فالقرينة الكيفية والمخبر الفعلي يشكلان المخبر المركب لاتفاقهما في علاقة التثنية . أما النسق الفعلي " عسى أن " كقرينة فعلية تدل على الكيفية فقد وردت في القرآن الكريم بالتواتر التالي : ثمان وعشرون مرة

وردت فيهما على صورة واحدة — ومرتان : التحقق فيها ضمير جمع المخاطبين بهذا النسق الفعلي ، وقد كان مسبوقا في الحالتين بقرينة الاستفهام "هل" وأمثلة الوضع الأول هي :

عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا . (آـ 84 النساء 04)

أو : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل . (آـ 22 القصص 28)

توسط المسند في الحالتين السابقتين جزأي المخبر المركب . وقد يرد المسند بعد المخبر المركب وذلك في قوله تعالى :

عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا . (آـ 24 الكهف 18)

ومن طريف التراكيب التي وردت فيها "عسى أن" هذا التركيب :

عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون . (آـ 72 النمل 27)

وطرافته تكمن في ورود شبه الفعل "كان" كقرينة زمانية في بناء يفصل متبوع بفعل آخر في بناء "فعل" ، وهذا لا يأتي الا مع الشروط مثلما سيأتي توضيحه في حينه ان شاء الله الى جانب هذه القرائن الثلاثة يمكن التنبيه الى فعلين آخرين هما "قام" و "أقبل" فقد يأتيان في وظيفة المخبر وقد يردان قرينتين فعليتين يدلان على الكيفية .

فالمخبر من "أقبل" مثاله :

فأقبلت امرأته في صرة . (آـ 29 الذاريات 51)

والقرينة من "أقبل" مثالها :

وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . (آـ 27 الصافات 37)

أما قام فمثاله مخبرا .

وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى . (آـ 142 النساء 04)

ومثال قام قرينة هو :

لما قام عبدالله يدعوه ... (آ ـ 19 الجن 72)

والذي يجب ملاحظته في الحالتين الأخيرتين تقدم قرينة الشرط في الحالة والظرف في الحالة الثانية .

ان هذه القرائن التي ذكرنا ، في السياقات التي وردت فيها ، تدل بوجه عام على :

ـ1ـ مقاربة وقوع الأحداث . وـ2ـ على الشروع فيها وـ3ـ على توقع حدوثها وجوبا أو ظنا . وان لهذه القرائن ما يماثلها في ائتلافها مع بناء "يفعل" ومصاحبتها له لزاما ، لأنه لا يخبر بها بمفردها البتة . وقد أخرنا الحديث عن بقية القرائن عمدا لما فيها من لبس ، اذ أن مادتها المعجمية تدل على الكينونة الخاصة مثل : أصبح وظل . هذا وما يجب ملاحظته أن فعل "بات" لم يرد في القرآن الكريم كقرينة فعلية أبدا ، وأن فعل "أضحى" ورد مخبرا فقط، وكذلك الشأن بالنسبة لفعلي أمسى وصار . ويضاف الى المجموعة الثانية : أصبح وظل ، فعل ونسق فعلي هما : فتىء ولا يزال . لنتناول أولا في تراكيب هذه القرائن التي وردت على بناء "فعل" وهي أصبح وظل :

ـ1ـ أصبح : وردت كقرينة فعلية في قوله تعالى :

وأحيط بثمره فأصبح يقلّب كفّيه (على ما أنفق فيها . (آ ـ 42 الكهف 18)

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ... (آ ـ 82 القصص 28)

فأصبح في هاتين الحالتين قرينة كيفية تدل على ما آلت اليه الأمور ، وتغيرها من حال الى حال ، وليس على وجود الحدث في الصباح ، ثم ان " أصبح من الناحية التركيبية تدل على أن أصبح شبه فعل لا يمكن

أن يكون مجورا للقول بمفرده . وللزمخشري في الكشاف تفسير للآية الأولى ورد فيه قوله : "كأنه قيل أصبح يندم".

ـــ 2 ـــ ظل زائد فعل في بناء "يفعل" أمثلتها

فظلوا فيه يعرجون . (آ 14 الحجر 15)

فظلتم تفكهون ; (آ 51 الروم 30)

فظل يفعل كذا عند ابن القطاع بمعنى فعله نهارا وأيضا بمعنى طال ودام . والمعنى الأول موجود عند الزمخشري في الكشاف اذ أنه يشرح الآية الأولى بقوله : "وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون"[1]. وأما المعنى الثاني فنجده عند ابن جرير الطبري في جامع البيان عند شرحه للآية الأولى على لسان ابن عباس : " فظلت الملائكة تعرج فيه يقول يختلفون فيه جائين وذاهبين "[2] ; وهو أنسب الى اعتبار ظل قرينة كيفية تدل على دوام الحدث ;

والجزء الثاني من المجموعة الثانية هو : فتىء ولا يزال . ونبتدأ بـ فتىء لأن أمره غريب ، ذلك أنه تم اجماع أهل العربية على أن " فتىء " لا يستعمل الا في النفي ولا يتكلم به الا مع الجحد يقول ابن منظور فان استعمل بغير " ما " ونحوها فهي منوية على حسب ما تجيء عليه أخواتها (وهي ما زال وما برح) قال وربما حذفت العرب حرف الجحد من هذه الألفاظ ، وهو منوي ويستشهدون بقوله تعالى : "تفتأ تذكر يوسف ".

---

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 2 ، ص : 389 .

(2) الطبري : جامع البيان ، ج 14 ، ص : 8 .

اننا لا نرى داعيا لما ذهبوا اليه . ذلك أن معنى الآية صريح خاصة ان نحن اعتمدنا على تركيب الوحدات فيها ، وهي الآية الوحيدة في القرآن التي ورد فيها "فتئ" .

قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا . (آ 85 يوسف 12)

فالقرينة "فتئ" تدل على الكيفية التي يتم بها الحدث وهو هنا استمرار الذكر . والكلمة حتى تدل على الغاية ، وان كان لا بعد من مرادف لـ فتئ فهي في رأينا ظل وأدام واستمر . وفتئ شبه فعل لأنه لا يأتي منفردا ليكون مركزا للنواة الاخبارية وهو في مثالنا هذا متصل بقرينة المخاطب المذكر الذي يتحد فيها مع المخبر الفعلي " ذكر " . وشبه الفعل والفعل وردا في بناء يفعل ، وعليه فهما يكونان مخبرا مركبا ، وهذا المخبر المركب وثيق الصلة بقرينة الغاية " حتى" بحيث اننا نجرأ على تصور بنية التركيب مع القرينة الكيفية فتئ كالتالي :

يفتأ ـ يفعل .... حتى .

أما لا يزال فهو نسق شبه فعلي مكوّن من " ما " و " يزال " وظيفته الاقتران بمخبر فعلي في بناء "يفعل" يضيف هذا النسق شبه الفعلي معناه الذي هو الاستمرار ودوام معالجة الأمر الى المخبر فيكونان مخبرا مركبا لاتفاقهما عامة في نفس المرجع وقد ورد "لا يزال" كقرينة كيفية في القرآن الكريم على النحو التالية :

1 ـ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم . (آ 217 البقرة 02)

2 ـ ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم . (آ ـ 13 المائدة 5)

3 ـ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة . (آ ـ 31 الرعد 13)

ففي هذه الأحوال كلها تتكون القرينة الكيفية من "لا" و "يزال" كشبه فعل متصل بعلامة جمع الغائبين وعلامة المخاطب المنفرد شأنه شأن المخبر الفعلي : والجدير بالذكر أيضا أن قرينة النفي "لا" التي هي جزء من النسق شبه الفعلي ، لا تنفي الحال وإنما تنفي الاستقبال (مثلما سنرى عندما نتحدث عن قرائن النفي) بحيث أن كيفية القتال ستظل مستمرة الى غاية . وعليه فمثل القرينة "لا يزال" هنا كمثل القرينة "حتى" ، وهي: لا يزالون يقاتلونكم حتى ... نسق شبه فعلي في أدلة متقطعة "لا يزال .... حتى" .

أما أمر الآية الثانية فالنسق شبه الفعلي فيها يدل على الاستمرار في الاطلاع على الخيانة وعليه فانه ورد بدون حتى وكذلك الشأن بالنسبة للمثال الثالث ، الا أن هذا المثال يطرح مشكلة من نوع آخر وهي عدم اتفاق النسق شبه الفعلي للكيفية والمخبر الفعلي في المرجع . ف "لا يزال" مرجعه "الذين كفروا" ، وتصيب مرجعه : "قارعة" . والمفروض أن يكون : لا تزال الذين كفروا تصيبهم قارعة* . وهو قول ملغيّ . والتركيب الجاري :

ولا تزال تصيب الذين كفروا قارعة .

وأما الذي حصل في الآية الكريمة هو تقديم الباسطة الاجبارية "الذين كفروا" على المخبر والسند في ذات الآن ، لغرض أسلوبي . غير أنه مثلما رأينا اذا تقدمت الباسطة المخبر والسند ، كان لا بد من اتصال ضمير - عائد عليهما - بالمخبر وفقا لكلام العرب ، الا أن الذي يحل المشكل المطروح وحتى لا يحصل الاشكال ويؤدي تقديم الباسطة دوره الأسلوبي الكامل هو وجوب موافقة النسق شبه الفعلي للباسطة .

لا يـــزال الذيـن كـفــروا

وانعكـاس مرجـع الـــــــــــــــسند في المخبر الفعلي

تـصـيبهـــم قـارعـــة

و بهذا الشكل يتم ائتلاف القرينة الكيفية لا يزال بالمخبر الفعلي فـي قولـه تعالى : "ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة"، فيكونـان مخبرا مركبا .

صيغـــة الأمـــر :

انما نقصد بالصيغة ههنا ليس فقط الشكل الذى يكون عليـــه الفعل في غير بنـاء "فعل" و "يفعل" ولكننا نقصد البناء المخصوص الذى يكون عليه الفعل للتعبير عن موقف المتكلم بالنسبة للحدث أو الفعل في غير صيغة الاثبات ، بحيث تستعمل هذه الصيغة للدلالة على الأمر أو المسألة أو الطلب أو الدعاء باعتبار رتبة المخاطب لمن يواجهه . فان كان المخاطب دون المخاطب في الرتبة فهو أمر وان كانـا في نفس المستوى فهو طلب ، وان كان المخاطب أعلى رتبة من المخاطب فهو المسألة ، وان كان الخطاب موجها الى الله تعالى فهو الدعاء . وكـل هذه الحالات تدمج في الأمر بالمواجهة . ومهما كانت الحالات الواردة وأيـا كانت مادة الفعل المستعمل فان شكل الفعل يصحب ضرورة باحدى القرائن الدالة على جنس المخاطب وعدده ، ما عدا المفرد المخاطب المذكر فانه خال من أية علامة ، وخلوه من العلامة علامة له بالنظر الى غيره . وأمثلة أمر المواجهة كثيرة جدا في القرآن الكريم نأخذ بعض النماذج منها :

1 ـ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .
(آ 201 البقرة 2) مفرد مذكر

2 ـ فكلي واشربي وقري عينا . (آ 26 مريم 19) مفرد مؤنث

3 ـ اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا . (آ 35 البقرة 2) مثنى

4 ـ كلوا واشربوا من رزق الله . (آ 60 البقرة 2) جمع مذكر

5 ـ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة . (آ 33 الأحزاب 33) جمع مؤنث

بالاضافة الى أمر المواجه نجد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة لأمر الغائب نذكر منها الأمثلة التالية :

1 ـ كما علمه الله فليكتب . . . وليملل الذى عليه الحق وليتق الله .
(آ 282 البقرة 02)

2 ـ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .
(آ 29 الحج 22)

الذى يتميز به أمر الغائب عن أمر المواجه هو اقتران اللام بلفظ الفعل الذى يرد في صيغة غير المنقطع مع لزوم سكون آخره في المفرد وسقوط النون منه مع جمع الغائبين .

هذا هو المألوف المتواتر في صيغة الأمر ، أما الذى ينفرد به القرآن الكريم فهو ورود الأمر في صيغة الاثبات سواء أكان ذلك في قول اسمي أم في قول فعلي . وفي هذه الحالة يكون الفعل بصيغة المعلوم أو بصيغة المجهول . وهذه النماذج التي نعرضها قد خصص لها ابن حزم فصلا في كتابه الاحكام في أصول الأحكام (م 2 ج 3 ص 284) وحتى يعلم هذا الأمر جيدا نقدم نماذج القول الاسمي :

ـ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . (آ 97 آل عمران 03)
ـ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة . (آ 92 النساء 04)

أما نماذج القول الفعلي في صيغة الاثبات فنبدأها بصيغة المجهول :

ـ كتب عليكم الصيام . (آـ 183 البقرة 02)

ثم الفعل في بناء " فعل " ومثاله :

ـ وأحلّ اللّه البيع وحرّم الربا . (آـ 275 البقرة 02)

ثم الفعل في بناء " يفعل " ومثاله :

ـ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها . (آـ 58 النساء 04)

أو ـ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء . (آـ 228 البقرة 02)

وفي القرآن الكريم كلمات وأنساق جامدة لا هي فعلية ولا هي اسمية يعبر بها عن الأمر وهي : هاتوا ـ هاؤم ـ هلمّ ـ هيت لك وتعالوا نعرضها في ما يلي مبتدئين بالكلمة ثم الأنساق :

1 ـ هلمّ : وقد وردت مرّتين في القرآن الكريم ، هما :

ـ قل هلمّ شهداءكم . (آـ 150 الانعام 06)

ـ والقائلين لاخوانهم هلم الينا . (آـ 18 الأحزاب 33)

وانما فضلنا(*) اعتبار " هلمّ " كلمة واحدة ، لأنه يستوى فيها الواحد والجمع كما جاء في الآيتين؛ وبقية التعابير الجامدة وردت على شكل انساق وهي :

(*) لسيبويه رأي في " هلم " نعرضه ههنا للتذكر وهو : " وأما " هلم " فزعم أنها حكاية من اللغتين . جميعا كأنها لمّ أدخلت عليها الهاء كما أدخلت ها على ذا لأني لم أر فعلا قط بني على ذا ولا اسما ولا شيئا يوضع موضع الفعل وليس من الفعل ، وقول بني تميم هلمن يقوى ذا كأنك قلت الممن فأذهبت ألف الوصل ، الكتاب : ج 3 ، ص ص : 332ـ 333 .

1 ـ " هاتوا " : وقد وردت أربع مرات بنفس الطريقة ونفس التركيب :

قل هاتوا برهانكم . (آ 111 البقرة 02)

2 ـ " هاؤم " : وردت مرة واحدة في قوله تعالى :

هاؤم اقرؤوا كتابيه . (آ ـ 19 الحاقة 69)

3 ـ " هيت لك " : كذلك وردت مرة واحدة في سورة يوسف .

وقالت : هيت لك . (آ ـ 23 يوسف 12)

4 ـ " تعالوا وتعالين " : وتظهر فيهما بوضوح قرينة الجمع للمذكر والمؤنث كما هو الحال في صيغة الأمر في الأفعال الحقيقية :

قل تعالوا ندع أبناءنا . (آ ـ 61 آل عمران 03)

وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا . (آ ـ 167 آل عمران 03)

فتعالين أمتعكن . (آ ـ 28 الأحزاب 33)

والملاحظ في هذه الأنساق أن " هاؤم " و" تعالوا " ، يمكن أن يتبعهما بفعل في صيغة الأمر : " هاؤم اقرؤوا " و " تعالوا قاتلوا " . وقد انفرد النسق " تعالوا " بائتلافه به بدءا " بفعل " دون غيره من الأنساق الأخرى : " تعالين أمتعكن " . وفي الحالتين جميعا تأتلف صيغة الأمر بصيغة أمر أخرى أو تأتلف صيغة الأمر بفعل في غير المقطع دون واسطة .

القرائن الاسمية :

اذا كانت قرائن الأمر خاصة بالكلمة الفعل ، فان قرائن الزمان وقرائن الكيفية ليست خاصة به وحده . والحق أننا أن كنا تحدثنا عن القرائن الزمانية والقرائن الكيفية المتصلة بالمخبر الفعل ، فلأن غرضنا هو أن نبين حقيقة طالما أغفلتها الدراسات التقليدية ، حقيقة عليقة بالمخبر الفعل الفعلي ، وبالقرائن التي تدخل عليه وهو أساس القول الفعلي ، فتدرج فيه مفهوم الزمان ، وتلقي عليه ضوءا فتبين الكيفية التي تم بها الحدث أو الفعل مثل :

يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . (آ 7 الفرقان 25)
ثم : وكانا يأكلان الطعام . (آ 75 المائدة 05)

ومثل :

تعرج الملائكة والروح اليه . (آ 04 المعارج 70)
و : فظلوا فيه يعرجون . (آ 14 الحجر 15)

واننا جعلنا صيغة الأمر حاجزا بين القرائن التي تدخل على القول الفعلي والقرائن التي تدخل على القول الاسمي ، والحق انها واحدة في المطلق . وسنرى في ما يلي مميزات قرائن القول الاسمي وتركيباتها .

1 ـ القرائن الزمانية :

أ ـ " كان " ـ سبق أن بينا أن " كان " ترد قرينة زمانية بالنسبة للقول الفعلي ثم اننا بينا قبل ذلك (ص . . .) أن كان ترد مخبرا ، والآن نتعرض لـ " كان " كقرينة تأتلف مع القول الاسمي لنظر المثالين التاليين :

1 ــ وامرأتـــي عــاقـــــر . (آـ 40 آل عمران 3)
سـنـد مخـبر

2 ــ وكانـت امـرأتـــــي عـاقـــرا . (آـ 5 مريم 19)
قرينةزمانية مشاركالسند سند مخـبر

ان القرينـة الزمانية المتمثلـة في شبه الفعل " كان " هي التي أدرجـت المخبر في الزمن الماضي . وشبه الفعل حاله كحال الفعل في الالحاق الـذى يصـيب آخره اجباريـا والذى يدل على الشخـص وعدده وهو ما يسمى بالضمير عادة ، ويسميه بعض الوظيفيين " المشارك " ، والمثالان اللذان بـين أيدينـا يوضحان لنا جليا أن " كان " لا يمكن أن يكون الا قرينـة زمانـية فقـط في هذه الحالة ، اذ أننا متى ما حذفنا القرينـة " كان " من المثال رقـم 2 بقـي القول سليمـا من حيـث تركـيبـه . والأمثلة في هذا البا ب عديـدة يمكـن أن تنـطبق على جميـع ضروب القول الاسمـي التي تعرضنا لها ونكـتفي هنا بمثالـين :

1) وأنـت من الكافريـن . (آـ 19 الشعراء 26)
وكنـت من الكـافريـن . (آـ 59 الزمر 39)

2) وكـان تحتـه كـنز . (آـ 82 الكهـف 18)

في الحالات السابـقة يتـصدر " كان " القول وهو الأمر المألوف المتواتـر الا أنه ليس بالوضع الوحيد ، اذ أن " كان " يمكـن أن يتوسط السنـد والمخـبر في القول الاسمـي ، ومثالـه :

كـل الطعـام كـان حـلاّ لبني اسرائيل . (آـ 93 آل عمران 3)
سـنـد قرينةزمانية مخـبر

ويكثر هذا الضرب من التركيب مع صيغة التأكيد (ان + ـه + كان . . . والضمير يعود على اسم سابق) مثل ما سنرى في موضعه أن شاء الله .

غير أن "كان " في القرآن الكريم ليست تدل دائما على الزمن الماضي ، فقد تخرج عن نطاق الزمان مطلقا ، وقد تدل على المستقبل ، وقد تدل على الصيرورة ، وقد تشمل الأزمنة كلها : الماضي والحاضر المستقبل ، ولنرى هذه المسائل على التوالي :

1 ـ الخروج من الزمان مطلقا ومثاله :

وكان الله عليما حكيما . (آ ـ 92 النساء 04)

بالنظر الى : والله عليم حكيم . (آ ـ 26 النساء 04)

2 ـ المستقبل والصيرورة ، مع العلم أن هذا المعنى لا يرد الا مع صيغة الشرط ، ومثاله :

فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان . (آ ـ 37 الرحمان 55)

3 ـ جميع الأزمنة ومثاله :

وكان الانسان أكثر شيء جدلا . (آ ـ 54 الكهف 18)

فلقد كان الانسان على هذه الصفة ولم يزل موصوفا بها وسيظل كذلك . وفي هذه الأوضاع كلها ومهما كان موضع " كان " قرينة الزمان فان المخبر ينتصب جبرا ونحن نعتبر انتصاب المخبر مع " كان " من موجبات التركيب في لغة القرآن .

ب ـ أصبح : ابنا ان أصبح ورد في القرآن الكريم فعلا لازما مخبرا ، والوجه الثاني لـ " أصبح " هو أنه يرد قرينة زمانية في صيغة شبه فعل فيدرج القول الاسمي في فترة محدودة من الزمان بالنسبة لمطلق الزماني الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، فأصبح جزء من النهار معروف في سويعات ومثاله :

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا . (آ 10 القصص 28)
قرينة زمانية — مسند — مخبر

فأصبح في المدينة خائفا . (آ 18 القصص 28)
قرينة زمانية Ø = مسند — مخبر

فأصبحوا في ديارهم جاثمين . (آ 78 الأعراف 07)

هذا وإننا لم نقف في القرآن الكريم على " أضحى " و " أمسى " ، الا كفعلين مخبرين يدلان على زمنين مخصصين من النهار .

II – القرائن الكيفية :

ان القرائن الكيفية مثلها كمثل القرائن الزمانية في وظيفتها ، فهي تأتلف مع القول الاسمي وفي ائتلافها مع القول الاسمي يكون المخبر منصوبا جبرا ، ويكتسي القول معنى الديمومة والصيرورة . لنتفحص الأمثلة الآتية في :

أ – أصبح : بعد أن ذكرنا أن أصبح يرد مخبرا ، ثم يرد كشبه فعل له وظيفة القرينة الزمانية ، نستشهد بـ " أصبح " هنا للدلالة على وروده قرينة كيفية .

فقتله فأصبح من الخاسرين . (آ 30 المائدة 05)

عما قليل يصبحون نادمين . (آ 40 المؤمنون 23)

ثم في : اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا . (آ 103 آل عمران 03)

أو في : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة . (آ 62 الحج 22) .

ب ـ ظـل : سبـق شرح معناه ، أما مـبـداه فهـو :

فـظلّت أعناقهم لها خاضعـين . (آـ 04 الشعراء 26)
فيـظـللـن رواكـدا . (آـ 33 الـشورى 42)

ف " ظل " شبه فعل يدل على الكيفـيـة التي يتـصف بها المخبر فـي القول الاسمي ، واستاطـه لا يضير في شيء بناء القول ، وقد ورد علـى بناء " فعل " و " يفعـل " تماما كأصبـح ويـصبح .

ج ـ كان : الذى يجب أن ننبه اليه أنه من القرائن الكيفية ملا يرد الا على بناء واحد فقط لاشتغال البناء الآخر بمعنى مختـلف ، وذلك هو شأن بناء يفعـل من شبه فعل الكون ومثاله في القرآن الكريم هو :

ودّوا لو تكـفرون كما كفـروا فيتكونون سواء . (آـ 89 النسـاء 04)
ثم : فتنـفخ فيهـا فتكون طائـرا باذني . (آ ـ 110 المائدة 05)
(انظر التفسير الكبير للفخر الرازى) .

فلا تـقابل بين كان ويكون . فالأولى قرينة زمانية والثانية قرينة كيفـيـة .

د ـ مازال ـ ولا يـزال : بيّنـا في ما سبق شبه النسق الفعلي : " لا يزال " والذى نريد أن نبيّنه ههنا هو أن القول الاسمي وحده هو الذى اختص في القرآن الكريم ببناء " فعل و " يفعـل " من : " زال ـ يزال " مـع اقتران كل منهما بقرينة نفي خاصة به مثلما سنرى . والوجه الآخر لهذا النسـق شبه الفعلي الذى يرد في دال مقطع هـو " مازال . . . . حتى " .

... بدون حتى مع بناء فعل ، ثم مع بناء يفعـل :

فما زلـتم في شك مما جاءكم . (آـ 34 غافر 40)
ولا يزالون مختـلفين . (آـ 118 هـود 11)

ـ مع "حتى" وبناء "نحل" ثم في بناء "يفعل" .

فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً . (آـ 15 الأنبياء 21)

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم آية .

(آـ 55 الحج 22).

المسألة السادسة :

المباسطات المكتفيات

1 ـ الكلمة المكتفية

2 ـ النسق المكتفي

3 ـ اللفظ المكتفي والكفيات .

في حديثنا عن الباسطات اعتبرنا العلاقات التي تربطها بالمخبر ، والحق
أن وجود هذا العنصر المهيمن الذي هو المخبر يوحي بوجود تدرج في
الوظائف يمكن أن نبيّنه على أساس الخصائص التركيبية التابعة لكل
عنصر من عناصر القول بالنظر الى خاصيتي المركزية والاجبارية ، كأن نقول :
المخبر اجباري ومركزي ، السند اجباري غير مركزي ، البسط بالتعلق لا هو
اجباري ولا هو مركزي وانه يمكن متابعة هذا التدرج بالنظر الى الوحدات
الأخرى المكونة للقول عموما ، كوحدة السند وما يتعلق بها ووحدة البسط
وما يتعلق بها . فالظاهرة النحوية أو التركيبية تكمن في وضع العلاقة
مع المخبر وقد قلنا عن الوظائف الأصلية ، انها وظائف العناصر التي
تتصل مباشرة بالقول ككل أو بالقول في مجموعة ، وليست التي تتصل
بعنصر ما من عناصره . وللتأكيد نقول أيضا أن الوظائف الأصلية
هي وظائف الوحدات التي تدخل مباشرة في علاقة مع المخبر وهذا
يؤدي الى العلاقة المباشرة للعناصر في ما بينها على مستوى المدلول .
وانه اذا كان لابد من مخبر ، فانه ليس أمرا تقتضيه التجربة نفسها
ولا أي تبليغ مهما كان (حول هذه التجربة) ، وانما "لأنه ما بين
صفّية الدليل اللساني وعدم صفّية المدلولات لا يمكن تجاوز هذه
المسافة الا بتنظيم تدريجي للارتباطات ، وبالتالي بوجود عنصر
أيا كان بسيطا أو مركبا ، به تتصل كل العناصر الأخرى"(1) . فالظاهرة
التركيبية تجمع اذن بين مدلول علاقي ومسلك ، دون أن يتضمن
ذلك تطابقا في الاشتراك المزدوج بين المسلك والوظيفة .

أن وجود وحدات مكتفية بذاتها أو مستقلة ليست في حاجة الى
وحدات أخرى لترتبط ببقية القول ، لا يعني أن الأمر يتعلق بتحليل

---

(1) ف . فرانسوا : في الاكتفاء الوظيفي ، في مجلة اللسانيات ، ص7 ، رقم 6 ، 1970 .

المدلول فقط . فالاكتفاء يتجسد على مستوى الدال من حيث امكانية تنقله في القول . فالقيمة الوظيفية للوحدة المكتفية لا تعتمد على موقعها من الوحدات الاخرى ، فقيمتها الوظيفية لا تتغير مهما كان موضعها . ان الذي يميّز الوحدة المكتفية اذن هو مجراها في القول ، وانه غالبا ما تكون الوحدات المتضمنة تحديداً ، إمّا في المكان واما في الزمان واما للحال ، قابلة لورودها كوحدات مكتفية ومتعلقة بنواة القول الاخبارية . وهذه المتعلقات المكتفية يمكن أن ترد على شكل كلمات أو أنساق ، أو ألفاظ . وانها كباسطات بالتعلق تحمل في طياتها الاشارة الى وظيفتها التي لا يسمها لا الموضع ، ولا أيّ عنصر وظيفي ، هذا وانه يمكن لبعض الوحدات اللسانية أن تكون مكتفية ، في هذه الحالة تكون نواة هذه التراكيب المكتفية اما اسمية واما فعلية . وفي ما يلي نعرض الباسطات المكتفية على أساس مبانيها ثم نصف داخل كل مبنى المعاني المتعلقة به :

1 ـ <u>الكلمة المكتفية</u> :

أ ـ <u>الحال</u> : مثاله : ∅ (فاي)

ب ـ <u>الزمان</u> : فمن يكفر بعد منكم/أعذبه . . . (آـ 15 النساء 04)
فما يكذبك بعد بالدين . (آـ 07 التين 95)
آلان وقد عصيت قبل . (آـ 91 يونس 10)
آلان خفّف الله عنكم . (آـ 66 الانفال 8)
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا .
(آـ 09 الجن 72)

ج ـ <u>المكان</u> : وأزلفنا ثمّ الآخرين . (آـ 64 الشعراء 26)
واذا رأيت ثمّ رأيت نعيما . (آـ 20 الانسان 76)

لنا حول هذه الأمثلة ملاحظتان :

1 ـ الأولى : إن الكلمات المكتفية وردت في مواضع كثيرة مختلفة بالنظر الى المخبر والقول فقد ترد في أول القول كما ترد في آخره وقد تتوسطه أيضا كما أنها تتوسط جزأي النسق الفعلي مثلما هو الحال في قوله تعالى : " فما يكذّبك بعد بالدين " .

2 ـ الثانية : الملاحظ في هذا الصنف أن الكلمات عددها قليل بالنسبة للمكتفيات الدالة على الزمان والتي تدلّ على المكان . هذا واننا أدرجنا "الآن" باعتبارها كلمة واحدة لأنها لا تقبل التجزأة في تصورنا . فليس حالها كحال "يوم" أو "أمس" ، فالألف واللام لا يخلعان منها ولا يفارقانها ، ولزوم اللام دليل كما يقول ابن منظور على أنها ليست للتعريف . أما الانعدام التام للوجدات الدالة على الحال فراجع الى لون الكلمة الدالة على الحال لا تأتي الا منوّنة مع الفتح ، والتنوين غير ملازم للكلمة ، فامكانية خلعه منها يؤدي بالضرورة الى وضع مغاير وبالتالي الى وظيفة مغايرة . وعليه فاننا نعدّ التنوين مع الفتح خاصة وحدة وظيفية كما تعد الكلمة مع التنوين في هذه الحالة نسقا اسميا . (انظر رسالة الدكتور : بلقايد محمد ، لغة تلمس العربية) .

ـ 2 ـ النسق المكتفي :

أن الانساق الاسمية الواردة مكتفيات الدالة على الحال كثيرة في القرآن الكريم وقد ترد منونة مع الفتح كما هو الشأن بالنسبة لـ بغتة وجهرة ورغدا وسعيا ... كما انه يمكن أن يأتي النسق على شكل كلمة متصل بها ملحق (أو احدى الزيادات) دال على التثنية

أو الجمع مثل : دائبين أو مسخرات أو على شكل دال ملخم متصل :
فرادى . للنظر الى الأمثلة :

أ ـ الحال : حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة . (آ ـ 31 الانعام 06)
فكلوا منها حيث شئتم رغدا . (آ ـ 58 البقرة 02)
وفي موضع آخر : وكلا منها رغدا حيث شئتما . (آ ـ 35 البقرة 02)
ويختفي النسق المكتفي في : فكلا من حيث شئتما . (آ ـ 19 الاعراف 07)
وفي القول الاسمي : هذا بعلي شيخا . (آ ـ 72 هود 11)

وهذه ضروب أخرى من الانساق :

لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم .
(آ ـ 27 الفتح 48)
ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء . (آ ـ 79 النحل 16)
أن تقوموا لله مثنى وفرادى . (آ ـ 46 سبأ 34)

وهذا مثال يتصدر فيه النسق المكتفي القول :

خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث . (آ ـ 07 القمر 54)

بالنسبة للأنساق الاسمية الواردة بأسطات مكتفية دالة على الحال ،
نلاحظ أن أكثر ورودها يكون في أقوال فعلية وأنها غالبا ما تلي
النواة الاخبارية في الرتبة أو تقع آخر القول . وقد يتكرر النسق
المكتفي الدال على الحال في القول مرتين متتاليتين لتأكيد المعنى
ومثاله :

اذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا . (آ 24 الفجر 89)

ب ـ الزمان : ان الانساق الدالة على الزمان كثيرة أيضا وتتميز
عن الانساق الدالة على الحال بالاكتفاء التام ، اذ أنها تأتي أول القول
الاسمي أو تتوسط أجزاءه أو تأتي آخره ، وينطبق نفس الوضع على القول
الفعلي انظر الى الأمثلة :

فلبثت سنين في أهل مدين . (آ ـ 40 طه 20)
ولا يكلمهم الله يوم القيامة . (آ ـ 174 البقرة 02)
فاليوم ننجيك ببدنك . (آ ـ 92 يونس 10)

وفي القول الاسمي :

أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . (آ ـ 60 الحجر 15)
فبصرك اليوم حديد . (آ ـ 22 ق 50)
الملك يومئذ لله . (آ ـ 56 الحج 22)

ج ـ المكان : ما قيل عن الأنساق الدالة على الزمان ينطبق تماما على الأنساق الدالة على المكان ، للنظر الى الأمثلة :

وخسر هنالك المبطلون . (آ ـ 78 غافر 40)
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال . (آ ـ 18 الكهف 18)
هنالك دعا زكريا ربه . (آ ـ 28 آل عمران 03)

الملاحظ في النسق المكتفي " هنالك " أنه موضوع للدلالة على المكان إلا أنه قد يدل على الزمان أيضا ومثاله : " وخسر هنالك الكافرون " آ 85 المعارج 40 . فالزمان أنسب دلالة في هذا السياق .

ومن القول الاسمي : هنالك الولاية لله الحق . (آ ـ 44 الكهف 18)
جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب . (آ ـ 11 ص 38)
انا ههنا قاعدون . (آ ـ 29 المائدة 05)

هذا وانا لاحظنا أن نفس القول بنفس التركيب قد يظهر فيه النسق الاسمي المكتفي وقد يختفي ومثاله :

لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين . (آ ـ 38 مريم 19)
بل الظالمون في ضلال مبين . (آ ـ 11 لقمان 31)

3 ـ اللفظ المكتفي والكفيات :

تنقسم الألفاظ المكتفية الى قسمين باعتبار ضرب النواة المكونة للفظ فيكون اللفظ المكتفي اسميا اذا كانت النواة اسما ويكون اللفظ فعليا اذا كانت النواة فعلا . وهذه الألفاظ المكتفية سواء كانت اسمية أو فعلية ، فلا حاجة لها بعلامة تعلقها ببقية أجزاء القول : وورودها لا يختص بمكان معين من القول .

بالاضافة الى الألفاظ المكتفية توجد باسطات تتعلق بالمخبر وظيفتها أولية ، غير أن هذه الباسطات تدرجها مضيفات ، والحق أن المضيفات والوحدات التي تدرجها تعد كفيات ، فتستقل في القول مثلما تستقل المكتفيات ، دون أن تمس علاقات الوحدات التي تأتلف معها في القول التي وردت فيه . وبهذا الوجه يكون الاشتراك في معنى الدلالة على الزمان أو المكان (قبل ، بعد ، دون ، حين ، عند ، اذ . . .) والاشتراك في مبدأ حرية التنقل بين وحدات القول هما المبرران في دمجهما في هذا الباب الذي لا يخلو من مشاكل ناجمة عن تعدد معاني الوحدة الواحدة من المضيفات ، وعن تنوع التراكيب التي تدرجها من اسمية وفعلية وعن عدد الوحدات المكونة لهذه التراكيب ، فتمعن الأمثلة :

أ ـ الحال : 1 ـ اللفظ الاسمي المكتفي مثاله :

لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة . (آـ 32 الفرقان 25)

واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة و / دون الجهر من القول : (آـ 205 الاعراف 7)

2 ـ اللفظ الفعلي ومثاله :

وجاءوا أباهم عشاء يبكون . (آـ 16 يوسف 12)

ب ـ الزمان : 1 ـ اللفظ الاسمي المكتفي في القول الاسمي ومثاله :

كلّ يوم هو في شأن . (آ ـ 29 الرحمن 55)

وأذان من الله ورسوله يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين .

(آ ـ 11 التوبة 09)

2 ـ اللفظ الاسمي المكتفي في القول الفعلي ومثاله :

1 ـ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (أ ـ 39 ق 50)

2 ـ تؤتي أكلها كل حين باذن ربها . (آ ـ 25 ابراهيم 14)

3 ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها . (آ ـ 42 الزمر 39)

4 ـ فلبث في السجن بضع سنين . (آ ـ 42 يوسف 12)

5 ـ يوم هم بارزون لا يخفى على الله من أمرهم شيء . (آ 16 غافر 40)

6 ـ خذوا زينتكم عند كل مسجد . (آ ـ 31 الأعراف 07)

7 ـ فسوف يعلمون اذ الأغلال في أعناقهم . (آ ـ 71 غافر 40)

8 ـ أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون . (آ ـ 80 آل عمران 03)

بالاضافة الى التمييز بين اللفظ الاسمي المكتفي الوارد في القول الاسمي واللفظ الاسمي المتكفي الوارد في القول الفعلي ، نلاحظ من خلال الأمثلة المتعددة التي تعمّدنا تقديمها مسائل كثيرة منها : تجسيد حقيقة الاكتفاء في اللفظ الاسمي . ومنها تنوع الألفاظ المكتفية من حيث معانيها ومن حيث مبانيها . فمن حيث المعاني اننا اختصرنا على عدد قليل من الأمثلة ولم نغطّ كل الامكانيات للتعبير عن الزمان بكل دقائقه . أما من حيث المبنى فالنواة اللفظية يمكن أن تتكوّن من كلمتين مفروقتين مثل : كل حين أو من ثلاث كلمات مفروقة مثل : قبل طلوع الشمس أو عند كل مسجد ، أو من كلمة ولفظ اسمي مثل يوم حصاده أو قبل الغروب ، أيضا يمكن أن تتكون النواة اللفظية

من كلمة يخصصها قول أسمي من ضروب شتى مثل :
هم بارزون في القول رقم 5 أو أنتم مسلمون في القول رقم 8 أو الأغلال في أعناقهم في القول رقم 7 .

3 ـ اللفظ الفعلي المكتفي في القول الاسمي :

أولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه . (آـ 106 آل عمران 03)

ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور .
(آـ 73 الأنعام 06)

وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة . (آـ 30 البقرة 02)

والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . (آـ 33 مريم 19)

4 ـ اللفظ الفعلي في القول الفعلي :

يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل .
(آـ 158 الأنعام 06)

واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا .
(آـ 16 مريم 19)

وأن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم . (آـ 101 المائدة 05)

يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده .
(آـ 104 الأنبياء 21)

الملاحظ في هذا الصنف من الألفاظ الفعلية المكتفية أن عدد وحداته يتغير بتغير الفعل أو النسق الفعلي وما يقتضيه من علاقات مثلما هو الحال في : "يوم يأتي بعض آيات ربك" أو "يوم يقوم الناس لرب العالمين" أو "يوم يقول كن فيكون" أو "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا" ، أو "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم" .

ج ـ المكان : 1 ـ اللفظ الاسمي المكتفي في القول الاسمي ومثاله :

وماكان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية . (آـ 35 الأنفال 08)

وان كل لما جميع لدينا محضرون . (آـ 32 يس 36)

2 ـ اللفظ الفعلي المكتفي في القول الفعلي ومثاله :

واقتلوهم حيث ثقفتموهم . (آـ 191 البقرة 02)

وكلا منها رغدا حيث شئتما . (آـ 35 البقرة 02)

آمنتم به قبل أن آذن لكم . (آـ 123 الأعراف 7)

3 ـ اللفظ الاسمي المكتفي في القول الفعلي ومثاله :

فاذكروا الله عند المسجد الحرام . (آـ 198 البقرة 02)

ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا
من ديارهم . (آـ 31 الرعد 13)

وتركنا يوسف عند متاعنا . (آـ 17 يوسف 12)

ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم .
(آـ 37 ابراهيم 14)

ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . (آـ 14 النجم 54)

اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا . (آـ 36 يوسف 12)

وتركتم ما خولنا لكم وراء ظهوركم . (آـ 94 الأنعام 06)

بعد عرض جميع أنواع المكتفيات : كلمات وأنساق وألفاظ ، نود التنبيه الى أمرين : ـ أحدهما يتعلق بالألفاظ المكتفية الاسمية منها والفعلية من حيث تكوينها . نقول في هذا الشأن أن تركيب هذه المكتفيات يخضع لأنواع الوحدات المكونة لها . نخص بالذكر منها وحدات مثل : "حين وبعد وقبل ويوم واذ وشطر وفوق ووراء وخلاف وتحت" وهي كلها وحدات وظيفية لا تأتي في سياق الا وهي مصحوبة بوحدة أخرى

أوبسلسلة من الوحدات الأخرى تدرجها في السياق الواردة فيه ، ثم أن بعضها اما أن يدرج اسما واما أن يدرج فعلا ، وبعضها الآخر يقوم بالوظيفتين

معا . والحق اننا لا نريد أن نسبق الأحداث فالكلام على الوظيفيات آت في حينه أن شاء الله ، وانما نريد أن ننبّه الى هذا الأمر وقد عرض لنا في هذا الباب . لننظر الى الأمثلة بالنسبة لـ "حين " و "يوم " ، فالوحدة الأولى وردت على شكلين في : " حين الوصية " وفي : "حين يتنزل القرآن " وكذلك الشأن بالنسبة للوحدة الثانية في : " يوم حصاده " وفي : "يوم ولدت ويوم أموت " فالوحدتان تدخلان في ضرب ينفرز عن ضروب مجموعة من الوحدات لا تتصل الا باسم مثل : "قبل وبعد وعند ووراء . " في قبل الغروب وفي : " فبأيّ حديث بعده يؤمنون "، 50 المرسلات 77 ـ أما "اذ " فانها تدخل في ضرب مختلف عن ضرب "يوم " و "حين " بكونها تدرج اما قولا اسميا تامّا واما قولا فعليا تامّا . وأمثلة "اذ " هي في : "لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة " (آ 18 الفتح 48) وفي : "اذ الاغلال في أعناقهم "(71 غافر 40) .

خلافا لما سبق نذكر وحدة تنفرد بوضعها وهي "اذا " التي وردت أكثر من مرة في القرآن الكريم ولكن بنفس الضرب من التركيب ومثاله :

والليل اذا يسر . (آ 04 الفجر 89) .

"فاذا " هنا منعدم فيها معنى الشرطية ، وحالها كحال "اذ " من حيث أنها تدرج لفظا فعليا وتدل على الزمان (بمعنى حين أو ذاك اليوم) ، وانها أيضا تأتي من حيث الموقع بعد النواة الاخبارية و "اذا " بعد القسم ظرف محض ، مطلق ، عار من تقييد الشرط .

أما فيما يخص "اذ " فقد قيل انها لا تقع الا بعد الفعل الماضي ، وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من مرّة مدرجة لفعل مضارع ولكن النحاة على

عادتهم ، أولها ، من ذلك قول أبي حيان في "البحر المحيط " في قوله تعالى : " اذ يلقون أقلامهم " (آ 44 آل عمران 03) : " والمضارع بعد "اذ " في معنى الماضي اذ ألقوا أقلامهم "(1).

ثاني الأمرين يتعلق بالأنساق والألفاظ المكتفية الدالة على الحال ، قلنا أن المتواتر فيها يعتبر فيه الانتقال ، غير أن الانتقال ليس سمة مدللة في الوحدات الدالة على الحال ، والأمثلة على ذلك توجد في الآيات الكريمة التالية :

وأرسلناك للناس رسولا .	(آ 79 النساء 04)
فتبسم ضاحكا من قولها .	(آ 19 النمل 27)
لآمن من في الأرض كلهم جميعا .	(آ 99 يونس 10)
واني وضعتها أنثى .	(آ 36 آل عمران 03)

كل هذه الأنساق المكتفية تدل على الحال ، وهي تشترك في كونها مؤكدة لوحدة سابقة لها في القول مثل " أنثى " تؤكد الضمير " ها " الواقع بواسطة أولية في النواة الاخبارية وضعت ، ومثل ، رسولا ، مؤكدة لمضمر اللفظ الفعلي أرسلناك ، وهذا ظاهر في اللفظ ، وكذا شأن " ضاحكا " فهي وحدة مؤكدة " لتبسم " و " جميعا " مؤكدة لـ " من في الأرض " وهكذا . . . فاذا كانت الوحدة الدالة على الحال عموما مما يمكن الاستغناء عنه دون مساس بالتركيب ، فان بعض الوحدات الدالة على الحال المؤكدة والتي لا تحوي الانتقال ما يمكن الاستغناء عنه مبنى ومعنى .

ان الأمثلة التي قدمناها تمس الأنساق فقط ، وقد وجدنا في القرآن الكريم ألفاظا مكتفية تدل على الحال المؤكدة من ذلك قوله تعالى :

---

(1) أبو حيان : البحر المحيط ، ج 2 ، ص : 458 .

وهو الحق مصدّقا لما معهم . (آ 91 البقرة 02)
اليوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدّقا لما بين يديه . (آ 3 آل عمران 03)
فـ " مصدقاً لما معهم " أو " مصدقا لما بين يديه " ألفاظ مكونة من : " مصدقا " وما يتعلق به سواء كان " لما معهم " أو لما بين يديه " ، أما من حيث المعنى فتصديق ما بين يديه أو تصديق ما معهم هو من جهة كونه حقّا .

وبما أننا نتحدث عن مواضع الوحدات المكتفية من القول فانه يجدر بنا أن نذكر أن النسق المكتفي يومئذ الدال على الزمان كلما ورد في القرآن الكريم ، الا وسبقه في السياق الذى ورد فيه ذكر ظرف زماني منصوص عليه بكلمة أو نسق أو لفظ ، وعليه فان هذا النسق المكتفي ان كنا سقناه كشاهد ضمن الأنساق في قول منعزل فالغرض تحليلي محض ، وواقع الأمر أنه مرتبط بزمن أو حدث سابق له يشير النسق اليه ، والأمثلة كثيرة نذكر منها :

" الملك يومئذ لله " وهو المثال الذى سقناه في الشواهد ، ورد في سورة الحج مسبوقا بقوله تعالى :

" حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم . "
(آ 55 الحج 22) .

ثم : هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان . (آ 167 آل عمران 03)
ورد مسبوقا بقوله تعالى : " وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله .

ثم : وجيء يومئذ بجهنم . (آ 23 الفجر 89)
السياق السابق له : اذا دكّت الأرض دكّا دكّا .

هذا ولنه من المعلوم أن الحدث مرتبط بزمان ما وأنه مرتبط بمكان ما ، كما أنه معلوم أن سند المخبر في القول الاسمي وفي القول الفعلي قد يتصف

بصفة ثابتة أو بصفة متنقلة تبين هيأته ، وهذه الظواهر الثلاث تأتي على شكل باسطات مكتفية للمتكلم الحرية التامة في ذكرها أو عدم ذكرها في القول . وهذه أمثلة نعرضها يرد فيها ذكر الزمان والمكان في نفس القول ويترك ذكر الحال ، وأمثلة أخرى يذكر فيها ظرف المكان والحال فقط ، كل ذلك مع امكانية تبادل المواضع .

فليس له اليوم هاهنا حميم . (آ 35 الحاقة 69)

ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . (آ 17 الحاقة 69)

اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا . (آ 163 الاعراف 07)

وجاءوا أباهم عشاء يبكون . (آ 16 يوسف 12)

المسألة السابعة :

الملحقات

- الاسمية
- الجملة .

الكفية عبارة عن ائتلاف بين وحدتين : وحدة تشير الى علاقة ووحدة أخرى تابعة لها . لقد قلنا أن الوحدات المختصة التي سميناها "وظيفيات" هي التي تسم وظيفة وحدات أخرى في القول ، والذي نريد أن نشير اليه هنا ، هو أن هذه الوحدات تتعاقب في القول ، وأن عددها محدود ، وانها مثلها سواها يمكن استعمال مجموعة منها في القول الواحد . وبما أن اللفظ يحمل في طياته سمة علاقته التركيبية بالنواة الاخبارية ، فان مسألة موضعه في القول غير تفاضلية — في أغلب الأحيان — بالنظر الى واقع علاقته .

1 — الملحقات الاسمية :

واعتمادا على ما ذكرنا فان الألفاظ الكفيات تشبه المكتفيات ، والفارق الملحوظ بينهما هو أن الكفيات تتميز بوضوح علاقتها . وانه من المعلوم ان استعمال الكفيات متواتر جدا ، وعليه فانها تكون جزءا هاما في علم التراكيب ، ذلك لأن هذه الباسطات الكفيات تمثل كما يقول الاستاذ بلقايد "اقتصادا حقيقيا على المستوى اللساني ... بمعنى أن الوحدات الوظيفية (علاقة) + الوحدة المدرجة (عنصر التجربة) هي في ائتلاف غير محدود عمليا . وبالفعل فاننا نجد ما يدخل في ائتلاف انتقائي ، أساسه التقارب في المعنى . فالوظيفيات تشير بكيفية تكاد تكون دقيقة الى هذا الضرب من العلاقة المخصصة . (هذا) وانه كلما كان الوظيفي متواترا الا ونزع نحو التخلص من خصوصيته الدلالية من جراء تعدد معانيه . ومن الطرف الثاني فانه ينجم عن وظيفي قليل التواتر — في أحسن الحالات — ضرب من العلاقة قار . وفي كلتا الحالتين ، أن الظاهرة التركيبية لا يمكن فهمها الا باعتبار الظاهرة الدلالية "(1) . وعليه فان الظاهرة الدلالية

(1) بلقايد محمد : لهجة تلمسان العربية ، ص : 499 .

يمكن أن تساعم في تبيان رتبة الوحدة المدرجة في القول واستقرارهما فيه مثال ذلك : من إلاه غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه (آ 72 القصص 28) .

أو : خطب المنصور في جماعة من الاعراب في الشام .

فالكفية " من الاعراب " موضعها ثابت ، تلي "جماعة " على خلاف ما هو حال الكفية " في الشام " كما بينا . ونواة اللفظ : " من الاعراب " هي " جماعة " . وعندما تتعدد الكفيات في القول الواحد فان الموضع يعين على تبيان النواة التي تتعلق بها كل كفية ، وذلك يبينه المثالان التاليان :

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . (آ 04 الاحزاب 33)

فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب . (آ 2 ـ 3 البقرة 02)

ففي المثال الاول تقع الكفية " في جوفه " آخر القول لانها في وظيفة مكانية . والوظيفة المكانية موقعها العادي هو آخر القول إن وجدت علاقتها أولية مع النواة الاخبارية أو مع مجمل القول ، أما الكفية " لرجل " فمتعلقة بالمخبر " جعل " في وظيفة الملكية . هذا وان الضمير العائد "ـه " في الكفية " في جوفه " يرجع الى الاقرب وهو " رجل " وبالتالي فان النواة التي تتعلق بها " في جوفه " هي " رجل " . وان سأل سائل ، وما بال الكفية " من قلبين " قلنا ان الوظيفي " من " فيها له علاقة بقوية النفي " ما " وسنبين هذا الامر في حينه ان شاء الله .

وبالنسبة للمثال الثاني نقول : ان الكفية " فيه " هي من ضروب الكفيات التي تتصدر القول الاسمي وهي في وظيفة المخبر مسندها نكرة متأخر من ضرب " في قلوبهم مرض " أما الكفية الثانية " للمتقين "

فنواتهـا صدى ، لأنها كفية تبيينيّة ، وأخيرا أن الكفية بالفي نواتها يؤمنون وهي جزء من صلة الاسم المبهم "الذى" .

هذا وضع تكون عليه بعض الكفيات ، أما بعضها الآخر ، فمواضعها ليست قارة ، والتنقل بين الوحدات المكوّنة سمة مميّزة لها ، بها تشبه المكتفيات ، لنضرب مثالين فقط من القرآن الكريم لهذا الصنف الثاني من الكفيات .

(1)
أ ـ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى . (آـ20 القصص 28)
ب ـ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى . (آـ20 يس 36)

(2)
أ ـ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . (آـ 41 النساء 04)
ب ـ وجئنا بك شهيدا على هؤلاء . (آـ 89 النحل 16)

فالعناصر المكونة لجزأي المثال الأوّل واحدة لا زيادة فيها ولا نقصان وكذلك الشأن بالنسبة لجزأي المثال الثاني ، والشاهد فيهما هو تنقل الكفيات .

2 ـ المعلقات الجميلية :

ان ما سميناه وظيفيات انما هو في الحقيقة ضرب من الوحدات التي تضيف وحدات أخرى في القول وتوصلها به وعليه فانه من الأليق أن نسميها " مضيفات " أو " موصلات اسمية " . وهذه الموصلات الاسمية هي السبب في العلاقة الأولية مع المخبر وفي ادراج الوحدة الموالية لها . واذ قد تبيّن هذا واتضح فاننا مبتدئه ننطلق لتبيان ضرب من العلاقة الأولية الخاصة بين المخبر الفعلي وبين مجموعة من الوحدات تقل وتكثر حسب الفعل الذى به تتعلق وهذه المجموعة من الوحدات اصطلحنا على تسميتها جميلة ، كما اصطلحنا على تسمية نواتها " مخبير " . وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول ان العلاقة الأولية التي تحدثنا عنها هي علاقة مخبر بجميلة أو علاقة مخبر بمخبير ، ذلك لأنّ المخبير هو الذى يمثل الجميلة بتمامها . والأصل في هذا الضرب من العلاقة الخاصة هو نوع خاص من الوحدات نسميها " مضيفات جميلية " أو " معلقات جميلية " (يرجع اليها في الجرد) وقد اخترنا منها واحدة لتيسير الفهم الدقيق لهذه الظاهرة . هذه الوحدة هي " حتى " وهي تقوم بدورين في آن واحد ، فهي واصلة اسمية أحيانا وهي معلق جميلي أحيانا أخرى . ففي الحالة الأولى نقدم المثال التالي :

ليسجننه حتي حين . (آ ـ 35 يوسف 12)

موصل اسمي .

و " حتى " جعلت للغاية مثلها مثل " الى " الا أن الفرق بينهما هو أن " حتى " كما يقول ابن القيم غاية لما قبلها وظرفا وما بعد حتى يدخل في حكم ما قبلها قطعا ، وما بعد " الى " ليس مما قبلها .

أما في الحالة الثانية وهي ما أردنا أن نصل اليه : وهو أن يتعلق الفعل الوارد بعد "حتى" بالفعل الوارد قبل "حتى" وعليه فالأول مخبر والثاني مخبر ومثاله :

وزلزلوا حتى يقول الرسول . (آ ـ 214 البقرة 02)

ومهما كانت القراءة التي عليها وردت هذه الآية (*) برفع يقول وجعل "زلزلوا" للمضي حتى يكون الفعل يقول للحال ، أو بنصب يقول وعدم جعل يقول من سبب الفعل الأول حتى يكون للاستقبال ، فان الأساس هو ربط فعل بفعل أولهما مخبر وثانيهما مخبر ، وقد تدرج المخبر في أحيان كثيرة واصلة جملية أو معلق جملي .

وفي حال انعدام الواصلة بين الفعلين فان الفعل الثاني لا يمكن أن يكون الا دالاً على كيفية وقوع الفعل الأول أو حدثه ، وعليه فان ارتباطه العضوي به يجعله في رتبة دونه . ولما كان الأمر كذلك في كل هذه الأحوال فان الفعل الثاني يعد مخبرا وأمثلته هي :

وأما من جاءك يسعى . (آ ـ 08 عبس 80)

ذهب الى أهله يتمطى . (آ ـ 33 القيامة 75)

والحق ان هذا الوضع في العلاقة بين فعلين دون موصل لفظي هو وضع خاص نادر بالقياس الى بقية الحالات التي يشتمل عليها ربط جملتين بواصلة ، ذلك لأنه يوجد بالاضافة الى ما ذكرنا من الموصلات البسائط موصلات مركبات ، ترد في دال متقطع كأسلوب بعد قليل .

قبل ذلك نريد أن نبين مسألة تتعلق بنوع من الموصلات محدد هو : "أن" المفتوحة الهمزة الساكنة النون . "وأن" في اعتبارنا موصلة

(*) انظر الجرد . ففيه رأي طريف للفراء يفسر فيه سبب رفع الفعل الوارد بعد حتى ونصبه .

جمسيلية ،اذ أنها تدرج فجلا وما يتبعسه . وقد تسامح النحاة في شأنهـا فقالوا : انها والفعل الذى يتبعهـا بتأويـل مصدر . والحق ان المصدر معنى خاصا بـه وللفعل معنى خاصا بـه أيضا . وقد حصر ابن القيم التمييز بـين المصدر والفعـل المصحوب "بأن" في مسائل ثلاثة .

- أولاها :أن المصدر يكون في ما مضى وفي ما هو آت وليس في صيغتـه ما يدل عليه . أما اجتماع "أن" مع الفعل ففيه اخبار عن الحدث مع الدلالـة على الزمان .
- الثانية : أنّ "أن" تدل على امكان الفعل دون الوجوب والاستحقاق .
- والثالثـة : أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد ، ففيهـا تمحيص من الأشكال وتخليص له من شوائب الاجمال[1] وهاهي بعض الأمثـلة :

وناديناه أن يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيـا . (آ 104 ...105 الصافات)
يقولون نخشى أن تصيبنا دائـرة . (آ 52 المائدة 05)
فأردت أن أعيبهـا . (آ 79 الكهف 18)

بالاضافة الى ما ذكر نشير الى أن امكانية استبدال "أن" المصحوبة بالفعـل بمصدر ، ليس أمرا مطردا ، فما بالـك اذا كان ما بعد "أن" شبـه فعـل ؟ ومثـالـه :

علم أن سيكـون منكم مرضـى . (آ 20 المزمل 73)

هذا وان ما كنّا اعتبرنـاه نسقا فعليا عند الحديث عن الباسطات يتضح هنـا جليـا ولا يتناقض معه ذلك لأنّ هذا الضرب من النسق يكون الفعل فيه مخيـرا لا غير . وبنفس الصورة نوضح أمريـن :

---

(1) ابن القيم الجوزية : بدائع الفوائد ، ج 1 ، م1 ، ص : 92.

ـ أمر سبق ذكره وهو اعتبار السق الفعلي وما يتبعه في وظيفة سند في التراكيب التالية :

وأن تصوموا خير لكم . (آـ 184 البقرة 02)

وأن تعفوا أقرب للتقوى . (آـ 237 البقرة 02)

وأن تصبروا خير لكم . (آـ 60 النور 24)

ملاحظة : كل هذه التراكيب مسبوقة بـ " واو " .

ـ الأمر الثاني : أن هذا السق الفعلي قد يأتي في وظيفة المخبر ، وذلك في قوله تعالى :

وما كان جواب قومه الا أن قالوا . (آـ 82 الأعراف 07)

أما قوله عز وجلّ :

وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين . (آـ 10 يونس 10)

فالجدير بالذكر فيه أنه لاوجود للفعل فيه البتة .

في هذه المجموعة من الموصلات الجملية نذكر الموصلة "إن"(المكسورة الخفيفة) الممثلة لقسيّم موصلات الشرط (أنظر الجدول) ، هذه الموصلة ، وظيفتها الجمع بين جملتين وجعلهما جملة واحدة أوقولا تاما ، وانما اعتبرناهما جملتين نظرا الى الواقع والاستعمال ، ذلك أننا نحلل الشرط كما ورد في القرآن ووفقا لاستعمالات العرب ، ووروده يكون كالتالي في الأصل .

قرينة الشرط ثم يتبعها الشرط يتلوه الجزاء ، فاذا أتوا بالقرينة جاءوا بعدها بالفعل . وحال الجملتين بعد القرينة كحال وحدتي المخبر والسند ، لهما ما لهما من التلازم لا تستغني احداهما عن الأخرى . وأن الجملتين لتشبهان أيضا المخبر والسند في التقديم والتأخير ، فجملة الجزاء قد تتقدم جملة الشرط ، والكلام مرتبط به . والذي نريد

أن نركز عليه هو التلازم الموجود بين الجملتين بسبب اقتران الموصلة الشرطية بهما . وبالاضافة الى الموصلة الشرطية ،فقد يرد رابط لفظي ثان يتوسط الجملتين ،ونحن نعد هذا الرابط جزءا من الموصلة الجملية في دال متقطع : (إن ... ف أو إن ... ل أو إن ... اذا) وكل هذه وجوه للموصلة "إن" . ومن أراد أن يقف عند تفاصيل الشرط في القرآن الكريم ،فان الاستاذين : عبدالسلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي قد وضعا كتابا قيما يشفي الغليل في هذا المضمار . أقيم الكتاب على الاحصاء الدقيق وهو أروع ما فيه ،بيد أنه أسس على المفهوم التقليدي للجملة :

لنتمعن الآن الأمثلة وفقا لما قدمناه من شروح .

أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم . (آ 31 النساء 04)

وفي تقديم الجزاء :

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . (آ 23 البقرة 02)

في المثالين السابقين ينعدم الرابط اللفظي وان شئت قلت ان الموصلة الشرطية أو القرينة دال بسيط . أما في حالة وجود الموصلة في دال متقطع نذكر الأمثلة التالية :

وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم . (آ 40 الأنفال 08)

وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذاهم يقنطون . (آ 36 الروم 30)

لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين . (آ 137 الشعراء 26)

بالاضافة الى ما ذكرناه من تقديم وتأخير في الجملتين الأساسيتين لقول الشرط على غير الأصل الغالب ،نلفت النظر الى أمرين هامين متعلقين أيضا بترتيب العناصر الأصلية في قول الشرط وكيفية ورودها فيه . جاء في كتاب "الشرط في القرآن" ما يلي :

1 ـ الترتيب المتقطع : وهو الذى تداخل فيه الشرط والجواب بحيث ان الأداة والشرط قد فجزا لحمة الجواب فوردت الجملة الشرطية على النحو التالي :

بعض الجواب ـ الأداة ـ الشرط ـ بقية الجواب مثل :
اني أخاف ان عصيت ربّي عذاب يوم عظيم . (آـ 15 الأنعام06)

2 ـ الجملة الشرطية المختزلة : وهي التي اقتصرت على الأداة والشرط فحسب مثل :
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين .
(آـ 91 يوسف12)(1)

---

(1) عبدالسلام المسدي ، محمد الهادي الطرابلسي : الشرط في القرآن ، ص ص : 39 ـ 40 .

الوظائف الفرعية

1) البدل
2) صفة الحال
3) المتعلقات الوصفية للأسماء .
   أ ـ اسم الفاعل
   ب ـ اسم المفعول
   ج ـ المصدر
   د ـ العدد
   هـ ـ ظرفا الزمان والمكان
   و ـ الأسماء المتوغلة في الابهام .
4) الوصلات الجملية
5) المخصصات المعجمية وقرائن الأسماء .

   أ ـ الصفة والنعت
   ب ـ التوكيد
   ج ـ العدد
   د ـ التعريف
   هـ ـ التنكير .

ان أول مفهوم ضروري لتفهم الدراسة الوظيفية لعلم التراكيب هو مفهوم التدرج ذلك أن التلفظ بقول ما ، يستلزم تنظيم الوحدات الدالة (وحدات التقطيع الأول) في تدرج معيّن ، وفي القول موضوعا وأيا كان هذا القول ، نقول انه توجد وحدات مركزية وأخرى مدارية . وقد سبق أن تحدثنا عن النواة وتوابعها أو عن المخبر وباسطاته . وقلنا ان وظيفة العنصر المركز ووظائف العناصر التي تتعلق بهذا المركز – بمعنى وظيفة المخبر ووظيفة السند ووظائف الباسطات المتعلقة بالمخبر أو بالقول ككل – هي وظائف أصلية . أما الوظائف الفرعية فهي وظائف العناصر التي لا تتصل بعنصر من القول خلا المخبر .

والحق ان العناصر التي لها علاقة مع وحدات أخرى سوى المخبر غير قليلة ، وهي تساهم في بسط القول شأنها في ذلك شأن الباسطات الأصلية . وهذه الباسطات الفرعية هي : البدل والصفة أو النعت والاضافات الموضحية للأسماء ، وما يتعلق بالموصلات الجملية ك : "ما" و "الذي" وكل المخصصات المعجمية والقرائن الاسمية .

1 – البدل :

يوجد ضرب من العلاقة بين الكلمات بحيث تضفي احدى الكلمتين على الأخرى تخصيصا بحيث تكون للعنصر المخصّص نفس العلاقة التي لنواته مع بقية القول ، مثال ذلك :

"ان المتقين مفازا حدائق . (آ 32 و 33 النبأ 78)

ورسم العلاقات يكون كالتالي : (أن) للمتقين ← مفازا : علاقة تلازمية

حدائق : علاقة تخصيص

(ب سهم متجه نحو النواة : مغارا وخط مستقيم موازٍ للسهم) . ف... :
" ... التوابع " لها نفس علاقة " مغارا " ببقية القول .

وان مصطلح البدل عند القدماء ليوجب التذكير بأمر أساسي هو مفهوم التبعية اذ التابع كما جاء في " الكافية " هو كل ثان باعرا ب ... من جهة واحدة . وفي الامر نظر . فالتبعية تكون بالاعراب والتبعية ... بالموضع ، اذ أنه قد وردت ... في الحديث عن التوابع ـ ألفاظ ، الأول والثاني والمقدم والمؤخر . والحق انه ليس حال التوابع ... على هذه الالفاظ اذ أن أي عنصر من القول يمكن الحديث عنه من هذه الزاوية ، ذلك أنه من المعلوم الحاصل أن عناصر القول يتبع بعضها بعضا ... أول ولا بد من ثان أولا بد من متقدم ولا بد من مؤخر ، والا ما صلح ... التبعية ولا صدق في وصف كلام البشر . والنحاة عندما يتحدثون عن ... وحدة ازاء وحدة أخرى ويضيفون أنها مشاركة لها في الاعراب ... يتجاوزون التنظيم الخطي للقول . وهذا لا يحقق ... من التحليل التركيبي ... التحليل الذي يتمثل في ابراز تدرج العلاقات المستوي في التنظيم المنطقي للقول .

انه مهم أن نقول ان البدل ... تابع لما قبله في اعرابه ... في الاعراب بين العنصرين المتتابعين راجع الى كون العامل فيهما ... واحد . ونحن نرى أن الأمر في هذا التطابق في الحركة الاعرابية يعود الى موجبات التركيب في الجملة أو ما يسمى بتصريف الجملة . والحق أن الأهم من ذلك في هذا التطابق المذكور في المزج الواحد لا علاقة له ... الذاتية التركيبية ، الذاتية التركيبية التي يتمتع بها كل عنصر في ... تدرج القول .

أما من حيث المعنى فإن للمفسرين المبدل منه والبدل معان نذكرها فيما يلي : قال شارح المفصل ابن يعيش : أن البدل هو الذي يعتمد بالحديث ، وإنما يذكر المبدل منه للتوطئة (والتمهيد) وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الافراد . ففي البدل اذن ايضاح المبدل ورفع لبس ، وفائدة هذا هو تقوية الكلام وتوضيحه .

وقد قسم العرب البدل أقساما اعتمادا على المعنى فتحدثوا عن :

أ – بدل الكل من الكل أو بدل المطابقة : وهو أن يكون البدل نفس المبدل منه وإن شئت قلت بدل الشيء مما هو طبق معناه ، غير أن البدل أوضح .

ب – بدل البعض من الكل : وهو أن يكون البدل جزءا دقيقا من المبدل منه .

ج – بدل الاشتمال : وهو مثل السابق (بدل الجزء من الكل) الا أن الجزء هنا مجازي غير حقيقي من المبدل منه . والزجاجي يسمي هذا النوع من البدل : بدل المصدر من الاسم اذا كان المعنى مشتملا عليه .

ونحن دون أن نغفل معنى التراكيب ، فانا نحاول أن نصف أدق ما يميزها . ذلك أنه بعد التحليل تبين لنا أن البدل يمكن أن يكون كلمة أو نسقا أو لفظا ، كما يمكن أن يأتي المبدل منه في وظائف عدة . فبالنسبة للمعرفة نذكر الأمثلة التالية :

اسمه المسيح عيسى بن مريم . (آ ــ 45 آل عمران 03)

مخصص كلمة نسق

سند مخبر بدل

اذهب بكتابي هذا . (آ ــ 28 النمل 27)

فالاسم الاشارة اذا ورد بعد اسم معرف ،غالبا ما يكون بدلا حتى وان تناسبت الصورة وجاءت على غير المألوف مثل :

كلاّ نمدّ هؤلاء وهؤلاء .　　　　(آ 20 الاسراء 17)

في هذا المثال يبدل اسم الاشارة من الاسم الموضوع لاستغراق المنكر : "كلا" في وظيفة البساطة الأصلية "مفعول" مقدمة .

من البساطات الأصلية أيضا تبدل المعرفة من المعرفة بشكلين مختلفين ومثاله :

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم .　　(آ 5، 6 الفاتحة 1)

ففي هذا المثال تجب ملاحظة كيفية البدل : الاسم الثاني وذلك بإضافته الى الاسم المبهم "الذي" وصلته ومخبرها الفعلي .

بعد هذا ننظر في بدل النكرة الموصوفة من المعرفة ومثاله :

لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة .　　　　(آ 15، 16 العلق 96)

وعلى عكس هذه الصورة التركيبية يأتي قوله تعالى :

وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله .　　(آ 52، 53 الشورى 42)

ثم نأتي الى صورة أخرى وهي بدل النكرة من النكرة والمثال هو :

ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا ...　　　(آ 31، 32 النبأ 78)

وكذلك : فتقعد مذموما مخذولا .　　　　(آ 22 الاسراء 17)

أيضا : ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا .　　(آ 18 الاسراء 17)

وانا نتعمد تعداد الأمثلة لما تحتوي عليه من تنوع في وظائف البدل منه ،

وليست ضروب البدل بهذه البساطة ، فالتعقيد يظهر في الأسماء المبهمة مثل ابدال الاسم المبهم من الضمير في قوله تعالى :

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد .　(آ 18 الاسراء 17)

ثم ابدال الاسم المبهم من الاسم المبهم في الآيتين الكريمتين التاليتين :

الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار . . .
الذين يقولون ربنا اننا آمنا . . . . (آ 15، 16 آل عمران 03)

وأيضا هذا المثال الذى اختلفت فيه الأسماء المبهمة .

وقال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم .
(آ 75 الأعراف 07)

ثم مثال ابدال المعرفة من الاسم المبهم في قوله سبحانه :

لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفا من فضة . (آ 33 الزخرف 43)

وعلى عكس الصورة السابقة ومن لطيف ما ورد في البدل هذه الآية الكريمة :

ولله على الناس حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . (آ 97 آل عمران 03)

بالاضافة الى ما ذكرنا نلفت النظر الى امكانية ابدال الفعل من الفعل في آيتيه الأساسيتين :

1 ـ اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا . (آ 20، 21 يس 36)

2 ـ ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة . . .
(آ 68، 69 الفرقان 25)

أما قوله تعالى :

يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . (آ 217 البقرة 02)

فالبدل "قتال فيه" لا يدرك حق الادراك الا بعد الرجوع الى الظروف أسباب النزول لأن السؤال لم يقع منهم الا بعد وقوع القتال في الشهر الحرام وبعد تشنيع أعدائهم عليهم في انتهاك حرمة الشهر ، فقدم لفظ : "الشهر" لاهتمامهم به ثم أردف بكلمة "قتال" التي جاءت للتخصيص وهي التي عليها الاعتماد في الحديث . وعلى هذا الوجه الذى ذكرنا تكون القاعدة .

كذلك لا يمكن ابراز وظيفة البدل في قوله سبحانه :

قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود . (آ 4، 5 البروج 85)

الا بعد الرجوع الى التفاسير التي تجمع على تبيان "الأخدود" : وكيف أن أصحابه قد شقوه وأوقدوا فيه النار حتى ملأوه نارا ، فصارت النار بعد لا في التعبير من الأخدود "لا يعني بتلهب النار فيه كله وتوقدها"[1] وعليه فلفظ "النار" في هذه الآية الكريمة بدل لأنه يخصص لفظ الأخدود ويبينه .

2 ـ صفة الحال :

من الباسطات الفرعية نذكر أيضا "صفة الحال" المتعلقة بالباسطات الخصوصية الأصلية الواقعة في وظيفة "المفعول" أو "الموضوع" . وهذه الباسطات لا توجد الا في قول مخبره فعله غير لازم . ولبيان ما نحن فيه نذكر مجموعة من الأمثلة مرتبة الى النهم ، نبدأها بتحليل دقيق لقوله تعالى :

ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة . (آ 72 الأنبياء 21)

مخبر | سند | باسطة أصلية خصوصية في وظيفة مفعول | باسطة فرعية صفة حال

فـ "نافلة" نواتها : الاسم السابق لها : "يعقوب" وهي معه في علاقة أصلية ولكن علاقتها مع المخبر "وهبنا" علاقة فرعية . أما بقية الأمثلة فهي :

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا . (آ 12 الحجرات 49)
قل : بل ملة ابراهيم حنيفا . (آ 135 البقرة 02)
أنزل الكتاب مفصلا . (آ 114 الأنعام 06)
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين . (آ 33 ابراهيم 14)

---

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ج 6 ، ص : 3873 .

ولئن كنا تحدثنا عن الوحدات المكتفية الراقصة حالا فانا هنا نفرز الوحدة المكتفية في وظيفة الحال التي هي في علاقة أصلية مع المخبر عن الوحدة المتعلقة بالباسطة الأساسية في وظيفة "الموضوع" أو "المفعول" والتي تدل على صفة الحال، يعني أساسا في علاقة فرعية . وهذا أهم ما يميزهما،

3 - المتعلقات الموضعية للأسماء

في دراستنا للباسطات الفرعية تعرضنا حتى الآن الى نوعين من الوحدات تتبع من حيث الرتبة ومن حيث العلاقة أيضا وحدات سابقة لها ، هذان النوعان هما : البدل وصفة الحال . والذي نريد أن نعرضه بعد هذا دائما في سياق الباسطات الفرعية ، هو أمر نوع من الوحدات تتعلق بما يتبعها وليس بما يسبقها ، على عكس ما كنا قد بيّنا ، وضرب هذا التعلق نسميه "اضافة"، لأن الاضافة هي نسبة بين اسمين تقتضي أن يجعل اسم ما كجزء من الاسم الذي يليه وأن يكون الاسم الثاني مجرورا حتما في ما يعرب من الأسماء . وأن وظائف الوحدات في هذه العملية التركيبية يحددها الموضع ، وعليه فان ظاهرة الاضافة ظاهرة نحوية : فالاسم الأول مخصص (بالفتح) والاسم الثاني مخصص (بالكسر) أو معرف (بالفتح) والاسم الثاني معرّف (بالكسر)

والذي ينجم عن هذا أن الاسم الأول أو المعرّف لا يأتلف مع لام التعريف مطلقا (ان كان تعريفه باللام) ففي قوله عزّ وجلّ :

وهو ربّ العرش العظيم . (آية 129 التوبة 09)

يكون رسم العلاقة كالتالي :

رب ←——— العرش

ولو عكسنا مواضع الوحدات مع احترام القاعدة في تنكير الاسم الأول نحصل على ما يلي :

عرش ←——— الرب .

فالمعنى يختلف تماما ، ونحن لم نعثر على آية في القرآن الكريم فيها هذا التركيب بالذات ، ولكنه وارد في استعمالات العرب .

والاضافة من حيث المعنى تفيد ازالة الغموض والابهام عن الاسم الأول أو المتعلق . أما الاسم المعلق (بالكسر) فيمكن أن يرد مجردا من لام التعريف ومثاله :

نحن أولو قوّة . (آ 33 النمل 27)

أو : وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين . (آ 50 المؤمنون 23)

على عكس ما ورد في الآيتين التاليتين :

وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . (آ 04 الطلاق 65)

أو : والسماء ذات الحبك . (آ 07 الذاريات 51)

ان الذي تجدر الاشارة اليه في هذين الضربين من الاضافة هو أن تعلق اسم نكرة بمثله يخرجه من ابهامه السابق ، ولكن لا يوصله الى حد التعريف فيبقى اذن بين المعرفة والنكرة ، أو هما كما قال العرب " مخصص " ، لأن المعرّف أبين . ومما يعرف به الاسم أيضا تذكر الضمائر المتصلة ، الا أن هذه الضمائر في هذا الوضع بالذات ، تعد باسطات فرعية بالنسبة للاسم المعلق وهي تدل على الانتماء أو النسبة ، ومثاله : " هذا أخي "(سورة يوسف) ففي لفظ " أخي " : اضافة وكذلك الشأن بالنسبة لـ " هداي " في قوله تعالى :

فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم . (آ 17 فصلت 41)

ونفس الشيء يقال في : " عصاي " و " لدي " و " على " و " ... " في الآيات التالية :

عصاي أتوكأ عليها . (آ 18 طه 20)

هاذا ما لدي عتيد . (آ 23 ق 50)

هـذا صـراط علـيّ مستـقـيم (آ 41 الحجر 15)

ثم إلـيّ مرجعكـم . (آ 55 آل عمران 3)

وإن تعلق الأمر بالدعاء انعـدم وجود " الياء " ضمير المتكلم التي يتعلق بها الاسم وأمثلته هي :

ياعبـادِ فاتـقـون . (آ 16 الزمر 39)

أو : ربِّ قـد آتـيتـني من الملـك . (آ 101 يوسف 12) .

وفي غير الدعاء تنعـدم اليـاء أيضـا (وهي كـسرة مدّيـة) فتبقى الكسـرة وحدها في :

فبـشّر عـبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (آ 17، 18 الزمر 39)

وكذلك في قولـه تعالى :

وإيّـاي فاتـقـونِ ص . (آ 41 البقرة 2)

أو : بل لما يذوقـوا عـذابِ . ص (آ 08 ص 38)

الملاحظ أن هذه الوحدات وردت آخر الآية (في غير الدعاء) علـى أن الفرق بين الآيتـين السابقتـين والآية التي قبلهـا ، الوقف المقرر فـي آيتـين دون الثـالثـة .

هذا وإن نحن حللنا لفـظ " ربك " في قوله تعالى :

ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيـة . (آ 17 الحاقة 69)

تبيّن لنا أن هذا القول يحتوي على إضافـة مزدوجـة تتمـثل في :

(1) تركيـب " ربك " التي تضاف فيها كلمة " رب " إلى الكاف .

(2) ثم تركيـب عرش ربك تـضاف كلمة عرش إلى المركب " ربك " .

والنتيجة أننـا أمام وحدات ثلاث متتالية تتعلق فيها الأولى بالثانية المتعلقة بالثالثة :

وهذا الضرب من الإضافة أو من المتعلقات الموضعية المزدوجة للأسماء كثير يقابله ضرب آخر ينعدم فيه التعريف كما تنعدم فيه الضمائر المتعلقة بالعنصر الآخر ، ومثالـه :

وتضع كل ذات حمل حملها . (آ 2 الحج 22)

أو: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين . (آ 184 البقرة 2)

وفي هذه الآية الكريمة قراءتان : قراءة برفع فدية وقراءة أخرى بتنوين فدية ، وهذا الاختلاف مؤداه اعتبار ما سميناه بالاضافة المزدوجة أو الاضافة المركبة في رفع فدية ، أو الاضافة البسيطة بتنوين فدية[1].

وإذا كان الاسم النواة مبهما أتت الاضافة على وجهين وفقا للصلة الاجبارية للاسم المبهم ، صلة اسمية أو فعلية ، والصلة الفعلية منها الفعل المعلوم ومنها الفعل المبني المجهول . وأمثلة ذلك نوردها كما ذكرناها على التوالي :

وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه . (آ 92 الأنعام 6)

ثم: صراط الذين أنعمت عليهم . (آ 7 الفاتحة 1)

ف: ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم . (آ 50 آل عمران 3)

ذلك كان بالنظر الى النواة الاسم ، ومتى تفحصنا نوع الاسم المتعلق بنواة الاضافة وقفنا عند حالات عدة نذكر منها : اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر واسم المصدر وظرفي الزمان والمكان ونوعا خاصا من الأسماء لتوغلها في الابهام .

---

(1) وأما قوله فدية طعام مسكين ، فان القراء مختلفة في قراءته فبعض يقرأ باضافة الفدية الى الطعام وخفض الطعام وذلك قراءة معظم قراء أهل المدينة ، بمعنى على الذين يطيقونه أن يفدوه طعام مسكين فلما جعل مكان أن يفديه الفدية أضيف الى الطعام كما يقال : لزمني غرامة درهم لك بمعنى أن أغرم درهما لك . . . .
وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ فدية طعام باضافة الفدية الى الطعام لان الفدية اسم الفعل وهي غير الطعام المفدى به الصوم وذلك أن الفدية مصدر . . .
والفدية فعل والطعام غيرها ، فاذا كان كذلك فتبين أن أصح القراءتين اضافة الفدية الى الطعام .
الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، م 2 ، ص ص : 82 - 83 .
وقرأ نافع وابن ذكوان باضافة الفدية والجمع وافراد الفدية لأنها مصدر ومن نون كان طعام بدلا من فدية وكان في ذلك تبيين للفدية ما هي . ومن لم

أ ـ اسم الفاعل :

ان اسم الفاعل غير المنوّن اذا اضيف الى الاسم المعرّف دلّ على وقوع الفعل وان هو نوّن دلّ على أن الفعل في حال الوقوع أو لم يقع بعد ، الا أنه قد وردت في القرآن الكريم آيات وقعت فيهما اضافة اسم الفاعل الى الاسم المعرف وقد حذفت من اسم الفاعل "النون" للاستثقال ولكن اسم الفاعل قد دلّ على أن الفعل لم يقع بعد وأمثلة ذلك :

الذين يظنون أنهم ملاقو اللّه . (آ ـ 249 البقرة 02)

أيضا : كل نفس ذائقة الموت ـ ولم تذق بعد (آ ـ 185 آل عمران 03)

وكذلك : انا مرسلو الناقة . ـ وهذا قبل الارسال (آ ـ 27 القمر 54)

وعلى ذلك أيضا :

انا كاشفوا العذاب قليلا . (آ ـ 15 الدخان 44)

ب ـ اسم المفعول :

انا منجوك وأهلك الا امرأتك . (آ ـ 32 العنكبوت 29)

هذا وان اسم المفعول قد يعرّف "بالام" بعد أن يطرح منه التنوين من أجل أن يضاف الى اسم معرفة فيجرّه ومثاله :

والمقيمي الصلاة : (آ ـ 35 الحج 22)

وتأتي غير هذه الصورة باضافة مزدوجة في قوله سبحانه :

واعلموا أنكم غير معجزي اللّه . (آ ـ 03 التوبة 09)

نوّن فأضاف كان في ذلك تبيين أيضا وتخصص بالاضافة وهي اضافة الشيء الى جنسه لأن الفدية اسم للقدر الواجب والطعام يعم الفدية وغيرها .

أبو حيان : تفسير البحر المحيط ، م 2 ، ص : 37 .

ج ـ **المصدر :**

ونذكر المصدر هنا باعتباره صيغة مميزة وباعتباره اسماً دالا على الحدث جاريا على الفعل . وهذا المصدر كاسم مجرد من التعريف يتعلق باسم معرف ، ويعلق الاسم الذي يرد بعد تواته به ، وهي صورة فريدة في الاضافة ، ومثاله :

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض .

وكذلك : وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل .
(آ ـ 16 النساء 4)

ويتميز الجزء الثاني من المثال الثاني بعلاقة المصدر الفرعية مع الضمير بعد ثم بعلاقة المصدر مع الاسم المضاف . " أموال الناس " .

د ـ **العدد :**

أسماء الأعداد التي نهتم في هذا الباب هي : من ثلاثة الى عشرة . وهي أعداد الاضافة . أما الذي تتميز به فهو أنها اذا تعلقت بغيرها من الأسماء أنثت مع المذكر وذكرت مع المؤنث ومن الأمثلة :

سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما . (آ ـ 7 الحاقة 69)

أيضا : فأتوا بعشر سور مثله . (آ ـ 13 هود 11)

ثم : فكفارته اطعام عشرة مساكين . (آ ـ 89 المائدة 105).

هـ ـ **ظرفا الزمان والمكان :**

تعرضنا في ما سبق الى الكلمات المكتفية والكيفيات الدالة على الزمان والمكان وأشرنا الى قلة تواترهما في القرآن الكريم ، وقلنا في معرض الحديث عن الألفاظ المكتفية أن مبناها يتكون من كلمتين ضرورتين مثل : كل وعند في :

كل حين أو من ثلاث كلمات متفرقة مثل : عند وكل ومسجد في : عند كل مسجد ، أو يتكون من : كلمة ولفظ اسمي مثل يوم وحادثة في يومئذ ، أو يتكوّن من كلمة ولفظ اسمي أو فعلي مثل : يوم هم بارزون ومثل : حين ينزل القرآن . والذي يلي الكلمة الأولى يعرّفها أو يخصصها . والحق أن الوحدات الدالة على الزمان أو المكان سواء من حيث تعلقها بما بعدها وسواء اتصلت بالبسائط من الوحدات أم المركبات منها . فهي مضافة إلى ما يليها والذي يليها يعرفها أو يخصصها ، وهي مع ما تضاف إليه كالاسم الواحد . وأن بعض هذه الوحدات لا يأتي إلا ملازما للإضافة كـ : قبل وبعد وغيرهما . وإن الأمثلة التي أوردنا في باب المكتفيات والمكتفيات الكاشفة التي بأن ما قررناه في تعريف هذا الضرب من العلاقة :

هـ ـ الأسماء المتوغلة في الابهام :

الأساس في هذه الأسماء أن تتعلق بغيرها ، وغيرها يكون بمثابة النواة لها وهو الذي يزيل ابهامها وغموضها . ونحن نذكر بعض الأمثلة المحدودة لهذا الصنف من الأسماء المتوغلة في الابهام والغموض والتنكير :

أيّ : يمكن أن تتعلق بالنكرة كما يمكن أن تتعلق بالمعرفة

أ ـ النكرة ومثالها :

بأيّ أرض تموت . (آية 34 لقمان 31)

في أيّ صورة ما شاء ركّبك . (آية 8 الانفطار 82)

ب ـ المعرفة وفي المعرب من الأسماء ، مثال :

أيّ الفريقين أحق . (آية 81 الأنعام 6)

وفي الضمائر المتصلة مثل :

أيّكم أحسن عملا . (آية 2 الملك 67)

غير : هذه الوحدة يمكنها أيضا أن تتعلق بالمعرفة أو النكرة على السواء كما يمكنها أن تأتي في اضافة بسيطة أو مركبة .

فالبسيطة مع النكرة ، نحو :

غير ناظرين إناه . (آ 53 الأحزاب 33)

أو : غير باغ ولا عاد . (آ 173 الأنعام 06)

ومع المعرفة نحو :

غير المغضوب عليهم . (آ 07 الفاتحة 01)

أو : غير الذى كنا نعمل . (آ 37 فاطر 35)

أما المركبة نحو :

غير أولي الضرر . (آ 95 النساء 04)

أو : غير محلي الصيد . (آ 01 المائدة 05).

4 ـ الموصلات الجميلية :

اذا كانت الوظيفيات تدرج في القول كلمة أو نسقا أو شذا فان الموصلات تدرج ما نسميه بالجميلات . والموصلات تتميز خاصة بعلاقتيها اللتين تعقدهما في ذات الآن مع وحدات من أقسام أخرى . فالعلاقة الأولى هي تلك التي تعقدها الوحدة الموصلة مع نواة تتمثل في الاسم العلم أو الاسم المعرف أو الضمير الذى يسبقها . فالمرأة تعد سابقة ووظيفة الوحدة الموصلة تكمن في تمثيل تلك السابقة في جميلة أخرى . أما العلاقة الثانية فهي تلك التي تعقدها الوحدة الموصلة مع وحدة أخرى في هذه الجميلة الأخرى التي ذكرنا . وفي هذه الحالة يمكن للموصل أن يقوم بجميع وظائف الاسم كما سيأتي تبيينه عند الحديث عن الوظائف أن شاء الله . أما الآن فلننظر في المثال التالي :

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . (آ 1 النساء 04)

فالموصل : "الذى " في هذه الآية توسم علاقته كالتالي :

وبكم ← الذى ← خلقكم .

فهو متصل بخبره (الاسم السابق) في القول السابق ، ثم انه يمثل ذلك الاسم في الجميلة الموالية له ، لأن ما بعده يتعلق به أو هو صلة له . وعبد القاهر الجرجاني يقول في "الذى " : "ان الذى اجتلب ليكون وصلة الى وصف المعارف بالجمل "[1] ولو أنه قال لوصف المعارف بالجمهلات لكان أفضل لما في ذلك من دقة ومطابقة للواقع ، ان ما يأتي بعد "الذى" ليس جملة بالمعنى الدقيق اذ أنه لا يستقل بنفسه كما سنبين .

ان اللفظ الفعلي "الذى خلقكم " يخصص الاسم "ربكم " ، وأيضا ان اللفظ الفعلي "الذى خلقكم " يتمحور حول الوحدة "خلق " أما "الذى" فهو لا يخص أي عنصر من القول وليس له بالتالي وظيفة بالمعنى الدقيق وانما هو يضمن فقط دور التعلق . أما "خلق " فلا يمكن أن يكون تابعا مباشرة لأي وحدة أخرى ، فهو نواة أخرى يمكن أن نسميها المخبر (2) وان الرقم (2) يمكن من تمييزه عن النواة الأكثر محورية في القول . وقد اختار له الوظيفيون اسم : "المخبير " . وعلى هذا فان اللفظ الوارد بعد "الذى " يمكن أن يقوم بدوره بوظيفة . وهذا الضرب من الألفاظ المشتمل على مخبر نميزه بتسمية خاصة : "الجميلة " ومن هذا المنطلق فان الجميلة تحدد على أنها لفظ يقوم بوظيفة تركيبية يسمها موقعها أو يسمها عنصر وظيفي (موصل) على أن تكون كل الوحدات المكونة لها غير متصلة بالنواة المركزية الأولى : المخبر رقم (1) ولكنها تكون متعلقة بمركز المسند (الذى هو "خلق " في مثالنا السابق) .

---

(1) الجرجاني عبدالقاهر : دلائل الاعجاز ، ص : 199 .

وشبيه بهذا الوضع ، وضع بعض أجزاء القول التي لها نفس مواصفات الجملة التامة مثل : "ربنا الله" في قوله تعالى :

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ،
(آ 30 فصلت 41) .

أو "سمعنا" في قوله جل ذكره : "وقالوا : سمعنا وأطعنا" فوحدة : "الله" أو وحدة "سمع" ، في هذه الحالة لها هيئة المخبر، ولكن بما أنها تتصل بغيرها حيث ان موضعها بعد النواة الاخبارية الاساس وحيث أنها متعلقة معنويا بالنواة الاخبارية الأساس فاننا نعدها مخبرا ضمن جملة متعلقة .

5 ـ المخصصات المعجمية وقرائن الأسماء :

أ ـ الصفة أو النعت :

تعرضنا في الذي سبق الى العلاقات غير الأولية لأنواع من الوحدات محددة وبينا كيفية اتصالها بالنواة التي تعود عليها ثم وضحنا معانيها . ونحن الآن نريد أن نقف عند صنف آخر من الوحدات ، علاقته فرعية أيضا ، الا أن وجوده في القول ليس كوجود الضرب الأول من الوحدات التي ذكرنا والذي يشبهها في الظاهر كالبدل خاصة . ولعل تسمية المخصصات المعجمية لا تجلي كل ما تتسم به هذه الوحدات في القول، فانه ان كان البدل على الرغم من تعلقه بغيره ، هو المقصود ، وعلى الرغم من أن المبدل منه هو الأصل شكلا ، الا أنه بمثابة السلم والمرقاة الى البدل لان البدل هو محط الارادة وموضع القصد كما يقول العلامة ابن القيم الجوزية في "بدائعه". هذا وان البدل يمكن أن يستقيم القول به ان أسقطت نواته بخلاف المخصصات المعجمية كالصفة والتوكيد ، ذلك أن الصفة

والتوكيد لا يتمّ القول بهما ان أسقطت لزاتهما ولا يستقيم ، ثم أنهما من حيث المعنى مكمّلان لما يتصلان به فلا يقتصر عليهما دونه والا اختل الكلام . وقبل أن نقدم الأمثلة لا بد من التنبيه الى أن الصائت الذى يلي آخر صامت في هذا الضرب من الوحدات الفرعية يطابق آخر صائت تسمي الوحدة المتعلق بها ، الضم بالضم والفتح بالفتح والكسر بمثله في ما يعرب من الأسماء طبعا لأن هذا هو الذى جرت عليه ألسنة العرب وسننها في الكلام . نقول أيضا ان الصفة تأتي مطابقة الاسم المتعلقة به من حيث الجنس ومن حيث العدد والتعريف والتنكير . وهاهي الأمثلة :

في التعريف
- والبلد الطيّب يخرج نباته باذن ربه . (آ 58 الأعراف 07)
- اهدنا الصراط المستقيم . (آ 06 الفاتحة 01)
- الحمدلله رب العالمين . (آ 01 الفاتحة 01)

ثم في التنكير
- قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى . (آ 263 البقرة 02)
- وكنتم أزواجا ثلاثة . (آ 07 الواقعة 56)
- أو أن له أبا شيخا كبيرا . (آ 78 يوسف 12)
- وشروه بثمن بخس دراهم معدودة . (آ 20 يوسف 12)

بدل نعت

وأيضا : أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها . (آ 75 النساء 04)

بدل نعت

أو : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه . (آ 69 النحل 16)

في الأمثلة التي قدمنا يظهر جليا ان الصفة أو النعت يأتي على شكل كلمة أو وحدة بسيطة مثل : "معروف" ، طيبا ، بخس ، (مع أن ... سواع الصوائت القصيرة كلها) ويأتي على شكل لفظة أو وحدة مركبة تتفاوت

في التعقيد مثل : المستقيم أو رب العالمين أوغير المغضوب عليهم أو الظالم أهلها . وقد تأتي صفتان متواليتان للاسم الواحد فتتعلقان به مثل : ان له أبا شيخا كبيرا .

ب ـ **التوكيد :**

أن الصنف الثاني من المخصصات المعجمية يتمثل في التوكيد . والتوكيد يتم في لغة العرب بأسماء محدودة معدودة ، وقد وقفنا في القرآن الكريم على اسمين فقط هما : أجمعون وكل . والذي يتميز به هذا الصنف من المخصصات المعجمية هو أنه لا يخصص الا الأسماء المعرفة ، أما في ما يتعلق بآخر صائت فيه فذلك أمر تشترك فيه المخصصات المعجمية كلها اذ أنها خاضعة لما عليه نواتها من حركات . وأمثلة التوكيد هي :

1 ـ كل : ويتميز هذا الاسم بأنه متعلق على الدوام بأحد الضمائر المتصلة .

وعلّم آدم الأسماء كلها . (آ ـ 31 البقرة 02)

كذبوا بآياتنا كلها . (آ ـ 42 القمر 54)

2 ـ أجمعون وأمثلته :

فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون .
(آ ـ 95 الشعراء 26)

و : أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
(آ ـ 161 البقرة 02)

وأخيرا نلاحظ أن الاسمين يأتيان في نفس القول فيتتابعان مثل :

فسجد الملائكة كلهم أجمعون . (آ ـ 30 الحجر 15)

أما بالنسبة لقرائن الأسماء فيقول فيها الأستاذ بلقايد : " خلافا للوحدات التي تقوم بوظيفة المخصصات المعجمية والتي يمكن أن تكون عناصر مكونة لنواة اخبارية ، فان قرائن الأسماء أحادية الوظيفة (حيث أنها تخصص الأسماء التي تصاحبها) . ان الوظائف التي تقوم بها هي بالضرورة غير أولية (أرتوصية) ذلك لأنها تتصل ببقية القول بواسطة الوحدة الاسمية التي تخصصها . وأخيرا انها الوحدات النحوية بجرد مسا المحدود وبمساهمتها في تحديد قسم الأسماء "(1).

وتتميز هذه القرائن الاسمية بضرب وحيد ممكن من المرى كما ذكر الأستاذ بلقايد ، يعود الى قسم الأسماء وبضرب واحد من العلاقة : تخصيص لا يعرف تغييرا لنواته بالنسبة لكل قرينة . كما أن القرائن تتميز بعجزها عن تكوين نواة لأي بسط كان .

ج - العدد :

من المعلوم أن العربية تعرف نوعين من العدد : التثنية والجمع ، والنوع الذى يهمنا هنا من الجمع هو الجمع السالم لأن قرينته واضحة سواء بالنسبة للذكران أو الاناث ، وكذلك الشأن بالنسبة لوجهي الجمع (ون / ين) ووجهي المثنى (ان / ين) وهذه المسألة الأخيرة متعلقة بوظيفة الاسم في السياق ومثال ذلك :

اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ...	(آ 106 المائدة 05)
و : ثمانية أزواج ، من الضأن اثنين .	(آ 143 الأنعام 06)
أو : فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان .	(آ 282 البقرة 02)

---

(1) بلقايد محمد : لهجة تلمسان العربية ، ص : 541.

وأمثلة الجمع هي :

والطيبات للطيبين . (آ_ 26 النور 24)

و: الطيبون للطيبات . (آ_ 26 النور 24)

اذا تقرر أن العدد قرينة اسمية يدخل في مجال الدراسة التركيبية فان الجنس في الأسماء لا اختيار فيه للمتكلم . فكل اسم اما أن يكون مؤنثا واما أن يكون مذكرا ، هذا قانون صرفي .

د _ **التعريف :**

سبق أن تحدثنا عن لام التعريف وقلنا أنها قرينة يتميز بها الاسم من الفعل في التقسيم المطلق لأقسام الكلام ، والاسم يعرّف من أوله بهذا اللام ويعرّف من آخره عندما يخصص معجميا في مثل : " ربّ العالمين " على أن اللام وفي كلتا الحالتين يمكن الاسم من أن يرد في أيّ موضع من السياق ، ومن أن يؤدي أية وظيفة كانت حتى وظيفة المخبر . وقد بينّا ذلك بالأمثلة عند الحديث عن القول الأدبي الاسمي .

هـ _ **التنكير :**

أما التنكير فهو أهم ما يميّز المخبر في القول الاسمي مطلقا . وان الذي قلناه حول هذا الضرب من المخبر لا يمس في شيء هذه الخاصية ، ذلك لأن المخبر في القول الاسمي ان اعتمد التعريف لا يكون مخبرا فعلا الا اذا زاوجه التنغيم الملائم وهو عنصر غير أساسي ومثاله :

اللّه الغنيّ .

وهو نادر بالنظر الى الأمثلة التي أوردناها المعرفة بالاضافة ، ونحن نرى أن قوله تعالى :

اللّه هو الغنيّ . (آ_15 فاطر 35)

هو صورة أخرى من التركيب يقوم فيها ضمير العماد كوحدة لسانية بالدور الذي يقوم به التضخيم وهو غير لساني ولا يعد في التركيب أو تركيبيا ، في قوله تعالى : اللّه الغني ، والمعنى الوارد فـي "الصفة " غني غير المعنى الوارد في التحقيق : الغني ـ أمـا معنى : هو الغني في قوله تعالى :

اللّه هو الغني .

ففيه انفراد بالغنى وتوكيد ، ومن حيث الشكل ففيه وضوح في الربط وزيادة .

الوظائف
و
صورها

علاقات الاسم بإزاء الفعل

(أ) الوظائف المباشرة .

1 ـ وظيفة المسند
2 ـ " " الموضوع
3 ـ " " الايتمام .

(ب) الوظائف غير المباشرة .

1 ـ وظيفة ابتداء الغاية
2 ـ وظيفة انتهاء الغاية
3 ـ وظيفة الملك
4 ـ " " الاستعلاء
5 ـ " " الاستعانة
6 ـ " " المجاوزة
7 ـ الوظيفة التقلبية
8 ـ " " " البدلية
9 ـ وظيفة التبخيض
10 ـ " " " المصاحبة
11 ـ الوظيفة الظرفية
12 ـ " " " التحليلية
13 ـ " " " الاستثنائية .

في عرض الحديث عن الوظائف التركيبية وردّا على سؤال لماذا "الوظائف" ؟ يقول أندري مارتينيه : "ان مفهوم الوظيفة في ذهن الذين اهتدوا الى هذه التسمية يقابل مفهوم "طبيعة" ففي (قول الله سبحانه : "انشق القمر") ، لفظ القمر اسم بطبيعته ، وهو سند بوظيفته ، ولفظ القمر يحتفظ بطبيعته الاسمية وهو معزول عن السياق ، ولا وظيفة له في تلك الحالة ، فالوظيفة هي التي ترتبط بالسياق الذي توجد فيه ، وهذا هو الذي يميّز الكلمة في سياق ما عن الكلمة وهي معزولة عن غيرها "[1].

علاقات الاسمي بالنواة الفعل .

(أ) الوظائف المباشرة

1 — وظيفة السند :

في القول الذي لا يوجد فيه الا فعل واحد واسم واحد مثل ما هو الحال في قوله تعالى : "اللّه يعلم" أو "انشق القمر" أو "أزفت الآزفة" أو "وهم لا يظلمون" ، فان وظيفة الاسم في هذا الضرب من القول تسمى "سندا" وهذا اصطلاح لا ينبغي أن نحاول الوصول الى نتائج تتعلق بقيمة المسمى فيه . فالسند ليس هو بالضرورة : المضمون أو المركز في القول . ان الذي يمكّننا من تحديد هذه الوظيفة — في أغلب الأحيان — هو موضع الاسم الذي يقوم بهذه الوظيفة بالنسبة للفعل .

وعندما يتكون القول من فعل وعدة أسماء تربطها علاقات مختلفة بذلك الفعل مثلما هو الحال في : "وجاء السحرة فرعون" أو "انهم ألفوا آباءهم ضالين".

---

(1) أندري مارتينيه : علم التراكيب ، ص : 171 .

أو "اتّبع ما يوحى اليك من ربك" أو "أبشرا منّا واحدا نتّبعه".
أو: "ويتّبع غير سبيل المؤمنين". انه من الضروري أن يقوم واحد من الأسماء المذكورة في الأقوال السالفة الذكر بوظيفة السند. وهذه الوظيفة قابلة للتحديد شكليا. وعليه فان كل فعل حقيقي تام لا بدّ أن يصحبه اسم في وظيفة السند. ووظيفة السند اذن وظيفة كثيرة التواتر وبالتالي فانه من الطبيعي أن يعبّر عنها بوسائل جد اقتصادية، بمعنى دون فضل عنصر أجنبي مميز. والعربية تعبّر عن هذه الوظيفة بالموضع فقط أي بوجود الاسم بعد الفعل مباشرة.

ان هذا الوجود الاجباري لوظيفة السند تنجم عنه آثار على مستوى المعنى قد ينساق البعض الى تحميلها اياه دوما. وبما أن وظيفة السند تتميّز عن الاسم الخاص الذي يقوم بها فانها تصحب ضرورة الفعل، ولا يبقى للمتكلم اختيار في استعمالها أو عدم استعمالها. وعليه فوظيفة السند لا قيمة خاصة بها البتة وان معنى الفعل هو الذي سيحدد قيمة هذه الوظيفة، وقد سبق الحديث عن مسألة معاني الأفعال. وليس من المعقول أن تحدد السند بناء على المعنى مثل: "الفاعل: هو الذي يفعل الفعل، فيجب أن نعبّر عن الاسم في وظيفة السند بطريقة شكلية بنيوية كأن نقول: ان السند هو ما يضاف جبرا الى الفعل:

ان وجود الضمائر المتصلة سابقات أو لاحقات متصلة بالفعل أمر اجباري لا اختيار فيه، ذلك لأن اللفظ الفعلي في العربية لا يمكن أن يظهر الا مصحوبا بضمير هو سنده الضروري، ووجود الاسم أو ما يستبدل به الاسم كالضمير المنفصل ازاء ما يتصل بالاسم من ضمائر متصلة لا يزيد السند الا وضوحا، فهو بدل منه، وقد سبق أن فصلنا فيه القول في الضمائر. وأمثلته هي:

أزفت الآزفة . (آ 57 النجم 53)
أنتم لا تعلمون . (آ 66 آل عمران 3)
والمطلقات يتربصن ... (آ 228 البقرة 02)

بما أن وظيفة السند غير مرتبطة بموصل معين فينبغي أن نعرف ما هي الكيفية التي تظهر بها وظيفة السند عندما نربط اسما بفعل ، الذي يجب أن نلاحظه أولا أن الرفع كعلامة اعرابية ليست خاصة بالسند وحده ، فهي علامة تشمل كثيرا وحدات كثيرة فيما يعرب من الأسماء . أما الأسماء المبنية والضمائر وأسماء الاشارة والأسماء المبهمة ، فلا تظهر فيها هذه الحركة البتة ومثال ذلك في كل ما سبق ذكره :

وقالوا : سمعنا وأطعنا . (آ 284 البقرة 02)
فان يكفر بها هؤلاء . (آ 89 الأنعام 06)
أنا آتيك به . (آ 39 النمل 27)
وما أوتي موسى وعيسى . (آ 136 البقرة 02)
قال الذي عنده علم من الكتاب . (آ 40 النمل 27)

ان الذي يتميز به الفصل في هذه العلاقات الثنائية : " مخبر فعلي - سند " هو أن السند عندما يكون في وضعه العادي أي عندما يلي المخبر الفعلي ، فان الفعل لا تظهر فيه علامة العدد البتة مثل :

وشهد شاهد من أهلها . (آ 26 يوسف 12)
فاذهب أنت وربك فقاتلا . (آ 24 المائدة 05)
وشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم . (آ 20 فصلت 41)

وان انعكست الأوضاع لغرض ما أسلوبي أو تركيبي ، فتقدم السند على المخبر الفعلي ظهرت علامة العدد في الفعل مثال ذلك من نفس السياق في المثال الأخير :

وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا . (آ 24 المائدة 05)

ومع صيغة الأمر تقدم هذا المثال :

فاذهب أنت وربك فقاتلا . (آ 24 المائدة 5)

أما في صيغة الاثبات فنسوق هذا المثال الذى تتجلى فيه علاقة الرتبة بالعدد والشخص :

ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان . (آ 23 القصص 28)

ان نحن أزحنا وظيفة العامل الاعرابي في تبيان وظيفة السند في التسلسل فلأننا لم نر مبررا عمليا البتة حتى وان تعامل بعض النحاة القدامى زمن الله لقلبهم وتمحلوا في الضجة الكبرى التي أقاموها حول بعض أمثلتهم المنتخبة من القرآن الكريم في قوله تعالى شأنه :

انما يخشى الله من عباده العلماء . (آ 28 فاطر 35)

أو : ان الله برىء من المشركين ورسوله . وفي أمثلة أخرى كثيرة .

أما القول الأول فتغير فيه الوضع العادي للسند ، وبما أن القول يحتوي على اسمين غير مسبوقين بموصل ، هما : "الله" و "العلماء" على عكس ... المسبوق بـ "من" . فان هذا يعد عند بعضهم مدعاة الى اللجوء الى الاعراب لتبيين وظيفة السند من وظيفة الموضوع . والحق أنه لا داعي مطلقا لا الى الضم ولا الى الفتح لتحديد السند وتحديد الموضوع ، ذلك لأن القول يشتمل كغيره من الأقوال الأخرى في القرآن الكريم وفي لغة العرب ، على ما يشير الى السند ويدل عليه ، فالخشية تكون بقدر معرفة المخشي بالنظر في بديع صنعه ، وشتان بين الخالق وبين ذلك الذى لم يؤت من العلم الا قليلا ، كما يشتمل القول على ما يشير الى الموضوع ويدل عليه وعلى غيره من الوظائف الأخرى أن وجدت (انظر الآيتين اللتين تسبقان هذه الآية) واللتين تحددان بعد الاستفهام التقريري قدرة الخالق في انزال المطر وعظمته في اخراج نعمه . فالسند قد يتأخر عن الموضوع لأسباب حصرها الدكتور ابراهيم أنيس ، نذكرها ملخصة في ما يلي :

1 ـ منها أسلوب الحصر أو القصر ومثاله :

وما يعلم تاويله الا اللّه . (آـ 7 آل عمران 03)

2 ـ ومنها طول الكلام مع الفاعل وتوابعه مما قد يغمر المفعول بحيث ولا نكاد نتبينه حين يتأخر مثل قوله تعالى :

واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه .

(آـ 8 النساء 04)

ومثل سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد .

(آـ 124 الأنعام 6)

3 ـ وحين يشتمل الفاعل على ضمير يعود على المفعول مثل :

هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم . (آـ 119 المائدة 05)

ومثل: لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل . (آـ 158 الأنعام 06)

ويقلب الدكتور ابراهيم أنيس الكثير من صفحات القرآن الكريم على حد تعبيره بحثا عن ما اذا كان حقا قد تقدم المفعول على فاعله في غير تلك الأساليب السابقة، فلا يجد الا أمثلة يعزو تقديم المفعول فيها على الفاعل الى نظام الفواصل القرآنية والحرص على موسيقاها مثل :

فأوجس في نفسه خيفة موسى . (آـ 67 طه 20)

ويعود أمر التقديم فيها الى النفور من استعمال كلمة كريهة على النفس حسب تخريجه ، مثل كلمة : " موت " أو " ضر " ومن الأمثلة :

أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت . (آـ 133 البقرة 02)

: اذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه . (آـ 12 يونس 10)[1]

---

(1) ابراهيم أنيس : من أسرار العربية ، ص ص : 230 ـ 231 .

2 ـ **وظيفة الموضوع :**

انها وظيفة خصوصية ، وقد أجمع النحاة على تسمية الأفعال التي تتصل بالأسماء التي تقوم بهذه الوظيفة : "الأفعال المتعدية" كما أسموا الأفعال التي لا تتصل الى هذا الضرب من الوظيفة بالأفعال اللازمة أو الأفعال القاصرة وهذه الوظيفة يمكن أن يعبّر عنها ضرورة مثل ما ورد في قوله تعالى :

وقتل داوود جالوت . (آ ـ 251 البقرة 02)

ولكن الأمر ليس على هذه الوتيرة دوما ، (انظر الفصل المتعلق بالبساطات الأولية المباشرة) ان البساطة التي تميّز وظيفة الموضوع تعتمد الاسم كنواة وان هذه الوظيفة توسم بموضعها عقب المسند ، وان شئت قلت تأتي في الرتبة الثالثة : مخبر فمسند فموضوع وهذا هو الغالب أو الأعم ، وقتل داوود جالوت .

ان وظيفة الموضوع تتميز عن الوظائف المجانسة لها مثل وظيفة الزمن والتي تقوم بها كلمة " عشاء " في قوله عزّ وجلّ :

وجاءوا أباهم عشاء ...

أو : ورفع السماوات بغير عمد ترونها . (آ ـ 02 الرعد 13)

بالنسبة لـ :

والسماء رفعها . (آ ـ 07 الرحمان 55)

بالتذكير بواسطة الضمير " ها " في حال تقديم اللفظ الذي له نفس الوظيفة أيضا ان وظيفة الموضوع تتميز عن غيرها بتساوق الجنس والعدد : في الاسم الذي يقوم بوظيفة الموضوع والضمير الذي يذكّر به مثال ذلك :

يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم . (آ ـ 52 غافر 40)

أما الضمير القائم بوظيفة الموضوع اذا تغير موضعه فتقدم المسند لأغراض أسلوبية ، فانه يستوجب مرتكزا أو عمادا لا يستقيم القول بدونه ومثال ذلك :

أياك نعبد وإياك نستعين . (آ 05 الفاتحة 01)

هذا وان الذي تجدر الاشارة اليه في ما كنا قررناه من وجود الضمير رابطا للاسم بالفعل الذي يتخطى في علاقته المسند عند تقدم الاسم القائم بوظيفة الموضوع أمر غير مطلق مع الأسماء الصريحة ومثاله :

بل اللّه فاعبد . (آ 66 الزمر 39)

فما بالك مع الأسماء غير الصريحة ، ذلك انه اذا سبق الحديث عن الاسم القائم بوظائفه وأشير اليه باسم مبهم فان الفعل الذي في صلة الاسم المبهم هذا ، لا يتصل به ضمير العائد في حين أي فعل يتخطى مسنده ضرورة المتأخر الأمثلة :

وكلّم الله موسى . (آ 164 النساء 04)

فـ "كلّم" يتخطى جبرا المسند الى "موسى" ، ولكنه لما ورد صلة التأخير عن الاسم أو الضمير ومثاله في الآية الكريمة التالية :

تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلّم الله ورفع . . . (آ 253 البقرة 02)

هذا وان الوظيفيين يقولون ان وظيفة "الموضوع" مثلها كمثل وظيفة المسند ليس لها قيمة معنوية خاصة بها . ان تلك القيمة خاصة القيمة الفعل والمواد الباسطة التي تقوم بها . وانه من الطبيعي أن مصطلح "موضوع" لا قيمة معنوية خاصة به البتة : فالعلاقة بين "تأكلوا" و "لحما" في قوله تعالى :

لتأكلوا منه لحما طريا . (آ 14 النحل 16)

لا ترتبط بالعلاقة الموجودة بين "كلّم" و "موسى" في قوله عزّ وجلّ :

وكلّم اللّه موسى تكليما . (آ 164 النساء 04)

الا بالتطابق الشكلي المتجسّد في تأخر موضع الاسم عن المخبر والسند .
فوظيفة "الموضوع" اذن توجد حين يوجد عدد من الخصائص الشكلية .

3 — وظيفة الايتاء :

من الوظائف الخصوصية ، وظيفة "الايتاء" أو "العطاء" وهي وظيفة يختص بها صنف معين من الأفعال "المتعدية" ينفرز عن غيره في كونه يتخطى في علاقته السند والاسم القائم بوظيفة "الموضوع" الى اسم ثان ، ووظيفة هذا الاسم هي وظيفة الايتاء ، ومثاله :

ولقد آتينا ابراهيم الكتاب . (آ 54 النساء 04)

وقد فصّلنا القول في الأفعال التي تكون لها علاقة باسمين معا في الفصل المتعلق بالباسطات الأولية المباشرة ، وعندما ذكرنا الامكانيات التركيبية الموجودة في القرآن الكريم المتعلقة بتقديم أحد الاسمين وتأخيره بالنسبة للاسم الآخر ، والآن يمكن أن نضرب أمثلة عن تقديم وظيفة الموضوع عن وظيفة "الايتاء" وهو الترتيب العادي للأمور مثال :

انا أعطيناك الكوثر . (آ 01 الكوثر 108)

أما عكس هذا الترتيب فمثاله :

ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه . (آ 50 طه 20)

كما يمكن أن نقدم أمثلة عن ورود الاسم القائم بوظيفة "الايتاء" نكرة مثل :

وآتت كل واحدة منهن سكينا . (آ 31 يوسف 12)

فكسونا العظام لحما . (آ 14 المؤمنون 23)

وللتذكير نقول : ان الأفعال التي تتصل بباسطتين اجباريتين أولاهما تقوم بوظيفة "الموضوع" والثانية بوظيفة "الايتاء" هي : أتى وآتى وأعطى وهدى وقدر ووعد وأخلف وأبلغ وأنبأ وألزم وفهّم وجعل

واتّبع وعلّم وحسب ورفع وكسى . ومن أراد زيادة في التفصيل تتعلق بالوجوه التي يأتي عليها الاسم في هذه الوظيفة يرجع الى فصل الباسطات الأولية المباشرة .

(ب) الوظائف غير المباشرة

سبق أن قلنا ان كثيرا من الأفعال ليس لها باسطات مباشرة بمعنى باسطات دون وظيفي أو موصل يذكر مهما كان نوعه أو شكله . وفي حديثنا عن الأنساق الفعلية قلنا انه من المتواتر أن يصحب الفعل بما يسمى وظيفيا أو موصلا ، فيؤثر ذلك الوظيفي في قيمة الفعل ، وقد سقنا لتوضيح هذه الفكرة فعلا معروفا هو فعل "هدى" وبينا أنه كلما اتصل الفعل بأحد المضيفات التالية الا وتغير معناه ، هدى ، ل وهدى الى ... وقلنا أيضا أن بعض الأفعال اللازمة قد ترد في أقوال كثيرة توجد فيها مضيفات كثيرة متنوعة لكنها لا تؤثر في شيء في قيمة الفعل ، وفي هذه الحالة فان المضيفات هذه هي سمة لوظائف غير خصوصية لأن اختيارها لا يؤثر في شيء . كما قلنا — في قيمة الفعل . أما في الوضع الذي لا يمكن أن نفصل فيه بين الفعل والمضيف باعتبار أنهما وحدة لا تقبل التجزأة أو كأنهما كجزأي اسم واحد ، مثل : بدأ ب — على ل — فان الوظيفة التي تميّز وحدة بدأ ب أو على ل ، يمكن اختيارها دون ربط وظيفة خصوصية .

فالوظائف غير المباشرة تظهر كلما ورد في القول مؤشر لوظيفة و :

1 — أدرج ضرورة باسطة خاصة بالفعل مثل :

ومن يشرك بالله .... (آ 48 النساء 04)

أو : والذين يؤمنون بالغيب .... (آ — 03 البقرة 02)

2 ـ تناوب ذلك المؤشر مع انعدام المضيف في الفعل دون اختلاف في المعنى مع وجود الباسطة الخاصة ، ومثال ذلك :

وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه . (آ 116 البقرة 02)

و : ما اتخذ الله من ولد . (آ 91 المؤمنون 23)

على أن تؤخذ هذه المسألة بكل حذر ، ذلك أن السياقين مختلفان ، فالأول قول ورد في صيغة الاثبات والثاني قول ورد في صيغة الجحد ، هذا وأن الكثير من النحاة والمفسرين خصصوا باباً أو فصلاً في حروف الزيادة الواردة في القرآن الكريم ، فنذكر منهم على سبيل المثال الأخفش سعيد بن مسعدة والزركشي ، وإن نحن اقتصرنا على " زيادة " المضيف " من " (بالكسر) الوارد في المثالين السابقين وفي أمثلة كثيرة أخرى من القرآن الكريم ، نلاحظ أنها ترد مع النفي أو مع الاستفهام ، وقد نبه الأخفش في " معاني القرآن " . الى غير ذلك من المضيف فقال : فقد جاء في غير ذلك قال :

ويكفّر عنكم من سيّئاتكم . (آ 271 البقرة 02)

فهذا ليس باستفهام ولا نفي .

وإن نحن رجعنا الى كتب اللغة وكتب التفسير وجدنا أن هذا الأمر متداول في استعمالات العرب ، وحتى يتبين ذلك نذكر هذين المثالين :

أولهما : لابن القطاع في شرحه لمادة "كيل" يقول : "وكلت الطعام كيلاً و(مكالا) وللرجل بالكلام ، قال مثل قوله ... وللرجل الطعام وكاله الطعام أيضاً "[1] أما الآية المتعلقة بهذه المسألة فهي :

فاذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . (آ 3 المطففين 83)

ثانيهما : لابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى :

لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً . (آ 99 آل عمران 03)

---

(1) ابن القطاع : كتاب الأفعال ، ج 3 ، ص : 107 .

يقول : " يعني تبغون لها عوجا والهاء والألف اللتان في قوله تبغونها عائدان على السبيل وأنثها لتأنيث السبيل "[1].

قلنا ان هذه المسألة الثانية يجب أن تؤخذ بكل حذر :

- لأن المؤشر الى وظيفة ما خصوصية غير مباشرة يضمن هوية الفعل بفرزه عن غيره من الأفعال المجانسة له .
- وأيضا لأننا قررنا أنه ما من زيادة في المبنى الا وهي زيادة في المعنى ، وهو أساس من أسس الوظيفية .

أما في ما يخص معاني الوظائف غير المباشرة فاننا نقول : انه لا قيمة دلالية مشتركة بين مختلف هذه الوظائف التي لا تتميز الا بكونها جد خصوصية .

1 - وظيفة "ابتداء الغاية"

ان وظيفة ابتداء الغاية تتوسم أساسا بالمضيف " من " (بالكسر) وتسبق الباسطات الاسمية مثال ذلك :

يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء ...
(آ 02 سبأ 34)

والغاية هنا معناها المسافة والمقدار ، وتستعمل أكثر ما تستعمل للأمكنة كما تستعمل للأزمنة ، مثال ذلك :

وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى . (آ 21 يس 36)

أو : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الاقصى . (آ 01 الاسراء 17)

والحق ان اسم وظيفة ابتداء الغاية يجب أن ينص على انه مصطلح يناسب كيانا تركيبيا يتميز على الدوام بوجود " من " أوما يمكن أن تستبدل به من المضيفات بنفس معنى " من " ك " من " و " على " أنظر مثلا الآية التالية :

---

(1) الطبري : جامع البيان ، م 4 ، ص : 15 .

إذا اكتالوا على الناس يستوفون . (آ 2 المطففين 83)

أو الآية : وهو الذي يقبل التوبة عن عباده . (آ 25 الشورى 42)

وكذلك : أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا . (آ 16 الأحقاف 46)

بدليل ما ورد في قوله تعالى :

فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . (آ 27 المائدة 05)

هذا وإن لـ " من " معاني قريبة من مفهوم ابتداء الغاية مثل الملابسة أو الفصل كان من الممكن أن نفرد لكل منها وظيفة على حده واكتفنا أدرجناها في وظيفة ابتداء الغاية ابتغاء الحصر ورغبة في عدم تمطيط قائمة الوظائف ومثال ما ورد في الفصل نذكر قوله تعالى :

والله يعلم المفسد من المصلح . (آ 220 البقرة 02)

أو : حتى يميز الخبيث من الطيب . (آ 179 آل عمران 03)

أما مفهوم الملابسة والموالات فوارد في قوله سبحانه :

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر . (آ 67 التوبة 9)

أما موضع وظيفة " ابتداء الغاية " فيكون بعد وظيفة " الموضوع " إن وجدت وشكلها يكمن في المؤشر لها " من " أو ما يدل على معنى " من " من المضيفات (الدالة على ابتداء الغاية) . وفي كل الأمثلة التي ذكرنا ، المسندة لوظيفة "ابتداء الغاية " ، لا نجد مثالا واحدا فيه بأسداة خصوصية ذلك أن كل الباسطات لا علاقة لها باختيار الفصل .

2 ــ وظيفة " انتهاء الغاية "

إن القيمة الغائية المكانية صريحة في قوله تعالى :

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق . (آ 06 المائدة 05)

لأن " إلى " تدل على غاية الشيء ونهايته التي هي حده مسافة ومقدارا .

أما " إلى " الزمانية فوارده في قوله تعالى :

وأتموا الصيام الى الليل .　　　　(آ- 187 البقرة 02)

وقد تؤدي مضيفات أخرى لها نفس معنى "الى" وظيفة "الانتهاء الغاية" مثل "في" و "ل" :

فردوا أيديهم في أفواههم .　　　　(آ- 09 ابراهيم 14)

و : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها .　　　　(آ- 97 النساء 04)

أما "ل" بمعنى "الى" فقد وردت في قوله تعالى :

كل يجري لأجل مسمّى .　　　　(آ- 02 الرعد 13)

بدليل قوله عزّ وجلّ :

ويؤخركم الى أجل مسمّى .　　　　(آ- 10 ابراهيم 14)

وأبين من ذلك قوله تعالى :

كل يجري الى أجل مسمى .　　　　(آ- 29 لقمان 31)

نفس وحدات تركيب الآية العاشرة من سورة ابراهيم . وقريب من هذا بالنسبة لقوله تعالى :

بأن ربك أوحى لها .　　　　(آ- 05 الزلزلة 90)

بدليل ما ورد في الآية (68) من سورة النحل (16) :

وأوحى ربك الى النحل .

3 ـ <u>وظيفة الملك :</u>

المضيف هو "ل" : موصلة كما يقول الزجاجي لمعنى المالك للمالك وهي متصلة بالمالك لا المملوك . وقد تدخل لام الملك في الاستفهام اذا كان المملوك غير معروف مالكه . ومثاله من القرآن الكريم :

لمن الملك اليوم .　　　　(غافر 16).

فجواب مثل هذا أن ترد اللام في الجواب ـ انظر نفس الآية :

لله الواحد القهار .　　　　(آ- 16 غافر 40) .

ولسائل أن يسأل : ان وظيفة الملك هنا لا علاقة لها البتة بفصل مقالة ول أسمى ، وانه لا اعتراض لنا على هذا ، ولكن الذي دفعت النظر اليه هنا أنه من الممكن أن يرد الاستفهام وجوابه بعد فصل القول ، فيتم ارتباط اللام بفصل القول مثل :

قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ (آ 84 المؤمنون 23)

والجواب : سيقولون لله . (آ 85 المؤمنون 23)

للزجاجي تعليق مفيد حول هذه الآية قد قاله كما ورد "فانما هو (الله تعالى) على جهة التوبيخ لهم والتنبيه لا على أن مالكها غير معلوم الا من جهتهم تعالى الله عن ذلك، ألا تراه قال : سيقولون لله"(1).

في حديثنا عن المتعلقات الموضحية للأسماء قلنا أن الاسم النكرة اذا أضيف الى اسم نكرة بلغ الاسم الأول درجة التخصيص، وان هو أضيف أو تعلق باسم معرفة بلغ درجة التعريف وهي درجة أعلى وأكثر بيانا. والزجاجي في باب لام الملك، من كتابه : كتاب اللامات، يطرح قضية نراها وجيهة وهي كالتالي : "فان قال قائل : فما الفرق بين قولك هذا غلام زيد وهذا غلام لزيد اذا كنت أضفته في الوجهين لزيد ؟ قيل له : الفرق بينهما أنك اذا قلت : هذا غلام زيد فقد عرّفته بزيد، وانما تخاطب بهذا من قد عرف ملك زيد اياه وشهره به عنده واذا قلت هذا غلام لزيد، فانما تشير الى غلام مذكور ثم عرفت أن زيدا يملكه في عدة غلمان أو وحده فأفدته من معنى الملك مالم يعلمه ... فغلام في هذا الوجه نكرة وان كانت اللام قد أدّت عن معنى اضافته الى زيد، لأنها تفصل بين المضاف والمضاف اليه من أن يتعرّف المضاف بعينه أو أن يكون المضاف اليه تماما له"(2).

(1) الزجاجي : كتاب اللامات، ص : 63.

(2) نفس المرجع، ص : 62.

هذا وانه بين الملك والتمليك تختلف علاقة المضيف " ل " بالفعل " وبالتالي تكون وظيفة الملك غير خصوصية ووظيفة التمليك ووظيفة التخصيص خصوصيتين ، ذلك لأن الفعل " وهب " لا يرد في القرآن الكريم الا وهو مصحوب بالمضيف " ل " فانظر المثالين التاليين الأول في التمليك والثاني في التخصيص :

ووهبنا لهم من رحمتنا . (آ 50 مريم 19)

وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي . (آ 50 الأحزاب 33)

من الوظائف الظرفية المكانية وظيفة الاستعلاء ، والمؤشر اليها هو المضيف " على " ول " على " معاني أخرى ، منها ما سبق ذكره ومنها ما لم يذكر بعد ، الا أن أكثر معاني " على " استعمالا هو الاستعلاء ، ومعناه هنا أن ما بعد " على " قد وقع فوقه المعنى الذي قبلها وقوعا حقيقيا أو مجازيا ، ف " على " هنا ظرف من المكان يعني عند أوفوق . وان اختيار وظيفة الاستعلاء ، لا صلة له باختيار الفعل ، وأمثلة وظيفة الاستعلاء هي حقيقة ومجازا :

وعليها وعلى الفلك تحملون . (آ 22 المؤمنون 23)

أو : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . (آ 253 البقرة 02)

وكذلك : أو أجد على النار هدى . (آ 101 طه 20)

ثم : لهم اللعنة ولهم سوء الدار . (آ 25 الرعد 13)

بالاضافة الى المؤشر الرئيس " على " توجد مضيفات أخرى خمسة تدرج وظيفة الاستعلاء الحقيقي والمجازي .

(1) عن : في قوله تعالى :

فانما يبخل عن نفسه . (آ 38 محمد 47)

(2) في : وردت في قوله سبحانه :

ولأصلبنكم في جذوع النخل . (آ 71 طه 20)

وكذلك : حتى اذا كنتم في الفلك . (آ ـ 22 يونس 10)

بدليل : فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك . (آ ـ 28 المؤمنون 23)

(3) ل وردت في الظرف الحقيقي للاستعلاء في قوله تعالى :

ويخرون للأذقان . (آ ـ 109 الاسراء 17)

وفي : " دعانا لجنبه " وأيضا في : وتلّه للجبين . (آ ـ 103 الصافات 37)

أما الظرف المجازي ففي قوله سبحانه :

وان أسأتم فلها . (آ ـ 07 الاسراء 17)

بدليل : من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . (آ ـ 46 فصلت 41)

(4) " من " بمعنى " على " وردت في قوله تعالى :

ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا . (آ ـ 77 الأنبياء 21)

بدليل ما ورد في قوله تعالى :

قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم . (آ 14 التوبة 09)

(5) " ب " عوضا عن " على " وردت في قوله سبحانه :

ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار . (آ ـ 75 آل عمران 03)

بدليل ما ورد في الآية 64 من سورة يوسف (12) .

هل آمنكم عليه الا كما آمنتكم على أخيه من قبل ـ

ثم في : واذا مروا بهم يتغامزون . (آ ـ 30 المطففين 83)

بحجة ما جاء في قوله تعالى :

وانكم لتمرون عليهم . (آ ـ 137 الصافات 37) .

5 ـ وظيفة الاستعانة :

توسم أساسا بالضيف " ب " الدال على الاستعانة أو الاعتمان ، الداخلة على آلة الفعل ، كأن يكون الذي بعد الباء آلة حصول ما قبلها ، ومثاله :

واصحــوا برؤ وسكـم . (آـ 6 المائدة 5)

كما توسم أحيانا بـ " من " ومثاله :

يحفظونــه من أمــر اللـــه . (آـ 11 الرعد 13)

ان وظيفــة الاستعانــة وظيفــة خصوصيــة ، ذلك أن المضيف " بـ " أو ما يستبدل بــه يكوّن مع الفعل كيانـا تركيبــيا يؤدي معنى غير المعنى الذى يؤديــه الفعل دون المضيــف .

تتميز هذه الوظيفــة عن الوظائــف الأخرى التي من الممكن أن توسم بنفس المضيــف " بـ " بكونهـا قد توجــد في نفس السياق معهـا دون أن تكون معطوفــة عليهـــا مثال ذلك :

سبح بحمد ربك بالعشي والابكـار . (آـ 55 غافـر 40)

6 ـ وظيــفــة المجـــاورة :

" عن " وحدة تدرج وظيــفة المجاوزة ، وهي أهم معانيهـــا وأكثرهـــا استعمالا . هذا وان الاسم الذى بعــد " عن " يجاوز ما قبل عن حقيــقـــة أو مجازا ومثالــه :

يسألون عن أنبائكـم . (آـ 20 الأحزاب 33)

وقيــل ان " عن " تختص بالسؤال ذلك لأنها كثيرا ما ترد مع فعـــــل " ســأل " : مثل يسألونــك عن الخمــر والميــســر ، يسألونــك عن اليتامــى ، يسألونــك عن الأهلــة ، يسألونك عن الساعــة . . . وفي هذا واضــح تجليــه كثرة الاستعمال ، ويفرضــه المعنى كذلك ، لأن مع فعل " سأل " وان استبدل المضيف " عن " فان معناه يبقى على نفس معنى " عن " ويظهر ذلك في قوله عزّ وجلّ :

فاسأل بــه خبــيرا . (آـ 59 الفرقان 25)

وكذلك في قوله تعالى :

سال سائل بعذاب واقع . (آـ 01 المعارج 70)

ان وظيفة المجاوزة لا تقتصر على " عن " وحدها ، فهنالك مضمنات أخرى تؤديها أيضا منها " ب" التي سبق ذكرها والتمثيل لها مع فعل " سأل " ومع غيره كما ورد في قوله جلّ شأنه :

ويوم تشقّق السماء بالغمام . (آـ25 الفرقان 25)

وكذلك في : يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم . (آـ 08 التحريم 66)

ومنها اللام (بالكسر) مثل ما ورد في الآية الكريمة التالية :

وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا .
(آـ 11 الأحقاف 46)

ومنها " من " (بالكسر) كما جاء في الآية التالية :

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله . (آـ 22 الزمر 39)

7 ـ الوظيفة النقلية :

توسم هذه الوظيفة بالمضيف " ب " (بالكسر) وتعني النقل ، ونحاة العربية يقولون انها للتعدية كقولك ذهبت به في معنى أذهبته ، وهذه الباء في رأيهم هي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولا ، وأكثر ما تعدّي في رأيهم دائما الفعل القاصر . أما أمثلة هذه الوظيفة فهي :

ذهب الله بنورهم . (آـ 17 البقرة 02)

و : ذهب الله بسمعهم وأبصارهم . (آـ 20 البقرة 02)

وانا نرفض هذا الطرح لأننا فصلنا القول فيما سبق في الفعل وفي النسق الفعلي وبيّنا الفارق بينهما ، وليس في رأينا : ذهبت بالمريض الى المستشفى ، كأذهبت المريض الى المستشفى ، ثم ان النسق الفعلي : "أسرى ب " في قوله عز وجلّ :

سبحان الذى أسرى بعبده . (آ ـ 01 الاسراء 17)

ليس كالفعل " سرى " في قوله تبارك وتعالى :

والليل اذا يسرى . (آ ـ 04 الفجر 89)

وحتى ان قيل ان سرى وأسرى لغتان فاننا نقول ليس سواء : أسرى به وسرى به ثم انه ليس في أسرى وسرى قراءتان ، واضافة الى هذا نلفت النظر الى أن ما ورد في قوله تعالى :

ما إنّ مفاتيحه لتنوء بالعصبة . (آ ـ 76 القصص 28)

هو نسق فعلي (ناء ب) لم يأت الا على هذا الوجه : ناء الرجل بالحمل : نهض به مثقلا وناء به الحمل : أثقله .

3 ـ الوظيفة البدلية :

ان الاسم الذى يؤدي هذه الوظيفة تدرجه المضيفات التالية : "من" و "عن" ومثال "من" هو :

أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . (آ ـ 38 التوبة 09)

أما مثال "عن" فقد ورد في قوله تعالى :

واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا . (آ ـ 48 البقرة 02)

وفي الحالتين المذكورتين "من" و "عن" تفيدان : "بدل" لأنه انفهم المعنى يمكن استبدال "من" ب : "بدل" وكذلك الشأن في مثال : "عن" ـ الحياة الدنيا بدل الآخرة ، ثم لا تجزي نفس بدل نفس . وان نحن تأولنا في قوله تعالى :

لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا . (آ ـ 11 آل عمران 03)

وكذلك في قوله سبحانه :

قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمان . (آ ـ 42 الانبياء 22)

حيث تظهر جلية العلاقة بين المضمر الفعلي والوظيفة البدلية تبيّن لنا الأمر .

9 ـ وظيفة التبعيض :

ان الوحدة التي تدرج الاسم الذي يقوم بوظيفة التبعيض هي "من". والتبعيض معناه أن ما قبل "من" جزء مما بعدها وإن شئت قلت أن الذي قبل "من" يعم الاسم الذي بعدها ومثاله :

خذ من أموالهم صدقة . (آ 113 التوبة 09)

ولعل الأمر يتضح أكثر في المثال التالي :

اني أسكنت من ذريتي . (آ 37 ابراهيم 14)

حيث ان فعل "أخذ" يدخل في علاقة مباشرة مع "صدقة" وفي علاقة غير مباشرة مع "أموالهم" لكن الأمر يختلف بالنسبة لفعل "أسكن" فالمفروض بل المعهود أنه يدخل في علاقة مباشرة مع "ذريتي" ، والحق ان "من" هنا وظيفي تبعيضي بمثابة بعض أو كل ، فهو والاسم الذي يدرجه كيان تركيبي . والملاحظ ان هذا الكيان التركيبي اذا تقدم المخبر الفعلي فانه يصحب ضرورة بالاسم المبهم "من" (بالفتح" ومثاله يظهر في الآيتين الكريمتين التاليتين :

منهم من كلم الله . (آ 253 البقرة 02)

ثم : ومن الناس من يعجبك قوله . (آ 204 البقرة 02)

فالأمر سواء : مع الاسم أو مع ما يرجع الى الاسم (الضمير) .

10 ـ وظيفة المصاحبة :

المضيف الدال على هذه الوظيفة هو "مع" وهذه الوظيفة مستقلة عن اختيار الفعل لأن أي فعل أو وحدة يحتمل أن يشارك فيه غير صاحب الحدث (المسند) . والمهم في المصاحبة أو المعية هو التلازم والاجتماع في الأمر بقطع النظر عن موضع المسند .

ودخل معه السجن فتيان . (آ ـ 36 يوسف 12)

و : أرسله معنا غدا . (آ ـ 12 يوسف 12)

وهذا كثير في أفعال الجوارح والعلاج كما يقول الزركشي ، أما مع الافعال المعنوية فمثاله :

يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . (آ ـ 43 آل عمران 03)

توجد صيغات أخرى تؤدي نفس وظيفة المصاحبة هي : "ب" و "في" و "الى" و "على" وأمثلتها كما وردت على التوالي :

اهبط بسلام . (آ ـ 48 هود 11)

فادخلي في عبادي وادخلي جنتي . (آ ـ 29 ، 30 الفجر 29)

ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم . (آ ـ 02 النساء 12)

وآتى المال على حبه . (آ ـ 177 البقرة 02)

11 ـ الوظيفة الظرفية :

ان الوظائف الظرفية كثيرة ، لأنها تشمل المكانية والزمانية ، ولتحديدها يطرح الصيغتان التاليتان : أين أو متى ، فالأولى مختصة بالمكان ، والثانية مختصة بالزمان ، غير أن المضيف للاسم القائم بالوظيفة الظرفية الزمانية أو الظرفية المكانية ، قد يكون واحدا ومثال ذلك هو :

غلبت الروم في أدنى الأرض . (آ ـ 2 ، 3 الروم 30)

ثم : وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . (آ ـ 3 ، 4 الروم 30)

ان الوحدات التي تقوم بهذه الوظائف عادة ما تتبع الفعل والوحدات الواقعة في علاقة أولية معه ومثاله :

انا لنراك في ضلال مبين . (آ ـ 60 الأعراف 07)

أما مثال تقدم موضع هذه الوظيفة فقد ورد في قوله تعالى :

ولبثت فينا من عمرك سنين . (آ_18 الشعراء 26)

أن المضيف " في " : ليس هو الوحيد المدرج للوظيفة الظرفية ، فالمضيفات "ب" و " على " و " ل " و " من " و " الى " كلها تدرج أسماء تؤدي الوظيفة الظرفية المكانية منها والزمانية ، والنظائر الشواهد على ذلك :

ولقد نصركم اللّه ببدر . (آ_123 آل عمران 03)

وكذلك : نجيناهم بسحر . (آ_34 القمر 54)

ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها . (آ_15 القصص 28)

يحرفون الكلم عن مواضعه . (آ_13 المائدة 05)

بدليل : يحرفون الكلم من بعد مواضعه . (آ_41 المائدة 05)

لا يجليها لوقتها الا هو . (آ_187 الأعراف 07)

أروني ماذا خلقوا من الأرض . (آ_40 فاطر 35)

وأخيرا : ليجمعنكم الى يوم القيامة . (آ_87 النساء 04)

12 ـ **الوظيفة التعليلية :**

تحدد الوظيفة التعليلية بطرح السؤال : لماذا ؟ ولأجل ماذا ؟ والمعهود أن " ل " هو المضيف الذى يدرج الاسم القائم بوظيفة التعليل ، صريحا كان الاسم أو مبهما ، غير أنه توجد مضيفات أخرى تؤدي نفس الوظيفة ، منها بـ ومنها " على " ، وليس للأفعال التي تمثل مركز النواة الاخبارية علاقة باختيار هذه المضيفات وأمثلة هذه الوظيفة التعليلية هي :

وسقناه لبلد ميت . (آ_57 الأعراف 07)

ثم : ولتكبّروا اللّه على ما هداكم . (آ_185 البقرة 02)

وكذلك : انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل . (آ_54 البقرة 02)

وقد تتقدم الوظيفة التحليلية الوظائف الرئيسية والأولية وغيرهما ، وذلك مثاله في قوله تعالى :

فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم . (آ 160 النساء 04)

اننا تعرضنا الى أهم الوظائف غير المباشرة ، ولسنا ندعي أن ما قدمناه مسح شامل لكل الوظائف غير المباشرة ، ذلك لأن المضيف الواحد يحمل أكثر من معنى غالبا ، وأيضا لأن المضيف الواحد في السياق الواحد قد يعطيه المفسرون معنى مغايرا ، كلّ حسب اجتهاده ، مثال ذلك :

ياليتني قدّمت لحياتي . (آ 24 الفجر 89)

قيل ان " ل " ظرفية ، وقيل أيضا انها للتعليل . لقد اهتم القدامى بمعاني الحروف في كلام العرب وفي أشعارهم وفي القرآن الكريم فألف الكثيرون كتبا نذكر منها "كتاب معاني الحروف" للرماني و "كتاب الأزهية في علم الحروف" . وخص أبو اسحاق الزجاجي اللام وحده بكتاب سماه "كتاب اللامات" .

13 ـ الوظيفة الاستثنائية :

ان المدرج لهذه الوظيفة هو المضيف "الا" أساسا ، وهو يفيد الاستثناء ، والاستثناء معناه اخراج الشيء مما دخل فيه غيره ، ويأتي هذا المضيف بعد تمام القول ، القول المثبت بصنفيه الفعلي والاسمي : كما سنبيّن بعد قليل . هذا وان الاسم الذي يدرجه المضيف الاستثنائي يكون على الدوام منصوبا ، سواء كان نكرة أو معرفة . بالاضافة الى هذا نقول ان الأقوال التي تحتوي على الاستثناء ، ينعكس المعنى الذي يحمله المخبر فيها على المبتدأ . فيظهر مضيف آخر بعد "الا" لا يدرج الاسم المستثنى الا بواسطته ، ويكوّن هذا المضيف جزيئا من المخبر ، والحق ان هذه المسألة قد مضى الحديث فيها في باب الانساق الفعلية .

ولئن كان أمر النسق الفعلي ظاهرا ، فان أمر المخبر الاسمي - في هذا الوضع - لا يتوصل الى التصرف عليه بسهولة ، وعليه فالمرجح هو اما المادة المعجمية التي يتكوّن منها الاسم واما السياق ولبيان ما ذكرنا تضمّن قوله عزّ وجلّ :

وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الّا على قوم بينكم وبينهم ميثاق . (آ 72 الأنفال 08)

والمثال أيضا هو القول في الصلاة :

وانها لكبيرة الا على الخاشعين . (آ 45 البقرة 02)

هذا التركيب يمكن أن يتوقف فيه عند كلمة "كبيرة" ، في هذه الحالة يكون أساس البناء فيه بعد التجريد : هي كبيرة ، وبالتالي فهو تعريف أو وصف في المطلق ، وان أريد قياس الكبر بالنسبة الى شخص قيل : هي كبيرة عليه ، وبالاستبدال نقول هي كبيرة على الخاشعين ، وان نحن جعلنا الامر موكدا قلنا : انها لكبيرة على الخاشعين ، وبادراج الاستثناء نعود الى القول الأول : انها لكبيرة الا على الخاشعين . وبهذه الكيفية يتبين ورود المضيفين "الّا" و "على" متتالين .

في سورة "المومنون" مسألة من هذا القبيل ولكنها أكثر تعقيدا وردت في قوله تعالى :

[قد أفلح المومنون الذين ... والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . (آ 1، 5، 6 المومنون 23)

أثارت هذه المسألة اهتمام أبي حيان فقال فيها ما يلي : " حفظ لا يتعدى بـ " على " فقيل " على " بمعنى " من " أي الا من أزواجهم كما استعملت " من " بمعنى " على " في قوله ونصرناه من القوم أي على القوم قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره . فالأولى أن يكون من باب التضمين ضمن حافظون معنى ممسكون أو قاصرون وكلا هما يتعدى بـ " على " كقوله امسك عليك زوجك "[1].

(1) ابو حيان : تفسير البحر المحيط ، ج 6 ، ص : 396 .

وبعد رأي الفراء يورد أبو حيان آراء للزمخشري في المسألة فيحكم عليه قائلا :
" وتكلّف الزمخشري هنا وجوها فقال : أزواجهم في موضع الحال أي الا والين
على أزواجهم أو قوامين عليهن ... أو تعلق " على " بمحذوف يدل عليه غير
ملومين كأنه قيل يلامون الاّ على أزواجهم ... أو يجعله صلة لحافظين من
قولك احفظ عليّ عنان فرسي على تضمينه معنى النفي ... يعني
أن يكونوا حافظون صورته صورة المثبت وهو منفي من حيث المعنى ...
وهذه التي ذكرها وجوه متكلفة ظاهر فيها العجمة "[1].

ولأهمية توالي مضيفين ما بعد المضيف " الا " مباشرة ، وللتأكيد على
الحيرة التي انتابت النحاة بشأنه وما نجم عنها من آراء مختلفة وتعليقات
مثل التي عمدنا الى سردها دون تفصيل ، فاننا نولي هذه المسألة ما تستحقه
من الدرس . قد بدأنا بطرح للمسألة لأبي حيان الأندلسي ، والآن نقدم رأيا
آخر للطبري المتوفي قبل أبي حيان بـ 445 سنة ، ويتعلق هذا الرأي بقوله
جلّ وعلا :

ضربت عليهم الذلّة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله . (آ 112 آل عمران 03)
" واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله [إلا بحبل
من الله وحبل من الناس ، فقال بعض نحويي الكوفة : الذي جلب الباء
في قوله بحبل ، فعل مضمر قد ترك ذكره . قال ومعنى الكلام ضربت عليهم
الذلة أينما ثقفوا الا أن يعتصموا بحبل من الله ... (هذا رأي الفراء) ...
فأوجب اعمال فعل محذوف واظهار صلته وهو متروك وذلك في مذاهب العربية
ضعيف ومن كلام العرب بعيد "[2] . بعد هذا يعرض الطبري رأي بعض
نحويي البصرة فيقول : " إلا بحبل من الله استثناء خارج من أول الكلام

---

(1) أبو حيان : تفسير البحر المحيط ، ج 6 ، ص : 396 .
(2) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، ج 4 ، ص ص : 32 ـ 33 .

قال وليس ذلك بأشد من قوله : لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما "[1]. ثم يعود الطبري الى رأي بعض الكوفيين الآخرين قائلا : " هو استثناء متصل والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان الا بموضع حبل من الله "[2]. ثم يعلق الطبري على هذا الرأي بقوله : " وهذا أيضا طلب الحق فأخطأ المفصل "[3]. والذي يقف عنده ابن جرير الطبري بعد رد كل المحاولات السابقة وما فيها من تأويلات هو ما يلي : " ولكن القول عندنا أن الباء في قوله الا بحبل من الله أدخلت لأن الكلام قبل الاستثناء يقتضي في المعنى الباء ، وذلك أن معنى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ثم قال الا بحبل من الله على غير وجه الاتصال بالأول "[4].

ان أهم ما جاء في رأي الطبري وتحليله لهذه القضية أمران :

أحدهما أنه يقيس الآراء التي يقدمها غيره بالرجوع الى مذاهب العرب الواردة في كلام العرب .

ثانيهما أنه عند ما ينعدم التجانس الذي يبني عليه الرأي والتنظير بسبب عدم التجانس بين آراء النحاة ومذاهب العربية في كلام العرب ، يكتفي في ... هو لعمري رأي رشيد أساس في الدراسة العلمية الوصفية : " لأن الكلام الذي قبل الاستثناء يقتضي في المعنى الباء " .

بعد هذا الذي بيّنا نرجع الى الحديث عن الوظيفة الاستثنائية في الأقوال الاسمية ثم في الأقوال الفعلية ، الملاحظ في القول الاسمي أن وظيفة الاستثناء يقوم بها في أغلب الأحيان اسم مبهم مع صلته . أنظر ... الأمثلة :

من (1) الى (4) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، ج 4 ، ص ص 32 ـ 33 .

كل الطعام كان حلّا لبني اسرائيل الا ما حرّم اسرائيل على نفسه .
(آ ـ 93 آل عمران 03)

ثم : النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله . (آ ـ 128 الأنعام 06)

وكذلك : ان النفس لأمّارة بالسوء الا مارحم ربّي . (آ ـ 53 يوسف 12)

فالتفاوت في علاقات الاسم المبهم بالوحدات التي تليه راجع الى معنى الفعل التابع للاسم المبهم . أما اذا تعلق الاسم بالاسم الصريح المستثنى ، فالوضوح والبساطة سمتاه مثلما هو الحال في قوله سبحانه وتعالى :

فانهم عدوّ لي الا ربّ العالمين . (آ ـ 77 الشعراء 26)

بالنسبة للقول الفعلي تظهر الوظيفة الاستثنائية في الاسم النكرة والمعرفة والعدد والمبهم خاصة ، اليك أمثلتها :

فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون .
(آ ـ 47 يوسف 12)

ثم : فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما . (آ ـ 14 العنكبوت 39)

وكذلك : أحلّت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم . (آ ـ 01 المائدة 05)

يتميز المضيف "الا" عن غيره من المضيفات الأخرى بكونه إن أدرج في قول ما فإنه لا يمكّن الاسم الذي يليه من التنقل بحرية في القول فموضعه قارّ ، أما إمكانية اسقاطه من القول فتوجه المعنى الذي يريده المتكلم . تمعّن قوله سبحانه :

ومن يولهم يومئذ دبره ـ الا متحرفا لقتال أو متحيزا لفئة ـ
فقد باء بغضب من الله . (آ ـ 16 الأنفال 08).

هذا ما تمكنا من ذكره بالنسبة لوظيفة الاستثناء في القول المثبت ، ولا بأس أن نقول ان الاستثناء يتوافق أيضا مع القول الذي تتصدره قرينة الاستفهام سواء كان القول اسميا أو فعليا مثال ذلك :

وماذا بعد الحق الا الضلال . (آ 32 يونس 10)

ثم : ومن يغفر الذنوب الا الله . (آ 135 آل عمران 03)

هذا واننا سنفصل القول في وظيفة الاستثناء هذه عند الحديث عن قرائن النفي لما لهما من علاقة عضوية تربطهما .

ـ ٤ ـ علاقات الاسمي بالنواة الاسمية

علاقات الجملة بالعنصر الفعلي

1 ـ الجملات المتعلقة الاستفهامية

2 ـ الجملات التمثيلية

3 ـ الجملات التعليلية

4 ـ الجملة الظرفية

5 ـ الجملة التشبيهية

6 ـ الجملة الغائية .

علاقات الاسمي بالنواة الاسمية :

بالاضافة الى ما ذكرناه في الوظائف الفرعية وتكملة له ، نريد أن نقف الآن عندما تدرجه المضيفات من وحدات في القول الأدنى وغير الأدنى من الأقوال الاسمية . فالأمر متعلق في هذه الأحوال بعلاقة الاسمي بالنواة الاسمية .

أن أول ما يتبادر الى الذهن في هذا المضمار علاقة المخبر الاسمي بالسند الاسمي الذى يدرجه مضيف ما ، كما ورد في قوله تعالى : "الحمد لله" أوقوله سبحانه : "لله الحمد" ، أو "الله معكم" أو "الملك على أرجائها" أو "الأمر اليك" أو "أنا من الظالمين" (أنظر القول الأدنى الاسمي) فالسؤال الذى يطرح نفسه بخصوص هذه الوحدات المدرجة والمعاني التي تضيفها عليها المضيفات المذكورة هو : أنعتبر وظيفة الملك أو وظيفة التخصيص أو وظيفة الاستعلاء (أوغيرها ، انظر الأمثلة المسرودة) أولى وأحق أم وظيفة المخبر ؟ في هذا الوضع بالذات نقول اننا كنا قررنا أن هذا التركيب يكون ضربا قائما بذاته في القول الاسمي الأدنى . وشبيه به ولكنه أيضا ضرب آخر قائم بذاته القول الأدنى المكون من اسم مخصص مسبوق بمضيف مخبر - مثل : فيها مصباح - في علاقة مع اسم غير مخصص في وظيفة السند . وأمثلته عديدة منها للتذكير : على أبصارهم غشاوة ، لهم فيها منافع ، لي دين ، لدينا مزيد . في الضربين المذكورين تكون الكيفية المخبر وفي ما سبق الحديث عنه في الوظائف غير المباشرة تتصل الأسماء المدرجة بنواة فصل .

بعد هذا التوضيح نقول : أن القول الاسمي كثيرا ما يتضمن وظائف غير مباشرة مثلما هو الحال في هذه الضروب الثلاثة التي نقدمها على التوالي حسب تواترها :

1 ـ هو عليّ هيّن . (آ ـ 09 مريم 19)
لهم فيها فاكهة . (آ ـ 36 الحديد 57)
لباسهم فيها حرير . (آ ـ 23 الحج 22)
فهو له قرين . (آ ـ 36 الزخرف 43)
هم عن ذكر ربهم معرضون . (آ ـ 42 الأنبياء 21)

2 ـ والآخرة عند ربك للمتقين . (آ ـ 35 الزخرف 43)
أنا على ذلكم من الشاهدين . (آ ـ 56 الأنبياء 21)

3 ـ لهم فيها دار الخلد . (آ ـ 28 فصلت 41)

وهذه الوظائف المدرجة كما هو واضح من الأمثلة ، منها ما يفيد الاستعلاء ومنها ما يفيد الملكية ومنها ما يفيد الظرفية وهكذا دواليك ... ولكنها كلها دون استثناء في علاقة مع النواة الاخبارية ومع المخبر الاسمي .

ومن علاقات الاسمي بالمخبر الاسمي ، نذكر أيضا :

وله الكبرياء في السماوات والأرض . (آ ـ 37 الجاثية 45)

حيث تتبع الوظيفة الظرفية المخبر الاسمي .

أما فيما يخص علاقة الاسمي بغير النواة الاخبارية سواء كانت فعلية أو اسمية فنذكر :

ويلبسون ثيابا خضرا من سندس . (آ ـ 31 الكهف 18)

وأوضح من هذا المثال وأكثر عددا وتفصيلا لهذه العلاقات نقدم هذا المثال :

وينزل من السماء من جبال فيها من برد . (آ ـ 43 النور 24)

فما خلا الوظيفة الأولى الدالة على ابتداء الغاية المتعلقة بالمخبر الفعلي فإن الوظائف الثلاثة الأخرى : التبعيضية والظرفية والبيانية (بيان الجنس) متعلقة بالاسمي المكون لنواتها ، من ذلك أيضا ما ورد في الآية الكريمة التالية :

يحلّون فيها من أساور من ذهب . (آ ـ 31 الكهف 18)

علاقة الجميلة بالمخبر الفعلي :

أن الجميلات التي يدرجها موصل لا دخل لها في ما نحن بصدد ذكره من علاقات بين جميلة موصولة ومخبر فعلي ، ذلك لأن الموصل يحدث علاقة بين اسم سابق ووصف، لهذا الاسم له شكل جميلة تلي ذلك الاسم . فالعلاقة موجودة بين المتقدم (الاسم) وبين مخبر الجميلة التي تلي ذلك الاسم وهذه العلاقة هي بالطبع من مجال علاقات ضرب آخر من النواة الفعلية بالاسم .

ان النواة الفعلية التي نخصها بالذكر هنا هي في أغلب الحالات مخبر القول أو الجملة ، كما يمكن أيضا أن يكون المخيبر . فالملاحظ أنه خلافا لما تعرضنا اليه في التقسيمات النحوية الأخرى انا في هذه الحالة نتعرض الى علاقات ليست من نوع علاقة كلمة بأخرى في القول ولكن علاقة كلمة النواة الفعل بمركب هو الجميلة المتصلة به . فلا مانع في هذه الحالة أن نعتبر أن هذه الجميلة تمثلها نواتها : المخيبر ، وأن نتحدث عن علاقات مخيبر فعل بمخبر . هذا ما يتفق مع مبدأ أساسي في التحليل الوظيفي مبدأ يطالب بأن تستدرج العلاقات في كل مستوى بحيث ان العلاقات الموجودة بين الباسطة ونواتها لا تدخل في تحليل السياق . ولا حرج اذن في أن نقدم العلاقات المذكورة هنا باعتبار علاقة مخيبر بمخبر حيث يمكن تيسير الفهم الصحيح للظواهر التركيبية .

ان الرجوع الى الجميلة الموصولة فيه فائدتان : أولاهما أن القارئ عرفها بعد العرض الذي قدمناه حولها ، والثانية انها تمكن من التمييزين :

أ ـ العلاقات بين اسم ومخيبر (العلاقات التي تسمها الموصلات أو المواضع المتوالية مثل :

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما .
(آ ـ 05 النساء 04)

و : فترى الودق يخرج من خلاله . (آ48 الروم 34)

ان الفصل الثاني الذى أدرجه الموصل أوالذى أبرزه الموضع لا يكوّن قولا مستقلا .

ب ـ العلاقات بين فعلين يسمها عالق مثل :

ألا تحبون أن يغفرالله لكم . (آ 22 النور 24)

لأنّ ارتباطه بسابقه عضوي ، وتسم أيضا العلاقات بين فعلين القرائن الجميلة :

يسألونك ما ذا ينفقون . (آ215 البقرة 02)

بالاضافة الى "أ" و "ب" يمكن أن نضيف صنفا ثالثا ("ج") من الأقوال يوجد فيه فعلان يتحدان في الصدد ولا يدرج الفصل الثاني منهما موصل ولا عالق مثل :

ذهب الى أهله يتمطّى . (آ33 القيامة 75)

(1) الجميلات المتعلقة الاستفهامية :

ان وضع الجميلات الاستفهامية المتعلقة واضح بالنسبة للأقوال التي يتصدرها فعل : "سأل" أوتتصدرها قرينة استفهام مثل :

يسألونك ماذا ينفقون . (آ 219 البقرة 02)

و : ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل . (آ 51 الفيل 105)

والأمر واضح أيضا بالنسبة لفعل : "قال" مثل :

سيقولون من يعيدنا . (آ 51 الاسراء 17)

يصح هذا ان نحن نظرنا الى السياق وربطنا معنى القول بسابقه ، غير أن الأمر قد يشوبه الغموض ان فصل القول عن سياقه ،لأنّ "من" و "ما" في قوله تعالى :

أفرأيتم ما تحرثون . (آ 63 الواقعة 56)

أو في قوله :"سيقولون من يعيدنا " السالف الذكر قد تتحد مع الفعل إن دلت على الابهام ، فيكون ما بعدها صلة لها ، وتكون اذن هي وما يتبعها فـي وظيفة الموضوع باسطة أولية ، وبدلا من امكان استقلالية الجملـة لتكون قولا مستقلا استفهاميا : من يعيدنا ؟ تتحول الى صيغـة الاثبات وعندها يصبح القول مبتورا لاحتياجه الى سياق يبيّنه .

ان ما تجدر ملاحظته هنا هو الموازاة بين الأسماء والجميلات فـي علاقاتها حيث ان النواة الاخبارية للقول يمكن أن تكون لها علاقـات متنوّعة بمخيبر هو نواة للجميلة المتعلقة ، تذكّرنا في أكثر من حـال بعلاقات الأفعال بالأسماء . ففي قوله تعالى :

أنا آتيك به قبل أن تقوم . (آ 39 النمل 27)

تحدث علاقة بين النواة "آتيك " من الجزء الأساسي من القول والنواة " تقوم" في الجميلة المتعلقة وتوسم هذه العلاقة :"قبل أن " المماثلة للتي توسمها "قبل " في قوله تعالى :

وان من أهل الكتاب الاّ ليؤمننّ به قبل موته .(آ 159 النساء 04)

فالعلاقة توجد بين النواة "ليؤمننّ " والنواة الثانية " موت " في " موته ". انه يمكننا في الحالتين المذكورتين أن نتحدث عن وظيفة ظرفيـة زمانية ، وقد سبق أن تحدثنا في باب الباسطات عن ضربين مختلفين مـن الباسطات : باسطات بسائط من نوع : ولو أرادوا الخروج وباسطـات مركبة نواتها نسق فعلي حوله تتألف وحدات أخرى بعدد يطول ويقصر مثل :

أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا . (آ 144 النساء 04)

أو : لمن أراد أن يذكر . (آ 62 الفرقان 25)

الا أن المهمّ في كل هذا هو أن الذي يصدق على النسق قليل الوحدات والنسق متعدد الوحدات من حيث الوظيفة هو تماما ذلك الذي يصدق على الوحدة الاسمية الواردة بعد الفعل الأساس في القول ، فهذه الباسطات مهما تنوّعت فهي كلها في وظيفة الموضوع .

ان جميلات الاستفهام تتعدد بتعدّد قرائن الجمل الاستفهامية ، ونحن نريد أن ننبّه هنا الى أن القرينة الاستفهامية الواحدة قد تتعدد معانيها مثال ذلك القرينة "أنّى" في قوله تعالى :

فأتوا حرثكم أنّى شئتم . (آ ـ 223 البقرة 02)

فهي بالاضافة الى الاستفهام تدل عند بعضهم على الكيفية وعند البعض الآخر على الجهة والمكان .

(9) ـ **الجميلة التبيينية :**

هي جميلة تقع بعد المعلق "أن" لتبيان حقيقة الجزء الأساس السابق لها من القول مثل :

وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين . (آ ـ 125 البقرة 02)

واذا اعتبرناها جميلة وليس جملة ـ كما هو وارد عند النحاة القدامى والتابعين لهم ـ لما في ثواتها من مؤشرات تدل على الارتباط العضوي بينها وبين الجزء الأساس من القول . ففي المثال السابق تظهر علامة التثنية في سند الفعل المخبر ، وهذه التثنية هي مرجع الاسمين السابقين في الجزء الأساس : ابراهيم واسماعيل . وبالاضافة الى هذا الارتباط العضوي الشكلي .. .. المخبر "عهدنا" يتضح ببقية القول : "طهّرا بيتي للطائفين" .

ومن هذا الضرب من التركيب نذكر مثالا آخر :

وانطلق الملأ منهم أن امشوا . (آ ـ 6 ص 38) .

يقترب من هذا المثال ولكن أكثر منه وضوحا من حيث المعنى لما فيه من الاشارة الى العدل في الجزء الأساس من القول ولما فيه من نهي عن الطغيان في الوزن في الجميلة المفسرة قوله تعالى :

ووضع الميزان ألّا تطغوا في الميزان . (آ 7-8 الرحمان 55)

فالرابط الدلالي الجميل يعززه الرابط اللفظي الحسّي المتكرّر : (الميزان) في ناظرنا رابط شكلي مغاير لسابقه في المثال الأول ، أما الأمثلة الأخرى فهي : اما أن يتقدم فيها الضمير الاسم الصريح ، فيجلي الثاني الأول مثل :

وناديناه أن يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا . (آ 104 الصافات 37)

يتناسب الضميران فتتلاءم أجزاء القول مثل :

فأوحينا اليه أن أصنع الفلك . (آ 27 المؤمنون 23)

الجميلات التعليلية :

اذا كانت الجميلات التفسيرية في القرآن الكريم لاتعرف الا معلقا واحدا فان الجميلات التعليلية تدرجها المعلقات التالية : أن ، كي ، اللام التعليلية ، حتى وكما ؛ وابدأ بالأمثلة بالنسبة لـ "أن" :

ألم ترالى الذى حاجّ ابراهيم في ربه أن أتاه الله الملك .
(آ 258 البقرة 02)

و: يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم . (آ 01 الممتحنة 60)

بالنسبة لـ "كي" نذكر :

وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيرا . (آ 33 طه 20)

معنى "كي" هنا هو العلة والغرض وانظر كذلك الى قوله تعالى :

فرددناه الى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن . (آ 13 القصص 28)

وأما اللام المكسورة فمثالها :

فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية . (آ 42 يونس 10)

وأما حتى فنذكر منها هذين المثالين :

ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم . (آ 31 محمد 33)

وقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله . (آ 9 الحجرات 49)

يبقى المعلق "كما" ومثاله هو :

واذكروه كما هداكم . (آ 198 البقرة 02)

غير أن هذا المعلق "كما" يتميز عن بقية المعلقات التعليلية بكونه يتصدر القول مع الجميلة التي يدرجها وذلك مثل ما ورد في قوله سبحانه :

كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ... فاذكروني أذكركم .

هذا الرأي يورده الأخفش في كتابه معاني القرآن . (ج 1، ص : 344)

والمعنى يكون : لأجل أن أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني .

(4) — الجميلات الظرفية :

تنقسم الجميلات الظرفية الى قسمين قسم يتعلق بالزمان وهو الأكثر عددا وقسم يتعلق بالمكان . والجميلات الدالة على الزمان تدرجها إما : المعلقات الدالة على الزمان وهي : حين ولما ويوم إذ . وإما الانساق الدالة على الزمان وهي : قبل أن وبعد أن وبعد إذ وبعدما ، وكلها تدل على الظرفية الزمانية المحددة بخلاف الكلمات المعلقات فانها تدل على الزمان المبهم مثل ما سيتبين في الأمثلة التالية :

أ — الزمن المبهم : ومثاله :

وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا . (آ 10 المائدة 05)

وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا . (آ 59 الكهف 18)

واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم . (آ_163 الاعراف 07)

الذي نريد ملاحظته بالنسبة لهذا المعلق هو أنه في تصريف النحاة " ظرف " لما مضى من الدهر وقد استوجب تأويل معنى الفعل " يعدون " والفعل " يأتيهم " في صيغة يفعل بصيغة فعل فيكون المعنى في اعتبارهم " اذ عدوا " واذ أتتهم (أنظر مثلا الطبري ، م 3 ، الجزء 9 ، ص: 43).

والمسألة ليست متعلقة بصيغة المخبر وحده الوارد بعد " إذ " ، وانما هي متعلقة أيضا بصيغة الفعل في الجزء الأساس من القول ، يتضح ذلك في قوله تعالى :

ولو ترى اذ وقفوا على النار . (آ_27 الأنعام 06)

" ففعل ترى مستقبل و " اذ " ظرف للماضي ، وانما كان كذلك لأن الشيء كائن وان لم يكن بعد ، وذلك عند الله قد كان لأن علمه به سابق وقضاءه به نافذ ، فهو كائن لا محالة "(1). وكان أولى بالنسبة لهذه الآية اعتبار التركيب كله من البداية : بأن نعتبر " لو " وما تضفيه على الفعل الوارد بعدها ، ففي هذه الحالة المذكورة يحال معنى " يفعل " الى " فعل " ويبقى أمر " إذ " غير واضح بالنسبة للمثال الأول لأن استبدال المستعمل بالمؤول لدينا مرفوض . وعليه حين نرجع الى استعمالات العرب ، نجد أن اذ تدل على " الحين " وهو زمن مبهم . وهكذا نستطيع أن نقبل دون تأويل الواقع كما ورد بمختلف تشكيلاته التي نضيف اليها هذا التركيب الوارد في قوله تعالى :

ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه .
(آ_61 يونس 10)

---

(1) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص: 207 .

وأخيرا نذكر المعلق "أيان" الذي لم يرد الا مرة واحدة في القرآن الكريم بمعنى الظرفية الزمانية ومثاله :

وما يشعرون أيان يبعثون . (آ21 النحل 16)

ويستعمل هذا المعلق موضع التفخيم والتعظيم .

ب - الزمن المحدد :

ان المعلقات الدالة على الزمن المحدد منها ما هو بسيط يأتي في شكل كلمة ومنها ما هو مركب يأتي في شكل نسق . ومثال الضرب الأول ينحصر في كلمة "يوم" التي تأتي في وظيفة المعلق تتصدر الجميلة الظرفية مثل :

ربّ اغفر لي ولوالديّ يوم يقوم الحساب . (آ41 ابراهيم 14)

ينفرد هذا المعلق بكونه يمكّن الجميلة الظرفية الزمانية من أن تتصدر القول كله مثال ذلك :

يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفس ايمانها لم تكن آمنت من قبل . (آ158 الأنعام 06)

أما أمثلة الضرب الثاني من المعلقات فهو يتكوّن من كلمة "قبل" أو "بعد" ملتحمة بكلمة "إذ" أو "أن" أو "ما" اذ أن قبل وبعد لا تأتلف مع الفصل ثم انّ "إذ" و"أن" و"ما" لها معاني أخرى في حال ائتلافهما مع الفعل . وأمثلة هي المعلقات والجميلات التي تدرجها هي :

آمنتم به قبل أن آذن لكم . (آ90 الأنعام 06)

ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . (آ71 الأنعام 06)

ورد المعلق "بعد أن" مرة واحدة في القرآن الكريم ومثاله :

وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . (آ57 الأنبياء 21)

وكذلك الشأن بالنسبة لـ : "بعدما" ومثاله :

يجادلونك في الحق بعد ما تبيّن . (آ06 الأنفال 08)

وأما المعلقات الظرفية المكانية فلا يوجد منها الا اثنتان هما : حيث وأينما ، ولا وجود لـ " أين " في القرآن الكريم الا كظرف يستفهم به على الموضع الذى حل به الشيء . وأمثلة حيث هي :

ولا يفلح الساحر حيث أتى . (آ ـ 69 طه 20)

و : الله أعلم حيث يجعل رسالته . (آ ـ 124 الأنعام 6)

فيحث تدرج كما هو واضح في المثالين السابقين جميلة فعلية فقط ، إما بصيغة "فعل" وإما بصيغة "يفعل" . وأما "أينما" فهي قرينة شرطية خاصة بالمكان وأمثلتها هي :

ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا . (آ ـ 112 آل عمران 3)

وجعلني مباركا أينما كنت . (آ ـ 19 لقمان 31)

وأينما تولوا فثم وجه الله . (آ ـ 115 البقرة 02)

وهو معكم أينما كنتم . (آ ـ 57 النساء 04)

فالأمثلة تبين أن هذه القرينة قد تتصدر القول كما قد تتوسط الجملة والجملة وأن الفعل بعدها قد يرد على صيغة فعل أولا على صيغة يفعل .

(5) ـ الجملة التشبيهية :

من المعروف أن التشبيه بالأداة المضيفة يكثر مع الأسماء المدرجة ويكثر أيضا في الأقوال الاسمية مثل : "فهي كالحجارة" (آ ـ 74 البقرة 02) أو : " والذين كفروا أعمالكم كسراب بقيعة" (آ ـ 39 النور 40) ، أو : "كظلمات في بحر لجيّ " أو مثل الفريقين كالأعمى والأصم (آ ـ 24 هود 11) أو : " مثل نوره كمشكاة " (آ ـ 35 النور 24) . كما يكثر التشبيه في الأقوال الفعلية في وظائف غير أولية ، مثل : خلق الانسان من صلصال كالفخار ، (آ ـ 41 الرحمان 55) . وفي هذه

الحالات كلها يبقى المضيف واحد مهما تغيرت الوظيفة ، الا أنه في حالة الجميلات المتعلقة التشبيهية يتنوع المعلق فهو أحيانا المعلق " كما " وأحيانا أخرى : كأن أو كأنما ، وهذه هي الأمثلة :

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرّة . (آ 94 الأنعام 06)

ثم : مرّ كأن لم يدعنا الى ضرّ مسّه . (آ 12 يونس 10)

وكذلك : يجادلونك في الحق بعد ما تبيّن كأنما يساقون الى الموت . (6 الأنفال 8)

والملاحظ في المثالين الأخيرين أن كأن لا تأتلف مع الفعل مطلقا ماضيا أو مضارعا الا أن تكون متبوعة ب " لم " وأن " كأنما " نسق لا يقبل التجزأة .

(6) — **الجميلة الغائية :**

هي جميلة يدرجها المعلق " حتى " الدال على انتهاء الغاية ، أو المعلق " ف " مثل ما سيأتي في المثال بعد قليل . فبالنسبة ل " حتى " ورد في قوله تعالى :

وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض . (آ 187 البقرة 02)

ومثال : " و " هو :

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة .
(آ 62 الحج 22)

والذى يدعم هذا الرأي في استعمال " ف " ليس هو المعنى وحده وانما الشكل أيضا والعلاقة التركيبية ، فلا توافق في صيغة فعلي الجملة الأساس والجميلة المتعلقة ، وقد تساءل الزمخشري في " الكشاف " عن الغرض من اختلاف الصيغتين فقال : " هلّا قيل فأصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع ؟ " ثم يجيب قائلا : " قلت لنكة فيه وهي افادة بقاء أثر

المطر زمانا بعد زمان"[1] وتصبح هنا لم ترد على حقيقتها أى تصبح من ايلامة المطر وانما هي بمعنى تصير . ومن ينظر في البرهان في علوم القرآن تبين له أن الزركشي يحمل هذا الأمر محملا آخر اذ أنه يقول على لسان ابن مالك : "أن الفاء للمهلة ثم يذكر رأي ابن الحاجب في كونها للتعقيب ثم يقول : والمضارع بمعنى الماضي ، يصح عطفه على الماضي "[2]، وتبقى مسألة رفع فعل الجميلة : تصبح محل أخذ ورد أيضا بين العلماء ، فأبو حيان يسرد : "وقال بعض شراح الكتاب فتصبح لا يمكن نصبه لأن الكلام واجب . . . وقال الفراء : ألم تر : خبر (بمعنى أنظر وانتبه) . . . ولو جعلته استفهاما وجعلت الفاء شرطا لنصبت "[3]. والزمخشري يقول : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار . . .[4]

ينفرد المعلق حتى بكونه يأتلف مع "اذا " جميلة أو جميلتي الشرط وجوابه ، فمثال الجميلة (الجميلة) الظرفية المحضة قوله تعالى :

ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم . (آ_152 آل عمران 3)

والحق ان هذه الآية تحتوي على ظرفين : الأول المتمثل في المعلق "اذ " الذي يدرج الجميلة الظرفية " تحسونهم باذنه " . أما الظرف الثاني : " اذا " الدال على الحين والوقت والمدرج للجميلة الظرفية " فشلتم " ويكون المعنى : لقد صدقكم الله وعده الى حين أو وقت فشلكم (انظر تفسير الزمخشري ج 1 ، ص : 470) . وبهذا الوجه الذي يتركب فيه المعلق : " حتى " ب "اذا "

---

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 3 ، ص : 21 .
(2) الزركشي : البرهان ، ج 4 ، ص : 296 .
(3) أبو حيان : البحر المحيط ، ج 6 ، ص : 386 .
(4) نفس المرجع 1 .

في معنييهما نقول ان الجملة التي ذكرنا غائية ظرفية . وأما جملتي الشرط وجوابه ففي قوله تعالى :

وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها .
(آ ــ 71 الزمر 39)

فاننا نقول أنهما غائيتان شرطيتان . والحق أن هذا الضرب من المعلقات المركبة يجب معالجته بكل حذر ، ذلك لأنه يصحب الوقوف عند تحديد ما يضيفه أحد جزأي المعلق المركب مثل ما هو الحال في المعلق المركب " لكي " فاللام : معلق للتعليل وكذلك الشأن بالنسبة لـ " كي " . أما اذا اجتمعا كما ورد في قوله تعالى :

فأثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم . (آ ــ 153 آل عمران 03)

فملاحظة : ان هذا المعلق المركب لا يأتي في القرآن الكريم الا مع النفي وقد ورد ذكره سبع مرات انه ليس من حقنا أن نقول انه للتأكيد ، وقد نظرنا في بعض كتب التفسير فوجدنا أن معنى " لكي " في هذه الآية هو : لئلا ــ ومن أجل أن ، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول : ان المعلق " كي " له وجه آخر هو : لكي .

ان المعلقات المركبة الأخرى هي : من قبل أن وبعد أن وبعد اذ ومن حيث ، فلو قلنا في بعد اذ انها مجزأة لقلنا ان اذ تدل على ظرف الزمان الماضي وأن بعد ظرف زمان تدل على تأخر شيء عن شيء في زمانه أو مكانه ، ولكن اضافة "بعد" الى "اذ" تبرز الفصل بين حدثي الجملة الظرفية والجملة الأساس ، ويظهر ذلك في الآية الكريمة التالية :

ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله . (آ ــ 71 الأنعام 06)

الملاحظ في الجملة الظرفية أن الفعل فيها يأتي على صيغة فعل الماضي .

وأما المعلق المركب من قبل أن فالظرفية هي سمته مضاف اليها تحديد ابتداء الظرفية التي تجسده " من " ... " أن " فهي الجزء الضروري الذي

به يدرج الفعل . اننا لم نجزّأ من أجل التجزأة ولا نعتقد أن هذا هو الحل بل اننا نعتبر أن : " من قبل أن " هو كل مركب الأجزاء ، ووظيفته تعليق ضرب خاص من الجملات الظرفية المحددة لأحداث الجملة الأساس والجملة التابعة لها . ومثال ذلك هو قوله تعالى :

انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب . (آ 51 نوح 71) .

والذى قلنا على من "قبل أن " ينطبق تماما على " من بعد أن" غير أن الفارق بينهما هو الظرفية السابقة والظرفية اللاحقة . ومثال " من بعد أن " هو :

وهو الذى كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم . (آ 24 الفتح 48)

أما صيغة الفعل الوارد بعد هذين المعلقين المركبين فهي يفعل غير المنقطع بعدها خاصة بعد "قبل أن " وهي صيغة فعل المنقطع وصيغة يفعل غير المنقطع تليان : " من بعد أن " وفقا لما يقتضيه معنى القول ، وقد قدمنا مثالا لصيغة المنقطع وما هو مثال صيغة غير المنقطع في قوله تعالى :

وكم من ملك في السماوات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله . (آ 26 النجم 53)

وشبيه بالمعلق " من بعد أن " المعلق : " من بعدما " الذى يدرج جملة ظرفية ، الا أن المعلق من بعدما ، لم يرد في القرآن الكريم الا وتلته صيغة فعل المنقطع ومثاله :

وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون . (آ 152 آل عمران 03)

هذا وقد يرد في الآية الواحدة أكثر من معلق مركب مثل :

قالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا . (آ 129 الأعراف 07)

ومعلوم أن النحو التقليدي ينظر الى هذا المعلق المركب على أنه أجزاء مستقلة تماما يعتبر فيها أولا : الاعراب ثم التأويل ، ففي " من بعد ما " مثلا يقال : " من جار وبعد مجرور يتعلقان بالفعل السابق وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لـ " بعد " .

أن العلاقة النحوية يمكن أن تدرك من جانبين : - جانب الصف - وجانب التنظيم الدلالي - وفي الصف تظهر العلاقة النحوية كعلاقة تنظيم تدريجيّ . ومن وجهة النظر هذه فان كل الباسطات من نفس الرتبة متشابهة ، ففي قوله تعالى :

نكلوا منها حيث شئتم رغدا . (آ- 58 البقرة 02)

ثم : وكلا منها رغدا حيث شئتما . (آ- 35 البقرة 02)

وكذلك : ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما . (آ- 19 الاعراف 7)

فـ : " حيث شئتم " و " رغدا " هما باسطتان من نفس الرتبة ، لا يجعلهما ساتخضعان الى التدرّج الا براعة الأسلوب، ثم اجراءات العرض الكتابي . وبالمقابل وبالنظر الى التنظيم الدلالي فان اختلاف معاني هذه الوظيفيات والملحقات والوظائف هو الذي يجعلها تتوافق في نفس القول دون اللجوء الى العطف ، وبهذا فان وظيفة هذه التركيبات واتجاهها الترابطي لا تتبدل التجزأة .. (عن ف . فرانسوا : الاكتفاء الوظيفي ، ص : 11) .

اننا لم نلجأ الى هذا التحديد من قبل في ما يخص المضيفات ، واعتبرنا كما يعتبر الوظيفيون أن الجانب المعمول به هو الجانب الأول ، وأنه قد تمّ تحليل الأقوال وفقه ، فحللنا الكيفيات على أساسه ، وعلى أساسه تحلل الأقوال التي توجد فيها الجميلات باعتبارها أيضا طريقة في البسط ، نحو جملة : " من بعد ما رأوا الآيات " انما أدرجت في هذا الموضع بالذات لغرض أسلوبي محض ولتؤكد معنى معيّنا ، وليس موضعها هنا ضرورة من ضرورات

التركيب . وبما أننا لم نعتبر الكشفيات ذات وظيفة واحدة فانه من الأجدر بنا أن لا نعتبر الجميلات ذات وظيفة واحدة أيضا ، ذلك أن الجميلات تخضع لترتيب محكم ، فالجميلة المتعلقة بالسند تأتي في الدرجة الثانية ، والجميلة المتعلقة بالمخبر ترد في الدرجة الأولى والجميلة المتعلقة بواسطة المخبر توضع في الدرجة الثالثة وهكذا دواليك ، ذلك لأن الجميلة حالها حال الباسطة تماما . وللتذكير نقول ان القول اسميا كان أو فعليا ، فانه يتألف أساسا وفي المطلق من وحدتين ، كل ما سواهما يعد بسطا ، سواء تم ذلك البسط مباشرة أو بواسطة ، والواسطات ثلاثة كما بينا في ما سبق : وظيفي وموصل ومعلق .

نركز في الأمثلة التالية على علاقة الجميلات بالوحدات الأساسية ذلك أن الباسطات والجميلات لا تضاف بكل بساطة الى الوحدات الأساسية من القول وانما تضم اليها بطريقة فيها تدرج ، وأن الوحدة الملحقة أو الجميلة الملحقة لتتعلق بوحدة سابقة الوجود تقوم بدور العنصر المهيمن في التأليف بحيث يؤدي اسقاط العنصر الرئيس الى اسقاط العنصر أو العناصر الملحقة به بسيطة كانت أو مركبة من أكثر من وحدة ، فلو أسقطنا ، وحدة " ماء " في قوله تعالى :

انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . (آـ24 يونس 10)

سقطت بالضرورة جميلة "أنزلنا من السماء" ، وكذلك الشأن بالنسبة لجميلة : " ظلموا أنفسهم " المتعلقة بكلمة : "قوم" والتي تدخل في علاقة كلمة "حرث" في قوله عز وجلّ :

مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم . (آـ117 آل عمران 03)

فلو حاولنا أن نبرز العلاقات في هذا القول لكان الرسم كالتالي : مثل ← ما ينفقون ← كمثل ← ريح وهو القول الأدنى ، ثم بكلمات " ريح "

يتعلق القول ← (فيهما ← صو) كذلك يتعلق بكلمة ريح القول : (أصابت ←) ← حرث ← قوم ، وبكلمة قوم يتعلق " القول : ظلموا ← أنفسهم .

فالبسط بهذه الطريقة هو الوسيلة المثلى في التدرج اللساني ، وانه بدونه أما أن يؤول كل قول الى نواته الأساسية واما أن يحصل فيه بتر يفسد مبناه ومعناه ، لننظر في المثالين التاليين :
1 ـ مثل ما ينفقون كمثل ريح . بالنسبة للمثال المذكور أعلاه
ـ 2 ـ وأولات الأحمال أجلهن ... وهو قول مبتور بالنظر الى قوله تعالى :

وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . (آـ 04 الطلاق 65)

المسألة العاشرة :

قرائن الجمل

1 ـ مدخل الى قرائن الجمل
2 ـ الأمر بالقرينة
3 ـ قرائن النفي
4 ـ قرائن الاستفهام
5 ـ قرائن التوكيد
6 ـ قرينة النهي
7 ـ قرينة الترجي
8 ـ قرائن التّمنّي
9 ـ قرائن العرض والتخصيص .

1 ـ مدخل الى قرائن الجمل :

تحدثنا حتى الآن عن القول الأدنى ثم عن البسط وأنواعه في إطار توسيع القول ، ثم تحدثنا عن الجميلة باعتبارها جزء من القول حين يتوسع فيه ، ولم نتحدث عن الجملة قط ، لأننا فضلنا التركيز على الكيفية التي ينتظم بها كل عنصر في القول طال القول أو قصر ، بمعنى أننا ألححنا على وظيفة كل عنصر بالنسبة لمجموع العناصر الأخرى المكونة للقول ، ولم نعبأ بأشكال العناصر ، لأن الأهم هو تحديد العلاقة التركيبية لعنصر ما ببقية القول ، ومعلوم أننا توخينا التدرج في عرضنا لتيسير تقديم العلاقات التركيبية ، وانه بعد هذا يمكننا أن ندرج مفهوم الجملة . فالجملة عند الوظيفيين ، هي قول تتعلق كل العناصر فيه بمخبر فريد ، أو بمجموعة من المخبرات المتعاطفة . انه من الممكن أن نتحدث عن بنية أو عن بناء أو عن مجموعة من العلاقات بين الوحدات اللسانية ، وان الوظيفة التركيبية لعنصر ما تتحدد بالنظر الى الدور الذي يقوم به هذا العنصر في البناء مهما كان شكله ومبناه ، وعليه فان الذي يحظى بالأولوية هو تنظيم العلاقات التضمينية ، وهو أيضا البناء اللساني الملفوظ بالفعل وليس البناء المنطقي الملحوظ بالذهن كما هو بين عند " تشومسكي " ـ اليوم ـ في مفهوم البنية التحتية أو العميقة ، وكما هو واضح ـ عند القدماء ـ من عرب وغيرهم ، في التقدير الذي هو محض افتراض ، أو التعليل أو العامل الذي لا مبرر له في واقع اللسان البشري .

فالخصائص الأساسية التي تجعل من الجملة الوسيلة اللسانية المثلى للتبليغ هي أنها مجموعة منظمة حول عنصر مركزي فعلا كان أو اسما ، وأنها مجموعة مستقلة ومحدودة . بعد هذا التعريف للجملة نعود الى القول ونتساءل قائلين : هل القول هو الجملة ، والرد الدقيق يلزمنا التذكير بأن القول ضروب أن منه ما يمكن أن يكوّن كلاً لسانيا لا يحتاج الى غيره للدلالة على معنى ما ،

وفي هذه الحالة نقول أن الجملة تنعكس في القول وتتساوى معه ، ومنه ما يحتاج الى مقام أو الى عناصر غير لسانية حتى ينجلي ما يحمل القول من خبر أو معنى ، وفي هذه الحالة الثانية نقول أن القول ليس بجملة .

اننا حاولنا قدر الامكان ، وخاصة في بداية البحث أن نحلل الأقوال المثبتة ، لأننا اعتبرنا أن القول المثبت هو المنطلق من الناحية التركيبية ، ذلك أنه عندما يقارن بالقول المنفي مثلا أو القول المؤكد أو القول الاستفهامي وغيرها من الأقوال الأخرى التي ذكرنا ، هو أننا غالبا ما نضيف وحدات الى القول المثبت وفقا لما يقتضيه معنى القول الذي نريد ، وهذه الوحدات يمكن أن نسميها قرائن الجمل - هذه هي الصورة العامة المبسطة - ووصف الواقع يدعو الى جملة من التحديدات نذكرها في ما يلي قبل أن نقف عند تقسيمات الجمل . تتعلق هذه التحديدات بمفهوم القرينة ، فالقرينة عند الوظيفيين هي أحد نقاط الالتقاء الأساسية بين علم المعاني وبين علم التراكيب ، وهي كما يقول "جاك لنقران" : "أحد الأدوات الكبرى لتقليص الصنف من الواقع المدرك اجتماعيا في تعبيره اللساني ... وتساهم القرينة في الحقيقة بقيمتها المعنوية في تجاوز هذا التقليص بالاشارة الى تقارب ما والى وضع علاقة غير تركيبية ، في حين أن ما تتضمنه وظيفيا يمنح في الوقت ذاته الوحدات اللسانية شكلها ومدارجها في السياق التركيبي "(1) . ان هذا يبين أن دور القرينة غير مقيد بتحقيق المعنى وأنه الكشوة ورودها في مدرج الكلام يضفي عليها قيمة تصنيفية أساسية .

ان الجمل الدالة على الاثبات تنقسم حسب نوع نواتها الاخبارية الى جمل اسمية وجمل فعلية ، وأن نحن نظرنا الى ما يدخل عليها من قرائن وجدنا

---

(1) جاك لنقران : الاصناف النحوية والقرائن في "اللسانيات" ج 2 ، ص : 21 ، سنة 79 .

بالنسبة للجمل الخبرية ، جمل النفي وجمل التوكيد وجمل الحال ، أما بالنسبة للجمل الانشائية نذكر جمل الاستفهام وجمل الأمر وجمل النهي وجمل العرض وجمل التخصيص وجمل التمني وجمل التدرج وجمل النداء ثم جمل الشرط ثم جمل الاستغاثة والتعجب والقسم .

قبل أن نشرع في تفصيل هذا الذي قدمنا ، نود أن نلفت النظر الى أن الأمر يرد بكيفيات مختلفة ، منها ورود الأمر بالصيغة وهو كثير جدا مثل :

أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . (آ 31 البقرة 02)

أو: فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن . (آ 260 البقرة 02)

ومنها ما يرد بلفظ الخبر ، إما في جملة فعلية كقوله تعالى :

ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها . (آ 58 النساء 04)

أومثل: كتب عليكم الصيام . (آ 183 البقرة 02)

وكذلك : والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء . (آ 228 البقرة 02)

وإما في جملة اسمية مثل قوله تعالى :

فكفارته اطعام عشرة مساكين . (آ 89 المائدة 05)

أو : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . (آ 97 آل عمران 03)

2 — الأمر بالقرينة .

من الكيفيات التي يرد بها الأمر والتي تدخل في مجال القرائن الذي قدمنا له : الأمر بالقرينة وقرينة الأمر هي اللام ، تدخل على جملة الاثبات الفعلية في صيغة يفعل ، وهي خاصة بالغائب فيتغير معناها تماما مثل ذلك :

لينفق ذو سعة من سعته . (آ 07 الطلاق 65)

أو : ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم . (آ 85 النور 24)

وأيضا في الجملة غير الفعلية قوله تعالى :

وبالوالدين احسانا . (آ 83 البقرة 02)

والأمر ينحصر هنا في المصدر ، وتبقى طريقة أخرى يرد بها الأمر ، يسميها سيبويه الأحرف التي للأمر والنهي ، وهي ليست بأفعال مثل : ها وهلم وهيت . ومثال الأول :

هاؤم اقرأوا كتابيه - بمعنى خذوا . (آ 19 الحاقة 69)

أما الثاني فمثاله :

والقائلين لاخوانهم هلم الينا - بمعنى أقبلوا . (آ 18 الأحزاب 33)

والثالث هو : هيت ، بمعنى تعال وهلم ومثاله :

وقالت هيت لك . (آ 23 يوسف 12)

والحق ان المسألة ليست متعلقة بحروف بأتم معنى الكلمة ، ذلك أن منها ما يمكن أن نطلق عليه تعابير جامدة مثل هلم وهيت لك وهاتوا وهاؤم التي لم ترد الا على شكل واحد فلم تتآلف مع الضمائر ، وأما تعال فوردت في القرآن الكريم على وجهين : مع جمع الذكور ومع جمع الاناث في المثالين التاليين :

فقل تعالوا ندع أبناءنا . (آ 61 آل عمران 03)

وفي : تعالين أمتعكن . (آ 28 الأحزاب 33)

3 - القرائن النفي :

ان القرائن التي تنفي الجمل ثلاثة أنواع : نوع تشترك فيه الجمل الاسمية والجمل الفعلية على السواء ، ونوع خاص بالجمل الاسمية ونوع لا يدخل الا على الجمل الفعلية . فالقرائن المشتركة بين الجمل الاسمية والجمل الفعلية هي : ما ولا وان وهل ولم ولن .

قرينة النفي ما :

ولنبدأ بـ " ما " بالنسبة للجمل الفعلية . لقد تبيّن لنا بعد الاستقراء أن " ما " تدخل على الجمل ذات الفعل الوارد في صيغة فعل وفي صيغة يفعل ومثال الأول :

فما رميت اذ رميت . (آ 17 الأنفال 08)

أو : فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا . (آ 72 الكهف 18)

أما الأمثال الواردة في صيغة يفعل فمنها مع تقدم السند مثل :

وما اللّه يريد ظلما للعباد . (آ 108 آل عمران 3)

وفي الموضع العادي : المتواتر لوحدتي المخبر الفعلي والسند نذكر هذه الأمثلة :

فما تنفعهم شفاعة الشافعين . (آ 43 المدثر 74)

أو : ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم . (آ 105 البقرة 02)

ومن الفعل غير تام التصريف أو الجامد الذي ورد في صورتين : أحداهما بسيطة والأخرى مركبة نذكر :

وما ينبغي لهم وما يستطيعون . (آ 211 الشعراء 26)

ثم : ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء . (آ 18 الفرقان 25)

كان هذا بالنسبة للجملة الفعلية عموما ، لكن مع الفعل " استوى " خاصة نذكر هذه التراكيب الطريفة في مجال استعمالات " ما " كقرينة نفي ، فالفعل استوى ينكشف معنى السند فيه فيكون اما مفردا متعدد الأجزاء ، والتسوية تكون بين أجزائه ومثاله :

وما يستوي البحران . (آ 12 فاطر 35)

وإما يتعدد السند بالشيء ونقيضه وينجم عن هذا تركيبان : تركيب يتم فيه العطف بالواو فقط مثل :

وما يستوي الأعمى والبصير . (آ 19 فاطر 35)

وتركيب تضاف الى العطف فيه قرينة نفي أخرى هي لا وفقا لهذه النماذج في الأمثلة التالية :

1 ـ وما يستوي الأحياء ولا الأموات . (آـ22 فاطر 35)

2 ـ وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور . (آـ21 فاطر 35)

3 ـ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء .
(آـ58 غافر 40)

الملاحظ أن قرينة النفي " ما " لا يتكرر ذكرها مع العطف ، انما يؤتى بقرينة النفي " لا " عند العطف في حالة الجمع مثل : ما يستوي الأحياء ولا الأموات ، واذا كان التساوي بين شيئين متميزين معطوف أحدهما عن الآخر فانّ عطف شيئين آخرين قد يتكوّر فيه النفي بـ " لا " مع كل منهما ، مثال : ولا الظلمات ولا النور بعد الأعمى والبصير . وقد يتكور النفي مع الجزء الأخير فقط مثل : وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا . . . ولا المسيء .

هذا وان القرينة الجملية " ما " قد تكون جزءا من دال مستقطع لتعميم النفي واستغراقه بحيث لا يبقى مجال للشك في الذى وقع نفيه ، وهذا الدال المقتطع هو " ما . . . من " ومثاله :

ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت . (آـ 03 الملك 67)

و : ما آتيناهم من كتب يدرسونها . (آـ 44 سبأ 34)

كما أن " ما " قد تكوّن مع " حتى " الغائية دالا مستقلا ، وكذلك الشأن مع " الا " القصرية وأمثلتهما على التوالي هي :

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب .

(آـ179 آل عمران 3)

ثم : وما تسقط من ورقة الا يعلمها . (آـ59 الأنعام 06)

ومن طريف ما ورد في تعدد أجزاء الدال المتقطع في القرآن الكريم هذا المثال :
" ما . . . من . . . حتى . . . "

وما يعلّمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة . (آ. 102 البقرة 2)

وان نحن أردنا أن نبرهن على أن " ما . . . من " دال واحد ولكنه متقطع وليسا دالين منعزلين لكل واحد منهما وظيفة مستقلة ، عدنا الى التراكيب التي وردت فيها ما من وأسقطنا منها " ما " مثل : ترى في خلق الرحمان من تفاوت أو : يعلمان من أحد . . .

فان التراكيب لا تستقيم بهذه الكيفية ، والصحيح هو اما أن يكونا معا أو يسقطا معا أو تكون ما وحدها وهذا أمر قد تمّ فيه النظر .

قلنا ان " ما " قرينة مشتركة تنفي الجمل الفعلية كما تنفي الجمل الاسمية وقد بينا خصائص نفي الجمل الفعلية ، فلننظر الآن خصائص نفي الجمل الاسمية : الأمر العادي أن تدخل ما على المثبت من الأقوال الاسمية مثل : وما كنا ظالمين (آ. 209 الشعراء 26) أو : ما كنا في أصحاب السعير (آ 10 الملك 67) غير أن الأقوال المثبتة غير المدرجة في الزمان الماضي هي على وجه آخر ما عدا قولين في القرآن الكريم :

هما : ما هذا بشرا . (آ. 31 يوسف 12)

ثم : وما هن أمهاتهم . (آ. 02 المجادلة 58)

وهذا الوجه الذي عليه تراكيب الجمل المنفية يرجعه الفراء الى حقيقة الاستعمال ، وواقع اختلاف لغات العرب وكلها حجة ... يقول : في " ما هذا بشرا " : " نصبت (بشرا) لأن الباء قد استعملت فيه فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون الا بالباء (*) ، فلما حذفوها أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه ، فنصبوا على ذلك : ألا ترى أن كل ما في القرآن أتى بالباء الا هذا

(*) نحن سطرنا العبارة .

سولـه :(ماهن أمهاتهم) وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وغير الباء[*]، فاذا أسقطوها رفعوا . وهو أقوى الوجهين في العربية "[1] . نحن لا نعبأ بتحليل الاعراب الواضح المحتمل فيه (أحرؤا أن . . . . .) بقدر ما نلتفت الى وجوه الاستعمال ، وهي الأساس الذى به نقف على أسرار أسلوب النفي في القرآن الكريم . وعليه فالأمثلة التي سنقدمها تدل على أن قرينة النفي " ما " ترد في شكل دال متقطع هو : " ما . . . بـ .

ما أنا بطارد المؤمنين .	(آ 114 الشعراء 26)
وما هم بسكارى . .	(آ 02 الحج 22)
وما ربك بظلام للعبيد .	(آ 46 فصلت 41)

هذا ما يختص به القول الاسمي دون القول الفعلي ، أما/عدا ذلك فان " ما " مثل ما رأينا في الجمل الفعلية قد تقترن بـ " من " في : " ما . . . من " كما تقترن بـ " الا " في : " ما . . . الا " وأنها أيضا تقترن معهما في ذات الوقت في : " ما . . . من . . . الا " وهي كلها أدلة متقطعة اليك أمثلتها على التوالي في الآيات الكريمة التالية :

ما له في الآخرة من خلاق .	(آ 102 البقرة 02)
ثم : وما هي الا ذكرى للبشر .	(آ 31 المدثر 74)
وأخيرا : وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله .	(آ 102 البقرة 02)

4 ـ قرينة النفي " لا "

تمتاز هذه القرينة باستعمالات لا تعرفها " ما " منها أنها تتوسط جزأي الجملة الفعلية مثل :

هم لا يبصرون .	(آ 198 الأعراف 07)

(*) نحن سطرنا العبارة .

(1) الفراء : معاني القرآن ، ج 2 ، ص : 42 .

ومنها أنها تستكرر وأن اختلف ترتيب الوحدات في الجملتين الفعليتين مثل :

فمااستطاعوا توصية ولا الى أهلهم يرجعون . (آ. 50 يس 36)

وكذلك ان اختلف الفصل الثاني في معناه عن الفصل الأول مثل :

فلا صدّق ولا صلّى . (آ. 31 القيامة 75)

وان تفسي صيغة فعل بالقرينة "لا" وارد دون تكرار في قوله تعالى :

فلا اقتحم العقبة . (آ. 11 البلد 90)

ثم ان "لا" تأتي في دال متقطع مع "حتى" الغائية ومع "الا" الحصرية . وأمثلة ذلك على التوالي هي :

لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين . (آ. 60 الكهف 18)

و : لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط . (آ. 40 الأعراف 07)

ثم : لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها . (آ. 49 الكهف 18)

ان قرينة النفي "لا" تدخل على الجملة الاسمية أيضا ولها مميزات أهمها أنها تختص بضرب معين من الجمل التي لافعل فيها والتي أن نزعت منها ، لا نجد لها مثيلا في الاستعمال وبالتالي فانها لاتؤدي معنى ، وشكلها التركيبي اذن لاوجود له في الضروب التي ذكرناها في باب الأقوال الاسمية الدنيا ، مثل : نكرة + وظيفي + اسم معرفة أو نكرة + اسم معرفة وهذه الأمثلة لتوضيح ما ذكرنا :

لا ريب فيه . (آ. 02 البقرة 02)

لا إكراه في الدين . (آ. 256 البقرة 02)

ومع لا ... الا نذكر : لا إله الا هو . (آ. 255 البقرة 02)

ان المخبر في هذه الأقوال الاسمية المنفية كلها هو الاسم النكرة الذي يلي قرينة النفي والاسم المعرف المسبوق بالمضيف في : "أو" "ألا" هو المسند .

فقولنا : اكـراه في الدين لا وجود له وكذلك : الاه هو وأيضا تـثريب عليكم (من لا تثريب عليكم) وريـب فـيه . وهذا وجه من أستعمالـها ، ولها وجه آخر ان هي تكـررت مـثـل :

لا بيـع فيه ولا خلـة ولا شفاعـة . (آـ255 البـقرة 02)

و : لا لغـوفـيه ولا تأثـيم . (آـ 23 الطـور 52)

والطريـف في أستعمالات " لا " كقرينـة لنفي الجمل المشـابـة الاسميـة والفعلية في ورودها متنوعـة ، منها ما لا تختلـف مكوناتـه الا في التركيـب (اسمي ، فعلي) مـثل :

لا هن حلّ لهم ولا هم يحلون لهـنّ . (آـ10 الممتحنـة 37)

ومنها ما يظهر فيه الاختلاف على أشده (التركيب : أسمي فعلي والمعنى) مـثل :

لا فيها غـول ولا هم عنها ينزفون . (آـ47 الصافات 57)

و مـثل : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار . (40 يس 36)

بعدما عرفنا امكانيات ائتلاف القرينتـين " ما " و "لا " وخصائـص التراكيـب المتعلـقة بكل منهما نـنظر الآن في القرينتـين الأخريـين اللتين هما أقـل تواتـرا من القرينتـين السابقتـين .

ونبـدأ بـ " إن " واقترانها بالجمل الفعلية ، ان " ان " النافية قـد تدخل على الجمل الفعلية سواء أكان الفعل في صيغة " فعل " أم في صيغـة " يفعل " : فبالنسـبة لصيغة " فعل " نذكر الأمثلة التاليـة :

ولقد مكنّا هم فيما ان مكناكم فيـه . (آـ26 الأحقاف 46)

ثم ان . . من : ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده . (آـ41 فاطـر 35)

أما الجمل التي تحمل صيغة " يفعل " فـ " ان " تأتي فيها على وجهـين : وجـه بسيـط ووجـه مركـب يأتي في دال مـتقطـع ، أما البسيط فـقـد ورد في قولـه تعالى :

وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون . (آ_109 الأنبياء 21)

وأما المركب فيأتي في شكل دال مقتطع : "أن . . . الا " فقد ورد في قوله تعالى :

ان يقولون الا كذبا . (آ_05 الكهف 18)

أو : ان يدعون من دونه الا اناثا . (آ_117 النساء 04)

وفي هذا المجال نذكر هذا التركيب الذي لا يمكن تجريده من النفي القصري لأن البناء فيه ينعدم كما أن المعنى فيه ينعدم لعدم توفر الجملة المثبتة فيه وهو :

وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته . (آ_159 النساء 04)

فليس هذا التركيب كسابقيه يمكن تجردهما من قرينة النفي (في دالها المقتطع) : يقولون كذبا ويدعون من دونه اناثا _ يتغير المعنى ولكن لا يفسد _ أما : من أهل الكتاب ليؤمنن به قبل موته . . . .

وأما الجمل الاسمية المثبتة فلا يمكن ادخال قرينة النفي "إن " عليها الا وهي مصحوبة بـ "إلا " وبهذا تكون قرينة النفي القصري في الجمل الاسمية دالا مقتطعا : " إن . . . إلا " وأمثلتها هي :

ان هو الا نذير مبين . (آ_184 الاعراف 07)

ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم . (آ_02 المجادلة 58)

وعندنا في القرآن الكريم مثال بعكس وجها آخر في القصر مع النفي هو " لمّا " الذي يقول عنه الفراء : " انها لغة من هذيل يجعلون ألا مع "إن " المخففة : "لمّا " (معاني القرآن ج 3 ، ص : 254) :

ان كل نفس لمّا عليها حافظ . (آ_04 الطارق 86)

بقراءة عاصم وحمزة والنخعي بتشديد الميم ، وليس بقراءة ابن كثير وابن عمر ونافع الذين يخففون لما فيتغيّر معنى القول كله .

تمتاز "هل" كقرينة نفي عن قرائن النفي التي سبقتها بكونها لا تأتي في سياق نفي الا وهي مصحوبة بـ "إلاّ" القصرية وبالتالي فان "هل" النافية لا تأتي الا في دال متقطع سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية ، فمثال الجملة الفعلية :

هل ينظرون الا أن يأتيهم اللّه في ظلل من الغمام .(آ 210 البقرة 02)
انظر التفسير الكبير للامام الفخر الرازي . وكذلك :

هل ينظرون الا الساعة . (آ 66 الزخرف 29)

ومثال الجملة الاسمية :

فهل على الرّسل الا البلاغ . (آ 35 النحل 16)

و : هل جزاء الاحسان الاّ الاحسان . (آ 60 الرحمان 55)

وفي حالتي الجملة الفعلية والاسمية تدخل قرينة النفي : "هل . . . الا" على الجمل المثبتة (هم) ينظرون أن يأتيهم الله . وينظرون الساعة وجزاء الاحسان الاحسان وعلى الرسول البلاغ وهكذا . . .

أيضا من القرائن المشتركة بين الجمل الفعلية والجمل الاسمية : "لم" ففي الجمل الفعلية لاتدخل "لم" الا على الفعل في صيغة "يفعل" مثل :

لم يجعلني شقيّا . (آ 32 مريم 19)

أوفي : لم يلد ولم يولد . (آ 03 الاخلاص 112)

وهي بهذا تدل حدث الفعل غير المستقطع الى نفي الحدث في الماضي .

قبل النظر في أنواع الجمل الاسمية التي تدخل عليها قرينة النفي "لم" نريد أن ننبه الى أمر مهم جدا ، به يستقيم التحليل وعليه ترتكز نظرتنا للأمور : هذا الأمر كنا ذكرناه في تقسيمنا للأفعال من حيث أنها كلها حاملة للأخبار ومن حيث أن لها قرائن تختص بها ، وكان اعتمادنا على الركن الأول المميز (الاخباري) دون الثاني فاعتبرنا بالتالي أشباه أفعال

كل الوحدات التي يتوفر فيها الشرط الثاني دون الأول ، وقلنا ان " كان "
" يكون " قريدة زمانية تدرج المخبر في الزمان ، سواء أكان اسميا أم فعليا .
ففي وضعنا هذا مثلا نقول : ان " لم " في قوله تعالى :

فلم يكن ينفعهم ايمانهم . (آ 85 غافر 40)

دخلت على القريدة الزمانية فصفت بذلك المخبر الحقيقي "ينفعـ"هم مع
ادراجه في المستقطع من الأحداث . وكذلك الشأن بالنسبة لـ :

لم نك نطعم المسكين . (آ 44 المدثر 74)

ولمن يطلب المزيد تلفت نظره الى الآيتين 45 و 46 من السورة المذكورة
سابقا :

وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين .

بعد هذا التوضيح ننتقل الى الجملة الاسمية التي تدرجها القريدة "كان"
في الزمان الماضي ، وقد مثلنا لها بالآيتين الكريمتين : وامرأتي عاقر .
(آ 40 آل عمران 03)

و : كانت امرأتي عاقرا . (آ 05 مريم 19)

ونفي الجملة الاسمية المدرجة في الزمان الماضي يتم بأحد الوجهين التاليين :

- إما بالقريدة " ما " مثل :

ما كانت أمك بغيا . (آ 28 مريم 19)

- وإما بـ " لم " وهو ما أردنا أن نصل اليه مثل :

ولم أك بغيا . (آ 20 مريم 19)

ومثل : ولم أكن بدعائك رب شقيا . (آ 04 مريم 19)

و " أك " وجه آخر لـ " أكن " بعد " لم " ، والأمثلة كثيرة في هذا الباب :
" لم نك من المصلين " (آ 43 المدثر 74) ، ولم يكن له ولي من الذل .
(آ 111 الاسراء 17) ومنها أيضا قوله تعالى : " لم يكن الذين كفروا من
أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . (آ 01 البينة 98)

ان آخر قرينة مشتركة بين الجمل الفعلية والجمل الاسمية هي "لـن" : انها تنفي خاصة الجمل الفعلية التي يكون الفعل فيها على صيغة "يفعل"، وتأتي بالتالي لنفي المستقبل ، وهي آكد من "لا" وهي نقيضة السين وسوف في الاثبات ، ومثالها بالنظر الى القرينة "لا" هو :

لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين . (آ 60 الكهف 18)

و : لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي . (آ 80 يوسف 12)

ومن خواصها كما يقول الزركشي في البرهان أنها تنفي ما قرب ، ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معناها ، وقد جاء في قوله تعالى : ولا يتمنوه أبدا بحرف "لا" ... وقال في البقرة : ولن يتمنوه (أبدا) فقصر من صيغة النفي (البرهان في علوم القرآن ج 4 ، ص : 387) .

ان دخول قرينة النفي "لـن" على الجمل الاسمية لنا فيه مثال واحد في القرآن الكريم كله وهو :

فلن أكون ظهيرا للمجرمين . (آ 17 القصص 28)

وانه حتى يتجلى تكوين هذه الجملة الاسمية نرجع الفعل الى صيغة الاثبات فنقول : أنا ظهير للمجرمين ، ثم بعد ذلك نخرج القول المثبت من الحال الى الاستقبال فنحصل على : سأكون ظهيرا للمجرمين ، وان أردنا أن ننفي الاستقبال عدنا الى الصيغة التي وردت عليها الآية لن أكون ظهيرا للمجرمين .

بعد النظر في القرائن المشتركة بين الجمل الفعلية والجمل الاسمية نأتي الى دراسة القرائن الخاصة اما بالجمل الفعلية واما بالجمل الاسمية ، والحق انهما اثنتان فقط ، لكل صنف من الجملتين واحدة .

لمّـا قرينة نفي تدخل على الجمل الفعلية ، وهي آكد من "لم" ، ويؤتى بها لنفي الفعل المتوقع وهي توافق "قد" التي يؤتى بها لتأكيد الاثبات ، فتقابلها ، ولا تدخل الا على الجمل الفعلية التي يكون الفعل فيها على صيغة "يفعل" مثل :

لمّا يأتهم تأويله . (آ 39 يونس 10)

أو : بل لمّا يذوقوا عذاب . (آ 08 ص 38)

و : لمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم . (آ 214 البقرة 02)

ان كانت " لمّا " هي القرينة الوحيدة الخاصة بالجمل الفعلية فان " ليس " هي قرينة النفي الفريدة الخاصة بالجمل الاسمية ، ف : " ليس " تنفي مضمون الجملة في الحال ، وما هي الأمثلة :

ليس الذكر كالأنثى . (آ 36 آل عمران 3)

وليس علينا في الأميين سبيل . (آ 75 آل عمران 3)

وليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا . (آ 93 المائدة 5)

ثم ان " ليس " قد تأتي في دال منقطع عندما تقترن ب " الباء " المكسورة وهي لغة في " ما " كما بينا ولغة في " ليس " وللتذكير والمقارنة نذكر هذين المثالين مع التنبيه للفارق في موضعي " ما " و " ليس " :

وما ربك بظلام للعبيد . (آ 46 فصلت 41)

وأن الله ليس بظلام للعبيد . (آ 182 آل عمران 3)

كذلك : ولست عليهم بمسيطر . (آ 22 الغاشية 88)

وفي صورة أكثر تعقيدا :

ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . (آ 177 البقرة 02)

ثم : ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها . (آ 189 البقرة 02)

هذا وان " ليس " تأتي في دال منقطع مع " الا " مثال ذلك :

ليس لهم في الآخرة الا النار . (آ 16 هود 11)

وفي سياق هذا المثال الأخير ، نريد أن نؤكد على أمر متعلق بالاستثناء والحصر الواردين في الأقوال المنفية أساسا ، اذ أن النفي هو القرينة الأولى التي تتصدرها ولكن الاستثناء والحصر هما السمتان المميزتان له ، ذلك لأن

الذي يحضى بالاختصاص والذي يجلب الانتباه اليه هو المستثنى لأنه منزوع مما سبقه أو الحصر لأنه تخصيص لسابقه . ومن حيث الشكل أن ما يرد بعد وحدة الاستثناء أو الحصر هو الذي سنلقي عليه الضوء ليتبيّن ما يطرحه من أشكال .

أول ما يلفت الانتباه — وهو ما ذكرناه في سياق الحديث عن قرينة النفي ، لا — هو أن هذه القرينة وبعض قرائن النفي الأخرى تكوّن جزيئا لدال متقطع مع "الاّ" مثل :

لا الاه الاّ هو . (آ 18 آل عمران 03)

ف : "لا . . . الاّ " دال متقطع بدليل أن : "الاه الا هو" غير موجود ، وأن : "لا الاه الله "لا وجود له . بالاضافة الى هذا نذكر أن : "الاه الله " تركيب لا يستقيم ، ولكن قولنا : لا الاه الا هو قول سليم في تركيب مستقيم ، يتضمّن في ذات الوقت السلب والاثبات ، ولكن السلب أبرز . في هذه المسألة يقول ابن الجوزية : لا الاه الاّ اللّه ، هذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الالهية عما سوى الله واثباتها له بوصف الاختصاص فدلالتها على اثبات الألهية أعظم من دلالة قولنا : اللّه الاه ، ولا يستريب أحد في هذا البتّة "[1].

ومما ثل لهذا التركيب ما ورد في هذه الآية :

لا الاه الاّ الذي آمنت به بنو اسرائيل . (آ 90 يونس 10)

فالقولان اسميان والفارق بينهما هو أن الاسم المبهم "الذي "وصلته :"آمنت به بنو اسرائيل " قد عوّض ضمير الغائب المذكر : "هو" أو اسم الجلالة في مثال ابن القيم ، ولكنهما من حيث الوظيفة يؤديان نفس الوظيفة ، فهما سد القول ، ومن المعلوم أن المسبب في دخول السند في هذا الضرب

---

(1) ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ، ج 3 ، ص : 58 .

من القول هو المضيف "الاّ" ، لأنه لولاه ما استقام الكلام .
ويختلف قليلا عن هذا الضرب القول الذي يكون فيه المخبر نسقا في دال منقطع :"عدوان ... على " في قوله تعالى :

فإن انتهوا فلا عدوان الاّ على الظالمين . (آ 193 البقرة 02)

والمضيف" الا" هو هنا للحصر ، والتركيب ورد في جملة جواب الشرط ولكن يمكنه أن يكوّن جملة مستقلة ، وهذه الأقوال التي ذكرنا تشترك كلها في كونها لا تصرف التجزأة وليس للكلام فيها معنى إن توقّف فيها عند المضيف الاستثنائي أو الحصري مثال ذلك :

ما محمد ، في قوله تعالى : ما محمد الا رسول . (آ 144 آل عمران 3)

و : ما الحياة الدنيا في قوله تعالى : وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور .
(آ 185 آل عمران 3) .

بعد هذا ننتقل الى أقوال اسمية تتصدرها قرينة النفي أيضا ويكون فيها المضيف "الاّ" غير أن وضعها يختلف ، ذلك أن التركيب فيها يكتمل قبل المضيف "الا" مثال ذلك :

لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة . (آ 114 النساء 04)

فيمكننا أن نقول : لا خير في كثير من نجواهم ونسكت ، ويمكننا أن ندرج المضيف الاستثنائي "الا" الذي يدرج بدوره الاسم المبهم "من" وصلته : "أمر بصدقة" ، وإن شئت تركيبا من هذا الضرب أقل اشكالا فانظر الى قوله تعالى :

ما لهم به من علم الا اتّباع الظن . (آ 157 النساء 04)

فقولنا : "ما لهم به من علم" يستقيم بمفرده كما يمكن أن يستثنى منه ، الا اتّباع الظن .

وانظر أيضا الى : لا علم لنا الاّ ما علّمتنا . (آ 34 البقرة 02)

وكذلك قوله تعالى : وما هم بضارّين به من أحد الا باذن الله . (آ 102 البقرة 02)

هذه التراكيب ان أسقطت منها قرينة النفي الداخلة على الاسم النكرة — مع المضيف الاستثنائي أو الحصري لا تؤول الى تركيب يذكر في لسان العرب . انظر الى : علم لنا ما علمتنا أو : خسر في كثير من نجواهم من أمر بصدقة ، فلا مثيل له في كلام العرب ولا معنى له .

وليست كل الأقوال التي تتضمن الحصر أو الاستثناء على هذا الضرب من التركيب فقد ذكرنا مثلا قوله تعالى : "وما محمد الا رسول " وليس هو المثال الوحيد من هذا الصنف ، أنظر الى :

ما أنا الا نذير . (آ 188 الأعراف 7)

ومع القرينة "ان" ان هي الا فتنتك . (آ 155 الأعراف 7)

ان هذا الا سحر مبين . (آ 07 الأنعام 6)

وكذلك : ما المسيح بن مريم الا رسول . (آ 75 المائدة 5)

فمتى نزعنا الدال المتقطع ما .. الا أو ان .. الا من القول بقي التركيب مستقيما والمعنى سليما أنا نذير ، هي فتنتك ، هذا سحر ، المسيح بن مريم رسول .

ومن ضرب آخر في تركيب القول الاسمي نذكر هذا المثال :

ما على الرسول الا البلاغ . (آ 99 المائدة 5)

ولمن أراد التنوير والتعمق نذكر أيضا هذا الضرب :

ما من اله الا اله واحد . (آ 73 المائدة 5)

ثم : وما من شفيع الا من بعد اذنه . (آ 03 يونس 10)

أيضا : فما جزاء من يفعل ذلك منهم الا خزي في الحياة الدنيا .
(آ 85 البقرة 02)

باعتبار أن جزاء مضاف الى اسم مبهم في صلته فعل ،

ذلك ما وقفنا عنده بالنسبة للقول الاسمي ، أما بالنسبة للقول الفعلي ، فيجدر التنبيه الى أن الفعل الحقيقي هو المخبر وهو المحور التوزيعي وعليه ،

فعدد الوحدات في القول تابع لنوع الفعل ، ثم ان الاسم الذي يلي مضيف الحصر أو الاستثناء قد يكون سندا وبالتالي يأتي مرفوعا وقد يكون باسطة أو اية ، وفي هذه الحالة يأتي منصوبا : هذا وإن نحن اعتبرنا موضع الفعل من القول نحصل على صنفين من الأقوال ، نبدأ بأيسرهما وأقلهما تواترا ، وهو الذي يتقدم فيه السند ويتأخر فيه المخبر الفعل على غير الجاري في كلام العرب بالاضافة الى هذا نقول أن قرينة النفي في هذا الصنف واحدة لا غير هي "ان" (المكسورة الهمزة الساكنة النون) ومثال هذا الصنف في القرآن قوله تعالى :

وإن هم الاّ يظنّون . (آ 78 البقرة 02)

فالقرينة "إن" والمضيف "إلا" مرتبطان عضويا ، ان أزيلا معا من القول بقي القول سليما مع تغيير حاصل لا محالة في معناه : هم يظنون .

أما الصنف الثاني من التراكيب التي تبتدىء بقرينة نفي "ما" وتتخلّلها القرينة "الا" فيتفرع بالنظر الى نوع الفعل الى فرعين أساسيين : أبسطهما الذي يكون المخبر الفعل فيه لازما ويكون السند فيه بالضرورة بعد المضيف "الاّ" ، اليك هذا المثال منه :

هل يهلك الاّ القوم الظالمون . (آ 47 الأنعام 06)

الملاحظ أن الفعل "أهلك" فعل متعد ، ولكنه لمّا بني لما لم يسمّ فاعله ، صرف للمجهول ، فأتى في تركيب الفعل اللازم ، وانظر الآن الى مثال الفعل اللازم الصريح :

وما يكفر بها الا الفاسقون . (آ 99 البقرة 02)

ففي هذا الضرب من الحالات يرد السند على وضعه العادي الاجباري ، مرفوعا ، هذا لا يظهر طبعا مع الاسم المبهم وصلته ولكن المضيف "الا" يدرج الاسم الصريح كما يدرج الاسم المبهم وصلته ، وهذا وذاك يدخلان في نفس الضرب ، انظر المثال التالي :

وما اختلف فيه الاّ الذين أوتوه من بعد ما .. (آ... 213 البقرة 02)

في كل هذه الحالات لا يمكن الوقوف قبل "الاّ" البتة لأنّ الكلام غير مكتمل، وان اكتمل بالمضيف "إلاّ" وما يعوجه فلا يفيد في هذه الحالة الاّ الحصر .

أما في حالة اكتمال البناء قبل "الاّ" مع استقامة المعنى فاننا ننتقل الى الفرع الثاني من التراكيب ، وهذا لا يحصل الاّ مع المتعدي من الافعال فقط ، وعندها يمكن أن تدل هذه التراكيب امّا على الحصر وامّا على الاستثناء .

في حالة الاستثناء ان كان المستثنى من نفس جنس المستثنى منه كانت الخيرة للمتكلم في رفع المستثنى أو نصبه ، ومثال هذا في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى :

ما فعلوه الا قليل منهم . (آ... 66 النساء 04)

فالرفع فيه على قراءة الجمهور ، وقرىء أيضا "إلاّ قليلا" بالنصب على قراءة أبي وابن أبي اسحاق وابن عامر وعيسى بن عمر . والنصب للفراء فيه احتجاج يرجعه الى بعض كلام العرب حكاية عن الكسائي ، (أنظر معاني القرآن : ج 1 ، ص 59) .

وفي حالة الدلالة على الحصر مع التراكيب ذات الأفعال المتعدية يجب النظر بحذر الى معاني الأفعال والى سياقاتها ، وقد سبق أن نبّهنا الى قسم من الأفعال في اللسان العربي تظهر معه الباسطات حينا وتتقلص حينا آخر تاركة مكانها الى وحدة تدل على الكيفية أو الحال ، غير أننا في هذا الوضع نعتبر أن كل ما يدرجه المضيف "الاّ" هو في وظيفة الاستثناء أو الحصر ، وهكذا فان الاسم الذي يرد بعد "الاّ" قد يكون نكرة محضة وقد يكون موصوفة وقد يكون اسما معرفا امّا باللام واما بالاضافة

وقد يكون اسما مبهما ، وللاسم المبهم كما لا يخفى صلتان : اسمية وفعلية ولكل ما تمّ ذكره نقدم أمثلة :

لن يضروكم الا أذى . (آ 111 آل عمران 3)

لن تمسنا النار الا أياما معدودات . (آ 24 آل عمران 3)

وما يعدهم الشيطان الّا غرورا . (آ 120 النساء 4)

وما يخادعون الا أنفسهم . (آ 26 البقرة 2)

وما يضل به الّا الفاسقين . (آ 32 البقرة 2)

وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله . (آ 272 البقرة 2)

لا يحبّ الله الجهر بالسوء من القول الّا من ظلم . (آ 148 النساء 4)

الملاحظ في هذه الأمثلة من التراكيب ذات الفعل المتعدي أن المضيف الحصري فيها قد يأتي بعد تمام الكلام كما أنه قد يتخلّل وحدات القول ، وعندما لا يتم القول الا بوجوده وبما يدرجه من وحدة أو وحدات .

هذا وانه لا بد من التنبيه الى أن تراكيب الحصر أو الاستثناء المسبوقة بقرينة نفي ، لا تخضع الوظائف فيها الى ترتيب صارم مثل ما هو ظاهر في كل الأمثلة التي قدمنا : قرينة النفي + المخبر + المسند + باساطة أولية + أداة الحصر / الاستثناء + وحدة / وحدات ، ونحن هنا لا نتحدث عن الوضع الاجباري الذي يكون عليه المسند في حال اتصال الفعل بالباساطة الأولية مثل ما يرد في : " تمسنا النار " ، وانما نعني ورود المسند بعد المضيف الحصري أو الاستثنائي أي تأخره عن موضعه العادي وتقدم الباساطة الأولية عليه مثال ذلك :

وما يعلم تأويله الّا اللّه . (آ 07 آل عمران 03)

أو مع الاسم المبهم وصلته الاسمية في وظيفة المسند :

لن يدخل الجنة الّا من كان هودا . (آ 111 البقرة 02)

واذ قد عرفنا هذا فانه ينبغي أن نتبين أمر ظاهرة جديرة بالاهتمام ، كان لابد أن ننتظر موطن تحليل قرائن النفي لندرسها فيه لما لها من ارتباط عضوي به . تتمثل هذه الظاهرة في ورود جميلة وظيفتها استثنائية أو حصرية تتعلق بالجملة السابقة لها والتي تتصدرها قرينة نفي ، المهم أن العلاقة بين الجميلة المستثناة أو جميلة الحصر والجملة التي يقترن بها النفي تسبب فيها " الاّ " ، من أجل هذا نقول ان " الاّ " تقوم بدور المعلق في هذه الحالة ، وهي اذن معلق وليست مضيفا . لننظر الى هذه الأمثلة :

ولا يحلّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الاّ أن يخافا أن لا يقيما حدود الله . (آ 229 البقرة 02)

و : لا تواعدوهن سراً الاّ أن تقولوا قولا معروفا . (آ 235 البقرة 02)

ثم : ولستم بآخذيه الاّ أن تغمضوا فيه . (آ 267 البقرة 02)

وكذلك : وما أرسلنا من رسول الاّ ليطاع باذن الله . (آ 64 النساء 04)

أيضا : الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس . (آ 275 البقرة 02)

لاحظ تنوع قرائن النفي في الجمل الرئيسية ولاحظ أيضا تعدد الوحدات المدرجة للأفعال في الجميلات الاستثنائية .

بالنسبة للجميلات الاسمية نقدم هذه الأمثلة :

قل : لا أجد في ما أوحيّ اليّ محرّما على طاعم يطعمه الاّ أن يكون ميتة . (آ 145 الأنعام 06)

ثم : مانهاكما ربّكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين . (آ 20 الأعراف 07)

ان كل ما يرد بعد المعلق " الا " يكون مركز نواته فعلا أو اسما ، ووضع الأفعال بيّن لكن وضع الاسم مركز النواة في المثالين الأخيرين يتطلب للتعرف عليه الرجوع الى القول المجرد (وهو : هو ميتة و : أنتما ملكان) ،

فالمركز اذن هو : ميتة وملكان . بعد هذا يبقى الأمر المهم الثاني هو تحديد سند هذه الجميلات . نقول انه في جميع الحالات ـ التي ذكرت والتي لم تذكر ـ ضمير ولكنه ضمير عائد على ضمير سابق له في الجملة الأساس المقترنة بالنفي . وهو ما يقوّي تبعية جميلة الحصر أو جميلة الاستثناء بالجملة السابقة .

4 ـ قرائن الاستفهام

يتم الاستفهام في القرآن الكريم بأحد وجهين : ـ التنغيم ويفسح برفع الصوت آخر الفصل أو آخر الجملة . والتنغيم كما هو معلوم يفصلت عن المستوى الثاني من التقطيع على الرغم من أنه من الصوت . لكن الأمر يتعلق برفع المنحنى الصوتي ، فهو الذي يميز صيغة الاستفهام بالنسبة لصيغة الاثبات ، فالقول الواحد المثبت أن ارتفع فيه المنحنى الصوتي كان استفهاما وإن انخفض فيه المنحنى الصوتي كان اثباتا ، فقول ابراهيم (عليه السلام) في سورة الأنعام : " هذا ربّي " وهو لا يختلف في شيء من حيث التركيب عن قول يوسف في سورة يوسف : " هذا أخي " وهو قول مثبت والسياقان مختلفان . والعرب وغير العرب تستعمل ارتفاع المنحنى التنغيمي وانخفاضه للتمييز بين صيغتي الاستفهام والاثبات ، وفي القرآن الكريم شاهد آخر على هذه الطريقة في صوغ الاستفهام :

وتلك نعمة تمنّها علي .　　　　　(آ 60 النمل 27)

أما الوجه الثاني وهو الأعم الأغلب فيتم باستعمال القرائن . والقرائن تختلف وتتحدد باختلاف المستفهم عنه . وانه لمن اليسير أن نقف عند كل قرينة ونبحث عن المعنى الذي تؤديه عموما في العربية أن كان لها معنى محددا ، كأن نقول : أن " كيف " تستعمل عندما نستخبر عن الحال وأن " متى " تعود للسؤال عن الزمان وأن " أين " خاصة بالمكان ، وأن " كم " لتمييز العدد ، ولكن استعمال هذه القرائن في القرآن الكريم له دلالات لا توضحها الا السياقات ، ولا يمكن لدارس علم التراكيب في القرآن الكريم أن يندفع لتأويل معاني القرائن ، فالرجوع الى التفاسير المشهورة هو السبيل الوحيد لدراسة نحوية سوية ، ذلك لأن المعاني التي تدل عليها قرائن الاستفهام تتجاوز عدد قرائن الاستفهام . ومن شاء أن يقف على ما في

هذه المسألة من تشعب تحليه بالرجوع الى كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي ، فسيجد فيه سؤله ، هذا واننا سنقدم بعض الأمثلة على تعدد معاني الاستفهام بعد الفراغ من التحليل التركيبي للاستفهام .

ان الذى نريد أن ننبه اليه ونحن نتحرى التراكيب التي تحتوي على قرائن الاستفهام هو أننا نتساءل عن وضع التراكيب مع القرينة ، فتحدد أهي جمل اسمية أم هي جمل فعلية وهل القرينة تختص بأحد ضربي الجملة أم بهما معا ، وهل ان نحن أزلنا القرينة يبقى التركيب سليما أم لا وهل القرينة تتوافق مع تركيب الجملة المثبتة فقط أم مع تركيبي الجملة المنفية والجملة المثبتة معا ، كما نتساءل أيضا عن صيغة الفعل عند تعلق الأمر بالجمل الفعلية . هذه هي الطريقة التي نتوخاها في التحليل معتمدين أساسا من حيث المعنى - كما ذكرنا - على أهم التفاسير وأشهرها .

ان الذى تتميز به الجمل الاستفهامية هو أن أغلب القرائن التي تدخل عليها تتميز بكونها تدخل في ذات الآن على جمل سليمة في النفي أو في الاثبات ، كما تدخل على مركب أو تركيب لا معنى له دون قرينة الاستفهام . ولنبدأ بتوضيح هذه المسألة ، فنعرض الجملة الاستفهامية ثم المركب أو التركيب الذى لا يحمل معنى دون قرينة الاستفهام .

بالنسبة للهمزة :

أحق هو .	(آ 53 آل عمران 03)	حق هو *
أإلاه مع الله .	(آ 60 النمل 27)	إلاه مع الله *
أقريب ماتوعدون .	(آ 25 الجن 72)	قريب ماتوعدون .
آلآن .	(آ 51 يونس 10)	الآن .

وبالنسبة لـ " ما " :

ما هي .	(آ 70 البقرة 02)	هي
ما لونها .	(آ 69 البقرة 02)	لونها
ما أمري .	(آ 20 النمل 27)	أمري
وما تلك .	(آ 17 طه 20)	تلك
ما الحاقة .	(آ 01 الحاقة 69)	الحاقة .

وبالنسبة لـ "من "

من أصدق من الله حديثا ،	(آ 87 النساء 04)	أصدق من الله حديثا
فمن ربكما .	(آ 49 طه 20)	ربكما

وبالنسبة لـ " أين " في :

أين المفر .	(آ 10 القيامة 75)	المفر
أين شركائي .	(آ 27 النحل 16)	شركائي .

ثم بالنسبة لـ " أي " :

أي شيء أكبر شهادة .	(آ 19 الأنعام 06)	شيء أكبر شهادة عند الله .

ثم بالنسبة لـ " ماذا " في :

ماذا عليهم .	(آ 39 النساء 04)	عليهم .

ثم بالنسبة لـ " أيان " في :

أيان مرساها .	(آ 42 النازعات 79)	مرساها .

ثم بالنسبة لـ " متى " في :

متى نصر الله .	(آ 214 البقرة 02)	نصر الله .

ثم بالنسبة لـ " هل " كدال مستقل " هل من " في :

هل من مزيد .	(آ 30 ق 50)	مزيد .

والدليل على ذلك ليس مسألة نقل "هل " من " من " في المثال السابق فقط ، ولكن في الجملة الاسمية التالية أيضا :

هل لنا من شفعاء (آ 53 الأعراف 07) لنا من شفعاء : لا معنى له ولكن : " لنا شفعاء " قول مستقيم وكذلك " أنّى " في :

أنّى هذا . (آ 165 آل عمران 03) هذا أ

الملاحظ في بعض التراكيب السابقة التي لا دلالة لها هو أنه بمجرد تغيير مراتب الوحدات فيها تصبح هذه التراكيب ذات دلالة مثل :

حق هو ـــــ هو حق .
إلاه مع الله ـــــ مع الله الاه .
قريب ما توعدون ـــــ ما توعدون قريب .

فهذه كلها أنواع اسمية . ونحن أن لم نتعرض للأنواع " الفعلية " ـ وهي كثيرة ـ فلأن المشكلة هي وجود المخبر الفصل مركز النواة دون سند يذكر ، اذ المشارك وحده لا يكفي ، فبعد ازاحة قرينة الاستفهام نحصل من : " أرأيتم " على " رأيتم " ومن " كيف يشاء " على " يشاء " ، ومن " ما أدراك " على " أدراك " ومن : " ما يدريك " على : " يدريك " ، ومن " كم لبثتم " على " لبثتم " وهكذا دواليك ...

واذ قد عرفنا هذا نقول : أن القرائن صنفان : صنف يدخل على الجمل الاسمية والجمل الفعلية معا وصنف لا يدخل الا على الجمل الفعلية . ومن محصول الحاصل أن نقول أنه لا وجود لقرائن تختص بالجمل الاسمية وحدها ، الّا أنه لابد من التنبيه الى أن القرينة الاستفهامية الزمانية " متى قد وردت تسع مرات في القرآن الكريم ولم ترد مرة واحدة مع فعل .

أن قرائن الاستفهام التي تشترك فيها الجمل الاسمية والجمل الفعلية معا قليلة : منها ما هو صريح بيّن مثل " أنّى " في :

أنى لك هذا .   (آ.37 آل عمران 03)

و " لك هذا " جملة اثبات . ومثل " هل " في :

هل أنتم مسلمون .   (آ.14 هود 11)

فهي جملة استفهامية و : " أنتم مسلمون " جملة اثبات ، ومثل " أم " عديلة همزة الاستفهام في :

أم هم قوم طاغون .   (آ.32 الطور 52)

فهي جملة استفهامية ، و " هم قوم طاغون " جملة اثبات وكذلك الشأن بالنسبة : أم عندهم خزائن ربك .   (آ.37 الطور 52)

ومن هذه الجمل ما هو أقل صراحة مثل : " أي " في :

أيّ الفريقين أحق بالأمن .   (آ.81 الأنعام 06)

جملة استفهامية و " الفريقان أحق بالأمن " جملة مثبتة ، فالاسم المبتدأ به مرفوع لا خيرة في أمره .

الذي يخلص اذن هو قرائن الجمل الفعلية ، والناظر فيها يلاحظ سمتين : قرائن تختص بصيغة " فعل " وقرائن أخرى تختص بصيغة " يفعل " وهي نادرة : قرينتان هما " أين " و " أيان " . وتدل " أيان " على المستقبل من الزمان : وردت ست مرات في القرآن الكريم ، وتكررت الآية التي وردت فيها مرتين :

أيان يبعثون .   (آ.21 النحل 16) و (آ.65 النمل 27)

أما " أين " فقد وردت سبع مرات في القرآن الكريم مع صيغة " يفعل " في :

فأين تذهبون .   (آ.26 التكوير 26)

ذلك لأن مثل : " أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم (آ.27 النحل 16) يكوّن الفعل فيه صلة الذين؛ كان ذلك بالنسبة لصيغة " يفعل " ، أما بالنسبة لصيغة " فعل " فلا نجد الا القرينة " كم " مثل :

كم لبثتم .   (آ. 19 الكهف 18)

أما البقية الباقية من قرائن الاستفهام فتشترك في الصيغتين : مع صيغة فعل مثل :

أبعث الله بشرا رسولا .   (آ. 94 الاسراء 17)

ومع صيغة يفعل مثل : أنلزمكموها .   (آ. 28 هود 11)

والمستفهم عنه يتنوع في الجملة بتنوع تشكيل الجمل الفعلية وفق رغبة السائل ، والأمثلة التالية توضح ذلك :

أهم يقسمون رحمة ربك .   (آ. 32 الزخرف 43)

أبشرا منّا واحدا نتّبعه .   (آ. 24 القمر 54)

أفغير الله أبتغي حكما .   (آ. 114 الأنعام 06)

أصلاتك تأمرك .   (آ. 87 هود 11)

ومع النفي :

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله .   (آ. 16 الحديد 57)

اذا كانت الهمزة كقرينة استفهام تتألف مع الفعل في صيغتيه وكذلك مع الاسم في مختلف وظائفه فان " من " كقرينة استفهام يتشكل التركيب بها بكيفية أخرى ، ذلك أن الفعل يرد بعدها مباشرة كيفما كانت صيغته مثل :

من بعثنا من مرقدنا .   (آ. 52 يس 36)

و : من يرزقكم من السماء والأرض .   (آ. 31 يونس 10)

أما مع القرينة " أيّ " فالأمر يختلف ، فالاسم هو الذي يليها مباشرة مثل :

أيهم يكفل مريم .   (آ. 44 آل عمران 03)

وانا لم نجد في القرآن الكريم جملة فعلية مع صيغة " فعل " الا والقرينة " أي " فيها متحدة مع وحدة أخرى زيادة في دقة مثل : من أي ، لأي ، في أي ، وبأي " وأمثلتها هي :

من أيّ شيءٍ خلقه . (آـ 18 عبس 80)

ثم : لأيّ يومٍ أُجّلت . (آـ 12 المرسلات 77)

ثم : في أيّ صورة ما شاء ركّبك . (آـ 08 الانفطار 82)

ثم : بأيّ ذنبٍ قتلت . (آـ 09 التكوير 81)

وأما بقية القرائن الاستفهامية ، فتسير على وتيرة التناقل بين " فعل " و " يفعل " مثل :

أنّى شئتم . (آـ 223 البقرة 02) و : أنى يؤفكون . (آـ 34 يونس 10)

وكذلك الأمر بالنسبة لـ " كيف " وهاهي بعض أمثلتها :

كيف فعلنا بهم (آـ 45 ابراهيم 14) و : كيف تكفرون بالله (آـ 28 البقرة 02)

ثم نتقدم بعض أمثلة " هل " :

هل أدلكم على تجارة (آـ 10 الصف 61) و : هل أتى على الانسان حين من الدهر (آـ 01 الانسان 76) .

والاشارة تجدر هنا الى التركيب من حيث الشكل فقط لأنى المعنى في الآية الثانية هو التحقيق أما أم باعتبارها قرينة استفهام عديلة للهمزة فبعض أمثلتها هي :

أم زاغت عنهم الأبصار (آـ 63 ص 38) و : أم يقولون افتراه . (آـ 38 يونس 10)

وآخر قرينة بسيطة هي " ما " وبعض أمثلتها هي :

ما غرّك بربّك الكريم . (آـ 6 الانفطار 82) و : وما يدريك لعلّه يزّكّى . (آـ 03 عبس 80)

تلك كانت القرائن البسائط ، أما القرائن المركبة ، فهي ماذا وعم وبم ولم . فماذا تأتي مع صيغة " فعل " ومع صيغة " يفعل " على السواء ، من أمثلتها نذكر :

ماذا أنزل ربكم . (آـ 30 النحل 16) و : ماذا يستعجل منه المجرمون . (آـ 50 يونس 10)

أما " عم " فذكرت مرة واحدة في القرآن في قوله سبحانه :

عمّ يتساءلون . (آـ 01 النبأ 78)

أما مثال "بم" فنحو : بم يرجع المرسلون . (آـ 35 النمل 27)

وآخر قرينة مركبة هي "لم" وتأتي مع الصيغتين في :

لم أذنت لهم (آـ 43 التوبة 09) و : لم تعبد ما لا يسمع (آـ 43 مريم 19)

ان مسألة ورود الفعل مباشرة بعد قرينة الاستفهام أو ورود الاسم مباشرة بعدها ـ عند الاختيار ـ هي مسألة كما لا يخفى تتعلق بالغرض من الاستفهام : أهو حول الفعل نفسه : ـ أحصل أم لم يحصل ـ أم أنه حول صاحب من هو أو صاحب الحدث أو المفعول ، كما ورد في قوله تبارك اسمه : "أبشرا منّا واحدا نتّبعه ".

الحق ان هذا المثال يناسب تشعب معاني الاستفهام التي كنا أشرنا اليها . والمثال لا يدل على الاستفهام المحض وانما يدل على الاستفهام الانكاري يقول الزمخشري في الكشاف أبشرا انكارا لأنّ يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة .

ان مرجع الوصول الى أسرار تشعب الاستفهام يتصل بالسياقات التي ورد فيها كما يتصل بكون الاستفهام وسياقه جزء من القرآن الذى هو كلام ، فلو أننا نظرنا في أمثلة الاستفهام الانكاري مثلا وجدنا أن قرينة الاستفهام تدخل على الجملة الفعلية مطلقا مثبتة أو منفية مثل :

ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (آـ 04 المطففين 83) ثم فمن يهدي من أضل الله (آـ 29 الروم 30) ، كذلك : أفأنت تسمع الصم الدعاء أو تهدي العمي (آـ 40 الزخرف 38) ثم : أأنزل عليه الذكر من بيننا . (آـ 08 ص 38) .

ومتى نظرنا الى الاستفهام التقريري تبيّن لنا أن تركيبه يبدأ بالهمزة كالاستفهام الحقيقي مثل :

أأنت فعلت هذا بآلهتنا . (آـ 62 الأنبياء 21) .

أو انه يبدأ بالهمزة ثم تليها احدى قرينتي النفي : لم أو ليس مثل :

ألست بربكم . (آـ 172 الأعراف 07) و : ألم نشرح لك صدرك .

(آ01 الشرح 94) .

ومن شاء أن يعرف معاني الاستفهام التقريري ـ من اثبات مجرد ومن اثبات مع الافتخار مثل ما ورد على لسان فرعون : أليس لي ملك مصر (آـ51 الزخرف 43) ، أو اثبات مع العتاب أو التبكيت أو التحذير أو التكثير أو غيره ـ فليرجع الى كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي مثلا .

5 ـ قرائن التوكيد

ان القول المثبت أو غير المثبت اذا ورد في الكلام قد لا يحمل على ما فيه ، وقد يشك المخاطب في محتواه ، فان أردت أن لا تجعل للشك مجالا في قولك أدخلت عليه التوكيد ، فبه توثق القول وتشدده وتقويه .

والتوكيد يتم بوسائل مختلفة أهمها القرائن ، ولذا فاننا أدرجنا التوكيد كأسلوب في التخاطب ضمن قرائن الجمل . وهذه القرائن هي ان واللام المفتوحة وانما وقد والأدلة المتقطعة : أما ... فـ ، وما ... من ، وان ... الا ، ونونا التوكيد الخفيفة والثقيلة مسبوقتان بلام التوكيد ، أضف الى ذلك لفظي : كلهم وأجمعون وجميع فانها ان أدرجت في القول أكسبته فضل توكيد . والحق اننا سردنا هذه القرائن مع بقية العناصر التوكيدية للقول لتنفرز عما سواها ، ولنبين عند التعرض الى ائتلافها مع وحدات القول أنها قد ترد بمفردها في القول وقد تأتلف مع بعضها ، وحين حصول ائتلافها في القول الواحد يرتقي التوكيد درجات في حس السامع الموصف فيه ويتجلى في ذهن المتكلم فينطق به حقا يقينا .

انه ما عدا " قد " التي تدخل على الجمل الفعلية فقط فان بقية القرائن التوكيدية تدخل على الجمل الفعلية والجمل الاسمية على السواء . واليك الآن بيان تراكيب الأقوال المؤكدة وفقا للترتيب التي سبق عرضه .

أ ـ " إن في القول الاسمي :

نذكر أولا بأن الأقوال المثبتة المجردة موجودة فعلا في القرآن الكريم وفي كلام العرب ، وهي تساعدنا على الانطلاق بدءا منها حتى يكون

للذي سد قوله مغزى ، وهي أيضا حجة تمكّننا من التجريد والتحدث في المطلق بعد الأمثلة الأولى التي سنعرضها ، فقوله تعالى :

اللّه غني . (آ 263 البقرة 02)

مثلا موجود في البقرة كما سبقت الاشارة اليه ، وكذلك الشأن بالنسبة لقوله جلّ شأنه :

اللّه الغني . (آ 38 محمد 47)

وقد سبق الحديث عن هذين الضربين ، فالذي نريد تبيانه هو دخول قرائن التوكيد على هذين الضربين بالذات بالألفاظ نفسها التي سبق ذكرها مع اعتبار درجات التوكيد .

فالدرجة الأولى هي باعتبار قرينة واحدة :

ان اللّه غنيّ . (آ 267 البقرة 02)

والدرجة الثانية باعتبار قرينتين :

ان اللّه لغنيّ . (آ 08 ابراهيم 14)

وبالنسبة للضرب الثاني : " اللّه الغنيّ " تظهر الامكانيات بعدد أكبر فالامكانية الأولى هي ادراج الضمير المنفصل توكيدا ، في قوله جلّ ثناؤه :

اللّه هو الغنيّ . (آ 15 فاطر 35)

والدرجة الثانية من التوكيد هي اضافة ان لما سبق في قوله تعالى :

ان اللّه هو الغنيّ . (آ 25 لقمان 31)

والدرجة الثالثة هي اضافة اللام المفتوحة للضمير المنفصل في الآية الكريمة التالية :

ان اللّه لهو الغنيّ . (آ 64 الحج 22)

من المعلوم أن قرينة التوكيد "إن" لا تقتصر على هذين الضربين من الأقوال الاسمية المثبتة المجردة ، وانما كانت تلك بداية أردنا بها توضيح الظاهرة ليتسنى لنا الخوض في بقية الأضرب الأخرى دون اللجوء الى القول المجرد الأصل بنفس الألفاظ والأصوات ، وهاهي الأمثلة :

إن الانسان لفي خسر . (آ.. 02 العصر 103)

فبعد التجريد نحصل على : الانسان في خسر وهو تركيب قائم بذاته ومعناه سليم ثم :

إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين . (آ.. 03 الجاثية 45)

إن جرّد هذا القول أعطى : في السماوات . . . آيات وهو أيضا مستقيم معنى ومبنى . ومع الاستفهام نقدم هذا المثال في قوله تعالى :

أإن لنا لأجرا . (آ.. 41 الشعراء 26)

فتجريده يتم كالتالي : إن لنا لأجرا . ثم لنا أجرا برفع المخبر جبرا في القول المثبت المجرد .

ثم نقدم مثالين باسم الفاعل واسم المفعول في الآيتين الكريمتين التاليتين :

إن اللّه بالغ أمره . (آ.. 03 الطلاق 65)

انا لمنجوهم أجمعين . (آ.. 59 الحجر 15)

فالملاحظة الأولى تتعلق بصيغة تركيب الضمير المنفصل "نحن" مع قرينة التوكيد "إن" وهو احدى الوجوه الاجبارية الحديدة في قوانين التركيب، ف "ان" + "نحن" تعطينا : "إنا" وأيضا "ان" + "أنا" تعطينا : "اني" فلا خبرة للمتكلم في تركيب غيره . فان كان لي أن أجرد قوله تعالى : اني جاعل في الأرض خليفة : أقول : أنا جاعل . . . . وتجريد انا لمنجوهم أجمعين هو : نحن منجوهم .

وان كانت الباسطة الأولية لاسم المفعول بسيطة في هذا المثال ففي قوله سبحانه :

ان هؤلاء متبّر ماهم فيه . (آ 139 الأعراف 07)

يظهر الاسم المبهم مع صلته الاجبارية أكثر تعقيدا كباسطة لاسم المفعول .

ومن ضروب التوكيد المركبة نتقدم هذا المثال الوارد في قوله عزّ وجلّ :

انا لجميع حذرون . (آ 56 الشعراء 26)

نجرده تدريجيا كالتالي : انا جميع حذرون بحذف اللام المفتوحة .

ثم انا حذرون بحذف لفظ جميع

لنحصل على : نحن حذرون بحذف أو اسقاط قرينة التوكيد ان .

بعد هذا نأتي الى ظاهرة أخرى في التوكيد بالقرينة "إن" ، ظاهرة يحجبها استعمال القرينة "إن" وهي مستعملة في كلام العرب لكنها غير واردة في القرآن الكريم ، هذه الظاهرة هي التوكيد بتكرار اللفظ لنتأمل قوله تعالى :

انك أنت السميع العليم . (آ 35 آل عمران 03)

عندما نحلله يكون التركيب مبدئيا كالتالي :

إن + أنت + أنت + السميع .

فان نحن أسقطنا قرينة التوكيد "أن" حصلنا على :

أنت أنت السميع .

وضرب هذا التركيب المثبت في صورته المجردة هو :

أنت السميع .

وفوق هذا التركيب للتوكيد المزدوج : باللفظ و "بـإن" يأتي التركيب الذي تضاف فيه اللام المفتوحة المؤكدة الى التركيب السابق الذكر ومثاله قوله عز وجلّ :

انك لأنت الحليم . (آ 87 هود 11)

وتحليله الى مكوناته الأساسية هو :

ان + أنت + ل + أنت الحليم .

وشبيه بالمثال : انك أنت السميع من حيث تركيبه قوله تعالى :

اني أنا أخوك الآية 69 من سورة يوسف عليه السلام ، ويدخل في هذا الضرب أيضا قوله عز وجلّ :

انّي أنا اللّه ربّ العالمين . (آ 30 القصص 28)

المهم هو أن هذا التركيب قد يقوى فيبلغ درجة أعلى في التوكيد ومثاله قول الله تبارك :

انني أنا الله لا إلاه إلا أنا . (آ 14 طه 20)

لأنّ تحليله الى التركيب المجرّد هو : " أنا الله " . بعد اسقاط قرينة التوكيد والضميرين المنفصلين المتكررين في القول ، وبيانه كالتالي :

ان + أنا + أنا + أنا + الله —

يتقابل الوحدات : ان + ن + ي + أنا + الله :

بعد هذا نودّ أن نحذر من تركيب شبيه بالتركيب السابق موجود في القرآن الكريم وفي كلام العرب قد يحدث لبسا في الأذهان المتعلمين فيختلط التركيبان ويعطى لهما نفس المعنى بسبب ورود الضمائر فيها بعد القرينة التوكيدية ، ان هذا التركيب وارد في قوله سبحانه :

انه أنا الله العزيز الحكيم . (آ 09 النمل 27)

فمتى أعدنا هذا التركيب الى أصله أي متى جرّدناه من قرينة التوكيد فاننا نحصل على التركيب التالي : " أنا اللّه " . والسؤال المطروح هو : لماذا لا نفصل إنّ عن هو ونقول :

ان + هو + أنا الله . والجواب هو : أن هذا لم يرد لا في القرآن الكريم ولا في

كلام العرب وهو أمر يجعلنا نعتبر أن "إن" تلازم الضمير المتصل سواء كان "ياء" أو "كافا" أو "هاء"، وهو أمر لا اختيار فيه في كلام العرب ولا يستقيم الكلام بدونه، وإنه من باب أولى وأحرى أن تلازم إن ضمير الغيبة المتصل، إن اختلفت الضمائر التي ترد متوالية في القول الواحد. مثل ما هو الحال في المثال المذكور: هو + أنا: فالتمييز اذن واجب بين "إنه" في:

إنه هو السميع مثلا

و: إنه أنا الله:

لأن الضمير المتصل للمتكلم أو المخاطب أمره أيسر من أمر ضمير الغيبة، ذلك لأن ضمير الغيبة يرجعنا على الدوام الى اسم سابق في القول المتقدم على القول الذي ترد فيه هاء "إنه"، وهذا المرجع هو القياس، فمتى انعدم المرجع كان الضمير للتفخيم والتعظيم أو للشأن ومثاله في القرآن الكريم دون دخول قرينة التوكيد "إن" عليه هو:

هو اللّه أحد. (آ. 1 الاخلاص 112)

أساسه التركيبي بعد التجريد: "الله أحد".

وضمير التعظيم هذا تدخل عليه قرينة التوكيد "إن" في المواقف الجليلة مثل قوله تبارك:

إنه أنا اللّه

ويأتي أيضا في الحديث عن الأحكام القطعية والمواقف اليقينية مثل ما سنرى في تركيب القول "الفعلي".

في ختام الحديث عن دخول ان مع اللام المفتوحة على القول الاسمي المجرد نذكر هذه الظاهرة الفريدة في القرآن الكريم المتمثلة في بناء السند على حاله على الرغم من دخول "إن" عليه وذلك في قوله سبحانه:

ان هـذان لساحـران .   (آ 63 طـه 20)

والحق ان التأويلات التي ذكرت لشرح هذه الظاهرة كثيرة . ولكن صاحب تفسير البحر المحيط اختار في تخريج هذه القراءة الواقع ، وبما أن الواقع هو دأبنا وديدننا فاننا نعتمد رأي أبي حيان ونذكره كما ورد في تفسيره وهو كما يلي : " . . . انها جاءت على لغة بعض العرب من اجراء المثنى بالالف دائما ، وفي لغة لكنانة ، حكى ذلك أبو الخطاب ، ولبني الحارث بن كعب وخثعم وأهل تلك الناحية ، حكي ذلك الكسائي ، ولبني العنبر ولبني الهجيم ومراد وعذرة "(1) .

هذا وان الاسم المبهم وصلته في وظيفة المسند كثيرا ما يكون له مخبر اسمي وهو ضرب من التركيب كنّا قلنا انه ورد بعدد محدود جدّا في القرآن الكريم كقول مجرد ، ولكننا متى بحثنا عليه مسبوقا بـ " إن " التوكيدية . وجدنا فيه عددا هائلا ، ولتبيان ذلك نذكر بعض الأمثلة :

ان الذين اختلفوا في الكتاب لـ في شقاق بعيد . (آ 176 البقرة 02)

ان الذين كفروا وماتوا وهم كفّار أولئك عليهم لعنة الله . (آ 161 البقرة 02)

وبادراج كان على المخبر :

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا .
(آ 107 الكهف 18)

ثم تأتي لهذا المثال الفريد من نوعه من حيث تركيبه ، المدرج في الاقوال الاسمية المؤكدة ، والذى ينفرد به هذا المثال هو تكرار اللام المفتوحة المؤكدة وليس الضمير ، فأولى اللامات تدخل على الاسم المبهم لتقويته ثم تدخل اللام الثانية على الفصل الذى يأتي صلة لذلك الاسم المبهم ، فتزيده فضل تأكيد ، والقول كله مسبوق بـ " ان " التوكيدية . هذا المثال مأخوذ من الآية الكريمة :

---

(1) أبو حيان : تفسير البحر المحيط ، ج 6 ، ص : 235 .

وإن منكم لمن ليبطّئنّ . (آ 72 النساء 04)

لاحظ أيضا أن الفعل الوارد صلة للاسم المبهم قد اقترنت به نون التوكيد الثقيلة ، وهو على صيغة فعّل وليس أفعل ، وتأمّل ما في ذلك من جلال .

هذا وانه قد يرد الاسم المبهم وصلته في وظيفة المخبر في قول مسبوق بضمير التعظيم المؤكد ؛ ورد ذلك في قوله عزّ وجلّ على لسان فرعون :

انه لكبيركم الذي علّمكم السّحر . (آ 49 الشعراء 26)

ب ـ " أن " في القول الفعلي :

قبل عرض الأمثلة وتحليلها نبدأ بالتذكير بما كنّا قررناه في ما سبق من أن القول الذي يكون فيه الفعل مخبرا هو قول " فعلي " ، ومن أن الصدارة في الوحدات المكوّنة له هي للفعل ، لأن هذا الترتيب هو المتواتر الغالب في لغة العرب وفي القرآن الكريم ، كما قلنا أيضا ان السند اذا تقدم في القول الفعلي ، فتقدمه يكون للفت انتباه السامع ، والغرض من هذا غرض أسلوبي بلاغي . أما وقد استقر هذا وعرف فاننا نقول ان توكيد الأقوال ذات المخبر الفعلي " بإن " لا يمس الا هذا الصنف الذي يتقدم فيه السند عن المخبر ، ذلك لأن " ان " لا تأتلف أساسا الا مع الاسم أو ما يحلّ محلّه .

والحق إن هذا الذي ذكرنا يعطي هذا الصنف من التركيب في القول الفعلي أهمية متفاوتة الدرجات متصاعدية : من سبق السند عن المخبر ثم من دخول " ان " كقرينة تركيدية وهي تقوية ، ثم من دخول اللام المفتوحة المؤكدة وهي درجة أشدّ تأكيدا . ولنبدأ أمثلتنا بالقول المثبت وأمثلته كثيرة نذكر منها :

ان البقر تشابه علينا . (آ_70 البقرة 02)

ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . (آ_67 البقرة 02)

انهم كانوا يكفرون بآيات الله . (آ_61 البقرة 02)

فالمخبر في هذه الأمثلة من الأقوال المؤكدة هو فعل ثم سنق فعلي ثم هو مخبر فعلي مركب .

والدرجة الثانية من التأكيد في القول الفعلي تكون بأحد أمرين :

1 ـ اما بتكرار الضمير في القول ودخول إنّ عليه وذلك في مثل قوله عز وجل :

انا نحن نحيي الموتى . (آ_12 يس 36)

بالنظر الى تركيب القول التالي في الآية الكريمة :

انا نعلم ما يسرون . (آ_76 يس 36)

والتركيب السابق أن جرّد من "ان" الى القول المثبت المجرد ومثاله قوله تعالى :

نحن نعلمهم . (آ_101 التوبة 09)

2 ـ واما بدخول "إن" كقرينة توكيد مضاف اليها اللام المفتوحة المؤكدة مثل ما ورد في قوله تعالى :

انا لنعلم أنّ منكم مكذّبين . (آ_49 الحاقة 69)

أو : انّا لنراها في ضلال مبين . (آ_30 يوسف 12)

بعد هذا نذكر صنفا من الأقوال المنفية المؤكدة حيث ان النفي يقترن بالمخبر الفعل مثل :

ان الّله لا يغفر أن يشرك به . (آ_48 النساء 04)

بالنظر الى القول المثبت المؤكد :

ان الله يغفر الذنوب جميعا . (آ_53 الزمر 39)

وبالنظر أيضا الى القول المنفي غير المؤكد :

والله لا يحب الفساد .　　　　(آ. 205 البقرة 02)

ومن الأقوال المنفية المؤكدة تقدم هذا المثال الذي يحتوي على اسم مبهم مع صلته في وظيفة السند ثم على القرينة "لن " التي تنفي المستقبل ، والمثال من الآية الكريمة التالية :

ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم .　　(آ. 10 آل عمران 03)

أما توكيد ضمير الشأن في الأقوال الفعلية فأمثلته متنوعة ، ذلك أنه يدخل على القول المنفي ، باستعمال هاء التعظيم في المذكر والمؤنث مع اعتبار جنس السند مثل :

انه لا يفلح الكافرون .　　　　(آ. 17 المؤمنون 23)

و : انها لا تعمى الأبصار .　　　　(آ. 46 الحج 22)

كما يدخل ضمير الشأن المؤكد على القول المثبت الذي يقترن الفعل فيه باللام المفتوحة المؤكدة مثلما ورد في قوله عزّ وجلّ :

انه ليحزنك .　　　　(آ. 33 الأنعام 06)

أيضا تدخل القرينة المؤكدة "أن" مصحوبة بضمير الشأن على قول الشرط المكوّن من جملتين عاديتين مثل :

وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه ابدا .
(آ. 19 الجن 72)

أو من جملتين تكون الثانية منهما مؤكدة مثل :

ان من يتّق ويصبر　فان الله لا يضيع أجر المحسنين .
(آ. 90 يوسف 12)

اللام المفتوحة :

اللام المفتوحة قرينة توكيدية تدخل على الجملة الاسمية كما تدخل على الجملة الفعلية على السواء ، وتقترن هذه اللام بالاسم كما تقترن بالفعل والمبتدأ بالجمل الاسمية ومنها نذكر هذه الأمثلة :

ولدار الآخرة خير . (آ 30 النحل 16)

ثم : وللآخرة خير لك من الأولى . (آ 04 الضحى 93)

وكذلك : لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله . (آ 13 الحشر 59)

أيضا : ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا . (آ 08 يوسف 12)

وأخيرا : لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه .
(آ 108 التوبة 09)

هذه الأمثلة تعكس أغلب أضرب الاسم في وظيفة المسند ، العلم والضمير المنفصل ، والمعرف باللام والمضاف الى معرفة والاسم النكرة الموصوف، والغائب في هذه المجموعة هو اسم الاشارة .

وأما الجمل الفعلية فان لام التوكيد تدخل عليها لتقويها وهي غالبا ما تدخل على الفعل في صيغة يفعل غير المستقطع وهي أيضا تدخل عليه وهو مقترن بصيغة الاستقبال سوف ، فاللام المؤكدة ان شئت تقترن ب" سوف" التي هي خالصة للفعل في صيغة يفعل مثال :

ولسوف يعطيك ربك . (آ 05 الضحى 93)

كذلك لا تدخل اللام المؤكدة على الفعل غير المنقطع الا وقد اتصلت به نون التوكيد الخفيفة أو نون التوكيد الثقيلة .

ونبدأ بنون التوكيد الثقيلة لأن الفعل اذا اقترن بها وبلام التوكيد كان محور التركيب ومخبره ، وكانت الجملة تامة مكتملة العناصر الشكلية مؤدية معنى مستقلا مثال ذلك :

ولنبلونكم بشيء من الخوف . (آ 155 البقرة 02)

أو ليبلونكم الله بشيء من الصيد . (آ 94 المائدة 05)

بالنظر الى القول المجرد المثبت في قوله تعالى :

ونبلوكم بالشر والخير فتنة . (آ 35 الأنبياء 21)

والتوكيد يكون أيضاً مع الفعل الذي لم يسم فاعله مثل :

لتبلون في أموالكم . (آ 186 آل عمران 03)

في هذه الحالة تحضر لام التوكيد جزيئاً من دال مقتطع جزؤه الثاني نون التوكيد الثقيلة ، ذلك لأنه كما لم يرد الفعل في صيغة يفعل مع اللام المؤكدة وحدها فانه أيضاً لم يرد مع نون التوكيد الثقيلة وحدها اللهم الا اذا كان مسبوقاً بالقرينة "اما" وهذا أمر سيأتي توضيحه بعد حين ان شاء الله .

بالاضافة الى هذه القرائن التوكيدية يمكن أن يجتمع عنصر ثالث توكيدي لفظي في الجملة زيادة في التوكيد ، وهذا العنصر هو : "أجمعون" ومثاله :

ولأصلبنكم أجمعين . (آ 49 الشعراء 26)

حول ظاهرة التوكيد باللام والنون الثقيلة نسوق ملاحظة هامة ترجع الى بعض تأويلات الزجاجي في باب لام الابتداء يقول فيها : "واللام في هذا كله للقسم ، وليس قبله قسم ظاهر الا في النية وانما حكمنا عليها بذلك لأن القسم لو ظهر لم يجز أن يقع الفعل المستقبل محققاً الا باللام والنون "(1) ، ونحن رداً على هذا الحكم القائم على هذا التأويل نأتي بهذا المثال من القرآن الكريم فتأمله :

تالله تفتأ تذكر يوسف . (آ 85 يوسف 12)

والآن نأتي الى وضع نون التوكيد الخفيفة ونشير أولاً الى أنها نادرة الاستعمال ثم نقول : انه لم ترد في القرآن الكريم جملة مستقلة محورها فعل في صيغة يفعل اتصلت به نون التوكيد الخفيفة ، وانما الذي ورد في القرآن الكريم في هذه الحالة هو فعل في وظيفة المخبر لأنه محور جملة جواب الشرط ، ليس جملة تامة مبنى ومعنى ، ومثاله قوله عز وجلّ :

---

(1) الزجاجي : كتاب اللامات ، ص : 79 .

لئن لم ينتـه لنسفعن بالناصية .   (آ 15 العلق 96)

هذا وانه لتجدر الاشارة الى أن اللام المؤكدة قد تدخل على الفعل في صيغة فعل، على أن يكون هذا الفعل في وظيفة المخبر به ، ومثال ذلك هو :

ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم .   (آ 03 الحشر 59)

فالفعل في هذه الحالة محور لجملة جواب الشرط في قول الشرط .

وقول الشروط كلّه تدخل عليه لام التوكيد اذا كانت قرينة الشرط فيه هي : "إن" ، وانه ليس من الضروري أن تكون جملة جواب الشرط مقترنة باللام مثل ما هو الحال في : " لئن سألتهم ليقولن ... " (آ 65 التوبة 09) ، فانه يمكن أن ترد القرينة التوكيدية الأخرى : أن في مثل :

ولئن اتّبعت أهواءهم ... انك اذن لمن الظالمين (آ 145 البقرة 02)

وقد يسقط التوكيد تماما في جملة جواب الشرط مثل :

ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك .
(آ 145 البقرة 02)

انه من المفيد أن ننبه أن لام التوكيد تدخل على تعبيرين جامدين فتسبغ عليهما فضل توكيد ، وهذان التعبيران هما نعم وبئس ، فنعم مثلا يقول النحاة العرب فيه انه فعل ماض مبني على الفتح لانشاء المدح ، ولكنه فعل لا يتصرف وهو أشبه بالحرف منه بالفعل ، وعلى الرغم من ذلك فانهم يجعلون له فاعلا مخصوصا بالمدح . وانما قلنا انه تعبير جامد في تركيب جامد ، لأنه لم يأت في القرآن الكريم الا على وجه واحد لا يعرف التغيير ، والتغيير ليس من حيث الوظيفة ولكن من حيث التصريف في هو الاسم الذي يتعلق ب " نعم " فقد ورد ثلاث مرات في القرآن على صيغة الجمع : الماهدون والمجيبون والقادرون ، وكل ما تبقى جاء على

صيغــة المفرد . أما مــع بئــس فجاءت الأسماء كلهــا مفـردة . والمهم فــي هذا أن " نعم " جاء كصيغــة للمدح مجردة من التوكيد في قوله جل وعلا :

نعم أجــر العاملــين . (آ. 136 آل عمران 03)

ثم جاءت مؤكدة باللام المفتوحة في قوله تعالى :

لنعــم دار المــتقين . (آ. 30 النحل 16)

أما بئس فهو أيضا تعبير جامد لانشاء الذم ورد بالصورتين المجردة مــن التأكــيد والمؤكدة باللام المفتوحة ، قارن بين هذين المثالين :

بـئــس المهــاد . (آ. 12 آل عمران 03)

لبئـس المهــاد . (آ. 206 البقــرة 02)

أما تغييرات الاسم المتمم لصيغة الذم فهي لا تخرج عن نفس الوظيفة مثــل :

لبئـس ما شـروا به أنـفسهم . (آ. 102 البـقرة 02)

اسم مبهم وصلته عوضا عن الاسم المعرف باللام .

ومـثل لبئــس ما كانوا يصنعون . (آ. 63 المائدة 05)

اسم مبهم تفصله قرينة الزمن الماضي عن صلته الواردة في صيغة غير المــنقــطع. اننا فصلنا القول في دخول لام التوكيد على الجمل الفعلية وعلى الجمل الاسمية ولكننا لم نتعرض الى دخول لام التوكـيد على القرينــة الزمانــية " كان /يكون" المقترنــة بالقول الاسمي . انه من المفـيد أن نعلم أن هذا الأمر لا يتحــقــق الا في جمـيلات جواب الشرط ، فيعطيها الى جانب التوكـيد طبعا ، أبعادا تـتناســب مع تـقسيمات الزمن الذي يجعلها الشرط ومم بة . انظر الى هذين المثالــين :

1 ـ لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم . (آ. 157 الأنعام 6)

2 ـ لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . (آ. 63 الأنعام 6)

ومتى قارنا أزمنة جملة الشرط وجمـلة جواب الشرط تبـين لنا ما يلي :

جملة الشرط . | جملة جواب الشرط
1 — ماضي (منقطع) | (منقطع) ماضي وهمي مؤكد
2 — غير منقطع | غير منقطع = مستقبل وهمي مؤكد .

ومن الجزئيات المهمة في دخول لام التوكيد على القول وفي القول ، اقترانها بعنصر من القول واحد دون القول كله أو نصفه (في جواب الشرط) ، وقد اعتبرنا لام التوكيد أساسا قرينة جملة ضمن قرائن الجمل . وهذه المسألة الجزئية يؤكدها ما ورد في قوله تعالى :

يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه . (آ. 13 الحج 22)

فاللام هنا اقترنت بالاسم المبهم " من " الواقع باسطة للمخبر يدعو ، والباسطة في وظيفة أوّلية ، وهذا أمر يحتاج الى تحليل . ان صلة الاسم المبهم .

ضره أقرب من نفعه .

تركيب سليم تام من حيث المبنى ، فان استبدل في هذه الصلة الضمير باسم معرّف كان المعنى أيضا مستقيما لا مراء فيه ، أنظر : "ضر المدعو أقرب من نفعه " ، وبمجرّد أن تلحق هذه الصلة اسمها المبهم يصير التركيب غير كامل : " من ضره أقرب من نفعه " فهو مسند يحتاج الى مخبر ، لكن الاسم المبهم وصلته لم يردا في صدارة القول انما وردا بعد النواة الاخبارية الفعلية "يدعو" ، ولو كان الاسم المبهم وصلته قد اقترن "بيدعو" دون لام التوكيد لكان الأمر عاديا جدا ، ولكنه سبق باللام المفتوحة التوكيدية ، يدعو لمن ضره أقرب من نفعه عوضا عن يدعو من ضرّه أقرب من نفعه ، فقدرته هذه هي التي ميّزته : توكيد الباسطة الأولية الواردة اسما مبهما مع صلة ، فأخرجته عن المطرد والشائع فاستحق بذلك هذه الرعاية ، فافهم المقصد الذي من أجله وضع .

" انما " واقترانها بالجمل الفعلية والجمل الاسمية :

يقول أبو حيان الأندلسي في "إنما" "... في ألفاظ المتأخرين من النحويين وبعض أهل الأصول انها للحصر وكونها مركبة من ما النافية دخل عليها "إن" التي للاثبات فأفادت الحصر قول ركيك فاسد صادر عن غير عارف بالنحو ، والذى نذهب اليه أنها لا تدل على الحصر بالوضع ... واذا فهم حصر فانما يفهم من سياق الكلام لا أن انما دلت عليه "(1).

فأول ما يستنتج من هذا القول هو أن " انما " كلمة واحدة لا كلمتين، ثم انها قرينة تدل على الحصر والقصر وهو ضرب من التوكيد مشدد ، فيه ما فيه من التنبيه الى ما بعد الاقرار والاعتراف واليقين ، وانها للفتة موضوعية جيدة من أبي حيان أن يقول : واذا فهم حصر فانما يفهم من السياق ، فقوله سبحانه :

انما نحن مصلحون . (آ 11 البقرة 2)

قد ورد من المنافقين ردّا على الذين نهوهم عن الفساد ، في الآية نفسها المذكورة في الشاهد وهذه الآية هي : و " اذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون " . وأما قوله تعالى :

انما أنت منذر من يخشاها . (آ 45 النازعات 79)

ففيه قصر على أن الله لم يبعث محمدا ليعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم في علمه وانما بعث لينذر من أهوالها من يكون انذار محمد لطفا به في الخشية منها كما يقول أبو حيان في تفسيره . هذا وان القرينة

---

(1) أبو حيان : تفسير البحر المحيط ، ج 1 ، ص : 61 .

التوكيدية " انما " لا تدخل فقط على الجمل التي يتصدرها ضمير منفصل مثل ما قدمنا ولكن يمكن أن يكون المسند فيها اسما معرفا بالام مثل :

انما المؤمنون اخوة . (آ 10 الحجرات 49)

أما المخبر فيمكن أن يكون اسما مبهما وتكون صلة قول شرط مؤلف من جميلتين فعليتين مثل :

انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . (آ 2 الانفال 08)

كان هذا بالنسبة للجملة الاسمية ، أما الجملة الفعلية فانها أيضا تقترن بـ " انما " التوكيدية مثل ما جاء في قوله عز وجلّ :

انما يتذكر أولوا الألباب . (آ 19 الرعد 13)

والذي قلناه بالنسبة للجملة الاسمية صالح أيضا للجملة الفعلية فمعنى الشاهد الذي ذكرنا ليس مقصوده كما يقول الجرجاني ظاهره ، ولكن أن يذم الكفار ويقال انهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل ... ويواصل بعد ذلك فيقول ثم ان العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون " انما " فلو قلت : يتذكر أولو الألباب" لم يدل ما دل عليه في الآية ، وان كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس الا أنه ليس فيه " انما " .

وبالنسبة لائتلاف " انما " مع الفعل نقول انها تقترن مع صيغة غير المنقطع كما بينا في المثال السابق كما تقترن مع المنقطع ومثاله :

انما حرّم ربي الفواحش . (آ 33 الأعراف 07)

<u>قد التوكيدية اختصاصها الجمل الفعلية :</u>

تقترن قد التوكيدية بالفعل المنقطع وغير المنقطع مثل :

قد افلح من زكّاها . (آ 08 الشمس 91)

ثم : قد نعلم أنه ليحزنك . (آ 33 الأنعام 06)

أو : قد يعلم ما أنتم عليه . (آ 64 النور 24)

ثم ان "قد" يمكنها أن تقترن بلام التوكيد فيشتد التوكيد بهما معا ، وفي هذه الحالة فان اقترانهما لا يكون الا مع الفعل المنقطع ومثاله :

ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل . (آ 89 الاسراء 17)

وكذلك في : لقد رضي الله عن المؤمنين . (آ 18 الفتح 48)

قلنا ان "قد" كقرينة توكيدية تختص بالجمل الفعلية ، ونحن نؤكد أن "قد" قرينة فعلية لا تأتلف مع الاسم أبدا ، ولكن الذي ورد في القرآن الكريم من تراكيب يفرض علينا أن ننبّه الى أن "قد" و "لقد" التوكيديتان قد تدخل على الجمل الاسمية بشرط أن تدرج الجملة في الزمان الماضي ، وإدراجها في الزمان الماضي يتم بفعل شبه الفعل "كان" الذي يتصرف تصرف الأفعال ولا يقوم بالوظيفة الاخبارية التي تقوم بها الأفعال أساسا . واليك مثالان واحد لـ : "قد" والثاني لـ : "لقد" لتبيان هذه الظاهرة ، انظر قوله تعالى :

قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم . (آ 04 الممتحنة 60)

و : لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة . (آ 21 الأحزاب 33)

وتجديد القول من القرائن التوكيدية قد "ول قد" لا يفسد التركيب في شيء ، انظر : كانت لكم اسوة حسنة " ، ولكن تجريده من القرينة الزمانية دون القرينة التوكيدية ، يحدث فيه خللا ، أنظر الى : "قد / لقد لكم اسوة " ، أما تجريده من القرائن التوكيدية والزمانية معا فيرجعه الى أصله : " لكم اسوة " وهو قول سليم مبنى ومعنى .

" إما " التوكيدية واشتقاقاتها

هي عند بعضهم حرف فيه معنى الشرط وعند البعض الآخر هي حرف تفصيل وهي عند ابن فارس كلمة يعبر بها عن الأخبار ، ونحن لا نرفض هذه المعاني ، وانما نبحث فقط في " إما " التوكيدية وفي المعنى الذي ذهب اليه الزركشي في البرهان حيث قال : ان فائدتها في الكلام أنها تكسبه فضل تأكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فاذا قصدت أنه لا محالة ذاهب قلت : أما زيد فذاهب "[1] . ولهذا وازنها سيبويه ، بـ " مهما " اذ أعتبر فيها معنى الجزاء وقال : أما عبدالله فمنطلق ، كأنه يقول : مهما يكن من أمره فمنطلق ، ويروي سيبويه أنه سأل الخليل عن شأنها فقال " أما " لاتكون حكاية (بمعنى أنها ليست مركبة من حرفين ، ضم بعضهما الى بعض (أن ما) ويؤكد سيبويه أن الفاء ملازمة لها أبدا . وهذا يعني في تعبير الوظيفيين أنها تأتي في دال متقطع : " أما . . . ف " . وقد بحثنا في القرآن الكريم ، فوجدنا أن عدد الآيات التي وردت فيها " أما " اربع وخمسون آية ، وقد تتكرر في الآية الواحدة مرّتين ولكن ليس بالمعنى الذى نقصد ، ولا في الوظيفة التي نبحث ، لأنها ان تكررت حصل ذلك بالعطف : أما . . . وأما ، وأريد بها التفصيل . وباختصار ان " أما كتقوية توكيدية ، وردت ثلاث مرات فقط في القرآن الكريم كلّه . اليك عرض للآيات التي وردت فيها قبل تحليل الجمل المحتوية عليها :

1 ــ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه . (آ 7 آل عمران 3)
2 ــ فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين (آ 67 القصص 28)
3 ــ فأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . (آ 15 الجن 72)

---

(1) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص : 242 .

لاحظ أن هذه الجمل التوكيدية الثلاثة قد انقسمت الى فعلية واسمية، وأن السند فيها هو الذى يلي مباشرة قرينة التوكيد : الأول مثاله قول اسمي : في قلوبهم زيغ ـــ الذين في قلوبهم زيغ ، والثاني : قول فعلي : تاب ـــ من تاب ، وفي الحالة الثالثة هو اسم معرف بالسلام ولا اشكال فيه : القاسطون ، أما المخبر في هذه الأمثلة التي قدمنا ، فهو على نقيض السند : ففي الأول هو مخبر فعلي : "يتبعون" ولا اشكال فيه ، وفي الثاني والثالث هو اسمي ، واليك بيان ذلك :

1 ـــ عسى أن يكون من المفلحين ، قلنا في الحديث عن القرائن الفعلية ، ان : "عسى أن" نسق فعلي ، يبين الكيفية التي بها يقع الحدث ، وقد اقترن النسق الفعلي في مثالنا هذا بقرينة أخرى زمانية هي : يكون : وتدل في مثالنا هذا على الوجود الحادث ، يبقى أن نذكر بأن "عسى" معناه ، من المتبادر : الظن ، وفي القرآن هي من الله جل ثناؤه ، واجب كما أجمع على ذلك المفسرون . وعلى هذا نقول : ان استعمال "أما" مناسب لهذا الغرض لأن المولى تبارك اسمه يؤكد بل يضمن الفلاح للذى تاب وآمن وعمل صالحا .

2 ـــ لعل المخبر الاسمي في المثال الأخير أكثر وضوحا من سابقه ، على أن نحترز من أن كان في هذا المثال لا تدل على الماضي ، وانما تدل على ما يكون عليه "الجائرون" يوم القيامة لأن هذا كائن في حكم الله تعالى لا محالة فلا مناص منه : أليس هو ذكر لعقاب القاسطين : القاسطون لجهنم (حطبا) ـــ القاسطون هم لجهنم (حطبا) : بعد التوكيد بالضمير المنفصل ثم يشتد التوكيد ب "أما ... ف" : أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .

ما . . . من وإن . . . الا التوكيديتان

أثناء حديثنا عن قرائن النفي قلنا ان القرينة الجملية " ما " قد ترد في شكل دال متقطع : " ما . . . من " ، وذلك لتعميم النفي واستغراقه ، والحق ان استعمال هذا النفي أسلوب في دفع الشك وازالته ، يكون ردّا على من شك في خبر أو أنكره كي تتأكد لديه صحته . وقد تدخل هذه القرينة التوكيدية على الجمل الاسمية كما تدخل على الجمل الفعلية ، مثال ذلك :

ما اتخذ الله من ولد . (آ 91 المؤمنون 23)

و : ماكان معه من إلاه . (آ 91 المؤمنون 23)

والغرض يتضح أكثر باسقاط القرينة التوكيد :" ما من" : ما اتخذ ولداء ماكان معه الاه ، اذ أن هذا وجه آخر في النفي يعتقد ، ب " ما " النافية وحدها . أنظر تفصيل هذا في حديثنا عن النفي ب " ما " .

وان الذى قلناه عن معنى "ما . . . من " ينطبق تماما على : " انّ . . . الا " يقول الجرجاني في دلائل الاعجاز : و " أما الخبر بالنفي والاثبات نحو : " ما هذا الا كذا " . و " ان هو الا كذا " فيكون الأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فاذا قلت " ما هو الا يصيب " أو " ما هو الا يخطيء " قلته لمن يدفع أن يكون الامر على ما قلت "(1). ثم يقارن الجرجاني في بقية شرحه بين : " ان . . . الا " و " انما " التوكيد تين فيبين أن " انما " تأتي في ابتداء الكلام خلافا ل " ان . . . الا " التي تأتي في جواب لكلام سابق ، وقد دعّم الجرجاني رأيه بالآيات الكريمة التالية :

---

(1) الجرجاني : دلائل الاعجاز ، ص: 332 .

قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا .　　　　(آ_10 ابراهيم 14)

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم .　　(آ_11 ابراهيم 14)

ثم : قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي .　　(آ_110 الكهف 18)

أن نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة هي في واقع الأمر قرائن فعلية وليست قرائن جملية ، وقد تعرضنا لأحوالها في الكلام عند الحديث عن اللام التوكيدية ، ونود أن نذكر وضعا لم ترد فيه نون التوكيد الثقيلة مع لام التوكيد ، وهو وضع شاذ عما نحن فيه إذ أن نون التوكيد الثقيلة قد اقترنت فيه بفعل في وظيفة المخبر لأنه تابع لقول محذوف فعل آخر ، يتبين ذلك في قوله تعالى :

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .

(آ_25 الأنفال 08)

هذا وإننا لا نذكر الألفاظ التي بها يتم التوكيد لأنها ليست من قرائن الجمل .

6 ـ قرينة النهي

النهي أسلوب يطلب به الكف عن شيء ما ، وهو خلاف الأمر وكثيرا ما يردان في نفس السياق مثال ذلك :

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . (آ 31 الأعراف 07)

والنهي يتوجه به أساسا الى المخاطب مع اختلاف الجنس والعدد ، كما يمكن أن يتوجه به الى الغائب ، وفي كلتا الحالتين ، فانه أبدا يبنى على فعل في صيغة غير المنقطع مسبوق بقرينة النهي "لا ". هذا هو الأعم الأغلب ، وهو الذى سنعالجه بعد أن نذكر أن النهي قد يرد بوجه آخر مطابق لذلك الذى شرحناه في عرضنا لضروب النفي ، لنتأمل هذه الآية الكريمة :

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .
(آ 197 البقرة 02)

فالنهي واقع في الجملة جواب الشرط : لا رفث ... في الحج " . ان أسقاط قرينة النهي "لا " يعطينا : "رفث في الحج " وهو قول لا يستقيم الا بعد تغيير ترتيب وحداته : "في الحج رفث " .
والحق أن "لا " كقرينة تستعملها العرب لنفي الجنس وللتبرئة ، والاسم بعدها ينصب جبرا ، ان قصد نفي الماهية ، يشرح الفخر الرازى هذه المسألة فيقول : "لأن انتفاء الماهية ، يوجب انتفاء جميع أفرادها قطعا . أما اذا قلت لا رجل بالرفع والتنوين ، فقد نفيت رجلا منكرا مبهما ، وهذا بوصفه لا يوجب انتفاء جميع أفراد هذه الماهية الا بدليل منفصل . فثبت أن قولك لا رجل بالنصب أدل على عموم النفي من قولك لا رجل بالرفع والتنوين "(1).

---

(1) الفخر الرازى : التفسير الكبير ، ج 5 ، ص : 164 .

انه من اللائق أن نذكر أن لهذه الآية قراءتين : هذه التي اعتمدنا ، وقراءة أخرى بالرفع والتنوين لكلمتي : رفث وفسوق ونصب الجدال وقد انفرد بها مجاهد . والحق ان شأن هاتين الحالتين اللتين تعتريان الاسم من رفع وتنوين أو نصب كشأن الاسم وقد انعدمت في آخره الحركة (ليدل على الماهية كما يقول الفخر الرازي) ثم يدخل على آخره الرفع والتنوين لينكره ثم يُزال الرفع والتنوين الذين لحقاه ، فيتصل بـــه الألف واللام في أوله ليعرفه . ولا خيرة للمتكلم في هذه الأوضاع والأحوال الاختلافية كلّها فهي جزء من تصريف التراكيب يأتي بها المتكلم انتحاء لسمت كلام العرب .

واذ قد عرفنا هذا ، فلنرجع الى المتواتر في أسلوب النهي ، ونستدل بما أن النهي لا يكون الا مع الفعل وشبه الفعل في صيغة غير المقطع فانه لا يخص الا الزمن الذي يلي الزمن الذي أنت فيه ، شأنه شأن الأمر . وعليه فان النهي يكون في الجمل الاسمية كما يكون في الجمل الفعلية ، ولنبدأ بالجمل الفعلية لأن أمرها أوضح ، ذلك لأن المخبر فيها ، نعل والفعل أمره بيّن . . أنظر هذه الآيات الكريمة :

ولا تمش في الأرض مرحا .	(آ...18 لقمان 31)
لا تخافا انني معكما أسمع وأرى .	(آ... 46 طه 20)
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون .	(آ... 36 هود 11)
ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحق .	(آ... 151 الأنعام 6)

فهذه الأمثلة تتعلق بأفعال معتلة وبالفعل الصحيح وأيضا بائتلاف الفعل عموما مع العدد . هذا وان الفعل كما هو معروف قد تقترن به نون التركيد الثقيلة فيأتي النهي حين اقتران "لا" النهي بالجملة — مؤكدا ، مثال ذلك :

فلا تقولنّ لشيء اني فاعل ذلك غدا . (آ 23 الكهف 18)

ومما يجلب الانتباه في التراكيب المتعلقة بالنهي :

(1) نهي المخاطب عن عمل ضرب معيّن من الأشخاص دون ذكر للعملية ومثاله :

فلا يصدّنّك عنها من لا يؤمن . (آ 16 طه 20)

ف: " من لا يومن " أسم مبهم مع صلته ، والمجموع يكون سند المخبر : يصدّنّ: مخبر و" الكاف " المنصوبة باسطة أولية . ومن حيث المعنى فان هذه العناصر التي ذكرت هي على التوالي فاعل وفعل ومفعول به ، وعليه فان الضمير المشارك : "ي" هو ضمير الغائب .

(2) نهي كافة المؤمنين منذ نزول الآية حتى يوم الدين ، مثال ذلك :

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء . (آ 28 آل عمران 03)

فالضمير المشارك في المخبر هو الغائب ولكن النهي موجه لكل مؤمن .

(3) يرد النهي أيضا موجها الى طائفة معينة من المؤمنين فيكون المخبر الفعلي بضمير المشارك الغائب ومثاله :

ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى (آ 22 النور 24)

(4) نهي كافة المؤمنين عن فعل شيء فيما بينهم وذلك في قوله تعالى :

لا يغتب بعضكم بعضا . (آ 12 الحجرات 49)

ولذلك جاء المخبر على نمط المثال السابق والذى قبله ، وجاء السند لجميع المخاطبين والباسطة الأولية من مادة السند : " بعض " .

في نهاية الحديث عن تراكيب الجمل الفعلية الواردة في النهي نقول انه قد يرد تركيب النهي ولا يراد به النهي ، ذلك ماورد على لسان " هارون " مخاطبا أخاه " موسى " في قوله :

لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي . (آ 94 طه 20)

فالمراد من هذا التركيب هو : الالتماس وليس النهي :

ان الجمل الاسمية الواردة في أسلوب النهي هي التي تدخل عليها قرينة الزمان "يكون" (في صيغة غير المنقطع طبعا واعتبار العدد) مسبوقة بقرينة النهي "لا" ، مثال ذلك :

ولا تكونوا أول كافر به . (آ 41 البقرة 02)

فالمخبر في هذا القول هو : أول كافر به ، والدليل على ذلك انه بامكاننا أن نستخرج السند من شبه الفعل "تكونوا" فنقول : "أنتم أول كافر به" بعد أن نسقط القرينة الزمانية الدالة على المستقبل ، وهذا ينطبق على كل الجمل التي وردت فيها القرينة "كان" في صيغة غير المنقطع ، فانظر الى قوله تعالى :

ولا تكن مع الظالمين . (آ 42 هود 11)

فأساس التركيب فيه : أنت مع الظالمين ، ومعناه الدلالة على الوضع الحالي الذي هو فيه ، فان طلب منه أن يكف عن ذلك ويخرج من هذه الحال قيل له لا تكن مع الظالمين .

أما ورود النهي المؤكد في الجمل الاسمية ، فيكون على الشكل التالي :

فلا تكونن ظهيرا للكافرين . (آ 86 القصص 28)

أو : ولا تكونن من الممترين . (آ 147 البقرة 02)

فتحليلهما يكون كالتالي : أنت من الممترين ، وأنت ظهير للكافرين ، ثم تدخل عليهما "لا" النترية متبوعة بالقرينة الزمانية للمستقبل : لا تكن ثم لتوكيد ذلك تلحق نون التوكيد الثقيلة بشبه الفعل فنحصل على : لا تكونن من الممترين ، أو لا تكونن ظهيرا للكافرين .

وتبقى اشارة لابد منها وهي ظهور شبه الفصل مع المخاطب المفرد المذكر على وجهين : لا تكن ولا تك ، انظر الآيتين التاليتين :

فلا تك في مرية منه . (آ 17 هود 11)

ثم : فلا تكن في مرية من لقائه . (آ 23 السجدة 32)

فسقوط النون واثباتها واردان كما ترى في الاستعمال .

7 ـ قرائن التمني :

التمني هو الرغبة في الحصول على الشيء ، وله قرائن مختلفة هي : هل ولو ولـ يت . أول قرائن التمني تواتراً : " هل " . ورد في قولـه تعالى ما يلي :

هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا . (آ ـ 53 الأعراف 07)

هذا القول يستحق تفسيراً لأن الأصل في " هل " هو أنها ترد قرينة للاستفهام . يقول الفخر الرازي في تفسير الآية السالفة الذكر . " أن الذي طلبوه لا يكون لأن ذلك المطلوب لو حصل لما حكم الله عليهم بأنهم قد خسروا أنفسهم "(1) وعلى هذا الأساس نقول انه اذا انعدمت الشفاعة امتنع الاستفهام وتولّد عنه التمنّي .

قرينة التمني الثانية هي " لو " ، غير أن " لو " لا تقوم بهذه الوظيفة الا اذا اتصلت باحدى الوحدتين التاليتين : " أن " أو " ودّ " أو بهما معا . أنظر الأمثلة التالية حسب ضربي القول :

أ ـ القول الاسمي :

فلو أن لنا كرّة فنكون من المؤمنين . (آ ـ 102 الشعراء 26)

من هذا القول يمكن أن نسقط " لو " فنحصل على : " أن لنا كرّة " ، كما يمكن أن نسقط " لو " و " أن " فنقول : " لنا كرّة " ، ولكنه لا يمكن أن نسقط " أن " وحدها فنقول : " لو لنا كرة " ، فالقول لا يستقيم بهذا الشكل ، وعليه فان " لو " جزء من كل هو الدال المتقطع " لو . . . أن " .

ان المثال الثاني يتألف من " ودّ " و " لو " ، علما بأن هذا القول

(1) الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج 14 ، ص : 95 .

قد تكرر ستة عشر مرة في القرآن الكريم ، ورد بر بع هذا العدد غير مصحوب ب " لو " . أما الحالات التي تلي فيها القرينة " لو " الفعل " ود " فهي على قسمين ، صنف مركز النواة الاخبارية فيه اسمي مثل :

ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين . (آ 02 الحجر 15)

ب - القول الفعلي :

وصنف آخر مركز النواة الاخبارية فيه فعل مثل :

ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا .
(آ 109 البقرة 02)

يبقى الوجه الثالث من استعمالات " لو " مع " ودّ " و " أن " في ذات الوقت ، اليك مثاله :

تودّ لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا . (آ 30 آل عمران 03)

الملاحظ أن هذا المثال الذي قدمناه هو المثال الوحيد في القرآن الكريم وأن الذي ورد بعدها " مخبر اسمي " .

آخر قرينة من قرائن التمني هي " ليت " . وليت في واقع استعمالات القرآن الكريم لم ترد الا وهي مسبوقة ب (يا) . وعليه فاننا سننظر في أحوال " ياليت " واقترانها بالأقوال الفعلية والاسمية على السواء .

أ - الأقوال الفعلية :

نلاحظ أولا أن " ياليت " لا تقترن لا في القرآن الكريم ولا في كلام العرب بالفعل مباشرة ، وعليه فان الأقوال الفعلية التي تدخل عليها قرينة التمني : " ياليت " هي من الضرب الذي يتقدم فيه المسند على المخبر ، أنظر الأمثلة التالية :

ياليت قومي يعلمون . (آ 26 يس 36)

و : ياليتنا أطعنا اللّه . (آ 66 الأحزاب 33)

ثم : ياليتني لم أشرك بربي أحدا . (آ 42 الكهف 18)

وكذلك : ياليتني متّ قبل هذا . (آ 23 مريم 19)

لاحظ أن المخبر الفعلي يأتي على صيغتي "فعل" و"يفعل" ويأتي أيضا مجرّا من قرينة النفي كما يأتي مقترنا بهما .

ب ـ القول الاسمي :

تدخل قرينة التمني "ياليت" على الضمير المتصل مثل ما هو الحال في قوله تعالى :

ياليتني كنت معهم . (آ 73 النساء 04)

مع اعتبار ادراج القرينة الزمانية "كان" بين الضمير في وظيفة المسند والمخبر . فالأصل في تركيب الآية السالفة الذكر هو "أنا معهم" ثم يصير التركيب بعد ادراج قرينة التمني "ليتني معهم" ويدل هذا التركيب على التمني في الزمان الحاضر وحصول الصحبة في الزمان الحاضر . أما اذا عبّر عن الأمنية في الزمان الحاضر ، وحصول الصحبة في ما مضى من الزمن ، فانه لا بدّ من ادراج قرينة الزمان بين المسند والمخبر ، وبما أن مسندي القرينتين واحد ، (ضمير المتكلم) فانه يتصل بـ "ياليت" ضرورة ثم يعاد ذكره مع شبه الفعل كان ، فنقول : "يا ليتني كنت معهم" .

وتدخل قرينة التمني أيضا على ضرب آخر من الأقوال تتصدره كيفية مثل : "لنا" و"بي" . انظر ما ورد في الآيتين الكريمتين :

ياليت لنا مثل ما أوتي قارون . (آ ـ 79 القصص 28)
ياليت بيني وبينك بعد المشرقين . (آ ـ 38 الزخرف 43)

الملاحظ في هذين المثالين أن قرينة التمني تدخل على المخبر المتقدم : " لنا " و " بيني وبينك " . أما المسند فهو في الحالتين المذكورتين مضاف : اما الى اسم معرف بالالام في : " بعد المشرقين " واما الى : الاسم المبهم " ما " وصلته هي فعل لما لم يسم فاعله : " ما أوتي موسى " .

8 ـ قرينة الترجي

الترجي معناه توقع الانسان حصوله على أمر مرغوب فيه جزاء على عمل يقوم به ، كما نص على ذلك معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية وقد فصل هذا المعجم القول في أضرب الترجي كما يلي باعتبار " لعل " القرينة الوحيدة للترجي :

1 ـ أن يكون من المتكلم وتفيد " لعل " هذا المعنى اذا دخلت على ضمير المتكلم مفرداً كان أو جمعاً .

2 ـ أن يكون من المخاطب مفردا أو جمعا ، وتفيد هذا المعنى اذا دخلت على ضمير المخاطب مفردا أو جمعا . ويغلب في هذه الحالة أن تكون مسبوقة بفعل أمر مجانس فاعله الضمير الذي بعدها . وقد يكون الترجي من المخاطب اذا دخلت " لعل " على ضمير الغائب مفردا أو جمعا وكانت مسبوقة بفعل أمر .

3 ـ أن يكون الترجي أو التوقع ممن له علاقة بموضوع الكلام وليس من المتكلم أو المخاطب .

ونحن سنبدأ كالعادة في الأقوال باعتبار ضرب مركز نواتها : فعليا كان أو اسميا .

أ ـ القول الفعلي : ان الصورة الواضحة فيه هي التي تدخل فيها قرينة الترجي على الاسم الصريح مثل ما جاء في قوله تعالى :

لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا .　　　(آـ 01 الطلاق 65)

فمتى جردنا هذا القول من قرينة الترجي حصلنا على ما يلي : الله يحدث بعد ذلك أمرا ، وهو تركيب تقدم فيه السند على المبير على غير الغالب المولوف في كلام العرب . انه على غرار هذا التركيب تكون بقية الأقوال الفعلية

الأقوال الفعلية الأخرى ، ذلك لأن " لعل " تقترن فيها بالضمائر المتصلة عوضا عن الاسم الصريح كما تقدم في المثال السابق ، أنظر الأمثلة في الآيات التالية :

لعلّي أبلغ الأسباب . (آ 26 غافر 40)

لعلّك ترضى . (آ 130 طه 20)

لعلّه يتذكّر . (آ 44 طه 20)

يقول المفسرون : قد علم الله حين أرسال هذه الآية ما يفضي اليه حال فرعون ، لكن اللفظ ورد بما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع .

ب ـ القول الاسمي : بما أن قرينة الترجي لا تأتلف الا مع الاسم ، وقد ظهر ذلك جليا في القول الفعلي حيث ان " لعل " لم تتصل الا بالاسم الصريح أو بأحد الضمائر المتصلة ، فاننا نقول أن القول الاسمي يكون السند فيه اسما معرفا أو ضميرا متصلا وفي صدارة القول ، انظر مثلا : الساعة قريب ، ان نحن أدرجنا قرينة الترجي على هذا القول ، نحصل على تركيب الآية الكريمة التالية :

لعل الساعة قريب . (آ 17 الشورى 42)

أما المثال الثاني فالسند فيه ضمير متصل والمخبر اسم فاعل وما يقتضيه من علاقات :

لعلّك تارك بعض ما يوحى اليك . (آ 12 هود 11) .

لأبي حيان تفسير لطيف لهذه الآية لم نر بدّا من عرضه هنا لما لـ "لعل" من معاني أخرى غير الترجي قد تدفع القارىء على ردّ هذا المثال . يقول أبو حيان : " لعلك " هنا للتوقيف والتقرير . . . ويحتمل أن يكون النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد عظم عليه ما يلقى من الشدة فمال الى أن يكون من الله اذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلّم "(1) .

(1) أبو حيان الاندلسي : تفسير البحر المحيط ، ج 5 ، ص : 207 .

9 ـ قرائن العرض والتخضيض

العرض هو طلب الشيء برفق ولين ، والتحضيض هو الحث والدفع لفعل أمر معيّن ، والحث والتحضيض كالأمر ، يقول ابن فارس في كتابه فقه اللغة متميزا بين العرض والتخضيض "العرض والتحضيض متقاربان الا أن العرض أرفق والتحضيض أعزم ".

قرائن العرض هي ألا ولولا ، وكلتاهما تختص بالقول الفعلي ، فالأولى تدخل على القول الفعلي في صيغة "يفعل" ، والثانية تدخل على القول الفعلي في صيغة "فعل" . أنظر الأمثلة التالية :

ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم . (آ 22 النور 24)

ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ، (آ 13 التوبة 09)

قرينة العرض الثانية هي : لولا ، وردت في قوله تعالى :

لولا أخرتني الى أجل قريب . (آ 10 المنافقون 63)

فالفعل على صيغة "فعل" ولكن سياقه يدل على الاستقبال .

أما التحضيض فقرائنه هي : ألّا ولوما ولولا وتختص كلها بالأقوال الفعلية والفعل فيها على صيغة يفعل بالنسبة لـ : "ألا" و "لوما" أمثلتها على التوالي هي :

ألّا تعلوا عليّ . (آ 31 النمل 27)

ألّا يسجدوا للّه . (آ 26 النمل 27)

لوما تأتينا بالملائكة . (آ 07 الحجر 15)

أما لولا فانها تقترن بالفعل على صيغة "يفعل" مثل :

لولا تستغفرون اللّه . (آ 46 النمل 27)

كما تقترن بالفعل على صيغة فعل ، ولكن هذا الماضي اذا نظر في السياق الذي ورد فيه تبيّن أن السياق يصرفه عن المضي الى الاستقبال . انظر الأمثلة التالية :

فلولا نفر من كل فرقة طائفة . (آ. 122 التوبة 09)

ثم : فلولا اذ سمعتموه ، قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا . (آ 16 النور 24)

الملاحظ في العرض والتحضيض أنهما لا يردان الا في قول مخبره فعل ، بخلاف التنبيه فان قرينته تدخل على القول الفعلي والقول الاسمي على السواء انظر هاذين المثالين :

ألا انهم هم المفسدون . (آ 12 البقرة 02)

و : ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه . (آ 05 هود 11)

ثم انظر هاذين المثالين :

ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم . (آ 08 هود 11)

ثم : ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون . (آ. 05 هود 11)

ان قرينة الزمان في هاذين المثالين تدخل على اسم يدل على الزمان مضاف الى فعل ، يستغشون أو تأتيهم ، ثم يأتي المخبر الفعلي : يعلم . أما المثال الآخر فهو أكثر تعقيدا ، ذلك لانه قولا متكاملا تركيبا ومعنى : " ليس مصروفا عنهم " إن جُرّد هذا القول من قرينة النفي ليس صار " هو مصروف عنهم " (العذاب مصروف عنهم) فالمخبر اذن هو مصروف عنهم ، وهو مخبر اسمي ، ولا نعتبر الفعلين الواردين بعد : يوم أو حين لأنها تابعين في علاقتهما الى اسمي الزمان .

المسألة الحادية عشر :

العطف والربط

1 ـ مدخل

أ ـ المسألة الأولى
ب ـ المسألة الثانية

2 ـ عطف الجمل

أ ـ عطف الجمل الاسمية
ب ـ عطف الجمل الفعلية

3 ـ روابط الجمل

أ ـ الاستثناء
ب ـ الاستدراك
ج ـ الحال
د ـ الاضراب
هـ ـ الاستئناف .

1 ـ مدخل

ان بسط القول يتم بأحد أمرين : اما بالتعلق واما بالعطف . وإذ يتنافي ما سبق جميع أنواع الباسطات ، الأولية منها وغير الأولية ، ... الأولية بالمخبر وتتعلق الباسطات غير الأولية بأحد أجزاء القول الأخرى بقي لنا أن ندرس الوجه الثاني من البسط وهو العطف .

ان العطف ظاهرة علبقة بالقول ذلك لأنه لا يوجد عطف ... بوجود تكافؤ وظيفي بين عنصرين ، وبما أنه لا وظيفة لعنصر ما ... بنية ما ، فان القول ـ كما هو معلوم ـ هو البنية اللسانية القصوى ... أهم وظائفه التبليغ .

ان الوظيفيين اعتمدوا التقطيع المزدوج للكلام ... الثلاثي للقول ، ذلك لأن الأصوات تتألف لتدخل في علاقات معينة ، كما تتألف الكلمات لتدخل في علاقات معينة أيضا وفق قوانين معينة ... في كلتا الحالتين ، ولا وجود لوحدات تسمى "نص" أو أقوال تأتلف في ما ... يسمى الخطاب على أساسها ، ذلك لأن القول والخطاب متماثلان في ... لسان كان ، ولأن دراسة تآلف الأقوال (التامة طبعا) يتجاوز حدود ... التركيبية (النحوية) .

ونعود الى ما كنا فيه من الحديث عن العطف فنقول : ... الوظيفية بين عنصرين . وان هذه الخصوصية لشرط لازم وكاف ، ينجم عنه أن العطف يمكن أن يوسم بوحدة مخصصة لهذا الغرض : أولا يوسم ... مثل ما ورد في قوله جلّ وعلا :

جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس . (آ ـ 97 المائدة 5)

والمعادلة الوظيفية تعني في عرف الوظيفيين نفس القوام (الحكم) أو نفس الوظيفة ، ولعلّ التعبير الأليق كما يقول كنراد بيرو " ، التعبير الذي يشمل في ذات الوقت القوام والوظيفة هو القيام " بنفس الدور " ، الدور بمفهومه العام ، نفس التصرف في نفس القول ، وعليه فان العطف يمكن أن يمس أيّ عنصر من تلك العناصر التي تمت دراستها حتى الآن ، كأن يكون مركبا اخباريا أو موصلات اسمية أو قرائن لها نفس القوام ، أو تكون عناصر لها نفس الوظيفة الأصلية ، كالمخبر والسند والواسطة الأولية والواسطة غير الأولية . بالاضافة الى هذا يمكن عطف كلمتين أو نسقين أو لفظين أو تراكيب أوسع ، لأنّ العطف على مجموع الوحدات المتكونة من المخبر وما يتصل به أمر ممكن جدا .

ان الطريقة التي نتصرف بها على العنصر المعطوف قد بيّنها " أ . مارتينه " في كتابه مبادئ اللسانيات العامة . هذه الطريقة هي طريقة الاسقاط ، وذلك بأن نسقط العنصر المعطوف عليه ونسقط وحدة العطف فيبقى العنصر المعطوف قائما في بناء تام متكامل معناه ، لا تتأثر علاقة بقية وحداته بهذا التغيير ، فبنية القول الجديد هي نفس بنية القول السابق .

هذا هو الأساس والقاعدة ، ولكن القاعدة لا تخلو من شذوذ باعتبار أن ائتلاف الوحدات تنتظم في كل لسان بكيفية مختلفة ، فالشذوذ في تطبيق قاعدة الاسقاط في العطف أمر خاص بالضمائر المتصلة بالفعل ، في صيغة فعل ويفعل وافعل . ذلك أنه ان نحن أسقطنا الضمير المتصل أو أسقطنا الضمير المنفصل الموضوع للتأكيد حصل خلل في التركيب ، واضطرب المعنى وفسد مثال ذلك :

اسكن أنت وزوجك الجنة . (آ 35 البقرة 02)

فأمر تعاقب الضمير المنفصل " أنت " والاسم المضاف الى الضمير المنفصل غير ممكن في لغة العرب في هذه الحالة : " أسكن زوجك " ، وكذلك الشأن بالنسبة لـ " يفعل حال ايصاله بضمير متصل في وظيفة الباسطة الاولية متبوع بضمير منفصل للتأكيد مثل :

انه يراكم هو وقبيله . (آ 27 الأعراف 07)

أما في حال عدم وجود تأكيد بضمير فصل فيجب النظر في التركيب والتمييز بين صيغة " فعل " و " يفعل " مثال الاولى :

ما أشركنا ولا آباؤنا . (آ 148 الأنعام 06)

يمكن أن تنعكس فيه القاعدة : " ما أشرك آباؤنا " . أما مع صيغة يفعل فنذكر هذا المثال :

جنات عدن يدخلونها ومن صلح من أبائهم . (آ 23 الرعد 13)

فهي أيضا تنطبق عليها القاعدة : " جنات عدن يدخلها من صلح من أبائهم " باسقاط " واو " الجماعة و " نون " الاثبات التي لاتظهر مع المفرد الغائب .

أما في حال اتصال الفعل في صيغة " فعل " بالضمير فيجب أيضا النظر في تركيب الفعل مثل ما هو الحال في قوله سبحانه :

فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن . (آ 20 آل عمران 03)

فان نحن أسقطنا ضمير المتكلم واستبدلناه بالاسم المبهم ترتب عنه وجوبا استبدال " الياء " في : كلمة وجه " بالهاء " ، وعندما تنطبق القاعدة : " أسلم وجهه لله من اتبعن .

بعد هذا نقول : ان أول ما يجب لفت النظر اليه في العطف هو تلك القابلية العجيبة في بسط القول وهي ظاهرة لايكاد يخلو منها قول ، فهي بارزة أحيانا وطاغية في القول أحيانا أخرى مثل ماورد في قوله تبارك اسمه :

" ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّاللّه لهم مغفرة وأجرا عظيما . (آ ـ 35 الاحزاب 33)

فقد تكررت وحدة العطف في هذه الآية الكريمة تسعة عشرة مرة ، عددت فيها عشر مراتب : الاسلام والايمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصوم وحفظ الفرج وكثرة الذّكر ، للذكران وللاناث لا تختص بها مجموعة دون الاخرى ولا تحظى منها مجموعة دون غيرها من هذه المراتب المذكورة .

وعليه تكررت " واو " العطف تسعة عشرة مرة ، الى جانب هذا نذكر ان اسم الفاعل يذكر مجردا مثل : " صائم " كما يذكر وقد تعلقت به وحدات أخرى ، مثل : " حافظ فرجه " أو " ذاكر الله كثيرا " ، وقد سبق الحديث في هذه المسألة ، وانما نبهنا اليه لتبيان تداخل الهسط في القول الواحد بالعطف وبالتعلق . ولا بأس من التوقف عندها قليلا لما لها من أهمية بالغة ولما تحتوي عليه من فنون البلاغة ولما لها أيضا من وظيفة أساسية في دقة التبليغ ، فتمعّن قوله تعالى :

قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى .... " (آ ـ 24 التوبة 09)

ودون تفصيل للقول في أنواع الحب الثمانية التي تستهوى الانسان وفي تصنيفها بالوجه الذى وردت به في الآية ، نقول : ان الاسم المعطوف على غيره قد يتعلق بفعل في صيغة " نعل " أو في صيغة " يفعل " بعدد من الوحدات متفاوت كما يمكن أن يتعلق بكيفية مثل : " جهاد في سبيله " أو موصل مثل : وفصيلته التي تؤويه في قوله جل وعلا :

" يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا " . (آ 11 المعارج 70)

هذا أمر كان ينبغي التنبيه اليه والوقوف عنده ليفهم معنى بسط القول الفهم الصحيح اللازم ، وليبرز شأن ما يقصده المتكلم ويبده امكانيات لا تنتهي يتيحها لها عدد محدود من العلاقات ، امكانيات من دقة التبليغ وامكانيات دائمة التجديد في بلاغة التعبير .

وبما أننا لا ندرس الأسماء أو الأفعال لكونها مجرد أسماء أو مجرد أفعال ولكن لما لها من وظائف في القول فانه لا بد من ذكر امكانية عطف الوظائف بعضها على البعض الآخر . كما أنه لابد من اعتبار مسألتين ، تتعلق الأولى بمعنى وحدة العطف عموما ، وتمس المسألة الثانية عطف المخبرات الفعلية .

أ - المسألة الأولى :

ونبدأ بمسألة عطف المخبرات الفعلية . لقد تعرضنا أكثر من مرة في ما سبق من التحليل الى أهمية الفعل وقلنا أن الفعل حيث ما وجد كان محور نواة اخبارية تتكون في أبسط الأحوال منه ومن السند وقلنا كذلك ان الوظيفتين الأساسيتين للفعل هما : اما أن يكون مخبرا واما أن يكون مخبرا ، وعليه فالحديث في عطف وظيفة المخبر الفعلي على المخبر الفعلي ، يمس ضرورة من حيث التركيب عطف الجمل ، وهو ما سنتعرض له بالشرح والتحليل في باب الروابط ان شاء الله ، لكن عطف المخبرات الفعلية بعضها على بعض يبقى أمر ممكن في جميلات الشرط أو في جميلات جواب الشرط أو في الجميلات التي لا تدخل في علاقة أولية مع المخبر الرئيس . بالنسبة لجميلة الشرط وجميلة جواب الشرط نقدم هذا المثال :

اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا . (آ 1، 2 النصر 110)

وانظر أيضا الى قوله تعالى :

فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى . (آ 5، 6 الليل 96)

أما تكرار المخبر الاسمي بالعطف فهو أمر متواتر ومثاله :

انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد . (آ 20 الحديد 57)

وقد يرد تكرار المخبر الفعلي وتكرار الاسمي بواسطة العطف في نفس الآية . أنظر هذا المثال :

انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم . (آ 36 محمد 47)

بعد هذا التوضيح نلاحظ أن تكرار المخبر الفعلي بالعطف في القول المنفي أمر ممكن ويترتب على ذلك أنه في حال اقتران الفصل الأول بوحدة نفي فان وحدة النفي هذه تكون جبرا مع الفصل المعطوف مثال ذلك :

فلا صدّق ولا صلّى . (آ 31 القيامة 75)

اما : لا تبقي ولا تذر (آ 28 المدثر 74) أو : لم يلد ولم يولد (آ 3 الاخلاص 112) فهذه أمثلة تتوالى فيها الأفعال في وظيفة المخبر دون أن تتوسطها وحدة أخرى فقط وسواء أكانت على هذا الوجه من التركيب أم انه توسط الفعلين باسطة أو كيفية كما هو الحال في المثالين التاليين :

لا تخاف دركا ولا تخشى (آ 77 طه 20) و : لا يموت فيها ولا يحيى . (آ 13 الأعلى 87)

فان الأمر يستدعي كثيراً من الحيطة أثناء التحليل ويستوجب الرجوع الى السياق للوصول الى القصد المودع في التركيب ، فصيغة "أحمد" مثلا في صورة الاخلاص تقتضي نفي الوالد والولد معا وبالضرورة . والحاصل من هذا أن الفعل اذا كان في صيغة "فعل" وكان مسبوقـا بقرينة النفي "لا" فانه لا ينبني عليه قول البتة مثل : "لا صدق"... لأن هذا لم يسمع عن العرب ، ولا وجود له في القرآن الكريم .

بما أننا عرّفنا العطف بأنه المعادلة الوظيفية بين عنصرين فانه ان طلب منا البرهنة على ذلك توجب علينا أن نحدد كل ما صنّفناه من وظائف مقدمين أمكانية العطف فيها ، وهذا - لا شك - يثقل كاهل القارئ ، وعليه فاننا سنقدم فيما يلي نماذج مختصرة قدر الامكان لهذه الظاهرة ، فبعد ما بينا عطف المخبر الفعلي على المخبر الفعلي والمخبر الاسمي على المخبر الاسمي نقدم مثالا لعطف السند على السند :

وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ... (آ ـ 12 الاحزاب 33)

ف "الذين في قلوبهم مرض" اسم مبهم مع صلته له نفس وظيفة "المنافقون". ومثال الباسطة الأولية يظهر في قوله جلّ وعلا :

أنا أطعنا سادتنا وكبراءنا . (آ ـ 67 الأحزاب 33)

ذلك في حال الاثبات والتأكيد ، أما في حال النفي فمثاله :

فلا يخاف ظلما ولا هضما . (آ ـ 112 طه 20)

وعن عطف المكتفيات نعرض هذا المثال :

فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم . (آ ـ 103 النساء 04)

وفي مثال آخر طريف تتعلق فيه وحدات كثيرة بالوحدتين المكتفيتين المعطوف عليها والمعطوفة نقدم هذا النموذج :

اني رسول الله اليكم مصدّقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .　　　(آ 06 الصف 61)

أما عن الكيفيات فتقدم مثالين : مثال بسيط ويمكن أن يأتي على هذا الوجه :

فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها .　(آ 12 فصلت 41)

كما يمكن أن يأتي على هذا الوجه الآخر :

وعليها وعلى الفلك تحملون .　　　(آ 22 المؤمنون 23)

أما مثال العطف الذى فيه تركيب فهو :

رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمنا .(آ 28 نوح 71)

أو: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون حجابا مستورا .　　　(آ 45 الاسراء 17)

ومن الوظائف غير الأولية اخترنا هذا المثال الرائع ، فتتبع علاقاته وتأمل أبعاده :

"فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون".　　　(آ 2 ، 3 ، 4 البقرة 02)

فالمخبرات فيه تتوالى وتتنوع فيه الباسطات وفيها ما يتقدم وفيها ما يتأخر كما تتعدد فيه الأسماء المبهمة (الذين وما) فتنعطف بعضها على بعض في نسق عجيب للأصول وللفروع .

ب - المسألة الثانية :

تتعلق المسألة الثانية بمعاني خاصة بكل أداة من أدوات العطف . وإننا قد تحدثنا عن العطف "بالواو" ، واعتبرنا فيه الوظيفة أساسا ، ولم نبحث

تفاصيل المعنى فيه فأقمنا التحليل على معنى الجمع والاشتراك الغالب في "الواو" كأداة عطف وأهملنا ما يحتمله الكلام من معاني الترتيب* وعكس الترتيب* ، وكذلك سنفصل ببقية أدوات العطف . "فالفاء" معناها الترتيب والتعقيب و "ثم" تفيد التراخي ،اما "أو" فتجلب لأحد الشيئين أو الأشياء وتفيد بعد الطلب الاباحة أوالتخيير وبعد الخبر الشك أوالتشكيك وأخيرا تنفرد "أم" بالتعيين لكونها تأتي في قول فيه معنى التسوية، ويسبقها فيه على الدوام استفهام قرينته "الهمزة" .

بعد هذا نقدم عرضا سريعا لأمثلة بقية أدوات العطف ونبدأ "بالفاء" (المفتوحة) وهي أقل تواترا من "الواو" (المفتوحة) .

- فـ - للفاء نقدم مثالين ،يتعلق الأول بعطف اسم مبهم ويتعلق الثاني بعطف أسماء الفاعلين :

ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها .(آ 26 البقرة 02)

و: ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤون منه البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم.(آ 51، 55 الواقعة 56) .

ثم ومثالها :

فاذا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة . . .
(آ 05 الحج 22)

او وامثلتها :

للشك : وانا أو اياكم لعلى هدى . (آ 24 سبأ 34)

وللتخيير والاباحة :

---

* مثل : اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها (آ 1، 2، 3، الزلزلة ، 99) .

* ومثل : ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . (آ 24 الجاثية 45).

" ليس على الأعمى حرج ... ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ، ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا .. (آ 61 النور 24)

وللتنويع : فهي كالحجارة أو أشد قسوة . (آ 74 البقرة 02)

وللتفصيل : لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى (آ 111 البقرة 2)

أم وأمثلها وهي لا ترد الا على شكل دال متقطع : "أ ... أم "

أن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . (آ 06 البقرة 02)

كذلك : أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . (آ 39 يوسف 12)

الملاحظ أن المثال الأول يحتوي على ضرب من التركيب غير بسيط وذلك لأن الذى يرد بعد الجزء الثاني من الدال المتقطع : أ ... أم " يمكن أن يكون قولا تاما مبنى ومعنى : " لم تنذرهم " وهو مقابل لـ : " أأنذرتهم " ولكن المشكلة تكمن في الاستحالتين التاليتين : لا الفعل الأول يمكنه — دون قرينة الاستفهام — أن يكون مركز القول وحده ولا الفعل الثاني يستطيع أن يستقطب علاقات كل الوحدات الواردة في القول ، وان هذا الذى نقوله بالنسبة للقول الفعلي لينطبق تماما على القول الاسمي (أنظر المثال الثاني) فانك ان لم تدخل عنصرا مساعدا كالتفخيم مثلا (وهو أبسطها) في جزء التركيب الوارد بعد أم : " الله الواحد القهار فـان التركيب لن يكون له معنى . وعلى هذا فان تركيب هذا الضرب من الأقوال ينبغي أن نعتبر فيه أمرين أساسيين : الدال المتقطع "أ ... أم " والوحدة الدالة على التسوية أو ما في معناها ، لأن الذى قمنا به من تحليل بالنسبة

للمثال الثاني انما هو اجتهاد منّا أوجبه نوع التركيب ، لأنّ الأصل في هذا الضرب من البناء المفاضلة بين أمرين في قول اسمي ، وحتى يكون القارئ على بينة من هذا الأمر فلينظر المثال التالي ، فإن الاسم فيه يرد مفردا بعد "أم" :

أأنتم أشدّ خلقا أم السماء . (آـ27 النازعات 79)

ويبقى نوع ثالث من التركيب يقع فيه عطف الاسمي على الفعلي بـ "أم" وذلك في مثل قوله تعالى :

أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . (آـ64 الواقعة 56)

وكذلك في : سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون . (آـ193 الأعراف07)

فالأمر في هذين المثالين يختلف لأنّ التقابل يتم بين حدثين : أنتم تزرعونه / نحن الزارعون و : دعوتموهم / أنتم صامتون .

وأهم شيء في العطف كوسيلة لبسط القول هو أن وحدات العطف فيه تتعدد وتتنوع في القول الواحد فتتظافر على إعطاء المعنى ما يستحقه أو ما يستوجبه أو مايزيله من تنسيق واشتراك وترتيب وتعقيب وغيره من المعاني . أنظر مثلا الى وحدتي "الواو" و "الفاء" في قوله جلّ وعلا :

سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدّر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى . (آـ01 ـ 05 الأعلى 87)

فكل هذه المعطوفات واردة في بساطات غير أولية ذلك لأنّ "الأعلى" صفة للرب (ربك في الآية) . و "الذى خلق" أيضا صفة للرب (بدل من "الأعلى") و "سوّى" عطف نسق بالفاء وهكذا دواليك .

2 ـ عطف الجمل

أنا بالحديث عن العطف كاحدى طريقتي بسط القول لكون قد وقفنا عند أهم أنواع العلاقات التي يمكن أن تربط بين العناصر داخل القول الواحد ، ولكننا لم نستوفها ، ومن جهة أخرى أننا بتحديد الوظيفة التي تقوم بها وحدات العطف قد تمكنا من ضبط مقومات الجملة في القرآن الكريم وحصر جميع النواميس التي تتحكم في الأغلب الغالب من ضروب التراكيب التي تقوم عليها الجملة . ولعله بعد هذا الشوط من التحليلات التي قمنا به في دراستنا هذه يكون من المفيد أن نقارن بين مفهومي الجملة والقول . فالجملة هي مجموع الوحدات اللسانية التي تتعلق بمخبر فرد أو مخبرات معطوفة ، وأما القول فهو كل جزء من مدرج الكلام يتوسط انقطاعين ناجمين ، اما عن الوقف (في القرآن الكريم . أو السكوت في كلام البشر) واما عن حركية دورة التخاطب (⟸) س (مخاطب (بـ) مخاطب (ـ) س ، وخاصية هذا الجزء من مدرج الكلام هو أنه لم يحدد بعد أو لم ينقسم الى جمل ، وبعبارة أخرى أن القول هو الذى يشمل الجمل وهو الجامع لها .

واذا كان ذلك كذلك فانه بقي لنا أن نبين كيف يتم عطف الجمل بعضها على بعض . وأول ما يسترعي الانتباه في هذا المقام هو أن وحدات العطف التي تعدد الجملة وحدة بوحدة أخرى وعلاقتها بها باعتبارها نسخة مطابقة لها ـ هي نفسها التي تقوم بعطف الجمل . والجمل كما هو معروف تبني العلاقات فيها اما على مخبر فعل واما على مخبر اسم ، وعطف الجمل سيكون اذن مبدئيا باعتبار المحورية الاسمية أو المحورية الفعلية ، ثم أنه بالنسبة للجمل الفعلية ستراعى أساسا صيغتا الفعلين المركزيين ،

غير ان السؤال عن امكانية عطف الاسمي على الفعلي مثلا يبقى قائما وكذلك الشأن بالنظر الى عطف المنقطع على غير المنقطع . وفي ما يلي نقدم أمثلة على هذا التنوع في ظاهرة عطف الجمل بمختلف أدوات العطف .

أ ـ عطف الجمل الاسمية :

أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . (آ ـ 05 البقرة 02)
أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم . (آ ـ 5 الرعد 13)
ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم . (آ ـ 92 الانبياء 21)
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا . (آ ـ 22 الانسان 76)

في هذه الجمل الاسمية المعطوفة نذكر بالامكانيات المختلفة لتكوين الجملة الاسمية بتنوع المسند فيها والمخبر . ويبرز من خلال هذا أنه مهما كان نوع المسند ومهما كان نوع المخبر الاسمي : اسم معرف باللام أو بالاضافة الى ضمير متصل أو اسم علم فالمهم هو الوظيفة ، أنظر الى هذا المثال الطريف :

أنا يوسف وهذا أخي . (آ ـ 90 يوسف 12)

وتمثّن أيضا في الأمثلة السابقة ادراج التوكيد تارة في الجملة الأولى وتارة في الجملة الثانية اما بالقرينة " ان " واما بالضمير المنفصل " هم " ، وتمثّن أيضا ادراج قرينة الزمان " كان " فهي تتصدر الجملة الاسمية أحيانا وهذا هو الغالب كما أنها تتوسط العنصرين الأساسيين للجملة الاسمية : المسند والمخبر وفي مثالنا تصدرت الجملة قرينة التوكيد : انّ هذا كان لكم جزاء .

ب ـ الجمل الفعلية :

اننا ركزنا على عطف الجمل الاسمية فيمابينهما ب " الواو " لأنّ "الواو" أكثر تواترا من غيرها فهي بذلك تعد أم الباب ، وبناء على هذا فاننا سنتخذها

أصلا في عطف الجمل الفعلية في ما بينها . وعطف الجمل الفعلية أمر متواتر أيضا سنركز فيه على الأهم، ذلك لأن المجال فيه فسيح ان نحن اعتبرنا ضروب الفعل في تعديه ولزومه وفي تنوع صيغه وكذلك اذا اعتبرنا مختلف معاني الجمل من اثبات ونفي وأمر وتوكيد وشرط وهلم جرا . وسنكتفي بتقديم بعض الأمثلة فقط لتتجلى ظاهرة عطف الجمل الفعلية :

— ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . (آ 286 البقرة 02)

— واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون . . . واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء . . . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ؛
(آ 11 ـ 14 البقرة 02)

ثم : اياك نعبد واياك نستعين . (آ 05 الفاتحة 01)

هذا الذي قدمناه من تطابق بين صيغتي الفعل (سواء صيغة الفعل الذي لم يسم فاعله أو صيغة فعل أو صيغة يفعل أو صيغة افعل) يعد أمرا عاديا وهو الغالب ، ولكن العطف قد ورد في القرآن الكريم بوجوه استرعت انتباهنا ، فسجلناها ، اليك منها هذه الأمثلة :

— ان شاء جعل لكم خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لكم قصورا . (آ 10 الفرقان 25)

— ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة . (آ 63 الحج 22)

— والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض . . . (آ 09 فاطر 35)

لم تضم هذه الأمثلة العطف " بالواو " وحده ، وانما ضمت " الفاء " أيضا لأن المعنى اقتضاها ، وبما أنه سبق الحديث عن معاني أدوات العطف، فسنكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة المتعلقة بعطف الجمل بالأدوات الأخرى .

ـ ألهم أرجل يمشون بهـا أم لهم أيـد يبطشون بها أم لهم أعـين يبصـرون بها أم لهم آذان يسمعون بها . (آـ 135 الأعراف 07)

ـ ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم . (آـ 24 الأحزاب 33)

ومن عطف الجمل الفعلية على الجمل الفعلية وعطف الجمل الاسمية على الجمل الاسمية ننتقل الى عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية فنذكر هذا المثال :

منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون . (آـ 66 المائدة 05)

ثم من عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية تقدم هذا المثال :

فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب . (آـ 71 هود 11)

ومن هذا الضرب الأخير نذكر أن الجملة الاسمية قد تقترن بشبه الفعل الدال على الزمان مثل :

وأقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . (آـ 105 يونس 10)

3 ـ روابط الجمل

بعطف الجمل يتضح جيدا مفهوم بسط القول ، ولكن العطف وحده مهما قدم من امكانيات عريضة متنوعة مثلما بيّنّا فانه لا يغطي كل امكانيات بسط القول في القرآن الكريم وفي لغة العرب . فمتى شئنا الالمام بكل الوسائل التركيبية التي تمكن المتكلم من التوسع في الكلام في القول الواحد ، كان لزاما علينا أن نتجاوز وسيلتي التعلق والعطف (اللتين تم الحديث عنهما) الى ما يسمى بالربط . فالروابط هي عناصر تركيبية وظيفتها مزدوجة ، هي قاسمة جامعة تقسم بالقول الى جمل واضحة المعالم وتجمع في ذات الآن بين تلك الجمل ليكتمل القول . فهي اذن بمثابة المفاصل في القول . ولهذه الوحدات الرابطة معاني دقيقة واضحة هي : الاستثناء والاستدراك والحال والاضراب والاستئناف ، ونسوق أمثلتها مع تبيان تراكيبها كما أوردنا معانيها على التوالي :

أ ـ الاستثناء : ويفيد في هذا الباب التخصيص بعد التعميم ويقع التخصيص بجملة متكاملة التركيب ، كما يتم التعميم بجملة يمكن أن تقوم بذاتها معنى ومبنى كجملة التخصيص ولكنه يحصل الربط بين الجملتين بأداة الاستثناء : "إلا" مثل :

فسجد الملائكة كلهم أجمعون الاّ ابليس أبى أن يكون مع الساجدين .
(آ 31 الحجر 15).

فمتى أسقطنا الأداة "إلاّ" ونظرنا الى الجملتين وجدنا كلتا الجملتين تستقل بذاتها ، ذلك ان محور الجملة الأولى : "سجد" به تتصل كل الوحدات الأخرى ، وأن النواة الاخبارية في الجملة الثانية هو : "ابليس أبى" ، اليه تنضم بقية الوحدات في الجملة الثانية ، والملاحظ في هذا المثال

أن الفعلين مختلفان ، وكذلك الشأن بالنسبة للسندين . ومعلوم أن جملة التخصيص التي تربطها الوحدة الاستثنائية "إلاّ" بالجملة المتقدمة عليها قد ترد بوجوه تركيبية مختلفة ، فتأمل تركيباتها فيما يأتي :

- ابليس لم يكن من الساجدين . (آ 11 الأعراف 07)
- ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا . (آ 61 الاسراء 17)
- ابليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه . (آ 05 الكهف 12)
- ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . (آ 74 ص 38)

وقد وردت جملة التخصيص بضروب أخرى من التراكيب مغايرة لتلك التي قدمنا نذكر منها هاذين المثالين فتأملهما :

انا أرسلنا نوحا الى قوم مجرمين الاّ آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته انها كانت من الغابرين . (آ 60 الحجر 15)

ثم : لست عليهم بمسيطر الاّ من تولّى وكفر فيعذّبه الله العذاب الأكبر . (آ 22 ، 23 ، الغاشية 88)

تميزت الجملة التخصيصية في المثال الأول بالتوكيد وتصدرها في المثال الثاني اسم مبهم مع صلته .

ب - <u>الاستدراك :</u> كيفية في التعبير يلحق بها ما فات من القول ويسبق أثناء الكلام لتصحيحه وتصويبه لبلوغ القصد ، وعليه فان آخر القول تابع لأوله . هذا من حيث المحلى ، ومن حيث المعنى فان الجملة الثانية ترتبط بواسطة وحدة الاستدراك بالجملة الأولى . ووحدة الاستدراك هذه تأتي على وجوه هي : "لكن" خفيفة و"ولكن" خفيفة أيضا و"ولكن" ثقيلة . وبما أننا ندرس ما يربط جملة بجملة أخرى فاننا نقول انه قد تأتي الجملة الثانية مضادة للجملة الأولى (نفي ≠ اثبات أو اثبات ≠ نفي) كما يمكن أن تأتيا على صورة واحدة ، هذا وانه قد ترد مؤشرات في

الجملة الثانية تدل على علاقتها بالجملة الأولى ، ولكننا في ما سيأتي من الأمثلة سنركز أساسا على أحد وجوه وحدة الربط : " لكن " فتمعّن الأمثلة :

ـ فإنهم لا يكذبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون . (آ 33 الأنعام 6)

ـ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا . (آ 102 البقرة 02)

هذه " ولكن " المثقلة بنفي في الجملة الأولى وإثبات في الجملة الثانية ، وإليك عكس ذلك في ما يلي :

ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشعرون . (آ 243 البقرة 02)

الملاحظ أن " ولكن " الثقيلة تأتلف مع الاسم وتتوافق معه بخلاف و " لكن " الخفيفة فإنها دائما تأتلف مع الفعل وتتوافق معه ، أنظر الأمثلة :

لن تراني ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني .
(آ 143 الأعراف 07)

فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . (آ 46 الحج 22)

ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين . (آ 13 السجدة 33)

آخر وجوه وحدة الاستدراك هي : " لكن " الخفيفة وهي تأتلف مع الاسم وتتوافق معه ، أنظر الأمثلة :

لا يغرنك تقلّب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله . (آ آل عمران 03)

وكذلك : أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين .
(آ 38 مريم 19) .

ج ـ الحال : من بين روابط الجمل نذكر " الواو " المدرجة للجملة الدالة على الحال . أنظر الأمثلة التالية ، وهي تحتوي على جمل اسمية وأخرى فعلية بمعاني مختلفة : اثبات ونفي وتوكيد .

- فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون . (آـ22 البقرة 02)
- أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب . (آـ44 البقرة 02)
- كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون . (آـ05 الانفال 08)
- ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد . (آـ187 البقرة 02)
- ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه . (آـ267 البقرة 02)
- قال أوحي ولم يوح اليه شيء . (آـ 93 الانعام 06)

د ـ الاضراب : هو الاعراض والرجوع عن الأول حتى يصير الذى ذكر من قبل بمنزلة الذى لم يذكر ، وان شئت قلت الاضراب هو ترك ما ذكر وابطاله ، وأداة الاضراب هي "بل" وتربط الجمل الاسمية والفعلية على السواء بجمل أخرى . أنظر الأمثلة التالية :

أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق . (آـ70 المؤمنون 23)

أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك . (آـ3 السجدة 32)

ومما تنفرد به هذه الرابطة هو امكانية تكرارها في القول الواحد فتتلاحق الجمل بواسطتها فتتخذ شكلا تصاعديا ينتهي الى نقطة فيها يتبلور المعنى انظر هذا المثال :

وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون . (آـ65 ـ66 النمل 27)

هـ ـ الاستئناف : من أدوات الربط "الواو" التي للاستئناف ، ذلك لأن المعنى في الجملة التي تسبق "الواو" مكتمل وان معنى الجملة التي تلي الواو منقطع فالجملة الآخرة منقطعة عن الجملة الأولى و "الواو" رابطة شكلية فتتضمن قوله تعالى :

- يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى . (آ 05 الحج 22)
- وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون . (آ 100 يونس 10)

ان العرب قد تستأنف "بالفاء" كما تستأنف "بالواو"

مثال ذلك :

وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه .
(آ 102 البقرة 02)

- فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون . (آ 190 الاعراف 07).

ان أهمّ ما وصلنا اليه في هذه الدراسة هو ضرورة الفصل بين ما هو لساني بحت يمكن اخضاعه لتحليل علمي وفق منهج محدد وهو ما كان ـ في واقع الأمر ـ مدار اشتغالنا ، وما هو لساني ولكنه يحتاج الى غير اللساني ليدخل في وظيفة اللسان الرئيسية : التبليغ . وهذا الصنف الثاني يتوزع الى قسمين : عناصر غير تركيبية (عبارات جامدة) لم نخضعها للتحليل ... وأساليب جارية في معاملات البشر أثناء التخاطب كالأمر والنهي والدعاء والطلب والاستفهام .

ان تحليلنا لمدونة القرآن الكريم وفق المنهج الوظيفي مكننا من تحديد مفهوم القول ومكوّناته ومن تحديد أقسام الكلام وائتلافاتها . وإننا نعتبر أن ما عرضناه من أقسام جديد بامعان النظر لأنه يكشف عن حقائق علمية طالما كانت عنها الأبصار أو زاغت ، فغابت عنها أسرارها فسيء علاجها ولم يبق فيها الّا ما لا غنى فيه ولا جدوى .

في معالجتنا للأقوال فرضت علينا المنهجية التربوية ومبدأ التحليل السليم أن نبدأ بأقل ما يمكن أن يتم به التركيب فوقفنا عند الأقوال الدنيا ، وتبيّن لنا أن القول الأدنى يتألف من وحدتين على الأقل : أحداهما هي مركز التركيب الذي به وحوله تنبني العلاقات ، كما تبيّن لنا أن مركز القول التركيبي قد يكون "اسما" وقد يكون "فعلا" . وبهذا قسمت الأقوال الى اسمية والى فعلية ، فالاسمية ما ابتدت على الأسماء وحدها أو ما خلا منها الفعل ، والفعلية ما ابتدأت على فعل وان تأخر موضعه .

هذا وجه من الحقيقة ، أما الواقع المتشعب ، فقد حاولنا تحليله بناء على هذا المنطلق البسيط وعلى مبدإ التدرج في التركيب ، فكان أن بيّن لنا التحليل ... وجود قول اسمي يتجاوز عدد وحداته وحدتي النواة الاخبارية ، غير أن هذا القول

الاسمي يتميز بكون مخبره من قسم أسماء الفاعلين والمفعولين . أما الأقوال الفعلية المكونة من ثلاث وحدات فمنها الاختياري ومنها الضروري ، ومردّ الأمر فيها الى معاني الأفعال . وليس تركيب الأقوال الفعلية رباعية الوحدات، بمختلف عن الأقوال ثلاثية الوحدات .

قد يدعي مدّع أن هذا كلّه معروف ، والحق أن المسائل التي تقوم على التلميح والوثائق التي تنبني على تجسيم الأشتات المتفرعات لا توازن عند العاقل بالمسائل الصريحة التي يتوصل اليها بالاعتماد على المنهج الدقيق .

من الجديد الجدير بالاهتمام الذى توصلنا اليه بعد التحليل جملة من المسائل نذكر منها :

1 ـ التفريق بين ضروب الأفعال وضروب الأنساق الفعلية ، والتفريق أيضا بين الباسطات البسائط والباسطات النسقية ، وهو أمر توجهت اليه بالنظر ثلة قليلة من النحاة القدامى ولكن أدوات تحليلهم لم تفك ما أغلق منه الا جزئيا فبقي غامضا ، ففصلنا فيه القول ووضحناه بحيث لم يعد فيه اشكال يذكر .

2 ـ أيضا من المسائل التي وفقنا في حلها اعتمادا على مبدإ تحديد المخبر في كل قول : التمييز بين الفعل وبين القرينة الفعلية . اننا لم ننكر جهد ابن السراج في الحد الذى جعله بين الأفعال وبين أشباه الأفعال ولكن علاجنا للمسألة بالاعتماد على ما ورد في العديد من آي الذكر الحكيم ، أكثر دقة ونجاعة .

3 ـ الباسطات المكتنفيات ، اننا لم نر في مؤلفات الذين سبقونا بالكتابة في علم تراكيب اللسان العربي أو لغاته ما عدا ما كتبه أستاذنا

بلقايد محمد ، من تطرق الى هذه المسألة بالوجه الذى تطرق اليه الوظيفيون . فالاكتفاء مسألة مبدئية عندهم ، ناجمة عن دراسات عدة في ألسن مختلفة ، قد تبين لنا أثناء دراستنا للقرآن الكريم أن العربية لا تشذ عن هذا الناموس العام على الرغم من أنها من فصيلة مغايرة للألسن التي طبق عليها المنهج الوظيفي . وان الذى قلناه عن المكتفيات نقوله عن الكفيات ، فالذين تطرقوا الى بعض " حروف الجر " في العربية لم يروا فيها الا عملها في ما بعدها وما دلّت عليه من معاني طبعا ولم ينتبهوا الى حقيقة الوظيفة المزدوجة التي تقوم بها المضيفات : ادراج وحدات الوحدات التي تليها في القول ثم تمكينها وايادها من التنقل بين عناصر القول الأخرى وهذا واقع لساني طريف أولى بالاهتمام ، تأكّد وانجلى أثناء تحليلنا للقرآن الكريم .

4 ــ مما أفضى اليه تطبيق المنهج الوظيفي معرفة علاقة كل عنصر بأحد العناصر الأساسية للقول بحيث يمكن أن نشبه الأقوال بالأشجار في مختلف الأعمار ، فالقول الأدنى كالشجرة ذات الساق التي لا أغصان لها . ولكن هذه الصورة المجرّدة للقول والشجرة هي واقع أو واقع بداية ، فالساق هي النواة الاخبارية (المخبر والمسند) وكل منهما يمكن أن تتصل به وحدات تمدها وحدات أخرى تطول وتقصر أو تتعلق بها وحدات من بعدها وحدات حالها حال أغصان الأغصان ، وللكل تكسوه الفروع . وقد حددنا جيدا ضربي البسط وضربنا فيهما الأمثال . اننا عمدنا الى هذا التشبيه الذى أملاه علينا التحليل لآي الذكر الحكيم ، واننا نقرّ /أننا/ لم نلم به على الرغم من أننا فصّلنا القول كما ذكرنا في جميع ما توفره امكانيات البسط ، فتحدثنا عن المعلقات وعن الوظائف الفرعية وعن الموصلات الجميلة والمتعلقات الموضحة للأسماء والمخصصات المعجمية ، كما تحدثنا عن علاقات الاسمي بالنواة الاسمية

وعلاقات الاسمي بالنواة الفعلية وعلاقات الجملة ومكوناتها بالمخبر الفعلي كما تحدثنا عن العطف وعن الربط .

5 ـ اننا أثناء تحليلنا لمدونة القرآن الكريم قد اهتدينا الى التمييز بين وظيفتي الاسم المبهم والموصل في الوحدة ، "الذى " وهو أمر لم يقدم فيه شرح واف ولا اختير له مصطلح يجلي عنه الغموض في الدراسات التي سبقتنا ، كما أننا بيّنّا أن بعض الوحدات قد تقوم بوظائف عدة ولم نقتصر كثيرا على التذكير بما تحمل من معاني ، من هذه الوحدات نخص بالذكر : "إلاّ " فقد تكون مضيفا وقد تكون معلقا وقد تكون أيضا رابطا .

بالاضافة الى هذا نذكر أنه من الحكمة التفريق بين نوعين من القرائن : القرائن التي تتصل بوحدة معيّنة فتكون من الأسباب التي تدرجها في قسم معيّن من الأقسام وبين القرائن التي تتصل بصنف معيّن من الجمل ، واننا قد ذكّرنا في العالمين بمعاني هذه القرائن .

واننا لنعتبر أن دراسة التراكيب تقف عند انتهاء الجملة بمعناها الصريح ، أما ماتجاوز ذلك فانه يولجنا في دراسة النص ، وتلك دراسة أخرى ، ان كانت الانطلاقة فيها هي : دراسة الجملة الا ان أسسها ومقوماتها وآفاقها مغايرة لدراسة علم التراكيب . اننا نقول هذا ليعلم القارئ ان ما اقتطعناه مما ورد في معظم أمثلتنا أثناء العرض والتحليل كان السبب فيه حرصنا على حصر الظاهرة التركيبية التي كنا نريد ابرازها ، وقد حصل أن كررنا الأمثلة لما احتوى عليه المثال الواحد من ظواهر تركيبية مختلفة . غير أننا ونحن ندرس امكانية البسط الثانية : العطف ، وقفنا حائرين معجبين أمام ما يقدمه القرآن الكريم من نماذج لطيفة طويلة تتصل فيها أجزاء التركيب الواحد أوالتراكيب وتتعانق فتتقطع الأنفاس أثناء تلاوتها

ولا تنقطع . اليك هذا النموذج منها حيث تتخلل الجملة الواحدة جملتان ، وقد حاولنا أن نفصل بين الوحدات المكونة له ونرمز للعلاقات بين وحداته بسهام وخطوط بغية توضيح وصل أجزائها وتدرج العلاقات فيها حتى تكون القول كله ، فتضمن هذا النموذج :

سارعوا الى

ب 1 مغفرة

2 من ربكم .

ب 1 و جنة

2 عرضها السماوات
س و

(جملة)

....

2 أعدت لـ

م س

① المتقين

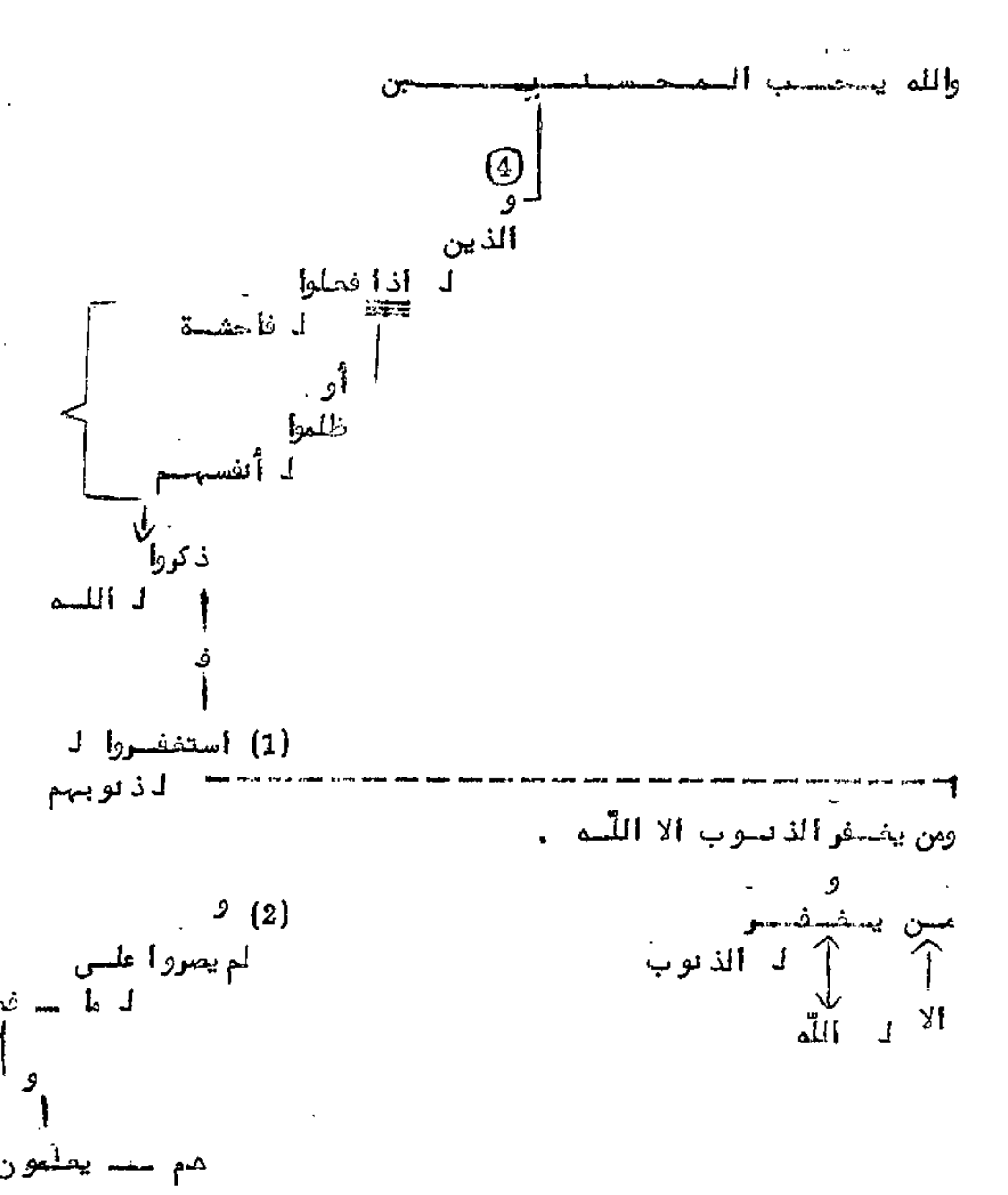
الذين ينفقون

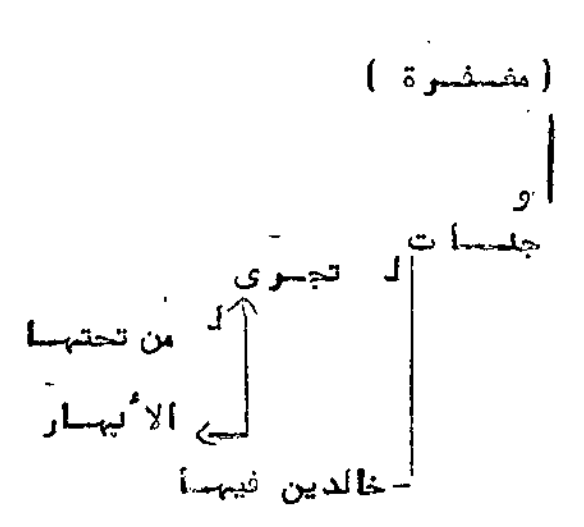
موصل في السراء
و
الضراء

② و الكاظمين

الغيظ

③ و العافين عن الناس


والله يحب المحسنين
4
و
الذين
إذا فعلوا
فاحشة
أو
ظلموا
أنفسهم
ذكروا
الله
ف
(1) استغفروا
لذنوبهم
ومن يغفر الذنوب الا الله .
و
من يغفر
الذنوب
الا
الله
(2) و
لم يصروا على
ما فعلوا
و
هم يعلمون
(أولئك) جزاؤهم مغفرة
من ربهم



ونعم أجر العاملين .

ومجمل آيات هذا النموذج هي :

سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين . (آ. 133 ـ 136 آل عمران 3) .

ولئن كنا اعتبرنا ـ عبر دراستنا ـ أن التنظيم النحوي هو تدرج علاقات جميع عناصر القول حول المخبر فهل يمكننا أن نتحدث عن شيء مماثل يقوم بنفس الدور بالنظر لتركيب النص، يقول الوظيفيون ان كل ما يوجد في الجملة يوجد في الخطاب ، فالجملة في النص أو في الخطاب ليست معزولة تركيبيا . هذا أمر بارز وواضح في العطف الذي هو وسيلة تناظر وجمع، والى جانب العطف توجد وسيلة أخرى تركيبية، لا بد من اعتبارها في علاقة

الجملة بالجملة ، هي الربط أيضا من الأدوات النحوية التي تسم العلاقات بين الجمل بأكثر عمق (أ) حدث الفصل عند توالي الأفعال في النص دون رابط ، أنظر الآية 255 من سورة البقرة :

الله لا إله الا هو الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ...

(ب) الضمائر : اذ أنها تحيل الى ما كان ذكر أو تحيل الى ما تمّ تحديده مسبقا انظر المثال السابق ، وغيره كثير لا يحصى .

الى جانب هذه الوسائل النحوية التي تمكّن من ربط العلاقات بين الجمل والتي توفّر بالتالي تركيبا للنص واضحا وتدرجا في مكوناته نذكر أيضا وسائل لسانية أخرى دون مستوى الأولى ، تساعد على تأليف أجزاء النص وتنسج علاقات متينة وا سعة بين الجمل التي يمكن أن يرتفع عددها كلما اقتضى الوضع أو السرد أو الشرح أو التعليق ذلك .

من هذه الوسائل اللسانية نذكر على سبيل المثال : الاشتقاق ، الذي هو وسيلة تمصر يسفوية دوره ظاهر في أحكام النص وتوجيهه ، فالأشكال المختلفة لنفس المادة يمكن أن ترد بتواتر ملحوظ ، ومن المادة الواحدة يكون الاسم ويكون الفعل ، والفعل يأتي مجردا ويأتي مزيدا فيه والعكس صحيح ، مثلما ورد في النموذج الذي قدمناه ، انظر الى : مغفرة ، استغفر ، غفر ، أيضا من هذه الوسائل اللسانية نذكر اسم الاشارة "اولئك" ورد أيضا في النموذج الذي قدمنا ، فهو يكوّن وسيلة ربط وتسلسل بين الجمل كثيرة التواتر في القرآن الكريم .

بهذه المحاولة أردنا أن نعرج على بعض الواقع التركيبي لنصّ القرآن الكريم ليعلم يقينا أن النص من القرآن الكريم أو السورة ليست تجميعا للجمل دون علاقة بينها ولكنها كل متماسك منسجم تربط أجزاءه العناصر اللسانية ربطا وثيقا .

اننا لم نتجنب فقط الخوض في هذا الحد الفاصل الواصل بين علم التركيب وعلم الدلالة ولكنا أيضا تجنبنا الحديث في تراكيب وأساليب يختص بها القرآن الكريم ، من ذلك :

التراكيب التي تبتدأ بها بعض السور مثل : آلم أو كهيعص ، وقد اصطلح على تسميتها فاتيح السور . ان كل ما نستطيع أن نقوله فيها هو أنها لم ترد في غير القرآن الكريم ، فلم تجر لا هي ولا تراكيب أمثالها على لسان العرب قبل نزول القرآن وبعد نزوله ، فهي خاصة به .

أيضا عندما تطرقنا الى قضية القسم ، اعتبرنا أن القسم له تراكيب محددة جرت على ألسنة العرب ، ورد بعضها في القرآن ، واعتبرنا أن ما اختص به القرآن من قسم على الرغم من طول قائمته وامكانيات الاستبدال فيه يندرج في العبارات الجامدة لأمور ، أولها أن القائمة على الرغم من طولها فهي محدودة .

ثانيا أن ما أقسم به الله سبحانه ، كالنجم والليل والقمر والشمس والضحى والنازعات والعاديات أو والتين أو والسماء ذات البروج ، لا يمكن أن يقسم به أحد ، فهو اذن خاص بالقرآن الكريم ، فقد روي عن ابن حنبل أن رسول الله صلى اللّه عليه وسلّم قال : ـ " فاذا حلف أحدكم فليحلف بالله أو ليصمت " كما روي عن الترمذي أيضا : " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " .

ثالثا : ان ما ابتدع من عبارات القسم ك : وحياتي ، وشرفي ، هي عبارات دخيلة واهية لم تلق صدى لدى مستعملي اللسان العربي .

من المسائل التي تجنبنا الخوض فيها أيضا ما يسمى بالالتفات أو نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب ، سواء اكتمل القول أم لم يكتمل ، والحق ان الوجه الثاني ألفت للنظر فتأمل هذه النماذج :

- ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا .
(آـ 47 الكهف 18) .

- أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ماكنتم تكسبون .
(آـ 24 الزمر 39).

- يا أيها النبيء انا أحللنا لك أزواجك . . وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبيء اذا أراد النبيء أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين .
(آـ 50 الأحزاب 33)

ان الالتفات أسلوب في التخاطب معروف عند العرب ، ولكن ماورد منه في القرآن الكريم خاص بالقرآن الكريم من أجل المقامات التي ورد فيها والمواضيع التي دار حولها . وعليه انا اعتبرناه من التراكيب الخاصة بالقرآن الكريم ، وقد مس الالتفات الجانب التركيبي كما حاولنا أن نبرزه للناظرين من خلال الأمثلة التي سبقت .

انا بذكر هذه المسائل نريد أن نؤكد على أن النحو الجديد الذي قدمنا قائم على دراسة التراكيب المتواترة في القرآن الكريم ، المستعملة عند العرب أو القريبة من استعمالاتهم حتى لاتكون حجة لبعض القوم لاعطائه صبغة ما خاصة وجعله بعيدا عن التناول والنظر وتطويعه للاستعمال اليومي الحي في مختلف المستويات وطبقا لتدرج الكفاءات .

بعض المصطلحات الوظيفية

ـ الإيتاء (ذي)	Datif (ve)
ـ التآلف	Combinabilité
ـ مؤتلف ، متآلف	Combinable(s)
ـ آني	Synchronique
ـ استبدال	Commutation
ـ بسط (فضلة)	Expansion
ـ باسطة ، باسطات	Expansion(s)
ـ تبليغ	Communication
ـ بنية ، بنى	Structure(s)
ـ جرد (جريدة)	Inventaire
ـ جامد	Figé
ـ جملة	Phrase
ـ جميلة	Proposition
ـ حقل	Champ
ـ مخبر	Prédicat
ـ مخيبر	Prédicatoïde
ـ خطاب	Discours
ـ دليل (لساني) ، أدلة	Signe(s)(linguistique)
ـ دليل (تنغيمي / عروضي)	Signe (prosodique)
ـ دال ـ دوال	Signifiant(s)
ـ دال متقطع	" " " discontinu
ـ " مشترك	Synchrétisme
ـ " ملغم	Signifiant amalgamé
ـ " بوجوه	Signifiant à variantes

Signifié	— مدلول
Corpus	— مدوّنة
Connecteur(s)	— رابط ، روابط
Ordre (des unités)	— ترتيب (الوحدات)
Syntaxe	— (علم)التراكيب (نحو)
Syntagme	— تركيب ، بناء ، لفظة
Syntagmatique	— تركيبي
Diachronique	— زماني
Sujet	— مسند
Niveau	— مستوى
Forme	— شكل (صيغة)
Paradigmatique	— تصريفي
Liniéarité	— الصفّ
Mode	— صيغة
Phonéme(s)	— صوت ، أصوات
-consonne(s)	صامت ، صوامت
-voyelle(s)	مصوت ، مصوتات
Lexical	— معجمي (افرادي)
Lexème(s)	— معجمية ، (وحدة) معجميات
Coordination	— عطف
Rapport	— علاقة
Subordination	— تعلّق ، تعليق
Subordonnant(s)	— معلق ، معلقات
Copule	— عماد
Elément(s)	— عنصر ، عناصر

Norme	ـ معيار
Pertinence	ـ التفاضل
Pertinent (trait)	ـ تفاضلي ـ (صفة) تفاضلية
Modalité (s)	ـ قرينة ، قرائن
Classe(s)	ـ قسم ، أقسام
Sous-classe (s)	ـ قسيّم ، قسيّمات
Articulation(première et deuxième)	ـ التقطيع (الأول والثاني)
Segmentation	ـ التقطيع
Enoncé(s)	ـ قول ، أقوال
" " minimum	ـ قول أدنى
Autonomie	ـ الاكتفاء
Autonomisé(s)	ـ كفيّة ، كفيّات
Autonome (s)	ـ مكتفي (ية) مكتفيات
Monème	ـ كلمة (وحدة دالّة)
Parole	ـ الكلام (الملفوظ، ...)
Langue(s)	ـ لسان ، ألسن
Langage(s)	ـ لغة ، لغات
Mot	ـ لفظة
Distinctif	ـ تمييزي
Synthème(s)	ـ نسق ، أنساق
Système	ـ نظام
Morphème(s)	ـ نحوية (وحدة) نحويات
Noyau	ـ نواة
Propositionnel(fonctionnel)	ـ موصل ، موصلات
Fonction(s)	ـ وظيفة ، وظائف

Phonologie	ـ وظائف الأصوات (علم)
Objet	ـ موضوع
Fonctionnel(s)préposionnel(s)	ـ وظيفي ، وظيفيات (أومضيف ، مضيفات)
Comptabilité	ـ الموافقة (التوافق)
Compatible(s)	ـ موافقة ، موافقات .

فهـرس المـراجـــع

أ ـ العربيـة

- القرآن الكريم : برواية ورش عن الامام نافع ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 .
- برنامج القرآن الكريم ، تقنية التحليل الصرفي الآلي في معالجة نص القرآن الكريم بالكمبيوتر ، العالمية 1987 .
- ابن أبي الأصبع : بديع القرآن ، ط 1 ، تحق حفني محمد شرف ، مصر مط الرسالة 1377 هـ 1957 م .
- ابن الأنباري : الانصاف في مسائل الخلاف ، مراجعه محمد محي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار الفكر ، د . ت .
- ابن جني : الخصائص ، ط 2 ، تحق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى 1372 هـ 1952 م .
- ابن الحاجب : كتاب الكافية في النحو ، شرح رضي الدين الاستراباذي ، بيروت ، دار الكتب العلمية 1310 هـ .
- ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ، ط 2 ، تحق عبدالعال سالم مكرم ، القاهرة ، دار الشروق 1397 هـ 1977م .
- ابن خالويه : كتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم . القاهرة دار الكتب المصرية 1360 هـ 1941م .
- ابن السراج : الأصول في النحو ، ط 1 ، تحق عبدالحسين الفتلي ، بيروت مؤسسة الرسالة 1405 هـ 1985م .
- ابن الشجري : الأمالي الشجرية ، بيروت ، دار المعرفة 1349 هـ .
- ابن عصفور : المقرب ، ط 1 ، تحق ، أحمد عبدالستار الجواري ، وعبدالله الجبوري ، بغداد ، مط . العاني 1391 هـ 1971م .
- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ط 14 ، مصر مط ، السعادة 1384 هـ 1964م .

- ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحق مصطفى الشويمي ، بيروت ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر 1382هـ 1963م .
- ابن القطاع : كتاب الأفعال ، ط1 ، بيروت ، عالم الكتب 1403 هـ 1983م .
- ابن القيم الجوزية : بدائع الفوائد ، بيروت ، دار الفكر ، د . ت .
- ابن مضاء القرطبي : كتاب الرد على النحاة ، ط 2 ، تحق . شوقي ضيف ، مصر دار المعارف 1982م .
- ابن هشام الأنصاري : أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، ط 6 ، تحق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري ، بيروت ، دار احياء التراث العربي 1980م .
- ابن هشام الأنصاري : مغني اللبيب ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي ، د . ت .
- ابن يعيش : شرح المفصل ، بيروت ، عالم الكتب ، د . ت .
- أبو أوس ابراهيم الشمسان : الفعل في القرآن الكريم ، تعديته ولزومه ، الكويت دار السلاسل للطباعة والنشر ، 1406 هـ 1986م .
- أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ط 3 ، بيروت ، دار الفكر 1304 هـ 1983م .
- الجرجاني عبدالقاهر : دلائل الاعجاز ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1404 هـ 1984م .
- الأخفش سعيد بن مسعدة : معاني القرآن ، ط1 ، تحق . عبدالأمير محمد أمين الورد ، بيروت ، عالم الكتب ، 1404 هـ 1984م .
- داك الباب جعفر : الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني : (نظرية الامام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث) ط1 ، مطبعة الجليل ، دمشق 1460 هـ 1980م .
- الدرويش محي الدين : اعراب القرآن الكريم وبيانه ، ط 2 ، 3 مج ، (الأولى فقط) دمشق - بيروت ، دار الرشيد 1403 هـ 1983م .
- الرماني : كتاب معاني الحروف ، تحق عبدالفتاح اسماعيل شلبي ، القاهرة دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1973م .

- الرازي فخر الدين : التفسير الكبير ، ط 3 ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د . ت .
- الزجاج : اعراب القرآن ، تحق . ابراهيم الأبياري ، القاهرة ، المطابع الأميرية ، 1382 هـ 1962م .
- الزجاجي : الجمل ، ط3 ، تحق . ابن أبي شنب ، باريس ، كلنكسيك 1376 هـ 1956م .
- الزجاجي : كتاب اللامات ، ط2 ، تحق . مازن المبارك ، دمشق ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، 1405 هـ 1985م .
- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ط2 ، تحق . أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ، دار المعرفة 1391 هـ 1972م .
- الزمخشري : الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت .
- السامرائي ابراهيم : الفعل ، زمانه وابنيته ، بغداد ، مط . العاني 1386هـ 1966م .
- سيبويه : الكتاب ، ط3 ، تحق . عبد السلام محمد هارون ، بيروت عالم الكتب 1403 هـ 1983م .
- السيوطي : كتاب الأشباه والنظائر في النحو ، ط1 ، راجعه فايز ترحيني ، بيروت ، دار الكتاب العربي 1404 هـ 1984م .
- السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع وعلم العربية ، بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر ، د . ت .
- ضيف شوقي : تجديد النحو ، القاهرة ، دار المعارف ، 1982م .
- الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت .
- الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، ط4 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1400 هـ 1980م .
- عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت ، دار احياء التراث العربي 1364 هـ 1945م .

- الفراء : معاني القرآن ، ط 2 ، بيروت عالم الكتب 1980م ؛
- المبرد : المقتضب ، تحق . عبدالخالق عضيمة ، بيروت ، عالم الكتب 1382 هـ ، 1963م.
- المخزومي مهدي : في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، ط1 ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية 1382 هـ ، 1963م.
- المخزومي مهدي : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ط 2 ، القاهرة ، مط . مصطفى البابي الحلبي 1377 هـ ، 1958م .
- المسدي عبدالسلام ومحمد الهادي الطرابلسي : الشرط في القرآن الكريم على منهج اللسانيات الوصفية ؛ ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب 1985م.
- الهروي : كتاب الأزهية في علم الحروف ، تحق . عبدالمعين الملوحي ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية 1391 هـ ، 1971م.

ب ـ الأجنبية

- E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, Paris, Gallimard, 1966.
- R. Blachème et G. Demonbynes, Grammaire de l'arabe classique, 3éme ed, Paris, Maisonneuve 1952.
- C. Bureau, Syntaxe fonctionnelle du français, Quebec, presse, de l'Université Laval, 1972.
- M. Chouimi, le verbe dans le Coran, Paris, Klincksiock, 1966.
- H. Fleish, s.j, l'arabe classique, esquisse d'une structure linguisttique, Nouv.ed Beyrouth, dar el machreq 1968.
- H. Fleish, s.j., Traité de philologie arabe, V 1, Beyrouth, imprimerie catholique, 1961. V2 Beyrouth, dar el machreq 1979.
- D. François, Français parlé, Paris, SELAP, 1974.
- " " " , Refléxions sur le (s)modele (s) de description fonctionnaliste, in linguistique fonctionnelle, débats et prospectives, présenté par M. Mahmoudian, Paris, P.U.F., 1979. PP. 25-41.
- F. François, Linguistique, Paris, P.U.F., 1980.
- " " " , La description linguistique, in le langage ss la dir. d'A. Martinet, Paris, Gallimard 1968, pp.171- 299.
- " " " , L'enseignement et la diversité des grammaires, Paris. Hachette 1974.
- C. Jesperson. La philosophie de la grammaire, traduit de l'anglais par A.M. léonard, Paris, ed. de Minuit 1971.
- M. Mahmoudian, la linguistique, Paris, Ssghers 1982.
- A. Martinet, Langue et fonction, traduit de l'anglais par H.G. Walter, Paris, Dénoel 1969.
- A. Martinet, Eléments de linguistique générale, Paris, A. Collin 1970.
- " " " " , Grammaire fonctionnelle du français, paris, CREDIF 1979.
- " " " " , Syntaxe générale, paris, A. Collin, 1985.

- A. Mehiri, Les théories grammaticales d'Ibn Jinni, TUNIS, Pub de l'Univ. de Tunis, 1973.
- G. Mounin, Clefs pour la linguistique, Paris, Seghers 1968.
- E. Sapir, Le langage, traduit de l'anglais par s.m. Guillemin, Paris, ed. Payot 1970.
- W. Wright, A grammar of the arabic language, 3e ed. London Cambridge Univ. Press. 1977.

Thèses*, revues et dictionnaires.

Thèses :

- Belkaïd (Mohammed), Le parler arabe de Ténès (algérie) étude phonologique, grammaticale et lexicale, vol 1, Paris V, 1976.
- Fahmi (Ahmed Med Hamed), Arabe parlé et écrit par les adolescents égyptiens, phonologie, morphologie, syntaxe Paris, Sorbonne, n° W 1981 (14) 1-4-4e.
- Al Samarrai (Ibrahim), le pluriel et le nom collectif dans le Coran, Paris, Sorbonne n° 1956 (9) 4e.

Revues :

- Langue française, Fonctionalisme et syntaxe du français n° 35 Sept. 1977. Paris, Larousse.
- " " " " ", Sur la grammaire traditionnelle n° 41 Fév. 1979. Paris. Larousse.
- La linguistique, revue internationale de linguistique générale

n° 9 - 1970 - 1 Paris, P.U.F.
n° 11- 1975 - 1 " " " "
n° 15- 1979-- 1 " " " "
n° 16- 1980 - 1 " " " "

* Pour le doctorat d'etat es lettres.

- Dictionnaires :

- A. Martinet, la linguistique, guide alphabétique, Paris, Dénoel, 1969.

- J. Marauzeau, Lexique de la terminologie linguistique, Paris, Geuthner, 1969.

- G. Mounin, Dictionnaire de la linguistique, Paris, PUF. 1974.

فهرس الموضوعات